كتاب الأغاني
الجزء الحادي والعشرون

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

أَخبار المُنخّل ونسبه

اسمه ونسبه:

هو المُنخَّل بن عمرو، ويقال: المُنخَّل بن مسعود بن أَفلتَ بن عمرو بن كعب بن سَواءةَ بن غنم بن حبيب بن يشكُرَ بنِ بكر بن وائل.

وذكر أبو محلم النسَّابة أَنه المُنَخَّل بن مسعود بن أَفلتَ بن قطن من سَواءةَ بن مالك بنِ ثعلبةَ بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكُرَ. وقال ابن الأَعرابيّ:

هو المُنَخَّل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبةَ بن عُديّ بن جُشَم بن حبيب بن كعب بن يشكُرَ.

شاعر مُقلّ، من شعراء الجاهلية، وكان النعمان بن المنذر قدِ اتّهمه بامرأته المتجرِّدة، وقيل: بل وجده معَها، وقيل: بل سُعِي به إليه في أَمرها فقتله؛ وقيل: بل حبسه ثم غَمَض خبرُه فلم تُعلم له حقيقة إِلى اليوم، فيقال: إِنه دفنه حيّاً، ويقال: إنه غرّقه، والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالعَنَزِيّ[1] وأَشباهه ممن هلك ولم يُعلم له خبر، وقال ذو الرّمة:

تُقارِبُ حتى تُطمِعَ التابِعَ الصّبا ... وليست بأَدنى من إياب المُنَخَّلِ

[الطويل]

أَخباره:

وقال النمر بن تَوْلب:

وقولي إذا ما أَطلقوا عن بعيرهم ... تُلاقونَه حتى يَؤُوبَ المُنَخَّلُ

[الطويل]

أَخبرني محمد بن خلف المرزبان، قال: أَخبرني أَحمد بن زهير، قال: أَخبرني عبد اللَّه بن كريم، قال: أَخبرني أَبو عمر الشيبانيّ، قال:

كان سبب قتل المنخل أَن المتجردة واسمها ماوية، وقيل: هند بنت المنذر بن

(١) العنزي: هو رجل راح يبحث عن القرظ، فلم يعد ولم يعثر عليه، فقيل: حتى يؤوب القارظ العنزي.

الأَسود الكلبيَّة كانت عند ابن عمّ لها يُقال له حلم، وهو الأَسود بن المنذر بن حارثةَ الكلبيّ، وكانت أَجمل أَهل زمانها، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخميّ فعشقها، فجلس ذاتَ يوم على شرابه ومَعه حُلم وامرأته المتجردة، فقال المنذر لحُلم: إنه لقبيح بالرجل أَن يُقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأْسه ولا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أَن تُطلقَ امرأتك المتجردة وأُطلق امرأَتي سلمى، قال: نعم، فأَخذ كل واحد منهما على صاحبه عهداً، قال: فطلق المنذر امرأته سلمى، وطلق حلم امرأته المتجردة، فتزوّجها المنذر ولم يُطلق لسلمى أَن تتزوج حُلماً، وحجبها وهي أُم ابنه النعمان بن المنذر، فقال النابغة الذبيانيّ يذكر ذلك:

قد خادعوا حُلماً عن حُرّة خَرِدٍ[١] حتى تبطّنها الخدَّاع ذو الحُلُم

[الطويل]

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوّجها بعده النعمان بن المنذر ابنه، وكان قصيراً دميماً أَبرش، وكان ممن يُجالسه ويشرب معَه النابغة الذبيانيّ، وكان جميلاً عفيفاً، والمنخل اليشكريّ، وكان جميلاً وكان يُتّهم بالمتجردة، فأَما النابغة، فإِن النعمان أَمره بوصفها، فقال قصيدته التي أولها:

مِن آل مَيَّةَ رائحٌ أَو مُغتدي عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوّدِ

[الكامل]

ووصفها فأَفحش، فقال:

وإِذا طعنتَ طعنتَ في مُستهدِفٍ رابي المَجسَّة[٢] بالعبيرِ مُقَرْمَدِ[٣]
وإِذا نزعتَ نزعتَ من مُستحْصِفٍ[٤] نَزْع الحزَوّرِ[٥] بالرشاء المُحْصَدِ[٦]

[الكامل]

المنخل وامرأَة النعمان:

فغار المنخل من ذلك وقال: هذه صفة مُعاين، فهمّ النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، وخلا المُنَخَّل بمجالسته، وكان يهوى المتجردة وتهواه، وقد ولدت للنعمان غلامينِ جميلينِ يُشبهانِ المنخل، وكانتِ العرب تقول: إنهما منه، فخرج

(١) الخرد: صفة المرأة الحييّة والشابة. (٢) المجسّة: موضع الجسّ.
(٣) المقرمد: المطلي. (٤) المستحصف: المستحكم.
(٥) الحزوز من الغلمان: الذي قارب سن البلوغ ولم يدرك بعد وهنا بمعنى القوي من الغلمان.
(٦) الرشاء المحصد: الحبل الشديد الإحكام.

النعمان لبعض غزواته ـ قال ابن الأَعرابيّ: بل خرج متصيّداً ـ فبعثتِ المتجردة إلى المُنَخَّل فأَدخلته قُبّتَها، وجعلا يشربانِ، فأَخذت خلخالها وجعلته في رجله، وأَسدلت شعرها فشدّت خلخالها إِلى خلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به، ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال، فأَخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلبَ، يقال له عِكَبٌّ وأَمره بقتله فعذبه حتى قتله، فقال المُنَخَّل يحرّض قومه عليه:

أَلَا مَن مبلغُ الحيّينِ عنّي ... بأَن القوم قد قتلوا أبيّا
فإِن لم تثأَروا لي من عِكَبٍّ ... فلا رَوَّيتمُ أَبداً صَدَيّا[1]

[الوافر]

وقال أَيضاً:

ظلّ وسط النّديّ قتلي بلا جُر ... مٍ وقومي يُثخِّنون[2] السِّحالا[3]

[الخفيف]

وقال في المتجردة:

ديارٌ للتي قتلتْكَ غَصباً ... بلا سيفٍ يُعَدُّ ولا نِبالِ
بِطَرْفٍ ميِّتٍ في عَيْنِ حيٍّ ... له خَبَلٌ يزيد على الخَبالِ

[الوافر]

وقال أَيضاً:

ولقد دخلتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ في اليوم المطيرِ
ألكاعبِ[4] الحسناء ترـ ... فُل[5] في الدَمقس[6] وفي الحريرِ
دافعتُها فتدافعتْ ... مَشْيَ القَطاةِ[7] إِلى الغديرِ
ولثمتُها فتنفَّست ... كتنفّس الظبيِ البَهيرِ[8]
ورَنَتْ وقالت: يا منخَّلُ ... هل بجسمك من فُتورِ
ما مسّ جسمي غيرُ حبـ ... ـك فاهدئي عني وسيري

(١) الصَّدَى: طائر خُرافي زعموا أنه يخرج من رأس المقتول ولا يزال يقول: اسقوني حتى يؤخذ بثأره.
(٢) يثخنون: يمعنون قتلاً وتجريحاً.
(٣) السحال: الأرنب الصغيرة التي فارقت أمها.
(٤) الكاعب: الفتاة التي نهد ثدياها وتكعّبا.
(٥) ترفل: تتبختر.
(٦) الدِّمقس: الحرير الأبيض.
(٧) القطاة: ضرب من الطيور يشبه الحمام.
(٨) البهير: هو من تتابعت أنفاسه لشدة عدوه.

يـا هـنـدُ! هـل مـن نـائـلٍ يـا هـنـد لـلـعـانـي[١] الأَسـيـرِ؟!
وأُحـبُّـهـا وتُـحـبُّـنِـي ويـحـبُّ نـاقَـتَـهـا بـعِـيـري
ولـقـد شـربـتُ مـنَ الـمـدا مـة[٢] بـالـكـبـيـر وبـالـصـغـيـرِ
فـإِذا سـكـرتُ فـإِنـنـي ربُّ الـخَـورْنَـق والـسَّـدِيـرِ
وإِذا صـحـوتُ فـإِنـنـي ربُّ الـشُّـوَيْـهـة[٣] والـبـعـيـرِ
يـا رُبَّ يـومٍ لـلـمُـنَـخَّـ ـل قـدْ لـهَـا فـيـه قـصـيـرِ

[مجزوء الكامل]

غرامه بالمتجردة:

وأَخبرني بخبر المُنَخَّل معَ المتجردة أَيضاً عليّ بن سُليمانَ الأَخفش، قال: أَخبرني أَبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب، عنِ ابن الأَعرابيّ، قال:

كانتِ المتجردة امرأة النعمان فاجرة، وكانت تُتّهم بالمُنَخَّل اليشكريّ وقد ولدت للنعمان غلامينِ على فِراش النعمان كانا أَشبهَ الناس بالمُنَخَّل فكان يُقال: إِنهما منه، وكان جميلاً وسيماً، وكان النعمان أَحمرَ أبرشَ قصيراً دميماً، وكان للنعمان يومٌ يركب فَيُطيل المكث، وكان المُنَخَّل من ندمائه لا يُفارقه، فكان يأْتي المتجردة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان، فيُطيل عندَها، حتى إذا جاء النعمان آذنتها[٤] بمجيئه وليدةٌ لها مُوكّلة بذلك، فتُخرجه، فركب النعمان ذاتَ يوم، وأَتاها المُنَخَّل كما كان يأتيها، فلاعبته وأَخذت قيْداً، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله، والأُخرى في رجلها، وغفلتِ الوليدة عن ترقّب النعمان، لأَن الوقت الذي كان يجيءُ فيه لم يكن قَرُب بعد، فأَقبل النعمان حينَئذٍ، ولم يُطِل في مكثه كما كان يفعل، فدخل إِلى المتجردة فوجدها معَ المُنَخَّل، وقد قيدت رجلها ورجله بالقيد، فأَخذه النعمان فدفعه إِلى عِكَبٍّ صاحب سجنه ليعذبه، وعِكَبٌّ رجل من لخم، فعذّبه حتى قتله، وقال المُنَخَّل قبل أَن يموت هذه الأبيات، وبعث بها إِلى ابنيه:

أَلا مـن مـبـلـغ الـحُـرّيـن عـنـي بـأَن الـقـوم قـد قـتـلـوا أَبـيّـا
وإِن لـم تـثـأروا لـيَ مـن عِـكَـبٍّ فـلا أرويـتـمـا أَبـداً صَـدَيّـا
يُـطـوِّف بـي عِـكَـبٌّ، فـي مَـعَـدٍّ ويَـطـعـن بـالـصـلـيـمـة[٥] فـي قَـفَـيّـا

[الوافر]

(١) العاني: الأسير.
(٢) المدامة: من أسماء الخمرة.
(٣) الشويهة: تصغير شاة.
(٤) آذنتها: أعلمتها.
(٥) الصليمة: الداهية وهنا كناية عن السيف.

قال ابن حبيب: وزعم ابن الجصاص:

أَن عمرو بن هند هو قاتل المُنَخَّل، والقول الأَول أَصح.

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأَولها قوله:

إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نَحْوَ العراقِ ولا تَحُوري[١]

لا تسأَلي عن جُلّ ما ... لي واذكري كرمي وخِيري[٢]

وإذا الرياح تناوحَتْ ... بجوانب البيت الكَسِيْرِ

أَلفيتِني هشَّ اليدين بِمَرْي قدحي أَو شَجِيري

الشجير: القِدْح الذي لم يُصْلح حُسناً، ويقال: بل هو القِدْح العارِية:

ونهى أَبو أفعى فقلَّدني أَبو أَفعى جريري[٣]

وجلالةً خطَّارةً ... هوجاء جائلةَ الضُّفورِ[٤]

تَعْدو بأَشعثَ قد وَهَى ... سِرْبالُه باقي المَسيرِ

قصداً على وضح الطريـ ... ـق إليك علقمةَ بن صِيرِ

ألواهب الكُومِ[٥] الصَّفا[٦] ... يا والأَوانس فِي الخُدُورِ[٧]

يُصفيك حينَ تَجيئه ... بالغَضِّ والحِلْي الكثيرِ

وفوارس كأُوار حَرّ النّار ... أَحلاسِ[٨] الذّكورِ

شَدّوا دوابرَ بَيْضهم[٩] ... في كُلّ مُحكةِ[١٠] القَتيرِ[١١]

فاستلأَموا[١٢] وتلبّبوا[١٣] ... إن التلبُّب للمُغيرِ

وعلى الجِياد المُشْنَقا ... تِ[١٤] فوارسٌ مثل الصقورِ

يخرجنَ من خَلل الغُبا ... ر يَجِفْنَ[١٥] بالنَّعَم الكثيرِ

---

(١) لا تحوري: لا ترجعي.
(٢) الخِير، بكسر الخاء: كرم الأصل ونبله.
(٣) الجرير: الحبل.
(٤) الضفور: الواحد ضفر: حزام الرحل.
(٥) الكوم، الواحدة كوماء: الناقة المرتفعة السنام.
(٦) الصفايا من النياق: هي الغزيرة اللبن.
(٧) الخدور، الواحد خدر: مخدع النساء.
(٨) الأحلاس، الواحد حلس: ما يوضع تحت رحل الناقة.
(٩) البيض: الخوذ التي يضعها المحاربون فوق رؤوسهم.
(١٠) محكمة القتير: الدروع المحكمة الصنع.
(١١) القتير: رؤوس مسامير الدرع.
(١٢) استلأموا: وضعوا اللأمات عليهم.
(١٣) تلببوا: تخرموا.
(١٤) المشنقات من الجياد: التي كفّت بلجمها.
(١٥) يجفن: يسرعن في عدوهن.

فـشـفـيـتُ نـفـسـي مـن أُولـئـك والـفـوائـح بـالـعـبـيـرِ
يـرفـلـنَ فـي الـمـسـك الـذّكِـيّ وصـائـكٍ[١] كـدم الـنَّـحِـيـرِ[٢]
يَـعـطـفْـنَ مـثـل أَسـاود[٣] الـتَّـنُّـوم[٤] لـم تـعـطـف لِـزُوْرِ
ولـقـد دخـلـت عـلـى الـفـتـا ة الـخِـدْر فـي الـيـوم الـمَـطـيـرِ
الـكـاعـبِ[٥] الـخـنـسـاء[٦] تَـرْ فُـلُ فـي الـدِّمـقـس وفـي الـحـريـرِ
فـدفـعـتـهـا فـتـدافـعـتْ مَـشْـيَ الـقـطـاةِ إلـى الـغـديـرِ
ولـثـمـتُـهـا فـتـنـفّـسـتْ كـتـنـفّـس الـظـبـي الـبَـهـيـرِ
قـرُبَـتْ وقـالـت: يـا مُـنَـخَّـل مـا بـجـسـمـك مـن فـتـورِ
مـا شـفّ جـسـمـي غـيـرُ حـبّـك فـاهـدئـي عـنـي وسـيـري
ولـقـد شَـرِبـت مـنَ الـمُـدا مـة بـالـصـغـيـر وبـالـكـبـيـرِ
ولـقـد شـربـت الـخـمـر بـالـخـيـل الإنـاث والـذكـورِ
ولـقـد شـربـت الـخـمـر بـالـ ـعـبـد الـصـحـيـح وبـالأَسـيـرِ
فـإذا سـكـرت فـإنـنـي ربُّ الـخـورنـق والـسَّـديـرِ[٧]
وإذا صـحـوت فـإنـنـي ربُّ الـشُّـوَيْـهَـة والـبـعـيـرِ
يـا رُبَّ يـوم لـلـمُـنَـخَّـل قـدْ لـهـا فـيـه قـصـيـرِ
يـا هـنـدُ! هـل مـن نـائـل يـا هـنـدُ لـلـعـانـي الأسـيـرِ؟!

[مجزوء الكامل]

ومنَ الناس من يزيد في هذه القصيدة:

وأُحـبـهـا وتُـحـبـنـي ويُـحـبُّ نـاقـتـهـا بـعـيـري

ولم أَجده في رواية صحيحة.

---

(١) الصائك من الطيب: الذي يلتصق. (٢) النحير: المذبوح.
(٣) الأساود، الواحد أسود: أخبث الحيات.
(٤) التّنوم: ضرب من النباتات أسود.
(٥) الكاعب من الفتيات: التي نهد ثدياها وتكعّبا.
(٦) الخنساء من النسوة: من خنس أنفها أيّ تأخر في وسطه ثم ارتفع في أرنبته.
(٧) الخورنق والسدير: الخورنق: موضع في العراق، اشتهر بقصر النعمان اللخمي. والسدير: قصر النعمان في الحيرة.

صوت

لِـمَـنْ شـيـخـان قـد نـشـدا كِـلابـا كـتـابَ الـلَّـه لـو قَـبِـلَ الـكِـتـابـا
أُنـاشِـده فـيُـعـرض فـي إبـاءٍ فـلا وأبـي كـلابٍ مـا أَصـابـا

[الوافر]

الشعر لأُميةَ بن الأسكر الليثيّ، والغِناء لعبد اللَّه بن طاهر رمل بالوسطي صنعه ونسبه إلى لميسَ جاريته، وذكر الهشاميُّ أَنَّ اللحن لها، وذكره عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ابن طاهر في جامع أغَانيه، ووقع إليّ، فقال: الغناء فيه للدار الكبيرة، وكذلك كان يُكني عن أبيه وعن إسحاقَ بن إبراهيمَ بن مصعب وجواريهم، ويُكَني عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دور إخوته بالدار الصغيرة.

أَخبار أُمية بن الأَسكر ونسبه

اسمه ونسبه:

هو أُمية بن حُرثانَ بن الأَسكر بن عبد اللَّه بن سراسل الموت بن زهرةَ بن زَبينه بن جُندَع بن ليث بن بكر بن عبد مناةَ بن كِنانةَ بن خُزيمةَ بن مُدركةَ بن الياس بن مضرَ بن نِزار.

شاعر فارس مخضرم، أَدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، وله أَيام مَأْثورة مذكورة.

وكان له أَخ يقال له: أَبو لاعق الدّم وكان من فرسان قومه وشعرائهم.

وابنه كِلاب بن أُميةَ أَيضاً أدرك النبيّ ﷺ، فأَسلم معَ أَبيه، ثم هاجر إِلى النبي ﷺ، فقال أَبوه فيه شعراً، ذكر أَبو عمرو الشيبانيّ أَنه هذا الشعر، وهو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا معَ أَهل العراق لقتال الفرس، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا.

قال أَبو عمرو في خبره: فأَمره رسول اللَّه ﷺ بصِلة أبيه ومُلازمته وطاعته.

وكان عمر بن الخطاب استعمل كِلاباً على الأُبلَّة وكان أَبواه ينتابانه: يأْتيه أحدهما في كل سنة ثم أبطآ عليه وكبرا فضعفا عن لقائه، فقال أَبياتاً وأَنشدها عمر، فرقّ له وردّه إليهما، فلم يلبث معَهما إلا يسيراً حتى نهشته أَفعى فمات، وهذا أَيضاً وهم من أَبي عمرو. وقد عاش كِلاب حتى وليَ لزيادٍ الأُبلّة، ثم استعفاه فأَعفاه، وسأَذكر خبره في ذلك وغيره هاهنا إِن شاء اللَّه تعالى.

فأَما خبره معَ عمرَ فإن الحسن بن عليّ أَخبرني به، قال: حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثني المدائنيّ، عن أَبي بكر الهزليّ، عنِ الزهريّ عن عُروةَ بنِ الزبير، قال:

هاجر كِلاب بن أُميةَ بن الأَسكر إلى المدينة في خلافة عمرَ بنِ الخطاب، فأَقام بها مدة، ثم لقي ذاتَ يوم طلحةَ بن عُبيد اللَّه والزبير بن العوام، فسألهما: أَيُّ الأَعمال أَفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل فأَغزاه في جيش، وكان أَبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كِلاب عنه، قال:

لِمَنْ شيخانِ قد نشدا كِلابا ... كتابَ اللَّه إن قَبِلَ الكِتابا
أُنادِيه فيُعرض في إباءٍ ... فلا وأَبي كَلابٍ ما أَصابا
إذا سجعت حَمامةُ بطنِ وادٍ ... إلى بيضاتها دَعوا كلابا
أَتاه مُهاجرانِ تكنَّفاه[1] ... ففارق شيخه خطِئاً وخابا
تركت أَباك مُرعشةً يداه[2] ... وأُمَّك ما تُسيغ لها شرابا
تُمَسِّحُ مُهرَه شفقاً عليه ... وتَجنُبُه أَباعِرها الصِّعابا

[الوافر]

قال: تجْنُبه وتُجنِّبُه واحد، من قول اللَّه عز وجل: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال:

وإِنَّك قد تركت أَباك شيخاً ... يُطارد أَينقاً سُرباً[3] طِرابا
فإِنك والتماسَ الأَجر بعدي ... كباغي الماءِ يتَّبع السَّرابا

[الوافر]

خبره معَ الخليفة عمر:

فبلغت أَبياته عمر، فلم يَرُدْ كِلاباً، وطال مقامه فأُهتِر[4] أُميةُ وخلط جزعاً عليه، ثم أَتاه يوماً، وهو في مسجد رسول اللَّه ﷺ وحوله المهاجرون والأَنصار، فوقف عليه ثم أَنشأ يقول:

أَعاذلَ! قد عذلتِ بغير قدْرٍ ... ولا تدْرين عاذلَ ما أُلاقي
فإِمَّا كنتِ عاذلتي فرُدِّي ... كِلاباً إذ توجّه للعراقِ
ولم أَقضِ اللُّبانةَ من كِلابٍ ... غداةَ غدٍ وآذنَ بالفراقِ
فتى الفتيانِ في عُسرٍ ويسرٍ ... شديدُ الركن في يوم التلاقي
فلا واللَّهِ ما باليت وجدي[5] ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإبقائي عليك إذا شَتَوْنا ... وضمَّك تحت نَحري واعتناقي

---

(١) تكنّفاه: أحاطا به.
(٢) مرعشة يداه: مرتجفتان لشدَّة تأثره وخوفه.
(٣) السرب: القطيع من البقر الوحشي، أو النساء أو غيرها.
(٤) أُهتر: فقد عقله لمرض أصابه أو لتقدّمه في السنّ.
(٥) الوجد: الحزن.

فلو فلقَ الفؤادَ حمَاطُ[١] وَجدٍ ... لهمَّ سوادُ قلبي بانفلاقِ
سأَستعدي على الفاروق ربّاً ... له دَفع الحجيج إلى بُساقِ[٢]
وأَدعو اللَّه مُجتهداً عليه ... ببطن الأَخشبين[٣] إلى دُفاقِ
إنِ الفاروق لم يَرْدُد كِلاباً ... إلى شيخينِ هامهما[٤] زواقي[٥]

[الوافر]

قال: فبكى عُمر بكاءً شديداً، وكتب بردّ كِلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل عليه، فقال له: ما بلغ من برّك بأَبيك؟ قال: كنت أُدثّره وأَكفيه أَمره، وكنت أَعتمد إذا أَردتُ أَن أَجلب له لبناً أَغزرَ ناقةٍ في إبله وأَسمنَها فأُريحها وأَتركها حتى تستقر ثم أَغسل أَخلافها حتى تبرد ثم أَحلب له فأَسقيه، فبعث عمرُ إلى أُميةَ من جاء به إِليه، فأَدخله يتهادى، وقد ضعف بصره وانحنى، فقال له: كيف أنت يا أَبا كِلاب؟ قال: كما تراني يا أَميرَ المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أَشتهي أَن أَرى كِلاباً فأشمَّه شمّة، وأَضمَّه ضمة، قبل أَن أَموت فبكى عمرُ ثم قال: ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء اللَّه تعالى، ثم أَمر كِلاباً أَن يحتلب لأَبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها، ففعل، فناوله عمرُ الإِناء، وقال: دونك يا أَبا كِلاب، فلما أَخذه وأَدناه إلى فمه قال لعمرَ: واللَّهِ يا أَميرَ المؤمنين! إني لأجد رائحة يدي كِلاب من هذا الإِناء، فبكي عمر، وقال: هذا كِلاب عندَك حاضراً قد جئناك به فوثب إلى ابنه وضمه إِليه وقبّله وجعل عمرُ يبكي ومن حضره، وقال لكِلاب: الزمْ أَبويك فجاهِدْ فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدَهما. وأَمر له بعطائه، وصرفه معَ أَبيه، فلم يزل معَه مقيماً حتى مات أَبوه.

نسخت من كتاب أَبي سعيد السكريّ، حدثنا أَبو جعفر محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيبانيّ، قال: هامت إبل أُميةَ بن الأَسكر أي أصابها الهيام، وهو داء يصيب الإِبل منَ العطش، فأَخرجته بنو بكر مخافةَ أَن يُصيب إبلهم ذلك فقال لهم: يا بني بكر إنما هي ثلاث ليال بالبَقعَاءِ وليلة بلقَف[٦] في سامر من بني بكر، فلم ينفعه ذلك

(١) الحماط: الحرقة في اللسان. (٢) بُساق: اسم موضع بعرفات وقيل هو وادٍ.
(٣) الأخشبين: جبلين من جبال مكّة المكرمة.
(٤) الهام من الطيور: طير أسطوري، يقول العرب أنه يخرج من رأس القتيل، ويستغيث بأقرباء القتيل، قائلاً: اسقوني اسقوني يدعو أولياء القتيل طالباً أن يثأروا له.
(٥) زواقي: صائحات مطالبات بثأر صاحبه.
(٦) البقعاء ولقف: موضعان.

وأَخرجوه، فأتى مُزَينةَ فأَجاروه، وأَقام عندهم إلى أَن صحَّت إبله وسكنت، فقال يمدح مُزَينة:

تكنَّفها[١] الهُيامُ[٢] فأَخرجوها ... فما تأْوي إلى إبل صِحاحِ
فكان إلى مُزَينةَ مُنتهاها ... على ما كان فيها من جُناحِ
وما يَكنِ الجُناحُ فإن فيها ... خلائق ينتمينَ إلى صَلاحِ
ويوماً في بني ليث بن بكر ... تُراعى تحت قعقعة الرِّماحِ
فإِمَّا أُصبحنْ شيخاً كبيراً ... وراء الدار يُثقلني سلاحي
فقد آتي الصَّريخ[٣] إذا دعاني ... على ذي مَيعةٍ[٤] عَتدٍ[٥] وقَاحِ[٦]
وشَرُّ أَخي مؤامرةٍ خذولٌ ... على ما كان مُؤتكِل ولاحي

[الوافر]

أَخباره:

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا محمد بن عبد اللَّه الحزنبل، عن عمرو بن أَبي عمرو الشيبانيّ، عن أَبيه. وأَخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أَبو توبةَ، عن أَبي عمرو، قال:

عُمِّر أُميّةُ بن الأَسكر عمراً طويلاً حتى خرف، فكان ذاتَ يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدِّث نفسه، إذ نظر إِلى راعي ضأْن لبعض قومه يتعجّب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، وأَقبل ابناه إِليه فلما رآهما أَنشأ يقول:

يا ابنَيْ أُميَّةَ إِني عنكما غاني ... وما الغنى غيرُ أَني مُرْعَشٌ[٧] فاني
يا ابنَيْ أُميَّةَ إِلَّا تحفظا كِبَري ... فإِنما أَنتما والثُّكلُ[٨] مثلانِ
هل لكما في تراثٍ تذهبانِ به؟ ... إن التراث لِهيَّان بن بَيَّانِ

[البسيط]

يقال: هيَّان بن بيَّان وهي ترى للقريب والبعيد.

---

(١) تكنّفها: استحوذ عليها.
(٢) الهُيام: داء يصيب الإبل من العطش.
(٣) الصّريخ: المستغيث.
(٤) ذي الميعة: الجواد.
(٥) عتد: أي معدّ لإسعاف كلّ محتاج.
(٦) الوقاح من الجياد: الصلب الحافر حيث توجد بالأحجار.
(٧) المرعش: المرتعب لشدّة خوفه.
(٨) الثكل: فقد الأعزّاء على ذويهم من آباء وأمهات.

أَصبحتُ فَرداً لراعي الضأن يلعب بي[١] ماذا يُريبك مني راعيَ الضانِ
إعجبْ لغيريَ إني تابعٌ سلفي أَعمامِ مجدٍ وأَخدانٍ وإِخوانِ
وانعقْ بضأْنك في أَرض تُطِيف بها بين الإِساف وأَنتجها بِجلذانِ
[البسيط]

جِلذان: موضع بالطائف.

ببلدة لا ينام الكالئانِ بها ولا يقرُّ بها أَصحابُ أَلوانِ
[البسيط]

وهذه الأَبيات تمثل بها أمير المؤمنين عليّ بن أَبي طالب عليه السلام في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بها أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار وأَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حدثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حدثنا محمد بن أَبي رجاء، قال: حدثني إِبراهيمُ بن أَبي سعد، قال:

قال عُبيد اللَّه بن عديّ بنِ الخيار: شهدت الحكمين، ثم أَتيت الكوفة، وكانت لي إِلى عليٍّ عليه السلام حاجة، فدخلت عليه، فلمَّا رآني قال: مرحباً يا ابن أُمِّ قتَّالٍ، أَزائراً جئتنا أَم لحاجة؟ فقلت: كلٌّ جاء بي، جئت لحاجة وأَحببت أَن أُجدِّدَ بك عهداً. وسألته عن حديث فحدثني على أَن لا أُحدِّث به واحداً، فبينا أَنا يوماً في المسجد بالكوفة إذا عليٌّ عليه السلام متنكّبٌ قرناً[٢] له فجعل يقول: الصلاة جامعة، وجلس على المنبر واجتمع الناس، وجاء الأَشعث بن قيس فجلس إِلى جانب المنبر، فلما اجتمع الناس ورضي منهم قام فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أَيُّها الناسُ! إِنكم تزعمون أَن عندي من رسول اللَّه ﷺ ما ليس عند الناس، أَلا وإنه واللَّهِ ليس عندي إِلَّا ما في قَرْنِي هذا ثم نكت[٣] كِنانته، فأَخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ على من سواهم، من أَحدث حدثاً أَو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أَجمعين. فقال له الأَشعث بن قيس: هذه واللَّهِ عليك لا لك، دَعْها تترحّل، فخفض عليٌّ عليه السلام إِليه بصره وقال: ما يُدريك ما عليّ مما ليَ. عليك لعنة اللَّه ولعنة اللاعنين، حائكٌ ابن حائك، منافقٌ ابن منافق، كافرٌ ابن كافر، واللَّهِ

(١) يلعب بي: يسخر مني.
(٢) متنكّب قرناً له: حامل سيفاً له.
(٣) نكت كنانته: نثر ما فيها من نبال.

لقد أَسرك الإِسلام مرةً والكفر أخرى فما فدَاك من واحد منهما حَسَبُك ولا مالك. ثم رفع إليَّ بصره فقال: يا عُبيد اللَّه.

أَصبحتُ قِنَّاً لراعي الضأْن يَلعب بي ... ماذا يُريبكَ مني راعيَ الضانِ

[البسيط]

فقلت: بأَبي أَنت وأُمي، قد كنت واللَّهِ أُحبّ أَن أَسمع هذا منك، قال: هو واللَّهِ ذلك.

فما قِيلَ عندي بعدَها من مقالة ... ولا عَلِقَتْ مِنا جديداً ولا دَرْسا

[الطويل]

خبر ولده كِلاب:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الحارث، عنِ المدائنيّ، قال:

لما مات أُميّة بن الأَسكر عاد ابنه كِلاب إِلى البصرة، فكان يغزو معَ المسلمين منها مغازيهم، وشهد فتوحاتٍ كثيرةً، وبقيَ إِلى أَيام زياد، فولَّاه الأُبلَّة، فسمع كِلابٌ يوماً عثمانَ بن أبي العاص يحدث: أن داود نبي اللَّه عليه السلام كان يجمع أَهله في السحر، فيقول: ادعو ربكم فإِن في السحر ساعةً لا يدعو فيها عبد مؤمن إِلَّا غُفر له إِلَّا أَن يكون عشَّاراً أَو عَريفاً، فلمَّا سمع ذلك كِلاب كتب إِلى زياد فاستعفاه من عمله فأَعفاه.

قال المدائنيّ: ولم يزل كِلاب بالبصرة حتى مات والمربعة المعروفة بمربَّعة كلاب بالبصرة ومنسوبةٌ إِليه.

وقال أَبو عمرو الشيبانيّ:

كان بين بني غِفار وبني ليث حربٌ فظفرت بنو ليث بغِفار فحالف رخصة بن خُزيمةَ بن خِلاف بن حارثةَ بن غِفار وقومُه جميعاً بني سلمةَ بن أَفصى بن خُزاعةَ، فقال أُميةُ بن الأَسكر في ذلك وكان سيد بني جندع بن ليث وفارسَهم:

لقد طِبتَ نفساً عن مواليك يا رحْضَا ... وآثرتَ أَذناب الشوائل[1] والحمضا

تُعللُنا بالنصر في كل شَتوة ... وكلّ ربيع أَنت رافضنا رفضا

فلولا تأَسِّينا وحَدُّ رماحنا ... لقد جرَّ قومٌ لحمنا تربَاً قَضَّا

[الطويل]

(١) الشوائل من الإبل، الواحدة شائلة: هي التي مضى من حملها سبعة أشهر، والتي ترفع ذنبها تبغي اللقاح.

القضّ والقضيض: الحصا الصغار.

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أَحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب بن عبد اللَّه عن أبيه، قال:

افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن مُعاويةَ إِلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إِليه، فلمَّا عرف معاوية خبر المال كتب إِلى مروانَ بأَن يحبس عمراً حتى يؤَدّيَ المال، فحبسه مروان، وبلغ الخبر عبد اللَّه بن الزبير، فجاء إِلى مروانَ وسأله عنِ الخبر، فحدثه به، فقال: ما لَكُم في ذمتي، فأَطلق عَمْراً وأدّى عبدُ اللَّه المال عنه، وقال: واللَّهِ إِني لأُؤديه عنه، وإِني لأَعلم أَنه غير شاكر، ثم تمثل قول أُميّة بن الأَسكر الليثيّ:

فلولا تأَسِّينا وحَدُّ رماحنا لقد جرَّ قوم لحمنا ترَباً قَضَّا

[الطويل]

أُميّة وعامر بن الطُّفيل في عُكاظَ:

وقال ابن الكلبيّ: حدثنا بعض بني الحارث بن كعب، قال:

اجتمع يزيدُ بنُ عبد المدانِ وعامر بن الطُّفيل بموسم عُكاظَ، فقَدِم أُميّة بن الأَسكر ومعَه بنت له من أَجمل أَهل زمانها، فخطبها يزيدُ وعامر، فقالت أُمُّ كِلاب امرأة أُميّة: من هذان الرجلانِ؟ قال: هذا ابن الدَّيان، وهذا عامر بن الطُّفيل. قالت: أَعرف ابنَ الديان ولا أَعرف عامراً. قال: هل سمعتِ بملاعب الأَسِنَّة؟ قالت: نعم واللَّهِ، قال: فهذا ابنُ أَخيه، وأَقبل يزيدُ، فقال: يا أُميّةُ! أنا ابن الديّان، صاحب الكَثِيب[1] ورئيس مذحج، ومكلِّم العُقاب، ومن كان يُصَوِّب أَصابعه فتَنْطِفُ دَماً، ويدلكُ راحتيه فتخرجانِ ذهباً، قال أُميّة: بخ بخ، فقال عامر: جدّي الأَخرم، وعمّي أَبو الأصبع، وجدّي الرحال، وعمّي ملاعب الأَسنة، وأَبي فارس قرزل، قال أُميّة: بخ بخ، مرْعىً ولا كالسعدان، فأَرسلها مثلاً: فقال يزيد: يا عامرُ، هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحِه إِلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أَن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إِلى قومي؟ قال: نعم، قال: فهل لك نجمٌ يمانٍ أَو بُرد يمان، أو سيف يمان أو ركن يمان؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم ولم تملكونا؟ قال: نعم، قال: فنهض يزيدُ ثم قام فقال:

أُمَيَّ يا ابنَ الأَسكر بن مُدلجِ لا تجعلنَّ هَوازناً كمَذحِجِ

(١) الكثيب: موضع، وهو أصلاً المرتفع من الرمال.

إنـك إن تَـلـهَـجْ بـأَمـر تَـلـجَـجِ[١] ما الـنَّـبـعُ فـي مَـغـرسـه كـالـعَـوسَـجِ
ولا الـصَّـريـحُ الـمـحـضُ كـالـمُـمَـزَّج[٢]

[الرجز]

وقال مرة بن دودانَ العُقَيليّ، وكان عَدُوّاً لعامر بن الطُّفيل:

يـا لـيـت شـعـري عـنـك يـا يـزيـدُ مـاذا الـذي مـن عـامـرٍ تـريـدُ؟!
لـكـل قـوم فـخـرهـم عـتـيـدُ أَمُـطـلَـقـون نـحـن أم عـبـيـدُ؟!
لا بـل عـبـيـد زادُنـا الـهَـبِـيـدُ[٣]

[الرجز]

فزوج أُميّةُ يزيدَ فقال يزيد في ذلك:

يـا لـلـرجـال لِـطـارق الأَحـزانِ ولـعـامـر بـنِ طُـفـيـلٍ الـوسـنـانِ
كـانـت إتـاوة قـومـه لـمُـحـرِّق زمـنـاً وصـارت بَـعْـدُ لـلـنـعـمـانِ
عـدّ الـفـوارسَ مـن هَـوازنَ كـلـهـا كـشـفـاً عـلـيَّ وجـئـت بـالـديَّـانِ
فـإذا لـيَ الـفـضـل الـمـبـيـن بـوالـدٍ ضـخـم الـدَّسـيـعـة[٤] زانـنـي ونـمـانـي
يـا عـامِ إنـك فـارسٌ مـتـهـوّر غـضُّ الـشـبـاب أَخـو نـدىً وقِـيـانِ
واعـلـم بـأَنـك يـا ابـن فـارس قُـرْزُل دون الـذي تـسـمـو لـه وتُـدانـي
لـيـسـت فـوارس عـامـر بـمُـقـرَّةٍ لـك بـالـفـضـيـلـة فـي بـنـي عَـيْـلانِ
فـإذا لـقـيـت بـنـي الـحـمـاس ومـالـك وبـنـي الـضّـبـاب وحـيِّ آل قَـنَـانِ
فـاسـأل مَـنِ الـمـرءُ الـمُـنَـوَّهُ بـاسـمـه والـدافـع الأَعـداءِ عـن نَـجْـرانِ
يُـعْـطَـي الـمـقـادةَ فـي فـوارس قـومـه كـرمـاً لـعـمـرُك والـكـريـمُ يَـمـانـي

[الكامل]

فقال عامر بن الطُّفيل مُجيباً له:

يـا لـلـرجـالِ لـطـارق الأَحـزان ولـمـا يـجـيء بـه بـنـو الـديَّـانِ
فـخـروا عـلـيَّ بـحَـبْـوةٍ[٥] لـمـحـرّق وإتـاوةٍ سـلـفـت[٦] مـنَ الـنـعـمـانِ

(١) تلجج: تردّد في كلامه فصعب عليه.
(٢) الصريح: الخالص، والممزّج: الممزوج من عنصرين متغايرين.
(٣) الهبيد: ضرب من النباتات شديد المرورة تقتاته الإبل.
(٤) الدسيعة: الطبيعة والقوّة. (٥) الحبوة: العطاء.
(٦) سلفت: مضت.

مـا أَنـت وابـنَ مُـحـرّق وقـبـيـلـه وإتـاوة الـلـخـمـيّ فـي غـيـلانِ
فـاقـصِـدْ بـذَرْعـك قـصـد أَمـرك قَـصْـدةً ودعِ الـقـبـائـل مـن بـنـي قـحـطـانِ
إذ كـان سـالـفـةُ الإِتـاوة فـيـهـم أَولـى فـفـخـرُك فـخـر كـل يـمـانِ
وافـخـرْ بـرهـط بـنـي الـحـمـاس ومـالـك وابـن الـضّـبـاب ورَعْـبـل وقِـيـانِ
وأَنـا الـمـبـجَّـلُ وابـنِ فـارس قُـرزُل وأَبـو تـراءٍ زانـنـي ونـمـانـي
وإِذا تـعـاظـمـتِ الأُمـورُ مـوازنـاً كـنـتُ الـمُـنـوِّه بـاسـمـه والـبـانـي
[الكامل]

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرةَ بن دودانَ، وقالوا: أنت شاعر بني عامر، ولم تهجُ بني الدّيّان، فقال:

تـكـلّـفـنـي هـوازنُ فـخـرَ قـوم يـقـولـون: الأنـامُ لـنـا عـبـيـدُ
أَبـوهـم مـذحـج وأَبـو أَبـيـه إذا مـا عُـدَّتِ الآبـاءُ هُـودُ
وهـل لـي أَن فـخـرت بـغـيـر فـخـر مـقـالٌ والأَنـام لـه شـهـودُ
فـإِنّـا لـم نـزل لـهـمُ قَـطـيـنـاً تـجـيـئ إِلـيـهـمُ مـنـا الـوفـودُ
فـأَنَّـى نَـضـربُ الأَحـلامَ صـفـحـاً عـنِ الـعـلـيـاء أَم مـن ذا يـكـيـدُ؟!
فـقـولـوا: يـا بـنـي عَـيـلانَ كُـنَّـا لـكـم قِـنّـاً[1] ومـا عـنـهـا مـحـيـدُ
[الوافر]

شعره في يوم المريسيع:

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ والتوليد فيه بيِّن، وشعره شعر ركيك غثّ لا يُشبه أَشعار القوم، وإنما ذكرته لئلّا يخلوَ الكتاب من شيء قد رويَ:

وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أَبو سعيد السكريّ، ونسخته من كتابه: قال أَبو عمرو الشيبانيّ:

أُصيب قومٍ من بني جُندع بنِ لبث بن بكر رِهطِ أُميّةَ بنِ الأَسكر يقال لهم بنو زُبينة، أَصابهم أَصحاب النبي ﷺ يومَ المُرَيسيع في غزواته بني المُصطلِق، وكانوا جيرانهم يومَئذٍ، ومعَهم ناس من بني لحيان من هُذيل، ومعَ بني جُندع رجل من خُزاعةَ، يقال له طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، وأَنه دلّ عليهم، وكانت خُزاعة مُسلمُها ومُشركُها يَميلون إِلى النبيّ ﷺ على قريش، فقال أُميّة بن الأَسكر لطارق الخُزاعِيّ:

(١) القِن، بكسر القاف: العبد.

لعمرُك إني والخزاعِيَّ طارقاً ... كنعجة عادٍ حَتْفَها تتحفَّرُ
أَثارت عليها شَفْرةً بكُراعها[١] ... فظلّت بها من آخر الليل تُجزَرُ[٢]
شمتَّ بقومٍ هم صديقك أَهلكوا ... أَصابهمُ يومٌ منَ الدهر أَعسرُ
كأَنك لم تُنبأ بيوم ذُؤَالةٍ ... ويومِ الرَّجيع إِذ تنحّر حَبْتَرُ
فهلا أَباكمْ في هُذيل وعمّكمْ ... ثأَرتم، وهم أَعدى قُلوباً وأَوترُ
ويوم الأَراكِ يوم أَردف سيبكم ... صميم سراة الديل عبدٌ ويعمرُ
وسعد بن ليث إذ تُسلُّ نِساؤكم ... وكلب بن عوف نحّروكم وعقّرُوا
عجبت لشيخ من ربيعةَ مُهتَرٍ[٣] ... أُمرَّ له يومٌ منَ الدهر مُنكَرُ

[الطويل]

فأَجابه طارق الخُزاعيّ، فقال:

لعمرُك ما أَدري وإِني لقائل ... إلى أَيِّ مَنْ يظنني أَتعذَّرُ
أُعنّف أن كانت زُبينة أُهلكت ... ونال بني لحيانَ شَرٌّ ونفرُوا

[الطويل]

وهذه الأَبيات: الابتداءُ والجوابُ تمثّل بابتدائها ابنُ عباس في رسالة إِلى معاوية، وتمثل معاوية بجوابها في رسالة أَجابه بها.

حدثني بذلك أَحمد بن عيسى بن أَبي موسى العِجليّ العطار بالكوفة قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المِنقريّ قال: حدثنا زيد بن المعذل النمريّ، قال: حدثنا يحيى بن شُعيب الخراز، قال: حدثنا أَبو مِخنف، قال:

لما بلغ معاويةَ مصابُ أَمير المؤمنين عليّ عليه السلام دسَّ رجلاً من بني القين إِلى البصرة يتجسس الأَخبار ويكتب بها إليه فَدُلَّ على القَيْنِيّ بالبصرة في بني سليم فأُخذ وقتل، وكتب ابن عباس منَ البصرة إِلى معاويةَ: أَما بعد، فإِنك ودسَّك أَخا بني القَيْنِ إِلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر:

لعمرُك إني والخُزاعيّ طارقاً ... كنعجة عادٍ حتفَها تتحفَّرُ
أَثارت عليها شفرة بكُراعها ... فظلَّت بها من آخر الليل تُجزرُ

(١) الكُراع، بضم الكاف: مستدقّ الساق.
(٢) تجزر: تذبح.
(٣) المهتر من الرجال: الطاعن في السنّ، الذاهب العقل.

شمتَّ بقوم هُم صديقك أُهلكوا أَصابهمُ يومٌ منَ الدهر أَمعرُ[1]

[الطويل]

فأَجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إليَّ بنحوٍ مما كتبت به وأَنّبني بما لم أَجن ظنّاً وسوءَ رأي، وإنك لم تصب مثلنا ولكن مثلناً ومثلكم كما قال طارق الخُزاعيّ:

فوالـلَّـهِ ما أَدري وإني لصادقٌ إلى أَيّ من تظنني أَتعذَّرُ

أُعنّف أَن كانت زُبينة أُهلكت ونال بني لحيان شرٌّ ونُفِّرُوا

[الطويل]

صوت

أَبُنيَّ إني قد كبرت ورابني بصري وفيَّ لمصلح مستمتعُ

فلئن كبرت لقد دنوتُ إِلى البِلى وحَلَتْ لكم مني خلائقُ أَربعُ

[الكامل]

عروضه منَ الكامل، الشعر لعَبْدَةَ بنِ الطيب، والغناء لابن محرز ولحنه منَ القدر الأَوسط منَ الثقيل الأَول بالبنصر في مجراها عن إِسحاقَ، وفيه لمعبد خفيف ثقيل أَول بالبنصر في مجراها عنه أَيضاً.

(١) الأمعر: ما كان قليل الخير من كلّ شيء.

أَخبار عبدة بن الطيِّب ونسبه

هو ـ فيما ذكر ابن حبيب عنِ ابن الأَعرابيّ وأَبو نصر أَحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العكلي ـ عبْدة بن الطيِّب، والطيّب اسمه يزيد، بن عمرو بن وعلةَ بن أُنس بن عبد اللَّه بن عبد تيم بن جُشَم بن عبد شمس ـ ويُقال عبشمس ـ بن سعد بن زيد مناةَ بن تميم.

وقال ابن حبيب خاصة: وقد أَخبرني أَبو عُبيدةَ، قال:

تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم، وتيم صنم كان لهم يعبدونه.

وعَبْدة شاعر مُجيد، ليس بالمكثر، وهو مخضرم، أَدرك الجاهلية والإِسلام فأَسلم، وكان في جيش النعمان بن المُقرّن الذين حاربوا معَه الفرس بالمدائن، وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أَولها:

هل حبلُ خولةَ بعد الهجر مَوصولُ أَم أَنت عنها بعيدُ الدار مشغولُ؟!
حَلَّت خُويلةُ في دار مُجاورةً أهل المدينة، فيها الديكُ والفيلُ
يُقارِعون رؤوس العُجْم ضاحيةً منهم فوارس لا عُزْلٌ[1] ولا مِيلُ[2]

[البسيط]

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أَخي الأَصمعيّ، عن عمّه، قال:

أَرثى بيتٍ قالته العرب قول عَبْدةَ بنِ الطيِّب:

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحد ولكنه بنيانُ قوم تهدَّما

[الطويل]

وتمام هذه الأَبيات، أَنشدناه عليّ بن سُليمانَ الأَخفش، عنِ السكريّ والمبرد والأَحول لعَبْدةَ يرثي قيْساً:

عليكَ سلامُ اللَّه قيسَ بنَ عاصم ورحمتُه ما شاء أَن يترحَّما
تحيَّةَ من أَوليتَه منك نعمةً إِذا زار عن شَحْطٍ[3] بلادك سَلَّما

(١) العزّل، الواحد أعزل: من لا سلاح معه. (٢) الميل، الواحد أميل: الخوّار جبناً.
(٣) شحّط البلاد: بعدها.

وما كان قيسٌ هُلكُه هُلْكَ واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما
[الطويل]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أَبو عثمانَ الأُشنانديّ، عنِ التوزيّ، عن أَبي عُبيدةَ، عن يونسَ، قال:

قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطيّب لا يُحسن أَن يهجوَ، فقال: لا تقل ذاك، فواللَّهِ ما أَبى من عيّ ولكنه كان يترفع عنِ الهجاء ويراه ضِعةً كما يرى تركه مروءة وشرفاً، وأَنشد:

وأَجرأُ مَنْ رأَيتُ بظهر غيبٍ على عيب الرجال أَخو العيوبِ
[الوافر]

عبد الملك بن مروان وعبدة:

أَخبرني محمد بن القاسم الأَنباريّ، قال: حدثنا أَحمد بن يحيى ثعلب، عنِ ابن الأَعرابيّ:

أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه: أَيّ المناديل أَشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصرَ كأَنها غِرْقي البَيْض، وقال آخر: مناديل اليمن، كأَنها نَوْرُ الربيع، فقال عبد الملك: مناديل أَخي بني سعد عَبْدة بن الطيّب حيث يقول:

لما نزلنا نصبنا ظِلَّ أَخبيةٍ وفارَ للقوم باللحم المراجيلُ[1]
وردٌ وأَشقرُ ما يُونيه طابخُه ما غيّر الغليُ منه فهو مأكولُ
ثُمَّتَ قمنا إلى جُرد مُسوَّمة أَعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ
[البسيط]

يعني بالمراجيل المراجل فزاد الياء فيها ضرورة.

صوت

إن الليالي أَسرعتْ في نقْضي أَخذْنَ بعضي وتركن بعضي
حَنينَ طولي وطَويـن عَرضي أَقعدنني من بعد طول نهضِ
[الرجز]

عروضه منَ الرجز، الشعر للأَغلب العِجليّ والغناء لعمرو بن بانةَ هزج بالبنصر.

(١) المراجيل، الواحد مِرجل، بكسر الميم: الجِفان، بكسر الجيم، العظيم منها.

أَخبار الأَغلب ونسبه

هو فيما ذكر ابن قُتيبة: الأَغلب من جُشَم بن سعد بن عجل بن لُجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

وهو أحد المعمّرين، عُمِّرَ في الجاهلية عمراً طويلاً، وأَدرك الإِسلام فأَسلم وحسن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجّه إِلى الكوفة معَ سعد بن أبي وقاص فنزلها، واستشهد في وقعةٍ بنَهاوَنْد، فقبره هناك في قبور الشهداء، ويقال: إنه أَول من رجز الأراجيز الطوال منَ العرب، وإِياه عنى العجاج بقوله مفتخراً.

إنــي أَنــا الأَغــلــب أَمــســى قــد نُــثِــرْ

قال ابن حبيب: كانتِ العرب تقول الرجز في الحرب والحُداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأْتي منه بأَبيات يسيرة وكان الأَغلب أَول من قصَّد الرجز، ثم سلك الناس بعده طريقته.

أَخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمحِيّ أَبو خليفةَ في كتابه إِلينا، قال: أَخبرنا محمد بن سلام، قال: حدثنا الأصمعيّ. وأَخبرني أَحمد بن محمد أبو الحسن الأَسدِيّ، قال: حدثنا الرياشيّ، قال: حدثنا معمر بن عبد الوارث، عن أَبي عمرو بن العلاء، قال:

كانت للأَغلب سَرحة[١] يصعد عليها ثم يرتجز:

قــد عــرفــتــنــي سَــرْحَــتــي فــأَطَّــتِ[٢] وقــد شَــمِــطــتُ[٣] بــعــدهــا واشــمَــطَّــتِ

[الرجز]

فاعترضه رجل من بني سعد ثم أَحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد فقال له:

قــبــحــت مــن ســالــفــةٍ ومــن قــفــا عــبــد إِذا مــا رســب الــقــومُ طَــفــا

كــمــا شِــرار الــرَّعــيِ أَطــرافُ الــسَّــفــا[٤]

[الرجز]

---

(١) السرحة من الأشجار: العظيمة.
(٢) أطّت: رقّت وتحرّكت.
(٣) شمطت الشجرة: انتشر ورقها.
(٤) السفا: ما تذروه الرياح من رمال وغبار.

عمر بن الخطاب والأَغلب:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حدثني محمد بن عَبَّاد بن حبيب المهلبيّ، قال: حدثني نصر بن ناب، عن داود بن أَبي هند عنِ الشعبيّ.

قال كتب عمرُ بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ إِلى المغيرة بن شُعْبَة، وهو على الكوفة: أنِ استنشد من قِبلَك من شعراء مِصْرك ما قالوا في الإِسلام، فأَرسل إِلى الأغلب العجليّ فاستنشده، فقال:

لـقـد سـألـتَ هـيـنـاً وجـودا أَرجـزاً تـريـد أَم قـصـيـدا

[الرجز]

ثم أَرسل إِلى لبيد، فقال له: إن شئت مما عفا اللَّه عنه ـ يعني الجاهلية ـ فعلتُ، قال: لا، أنشدني ما قلتَ في الإِسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني اللَّه عز وجل بهذه في الإِسلام مكان الشعر. فكتب المغيرة بذلك إِلى عمرَ، فنقص عمر من عطاء الأَغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد، فكتب الأغلب إِلى عمرَ: يا أميرَ المؤمنين أَتنقص عطائي أَن أَطعتك؟ فردّ عليه خمسمائة، وأَقَرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حدثنا محمد بن حاتم قال: حدثنا عليّ بن عاصم عن داود عنِ الشعبيّ، قال:

دخل الأَغلب على عمرَ، فلما رآه قال: هِيه أَنت القائل:

أَرجـزاً تُـريـد أَم قـصـيـدا لـقـد سـألـت هـيِّـنـاً مـوجـودا

[الرجز]

فقال: يا أَميرَ المؤمنين إنما أَطعتك، فكتب عمرُ إِلى المغيرة: أَنِ اردُدْ عليه الخمسمائة، وأَقرّ الخمسمائة للبيد.

أَخبرنا أبو خليفةَ عن محمد بن سلام، قال:

قال الأَغلب العِجليّ في سَجاحِ لمَّا تزوجت مُسيلمة الكذَّاب:

قـد لـقـيـتْ سَـجـاحِ مـن بـعـد الـعـمـى مُـلـوَّحـاً فـي الـعـيـن مَـجـلـوزَ[1] الـقَـرَا[2]

(١) المجلوز: المعصوب.

(٢) القَرى: بفتح القاف: الظهر.

مثل الفنيق[١] في شباب قد أَنى ... من اللُّجَيميين أَصحاب القِرَى[٢]
ليس بذي وَاهِنةٍ[٣] ولا نَسا[٤] ... نشا بلحم وبخبز ما اشترى
حتى شَتا ينتح ذِفراه الندى ... خاظي[٥] البضيع[٦] لحمه خظاً بظا[٧]
كأَنما جُمِّع من لحم الخُصى ... إذا تمطَّى بين بُرديهِ صأى[٨]
كأَن عِرْقَ أَيره إذا وَدَى ... حبلُ عجوزٍ ضفَّرتْ سبْعَ قُوى
يمشي على قوائم خمسٍ زكاً ... يَرفع وُسطاهُنَّ من بَرْد النَّدى
قالت: متى كنت أَبا الخير متى؟ ... قال: حديثاً لم يُغيِّرني البِلى
ولم أُفارق خُلَّة[٩] لي عن قِلى[١٠] ... فانتسفت فيشته[١١] ذات الشَّرَا[١٢]
كأَنَّ في أَجلادها[١٣] سبعَ كُلى ... ما زال عنها بالحديث والمُنى
والخُلُقِ السَّفسَافِ[١٤] يُردى في الردى[١٥] ... قال: ألَا أُدخله؟ قالت: أَرى
قال: أَلا أُدخله؟ قالت: بلى ... فشام[١٦] فيها مثل مِحْراث الغضا[١٧]
تقول، لما غاب فيها واستوى: ... لمثلها كنت أُحسيِّك[١٨] الحَسَا

[الرجز]

قصة مُسيلمةَ وسجاح:

وكان من خبر سَجاحِ وادّعائها النبوةَ وتزويجِ مسيلمةَ الكذاب إياها ما أَخبرنا به إبراهيمُ بن النسويّ يحيى، عن أَبيه، عن شُعيب عن سيف.

أَن سجاحِ التميميَّة ادّعتِ النبوةَ بعدَ وفاة رسول اللَّه ﷺ، واجتمعت عليها بنو

(١) الفنيق من الجمال: الفحل القوي. (٢) القِرى، بكسر القاف: الضيافة.
(٣) الواهنة: نقرة في قفا الإنسان.
(٤) النسا: عرق في الساق السفلى يمتدّ من الورك إلى كعب الرجل.
(٥) الخاظي: ما كان غزير اللحم. (٦) البضيع: المكتنز من لحم الفخذ.
(٧) بظا اللحم: ما تراكم وكثر من اللحم. (٨) صأى: صاح.
(٩) الخُلة، بضم الخاء: الصديق، الصاحب. (١٠) القِلى، بكسر القاف: البغض والكراهية.
(١١) الفيشة: رأس ذكر الرجل.
(١٢) الشرا: هي بثور، منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير.
(١٣) الأجلاد، الواحد جِلد، بكسر الجيم. (١٤) السفساف: السيّئ.
(١٥) الردى: الموت. (١٦) شام: أغمد.
(١٧) محراث الغضا: القضيب يحرّك به ما يحترق من الفحم.
(١٨) أُحسيِّك الحسا: أحسِّيك: من فعل حسَّى، أي أُشْرِبُك. والحَسَا: طعام يُعمل من الدقيق والمرق.

تميم، فكان فيما ادّعت أَنه أَنزِلَ عليها: يا أَيُّها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأَرض، ولقريش نصفها، ولكن قريشاً قوم يبغون. واجتمعت بنو تميم كلها إِليها لتنصرها، وكان فيهمُ الأَحنف بن قيس، وحارثة بن بدر، ووجوه تميم كلها وكان مؤذنها شبث بن رِبعيّ الرياحيّ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمةَ الكذاب، وهو باليمامة، وقالت: يا معشرَ تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، وأَضرموا فيها ناراً ملهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة، وقالت لبني تميم: إن اللَّه لم يجعل هذا الأَمر في ربيعة، وإِنما جعله في مُضَرَ فاقصدوا هذا الجمع، فإِذا فضضتموه[١] كَرَرتم على قريش. فسارت في قومها وهمُ الدّهم الداهم، وبلغ مسيلمةَ خبرُها، فضاق بها ذرعاً، وتحصّن في حَجْر حصنِ اليمامة، وجاءت في جيوشها فأَحاطت به فأَرسل إِلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أَن نُسلم هذا الأَمر إِليها وتدعنا، فإِن لم نفعل فهو البَوار، وكان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأَنظر في هذا الأَمر، ثم بعث إِليها: إن اللَّه تبارك وتعالى أَنزل عليكِ وحياً، وأَنزل عليَّ، فهلمّي نجتمع فنتدارس ما أَنزل اللَّه علينا، فمن عرف الحقَّ تبعه واجتمعنا فأَكلنا العرب أَكلاً بقومي وقومك. فبعثت إليه. أَفعل، فأَمر بقُبّة أَدم فضُربت، وأَمر بالعود المندليّ فسُجر[٢] فيها، وقال: أَكثروا منَ الطيب والجُمر، فإِن المرأة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك، وجاءَها رسولُه يُخبرها بأَمر القبة المضروبة للاجتماع، فأَتته فقالت: هاتِ ما أُنزل عليك، فقال: أَلم تر كيف فعل ربك بالحُبلى، أَخرج منها نطفة تسعى، بين صِفاق[٣] وحَشَى، من بين ذكر وأُنثى، وأَموات وأَحياء، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: وماذا؟ قال: ألم تَرَ أن اللَّه خلقنا أَفواجاً، وجعل النساء لنا أَزواجاً، فنُولج فيهن الغراميلَ[٤] إيلاجاً، ونُخرجها منهن إذا شئنا إخراجاً. قالت: فبأي شيء أَمرك؟ قال:

أَلا قـومـي إلـى الـنـيـكِ ... فـقـد هُـيِّـي لـك الـمـضـجـعْ
فـإن شـئـتِ فـفـي الـبـيـتِ ... وإن شـئـت فـفـي الـمـخـدعْ
وإِن شـئـتِ سـلـقـنـاكِ[٥] ... وإن شِـئـت عـلـى أَربـعْ
وإن شـئـتْ بـثـلـثـيـه ... وإِن شـئـت بـه أَجـمـعْ

[الهزج]

فقال: فقالت: لا، إلَّا به أَجمع، قال: فقال: كذا أَوحى اللَّه إليّ، فواقعها،

(١) فضضتموه: فرقتم جموعه.
(٢) سجر: أشعل.
(٣) الصفاق: جلد البطن كلّه.
(٤) الغراميل، الواحد غرمول: ذكر الرجل.
(٥) سلقها: قلبها على قفاها ليباضعها.

فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أَمرها هكذا فيكون وصمة على قومي وعليَّ، ولكني مُسلِّمةٌ النبوَّةَ إليك، فاخطبني إلى أَوليائي يُزوّجوك، ثم أَقود تميماً معَك. فخرج وخرجت معَه، فاجتمع الحيّانِ من حنيفةَ وتميم، فقالت لهم سَجاح: إنه قرأ عليَّ ما أُنزل عليه فوجدته حقاً فاتبعته، ثم خطبها فزوجوه إياها، وسألوه عَنِ المهر فقال: فقد وضعت عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى الآن بالرَّمْل لا يصلونها، ويقولون هذا حق لنا، ومهر كريمة منا لا نَردُّه، قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أَمر سجاحِ في كلمة له:

أَضحَت نبيّتنا أُنثى نُطيف[1] بها ... وأَصبحت أَنبياءُ اللَّه ذكرانا

[البسيط]

قال: وسمع الزبرقانَ بنَ بدرٍ، الأَحنفُ يومَئذٍ، وقد ذكر مُسيلمةَ وما تلاه عليهم، فقال الأَحنفُ: واللَّهِ ما رأيت أَحمقَ من هذا النبيّ قطّ. فقال الزبرقان: واللَّهِ لأُخبرن بذلك مُسيلمةَ. قال: إذاً واللَّهِ أَحلف أَنك كذبت فيُصدّقني ويكذبك، قال فأَمسك الزبرقان وعلم أَنه قد صدق.

قال: وحُدّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث، فقال: أَمِنَ واللَّهِ أَبو بحر من نزول الوحيّ، قال: فأَسلمت سَجاحِ بعد ذلك وبعد قَتْلِ مُسيلمةَ وحسُن إسلامُها.

صوت

كم ليلةٍ فيك بتُّ أَسهرُها ... ولوعةٍ من هَواك أضمرُها

وحرقة والدموع تُطفئُها ... ثم يعود الجوى[2] فيُسعِرُها[3]

بيضاء رَودُ[4] الشباب قد غُمِست ... في خَجل ذائب يُعَصْفِرُها[5]

أللَّهُ جارٌ لها فما امتلأت ... عيناي إلا من حيثُ أُبصرُها

[المنسرح]

الشعر للبحتري[6] والغناء لعريب رمل مطلق في مجموع أَغانيها، وهو لحن مشهور.

---

(١) نطيف بها: نحيط ونلمّ بها.
(٢) الجوى: الحزن الشديد.
(٣) يُسعرها: يُشعلها.
(٤) رود الشباب: إشراقه وجماله.
(٥) العَصفر، بفتح العين: صباغ أصفر اللون.
(٦) أنشد البحتري هذه القصيدة متغزلاً بعلوة الحلبية.

أَخبار البحتريّ ونسبه

هو الوليد بن عُبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمةَ بن مسهر بن الحارث بن جُشَم بن أَبي حارثةَ بن جدي بن بدول بن بُحترِ بن عتود بن عمير بن سلامانَ بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن جَلْهمةَ، وهو طيء، بن أَدد بن زيد بن كهلانَ بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعرُب بن قحطانَ.

ويَكَنى أَبا عُبادةَ: شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نقيّ الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة اللَّه عليهم يختمون به الشعراء المحدثين، وله تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر، سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزرة، وجيّدُه منه قليل، وكان ابنه أَبو الغوث يزعم أَن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن: أَنه لما حضره الموت دعا به، وقال له: اِجمعْ كل شيء قلته في وقت، فشفيت به غيظي، وكافأْت به قبيحاً فعل بي، وقدِ انقضى أَربي في ذلك، وإنْ بقيَ روي، وللناس أعقاب يُورثونهمُ العداوةَ والمودة، وأَخشى أَن يعود عليك من هذا شرّ في نفسك ومعاشك لا فائدةَ لك ولا لي فيه، قال: فعلمت أَنه قد نصحني وأَشفق عليّ فأَحرقته.

أَخبرني بذلك عليّ بن سُليمانَ الأَخفش، عن أبي الغوث.

وهذا أَيضاً إِن كان كما روى أبو الغوث لا فائدةَ فيه له، لأَن الذي وجدناه وبقيَ في أيدي الناس من هجائه فأَكثره ساقط؛ مثل قوله في ابن شيرزاد.

نـفَـقـتَ نُـفُـوقَ الـحِـمـارِ الـذكَـرْ وبـان ضِـراطـك عـنـا فـمـرْ

[الرجز]

ومثل قوله في عليّ بن الجهم.

ولـو أَعـطـاك ربُّـك مـا تـمَـنَّـى لـزادك مـنـه فـي غِـلـظ الأُيـورِ

عَـلَامَ طـفـقـت تـهـجـونـي مـلـيّـاً بـمـا لـفّـقـت مـن كـذب وزورِ

[الوافر]

وأَشباه لهذه الأبيات من جنسها لا تُشاكِلُ طبعه، ولا يليق بمذهبه، وتنبئ بركاكتها وغثاثة أَلفاظها عن قلة حظه في الهجاء، ولا يُعرف له هجاء جيد إِلا قصيدتانِ إِحداهما قوله في ابن أبي قماش.

مـرّت عـلـى عـزمـهـا ولـم تـقـفِ مُـبـديـةً لـلـشَّـنـان[١] والـشَّـنَـفِ[٢]
[المنسرح]

يقول فيها لابن أَبي قماش:

قـد كـان فـي الـواجـب الـمـحـقـق أَن تـعـرف مـا فـي ضـمـيـرهـا الـنَّـطِـفِ[٣]
بـمـا تـعـاطـيـتَ فـي الـغـيـوب ومـا أُوتـيـت مـن حـكـمـة ومـن لَـطَـفِ
أَمـا رأَيـت الـمـرّيـخ قـد مـازج الـزُّهـرة فـي الـجـدّ مـنـه والـشَّـرفِ
وأَخـبـرتـك الـنـحـوسُ أَنـكـمـا فـي حـالـتـي ثـابـت ومـنـصـرفِ
مـن أَيـن أَعـمـلـت ذا وأَتـت عـلـى الـتـقـويـم والـزِّيـج جـدُّ مُـنـعـكـفِ
أَمـا زجـرت الـطـيـر الـعـلا أو تـعـيَّـقـت الـمـهَـا أو نـظـرت فـي الـكَـتِـفِ
رَذُلـتَ فـي هـذه الـصـنـاعـة أو أَكـدَيـت أَو رمـتـهـا عـلـى الـخَـرَفِ
لـم تَـخْـطُ بـابَ الـدهـلـيـز مُـنـصـرفـاً إلا وبـخـلـخـالـهـا[٤] مـعَ الـشُّـنُـفِ
[المنسرح]

البحتري وأَبو تمام:

وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإِخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوبَ بنِ الفرج النصرانيّ فإِنها وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها فإِنها تجري مجرى التهكم والطنز[٥] الطيب الخبيث المعاني، وهي:

تـظـنّ شـجـونـيَ لـم تَـعـتـلـجْ وقـد خـلـج الـبـيـن مـن قـد خَـلَـجْ
[المتقارب]

وقد كان البحتريّ يتشبّه بأَبي تمام في شعره، ويحذو مذهبَه، وينحو نحوَه في البديع الذي كان أَبو تمام يستعمله، ويراه صاحباً، وإماماً، ويقدمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ منصف: إِن جيّد أبي تمام خيرٌ من جيّده ووسطه، ورديئه خير من وسط أَبي تمام ورديئه. وكذا حكم هو لنفسه.

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال:

(١) الشَّنان: أصلها الشَّنآن وهي مخفّفة، وتعني الكراهية أو البغض.
(٢) الشنف: تعني أيضاً الكراهية أو البغض.
(٣) النَّطِف: النَّجِس أو المُرِيب.
(٤) الخلخال: حليّ تضعه المرأة في رجلها.
(٥) الطِّنز: السخرية.

حدثني الحسين بن عليّ الباقطائيّ، قال: قلت للبحتريّ: أَيُّما أَشعر أَنت أَو أَبو تمام؟ فقال: جيّده خير من جيّدي، ورديئي خير من رديئه.

حدثني محمد بن يحيى، قال:

حدثني أَبو الغوث يحيى بن البحتريّ، قال: كان أَبي يُكنَّى أَبا الحسن وأَبا عُبادةَ، فأُشير عليه في أيام المتوكل بأَنِ اقتصرْ على أَبي عُبادةَ، فإِنها أَشهر فاقتصر عليها.

حدثني محمد، قال: سمعت عبد اللَّه بن الحسن بن سعد يقول للبحتريّ وقدِ اجتمعنا في دار عبد اللَّه بالخلد وعندَه المبرد، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين وقد أَنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أَبو تمام قال في مثله: أَنت واللَّهِ أَشعرُ من أَبي تمام في هذا الشعر، فقال: كلا واللَّهِ، إن أَبا تمام للرئيسُ والأُستاذُ، واللَّهِ ما أَكلت الخبزَ إلَّا به. فقال له المبرد: لِلَّهِ درُّك يا أَبا الحسن، فإِنك تأْبى إلَّا شرفاً من جميع جوانبك.

حدثني محمد قال: حدثني الحسين بن إسحاقَ، قال:

قلت للبحتريّ إن الناس يزعمون أَنك أَشعر من أَبي تمام، فقال: واللَّهِ ما ينفعني هذا القول ولا يضرّ أَبا تمام، واللَّهِ، ما أكلت الخبز إلَّا به، ولودِدْت أَن الأَمر كما قالوا، ولكني واللَّهِ تابع له، آخذ منه، لائذ به، نَسيمي يركد عند هوائه، وأَرضي تنخفض عند سمائه.

حدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني سوار بن أَبي شُراعةَ عن البحتريّ، قال: وحدثني أَبو عبد اللَّه الأَلوسي، عن عليّ بن يُوسفَ، عنِ البحتريّ، قال: كان أَول أَمري في الشعر ونباهتي أَني صرت إلى أَبي تمام، وهو بحمصَ، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أَشعارهم، فأَقبل عليّ وترك سائر من حضر، فلما تفرقوا قال لي: أَنت أَشعر من أَنشدني فكيف باللَّه حالُك، فشكوت خَلَّة[1]، فكتب إلى أَهل مَعرَّة النعمان، وشهد لي بالحذق بالشعر، وشفع لي إليهم، وقال: امتدحْهم، فصرت إليهم، فأَكرموني بكتابه، ووظفوا لي أَربعة آلاف درهم، فكانت أَول ما أَصبته.

وقال عليّ بنُ يوسفَ في خبره.

(١) الخلة، بفتح الخاء: الحاجة.

وكانت نسخة كتابه: يصل كتابي هذا على يدي الوليد أَبي عُبادةَ الطائيّ، وهو على بذاذته[١] شاعر فأَكرموه.

حدثني جحظة، قال: سمعت البحتريّ يقول: كنت أَتعشق غُلاماً من أَهل منبج يُقال له شقران، واتفق لي سفر، فخرجت فيه، فأطلت الغَيبة، ثم عدت وقدِ التحى، فقلت فيه وكان أَول شعر قلته:

نبتت لحية شُقرا نَ شقيقِ النفس بعدي
حُلِقَتْ كيف أَتته قبل أَن يُنجز وعدي؟

[مجزوء الرمل]

البحتريّ والنوبختيّ:

وقد روي في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان:

حدثني عليُّ بن سُليمانَ، قال: حدثني أَبو الغوث بن البحتريّ عن أَبيه. وحدثني عمّي ومحمد بن يحيى، قالا: حدثنا عليُّ بن العباس النوبختيّ عنِ البحتريّ، وقد جمعت الحكايتينِ وهما قريبتان.

قال: أَول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أَبي سعيد محمد بن يُوسفَ وقد مدحته بقصيدتي:

أَأَفاق صبٌّ من هوىً فأُفيقا أَو خان عهداً أَو أَطاع شفيقا

[الكامل]

فسرّ بها أَبو سعيد، وقال: أَحسنت واللَّهِ يا فتى وأَجدْت. قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عندَه، تكاد تمسّ ركبتيه ركبتُه فأَقبل عليّ ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنتحله وتُنشده بحضرتي، فقال له أَبو سعيد: أَحقاً تقول؟ قال: نعم، وإنما علقه مني فسبقني به إِليك وزاد فيه، ثم اندفع فأَنشد أَكثر هذه القصيدة، حتى شككني علم اللَّهُ ـ في نفسي، وبقيت متحيراً، فأَقبل عليّ أَبو سعيد، فقال لي: يا فتى، قد كان في قرابتك منا، وودّك لنا، ما يُغنيك عن هذا، فجعلت أَحلف له بكل محرجة منَ الأَيمان أَن الشعر لي ما سبقني إِليه أَحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأَطرق أَبو سعيد، وقُطِع بي حتى تمنيت أَني سِيح[٢] بي في الأَرض، فقمت منكسف البال، أَجر

(١) البذاذة: سوء الحال ورثاثة المظهر.

(٢) سيح بي في الأرض: ابتلعتني.

رجليّ، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغِلمان فردّوني، فأَقبل عليّ الرجلُ فقال: الشعرُ لك يا بنيّ، واللَّهِ ما قلتُه قطُّ، ولا سمعتُه إلا منك، ولكنني ظننت أَنك تهاونت؛ وضعي، فأَقدمتَ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تُريدُ بذلك مضاهاتي ومكاثرتي، حتى عرّفني الأَميرُ نسبَك وموضعَك، ولودِدْتُ أن لا تلد أَبداً طائية إلَّا مثلك. وجعل أَبو سعيد يضحك، ودعاني أَبو تمام وضمّني إليه وعانقني، وأَقبل يُقرظني، ولزمته بعدَ ذلك، وأَخذت عنه واحتذيت فنه.

هذه رواية من ذكرت.

بعض أخباره:

وقد حدثني عليُّ بن سُليمانَ الأَخفش أيضاً، قال: حدثني عبد اللَّه بن الحسين بن سعد القُطربُّليّ:

أن البُحتريَّ حدثه أَنه دخل على أَبي سعيد محمد بن يُوسفَ الثغريّ، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فأَلفى عندَه أَبا تمام، وقد أنشده قصيدة له فيه فاستأذنه البحتريّ في الإنشاد، وهو يوَمئذٍ حديث السن، فقال له: يا غلام، أَتُنشدني بحضرة أَبي تمام؟ فقال: تأذن وتسمع، فأَذن، فقام فأَنشده إياها، وأَبو تمام يسمع، وهو يهتز من قرْنه إلى قدمه استحساناً لها، فلما فرغ منها، قال له: أحسنت واللَّهِ يا غُلامُ، فممن أنت؟ قال: من طيء فطرب أَبو تمام، وقال: من طيء؟ الحمدُ للَّه على ذلك، لودِدْت أَن كل طائية تلد مثلك، وقبّل بين عينيه. وضمه إليه وقال لمحمد بن يُوسفَ: قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها، فضُمّت إلى مثلها ودُفعت إلى البحتريّ، وأعطى أبا تمام مثلها، وخُصّ به، وكان مداحاً له طول أَيامه ولابنه بعدَه، ورثاهما بعد مقتليهما فأَجاد، ومراثيه فيهما أَجود من مدائحه. وروي أَنه قيل له في ذلك، فقال: من تمام الوفاء أَن تفضل المراثي المدائحَ لا كما قال الآخر وقد سُئل عن ضعف مراثيه فقال: كنا نعمل للرجاء ونحن نعمل اليومَ للوفاء وبينهما بعد.

حدثني حكم بن يحيى الكنتحيّ، قال:

كان البحتري من أَوسخ خلق اللَّه ثوباً وآلة، وأَبخلهم على كلّ شيء، وكان له أَخ وغلام معَه في داره، فكان يقتلهما جوعاً، فإذا بلغ منهما الجوع أَتياه يبكيانِ، فيرمي إليهما بثمن أَقواتهما مُضَيّقاً مُقتّراً[1]، ويقول: كُلا، أَجاع اللَّه أَكبادكما، وأَعرى أَجلادَكما، وأطال إجهادكما.

(١) مقتراً: مُضَيِّقاً في النَّفقة.

قال حكم بن يحيى: وأَنشدته يوماً شعراً من شعر أَبي سهل بن نوبخت، فجعل يحرّك رأسه، فقلت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى.

وحدثني أَبو مسلم محمد بن بحر الأَصبهانيّ الكاتب، قال: دخلت على البحتريّ يوماً فاحتبسني عندَه وجاء بطعام له، ودعاني إِليه فامتنعت من أَكله، وعندَه شيخ شاميّ لا أَعرفه، فدعاه إِلى الطعام، فتقدم فأكل مَعه أَكلاً عنيفاً، فغاظه ذلك، ثم التفت إِليّ فقال لي: أَتعرف هذا الشيخ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني الهُجَيْم الذين يقول فيهمُ الشاعر:

وبنو الهُجَيم قبيلةٌ ملعونة حُصُّ[1] اللّحى متشابهو الأَلوانِ
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعُمانَ أصبح جمعهم بعمانِ

[الكامل]

قال: فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك.

وحدثني جحظة، قال: حدثني يحيى بن عليّ المنجم، قال: اجتازت جارية بالمتوكل معَها كوز ماء، وهيَ أَحسن منَ القمر، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: برهان. قال: ولمن هذا الماء؟ قالت: لستي قُبَيحة، قال: صُبيه في حلقي. فشربه عن آخره: ثم قال للبحتريّ: قل في هذا شيئاً، فقال البحتريّ:

ما قهوة من رحيق كأْسُها ذَهَبٌ جاءت بها الحُور من جنَّات رضوانِ
يوماً بأَطيبَ من ماءٍ بلا عطش شربته عَبَثاً من كف بُرْهانِ

[البسيط]

أَخبرني عليّ بن البحتريّ، قال: كتبت إلى أبي يوماً أطلب منه نبيذاً، فبعث إِليّ بنصف قنينة دُرْدِيٍّ[2]، وكتب إِليَّ: دونكها يا بُنيَّ، فإِنها تكشف القحط، وتضبط الرهط. وقال الأَخفش وتقيت الرهط.

حدثني أبو الفضل العباس بن أحمدَ بن ثوابةَ، قال:

قدم البحتريّ النِّيْلَ على أَحمدَ بن عليّ الإسكافيّ مادحاً له، فلم يُثبه ثواباً يرضاه، بعد أن طالت مدته، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

---

(١) حُصّ اللحى: لا شعر في لحاهم.
(٢) دردي من الزيوت: ما كان كدراً في أسفله.

مـا كـسـبـنـا مـن أحـمـدَ بـن عـلـيٍّ ومـنَ الـنِّـيْـل غـيـر حُـمَّـى الـنِّـيْـلِ
[الخفيف]

وهجاه بقصيدة أُخرى أولها:

قـصـة الـنِّـيْـلِ فـاسـمـعـوهـا عُـجـابَـهْ

قال: فجمع إلى هجائه إياه هجاء آخرَ لبني ثوابةَ، وبلغ ذلك أَبي، فبعث إليه أَلف درهم وثياباً ودابة بسرجه ولجامه، فردَّه إليه وقال: قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معَها قبولُ رِفْدكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة، وأَما المعذرة فمشكورة، والحسنات يُذهبن السيِّئات، وما يأْسو[1] جراحَكَ مثلُ يدك، وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ وأَضعفتُه، فإن تلافيت[2] ما فرط منك أَثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا، فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامك واللَّهِ أَحسنُ من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني، وحمّلتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي، ثم غدا عليه بقصيدة أولها:

ضـلال لـهـا مـاذا أَرادت إلـى الـصـدّ

وقال فيه بعد ذلك:

بـرق أضـاء الـعـقـيـقَ مـن ضَـرَمِـهْ

وقال فيه أيضاً:

أن دعـاه داعـي الـصـبـا فـأجـابَـهْ

قال: ولم يزل أبي يصله بعدَ ذلك، ويُتابع بره لديه، حتى افترقا.

أَخباره معَ الغِلمان:

أَخبرني جحظة، قال:

كان نسيم غلام البحتريّ الذي يقول فيه:

دَعا عبرتي تجري على الجَور والقصدِ أَظنُّ نسيماً فارق الهجر من بعدي
جَلا ناظري من طَيفه بعد شخصه فيا عجباً للدهر فقدٌ على فَقْدِ
[الطويل]

غلاماً رومياً، ليس بحسن الوجه، وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيَل على الناس، فكان يبيعه ويعتمد أن يُصيّره إلى ملك بعض أهل المروءات، ومن يُنفق عندَه

(١) يأسو جراحك: يشفيها.
(٢) تلافيت: تحاشيت.

الأَدب، فإذا حصل في مِلْكه شبّب به، وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم، فكُفي الناسُ أَمرَه.

أَخبرني عليّ بن سُليمانَ الأَخفش، قال:

كتب البحتريّ إلى محمد بن عليّ القُمّيّ يستهديه نبيذاً، فبعث إليه نبيذاً معَ غلام له أَمرد، فجمشه[1] البحتريّ، فغضب الغلام غضباً شديداً، دلّ البحتريّ على أنه سيخبر مولاه بما جرى، فكتب إليه:

أَبا جعفر كان تجميشُنا ... غلامَك إحدى الهَناتِ الدنيَّهْ
بعثتَ إلينا بشمس المدام ... تضيء لنا معَ شمس البريَّهْ
فليت الهدِيَّةَ كان الرسول ... وليت الرسولَ إلينا الهدِيَّهْ

[المتقارب]

فبعث محمد بن عليّ الغلام إليه هديَّة، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدة، خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمد بن عليّ:

هجرْتَ كأنّ البِرَّ أَعقب حِشْمةً ... ولم أَرَ وصلاً قبل ذا أَعقب الهَجْرا

[الطويل]

فقال فيه قصيدته التي أَوَّلها:

فتى مذحجٍ عَفْواً فتى مذحج غَفْرا

وهي طويلة، وقال فيه أَيضاً:

أَمَوَاهِبٌ هاتيك أَم أَنواءُ ... هُطُلٌ وأَخذٌ ذاك أم إعطاءُ؟!
إن دام ذا أَو بعضُ ذا من فعل ذا ... ذهب السَّخاءُ فلا يُعَدُّ سخاءُ
ليس الذي ضلت تميم وسطَه ... الدهناءَ لكن صدرك الدهناءُ
ملك أَغرُّ لآل طلحةَ مَجْدُه ... كفَّاه بحرُ سماحةٍ وعطاءُ
وشريف أَشرافٍ إذا احتكَّت بهم ... جُرْبُ القبائلِ أَحسنوا وأَساؤُوا
أمحمدَ بنَ عليٍّ اسمعْ عُذْرةً ... فيها شفاءٌ للمسيء وداءُ
ما لي إذا ذُكرَ الكرامُ رأَيتني ... ما لي معَ النفر الكِرام وفاءُ
يضفو عليَّ العذْلُ وهْوَ مُقَارب ... ويضيق عني العُذْر، وهْوَ فضاءُ

(١) جمشه: قرصه ولاعبه.

إنـي هـجـرتـك إذ هـجـرتـك حِـشـمـة ... لا الـعَـوْدُ يُـذهـبـهـا ولا الإبـداءُ
أَخـجـلـتـنـي بـنـدى يـديـك فـسـوّدت ... مـا بـيـنـنـا تـلـك الـيـدُ الـبـيـضـاءُ
وقـطـعـتـنـي بـالـبـرّ حـتـى إنـنـي ... مـتـوّهـم أَن لا يـكـونَ لِـقـاءُ
صـلـة غـدت فـي الـنـاس وهْـي قـطـيـعـة ... عـجـبـاً وبـرٌّ راح وهْـو جَـفـاءُ
لـيـواصِـلـنّـك رَكْـبُ شِـعْـريَ سـائـرا ... تُـهـدَى بـه مـن مـدحـك الأعـداءُ
حـتـى يـتـم لـك الـثـنـاء مُـخـلَّـداً ... أَبـداً كـمـا دامـت لـك الـنّـعـمـاءُ
فـتـظـلّ تـحـسـدك الـمـلـوك الـصِّـيـدُ[1] بي ... وأَظـلُّ يـحـسـدنـي بـك الـشـعـراءُ

[الكامل]

أَخباره معَ أَبي تمام:

أَخبرني عليُّ بن سُليمانَ الأَخفش، قال: سأَلني القاسم بن عُبيد اللَّه عن خبر البحتريّ، وقد كان سُكِت ومات من تلك العلة، فأَخبرته بوفاته، وأَنه مات في تلك السَّكْتة، فقال: ويحه رُمِي في أَحسنه.

أَخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن عليّ الأَنباريّ، قال: سمعت البحتريّ، يقول: أَنشدني أَبو تمام لنفسه يوماً:

وسـابـحٍ هـطـلِ الـتـعـداد هَـتَّـانِ ... عـلـى الـجِـراء أَمـيـنٍ غـيـر خـوَّانِ
أَظْـمـا الـفـصـوصِ ولـم تَـظـمـا قـوائِـمُـه ... فـخـلٍّ عـيـنـيـك فـي ظـمـآنَ رَيَّـانِ
فـلـو تـراه مُـشـيـحـاً[2] والـحَـصـى زِيـمٌ[3] ... بـيـن الـسـنـابـك مـن مـثـنـى ووحـدانِ
أيـقـنـت إنْ لـم تـثَّـبَـتْ أَن حـافـره ... مـن صَـخْـر تـدْمُـرَ أَو مـن وجـه عُـثـمـانِ

[البسيط]

ثم قال لي: ما هذا الشعر، قلت لا أَدري، قال: هذا هو المستطرد، أَو قال: الاستطراد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُريك أنه يُريد وصف الفرس، وهو يُريد هِجاء عثمان، وقد فعل البحتريّ مثل ذلك فقال في صفة الفرس:

مـا إن يَـعـاف قَـذىً[4] ولـو أَوردْتَـه ... يـومـاً خـلائـق حَـمـدَوِيـهِ الأَحـولِ

[الكامل]

---

(١) الصِّيد، الواحد أصيد: السادة النبلاء الشجعان.
(٢) مشيحاً ببصره: محوّلاً بصره. (٣) الزيم: التفرّق.
(٤) القذى: ما يقع في العين من قش أو تراب.

وكان حمدويهِ الأَحول عدوّاً لمحمد بن عليّ القُمِّيّ الممدوح بهذه القصيدة، فهجاه في عُرْضِ مدحه لمحمد.

حدثني عليّ بنُ سليمانَ الأَخفش، قال:

حدثني أبو الغوث بن البحتريّ، قال: حدثني أَبي، قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حُميد أَعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به، فأَنشدني شيئاً، فأَنشدته بعض ما قلته فيهم، فقال لي: كم أَعطوك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك واللَّهِ وما وفوك حقك، فلم استكثرت ما دفعوه إِليك؟ واللَّهِ لبيتٌ منها خير مما أَخذت، ثم أَطرق قليلاً وقال: لعمري لقد استكثرت ذلك واستُكثر لك لما مات الكرام وذهب الناس وغاضت[١] المكارم، وكسدت أَسواق الأَدب. أَنت واللَّهِ يا بنيّ أَمير الشعراء غداً بعدي، فقمت فقبّلت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: واللَّهِ لهذا القولُ أَسرُّ لقلبي وأَقوى لنفسي مما وصل إليَّ منَ القوم.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني علي بن الحسين الكاتب قال:

قال لي البحتريّ: أَنشدتُ أَبا تمام يوماً شيئاً من شعري، فتمثل ببيت أَوس بن حَجَر:

إذا مُـقْـرَمٌ مِـنـا ذَرا[٢] حـدُّ نـابِـه تَـخـمَّـطَ[٣] مـنَّـانـابُ آخـرَ مُـقْـرَم[٤]

[الطوَيل]

ثم قال لي: نعيتَ واللَّهِ إليَّ نفسي، فقلت: أعيذك باللَّه من هذا القول، فقال: إن عمري لن يطول، وقد نشأ في طيء مثلك، أَما علمت أَن خالد بن صفوانَ رأَى شبيب بن شيبة، وهو من رهطه، يتكلم، فقال: يا بنيّ، لقد نعى إليَّ نفسي إحسانُك في كلامك، لأَنَّا أَهلُ بيت ما نشأ منا خَطيبٌ قطُّ إلَّا مات مَنْ قَبْله، فقلت له: بل يُبقيك اللَّه ويجعلني فِداءَك. قال: ومات أَبو تمام بعد سنة.

حدثني أَحمد بن جعفر جحظة، قال:

حدثني أَبو العنبس الصيمريّ، قال: كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشد:

عـن أيّ ثـغـرٍ تـبـتـسـمْ وبـأَيّ طـرف تـحـتـكـمْ

حتى بلغ إلى قوله:

قـل لـلـخـلـيـفـة جـعـفـر الـ ـمـتـوكـلِ بـن الـمـعـتـصـمْ

(١) غاضت: غارت واختفت.
(٢) ذرا: انكسر.
(٣) تخمّط: قُهر وغُلب.
(٤) المقرم: السيد المبرّز النبيه.

أَلـمـبـتـدي لـلـمـجْـتـدي[١] والـمُـنـعـم ابـن الـمـنـتـقِـمْ
أَسـلِـمْ لـديـنِ مـحـمـدٍ فـإِذا سـلـمـتَ فـقـد سَـلِـمْ

[مجزوء الكامل]

خبره معَ المتوكل:

قال: وكان البحتريّ من أَبغض الناس إِنشاداً، ، يتشادَقُ ويتزاورُ[٢] في مشيه مرةً جانباً ومرة القهقرى، ويهز رأْسه مرَّة، ومنكبيه أُخرى، ويُشير بكُمّه، ويقف عند كل بيت ويقول أَحسنتُ واللَّهِ، ثم يُقبل على المستمعين فيقول: ما لكم لا تقولون لي، أَحسنت؟ هذا واللَّهِ ما لا يُحْسِنُ أَحدٌ أن يقول مثله. فضجر المتوكل من ذلك، وأَقبل عليَّ، وقال: أَما تسمعُ يا صَيْمَريٌّ ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيدي فمُرني فيه بما أَحببت، فقال: بحياتي اهجه على هذا الرَّوِيّ الذي أنشدنيه، فقلت: تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أَقول، فدعا بدواة وقرطاس، وحضرني على البديهة أَن قلت:

أَدخـلـتَ رأْسـك فـي الـرَّحـمْ وعـلـمـتَ أنـك تـنـهـزمْ
يـا بـحـتـريُّ حَـذارِ ويـحـك مـن قـضـاقِـضَـةٍ[٣] ضُـغُـمْ[٤]
فـلـقـد أَسَـلْـتَ بـوادِيَـيـك مـنَ الـهـجـا سَـيْـلَ الـعَـرِمْ
فـبـأَيِّ عِـرْض تـعـتـصِـمْ وبـهـتـكـه جَـفَّ الـقـلَـمْ
والـلَّـهِ حِـلْـفَـةَ صـادقٍ وبـقـبْـرِ أَحـمـدَ والـحـرَمْ
وبـحـقِّ جـعـفـرٍ الإمـا مِ ابـن الإمـام الـمـعـتـصـمْ
لأَصـيِّـرَنَّـك شُـهْـرةً بـيـن الـمَـسِـيـل إلـى الـعَـلَـمْ
حـيِّ الـطـلـول بـذي سـلَـمْ حـيـث الأَراكـةُ والـخـيَـمْ
يـا ابـنَ الـثـقـيـلـةِ والـثـقـيـل عـلـى قـلـوب ذوي الـنـعـمْ
وعـلـى الـصـغـيـر مـعَ الـكـبـيـر مـنَ الـمَـوالـي والـحَـشَـمْ
فـي أَيِّ سَـلْـح تـرتـطـمْ وبـأَيّ كـفّ تـلـتـقـمْ؟!
يـا ابـن الـمُـبـاحـةِ لـلـورى أَمِـنَ الـعـفـافِ أَم الـتُّـهَـمْ؟!

(١) المجتدي: طالب الإحسان.
(٢) يتزاور: ينحرف.
(٣) القضاقضة، الواحد قضاقض: من أسماء الأسد.
(٤) الضّغُم، الواحد ضاغم من الأسود: الذي يعض بأسنانه.

إِذ رَحْـلُ أُخْـتـك لـلـعـجَـمْ وفِـراشُ أُمـك فـي الـظُّـلَـمْ
وبـبـاب دارك خـانـة فـي بـيـتـه يُـؤتـى الـحَـكَـمْ
[مجزوء الكامل]

قال: فغضب وخرج يعدو وجعلت أَصيح به:

أَدخـلـت رأْسـك فـي الـرَّحِـمْ وعـلـمـتَ أَنـك تـنـهـزمْ
[مجزوء الكامل]

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني جحظة عن أبي العنبس.

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهينيِّ حكاية عن أَبي العنبس، فرأَيتها قريبة اللفظ، موافقة المعنى لما ذكره جحظة، والذي يتعارفه الناس أَن أَبا العنبس، قال هذه الأَبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحتريّ، فلما ابتدأ وَأَنشد قصيدته:

عـن أيِّ ثـغـرٍ تـبـتـسـمْ وبـأيّ طـرْف تـحـتـكـمْ
[مجزوء الكامل]

صاح به أَبو العنبس من خلفه:

فـي أَيِّ سَـلـحٍ تـرتـطـمْ وبـأَيّ كـف تـلـتـقـمْ
أدخـلـت رأْسـك فـي الـرَّحـمْ وعـلـمـت أَنـك تـنـهـزمْ
[مجزوء الكامل]

فغضب البحتري وخرج، فضحك المتوكل حتى أَكثر، وأَمر لأبي العنبس بعشرة آلاف درهم.

وأَخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصوليّ، وحدثني عبد اللَّه بن أَحمدَ بن حمدون عن أَبيه، قال: وحدثني يحيى بن عليّ عن أَبيه:

أَن البحتريّ أَنشد المتوكل ـ وأبو العنبس الصيمريّ حاضر ـ قصيدته:

عـن أيِّ ثـغـرٍ تـبـتـسـمْ وبِـأَي طـرْف تـحـتـكـمْ
[مجزوء الكامل]

إلى آخرها، وكان، إذا أنشد يختال ويُعجب بما يأْتي به، فإِذا فرغ منَ القصيدة ردّ البيت الأَول، فلمَّا ردّه بعدَ فراغه منها، قال:

عـن أيِّ ثـغـرٍ تـبـتـسـمْ وبـأَي طَـرْف تـحـتـكـمْ
[مجزوء الكامل]

قال أبو العنبس، وقد غمزه المتوكل أن يُولعَ به، فقال:

فـي أيِّ سَـلـحٍ تـرتـطـمْ وبـأَي كـفّ تـلـتـقـمْ
أَدخـلـتَ رأْسـكَ فـي الـرَّحـمْ وعـلـمـتَ أَنـك تـنـهـزمْ

[مجزوء الكامل]

فقال: نصف البيت الثاني، فلما سمع البحتريُّ كلامه ولّى مُغضباً، فجعل أبو العنبس يتبعه بنصف البيت الثاني:

وعـلـمـت أنـك تـنـهـزم

فضحك المتوكل من ذلك حتى غلب، وأمر لأَبي العنبس بالصلة التي أُعِدَّت للبحتريّ.

قال أحمد بن يزيدَ: فحدثني أبي قال: جاءني البحتريّ فقال لي: يا أَبا خالد أنت عشيرتي وابن عمّي وصديقي، وقد رأيت ما جرى عليَّ، أَفترى لي أن أخرج إِلى مَنْبج بغير إذن، فقد ضاع العلم، وهلك الأَدب: فقلت: لا تفعل من هذا شيئاً، فإِن الملوك تمزح بأَعظمَ من هذا، ومضيت معَه إِلى الفتح، فشكا إِليه ذلك، فقال له نحْواً من قولي، ووصله وخلع عليه، وسكَّن منه فسكن إلى ذلك.

حدثني جحظة، قال حدثني عليّ بن يحيى المنجم، قال:

لما قُتِل المتوكل، قال أَبو العنبس الصيمريّ يرثيه:

يـا وحـشَـةَ الـدنـيـا عـلـى جـعـفـر عـلـى الـهـمـام الـمـلـك الأَزهـرِ
عـلـى قـتـيـلٍ مـن بـنـي هـاشـم بـيـن سـريـر الـمـلـك والـمِـنْـبـرِ
والـلَّـهِ ربِّ الـبـيـت والـمـشـعـرِ والـلَّـهِ إِن لـو قُـتِـل الـبُـحـتـري
لـثـار بـالـشـام لـه ثـائِـرٌ فـي أَلـف نـفـلٍ مـن بـنـي عَـضْ حِـري
يـقـدمـهـم كـلُّ أَخـي ذِلـة عـلـى حـمـار دابـرٍ أَعـورِ

[السريع]

فشاعتِ الأَبيات حتى بلغتِ البحتريّ، فضحك ثم قال: هذا الأَحمق يرى أَني أَجيبه على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس وقال من كان يُجيبه؟

نتف مستحسنة من أَخبار عَريب

كانت عَريب مغنية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخطِّ والمذهب في الكلام، ونهايةً في الحسن والجمال والظرف، وحسن الصورة وجودة الضرب، واتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأَوتار، والرواية للشعر والأَدب، لم يتعلق بها أَحد من نظرائها، ولا رُئِيَ في النساء بعد القِيان الحِجازيات القديمات، مثل جميلةَ وعزةَ الميلاء وسلامةَ الزرقاءِ ومن جرى مجراهن ـ على قِلة عددهن ـ نظيرٌ لها، وكان فيها منَ الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن مما يكون في مثلها من جواري الخلفاء، ومن نشأ في قصور الخلافة، وغُذي برقيق العيش، الذي لا يُدانيه عيش الحجاز، والنشوء بين العامة والعرب الحُفاة، ومن غلظ طبعه، وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج معَ شهادته إلى غيره.

أَخبرني محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاقَ، قال: قال لي أَبي:

ما رأَيت امرأَة أَضرب من عَريب، ولا أَحسن صنعةً، ولا أَحسن وجهاً، ولا أَخَفَّ روحاً، ولا أَحسن خِطاباً، ولا أَسرع جواباً، ولا أَلعب بالشطرنج والنَّرد، ولا أَجمع لخصلة حسنة؛ لم أَرَ مثلها في امرأة غيرها. قال حماد: فذكرت ذلك ليحيى بن أَكثمَ في حياة أَبي، فقال: صدق أَبو محمد هي كذلك، قلت: فسمعتها؟ قال: نعم، هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أَفكانت كما ذكر أَبو محمد في الحذق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أَبيك، فهو أَعلم مني بها، قال: فأَخبرت بذلك أَبي، فضحك ثم قال: أَما استحييت من قاضي القضاة أَن تسأَله عن مثل هذا؟

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدثني أَبي، قال:

قال لي إسحاقُ: كانت عندي صنَّاجة كنت بها معجباً، واشتهاها أَبو إِسحاقَ المعتصم في خِلافة المأمون، فبينا أَنا ذاتَ يوم في منزلي إذ أَتاني إِنسان يدق الباب دقًّا شديداً، فقلت: انظروا مَنْ هذا، فقالوا: رسولُ أَمير المؤمنين، فقلت: ذهبت صنَّاجتي، تجدُه ذكرَها له ذاكرٌ. فبعث إليَّ فيها. فلمَّا مضى بيَ الرسول انتهيت إِلى الباب وأَنا مُثْخَن، فدخلت فسلمت، فرد عليَّ السلام، ونظر إلى تغيُّر وجهي، فقال لي: اسكُنْ، فسكنت، فسألني عن صوت وقال لي: أتدري لمن هو؟ فقلت: أَسمعه

ثم أُخبر أَمير المؤمنين إن شاء اللَّه بذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فغنته وضَرَبتْ، فإذا هي قد شبّهته بالقديم، فقلت: زِدني معَها عوداً آخر، فإنه أَثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: يا أَميرَ المؤمنين هذا الصوت مُحدَث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذلك؟ قلت: لمَّا سمعتُ لِينه عرفت أَنه محدث من غِناء النساء، ولما رأيت جَودة مقاطِعِه علمت أَن صاحبته ضاربة قد حفظت مقاطعَه وأَجزاءه، ثم طلبت عوداً آخر، فلم أَشكّ، فقال: صدقت، الغناء لِعَريب.

قال ابن المعتز:

وقال عليّ بن يحيى أَمرني المعتمد على اللَّه أَن أَجمع غِناءها الذي صنعته، فأَخذت منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غِناءها، فكتبتُه، فكانت أَلف صوت.

وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز عنِ ابن خُرْداذْبه.

أنه سأل عُريب عن صنعتها؟ فقالت: قد بلغتْ إلى هذا الوقت أَلف صوت قال ابن المعتز: وقال حماد بن إِسحاقَ: إن عُريب صنعت أَلف صوت.

وحدثني محمد بن إبراهيمَ قريض.

أنه جمع غِناءها من ديواني ابن المعتز، وأَبي العبيس بن حمدون. ومما أَخذه عن بِدعةَ جاريتها التي أَعطاها إِياها بنو هاشم، فقابلَ بعضه ببعض، فكانت أَلفاً ومائةً وخمسة وعشرين صوتاً.

وذكر العَتَّابيّ: أَن أَحمد بن يحيى المكيّ حدثه، قال: سمعت أَبا عبد اللَّه الهشاميّ يقول ـ وقد ذُكرت صنعةُ عَريب ـ: صنعتُها مثل قول أبي دُلف في خالد بن يزيدَ، حيث يقول:

يـــا عـــيـــنُ بَـــكِّـــي خـــالـــدا أَلـــفـــاً ويُـــدْعَـــى واحِـــدا

[مجزوء الكامل]

عَريب ومغنيين آخرين:

يُريد أَن غِناءها أَلف صوت في معنى واحد، فهي بمنزلة صوت واحد.

وحكى عنه أَيضاً هذه الحكاية ابنُ المعتز.

وهذا تحامل، ولا يحلّ ولَعمري إن في صنعتها لأشياء مرذولة لينة، وليس ذلك مما يَضَعُها ولا عَريَ كبيرُ أَحدٍ منَ المغنين القدماء والمتأخرين من أَن يكونَ في صنعته

النادِرُ والمتوسّط سوى نفر معدودين مثل ابن محرز ومعبد في القدماء، ومثل إسحاقَ وَحدَه في المتأخرين، وقد عِيب بمثل هذا ابنُ سريج في محله، فبلغه أَن المغنين يقولون: إنما يغني ابن سريج الأَرمال والخفاف، وغِناؤه يصلح للأَعراس والولائم، فبلغه ذلك، فتغنى:

لقد حبَّبَتْ نعمٌ إِلينا بوجهها مَنازلَ ما بين الوَتائِر فالنَّقع[1]

[الطَويل]

ثم توفي بعدَها، وغِناؤه يجري مجرى المعيب عليه، وهذا إسحاق يقول في أَبيه ـ على عظيم محله في هذه الصناعة، وما كان إسحاقُ يُشيد به من ذكره، وتفضيله على ابن جامع وغيره ـ لأَبي ستمائة صوت، منها مائتان تَشبَّه فيها بالقديم، وأَتى بها في نهاية منَ الجودة، ومائتان غِناء وسط مثل أَغاني سائر الناس، ومائتان فَلسيَّة[2]، ودِدْت أَنه لم يُظهرها وينسبها لنفسه فأَسترَها عليه، فإِذا كان هذا قول إسحاقَ في أَبيه، فمن يعذر بعدَه من أَن يكون له جيد وردئ، وما عَريَ أَحد في صناعة من الصنائع من حال تنقصُه عنِ الغاية، لأَن الكمال شيء تفرّد به اللَّه جل وعز، والنقصان جبلَةٌ طُبع بنو آدمَ عليها، وليس ذلك إِذا وُجد في بعض أَغاني عَريب مما يدعو إِلى إِسقاط سائره ويلزمه اسم الضعف واللين، وحسب المحتجّ لها شهادة إِسحاقَ بتفضيلها، وقلَّما شهد لأَحد، أَو سَلِمَ خَلقٌ وإِن تقدَّم وأُجْمِعَ على فضله مَنْ ثلبه[3] إِياه، وطعنه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، واستصغاره أَهلَها، فقد تقدم في أَخباره مع عُلُّويه ومخارق وعمرو بن بانةَ وسليم بن سلام وحسين بن محرز، ومَنْ قبلهم ومَنْ فوقهم، مثل ابن جامع وإِبراهيمَ بنِ المهديّ وتهجينه إِياهم، وموافقته لهم على خطئهم فيما غَنَّوْه وصنعوه مما يُستغنى به عنِ الإِعادة في هذا الموضع، فإِذا انضاف فعلُه هذا بهم، وتفضيله إِيَّاها، كان ذلك أَدلَّ دليل على التحامل ممن طعن عليها، وإِبطاله فيما ذَكَرها به، ولقائل ذلك، وهو أبو عبد اللَّه الهشاميّ سببٌ كان يصطنعه عليها، فدعاه إِلى ما قال، نذكره بعدَ هذا إِن شاء اللَّه تعالى.

ومما يدلّ على إِبطاله أَن المأمون أَراد أن يمتحن إِسحاقَ في المعرفة بالغناء القديم والحديث، فامتحنه بصوت من غِنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لولا أَنه

(١) النقع: الغبار. والبيت لعمر بن أبي ربيعة.
(٢) فلسية: وحدة نقدية، قيمتها زهيدة.
(٣) ثلبه: سلبه ما لديه بالقوَّة.

أَطال الفكر والتلوُّم واستثبت، معَ عِلمه بالمذاهب في الصناعة، وتقدُّمه في معرفة النغم وعِللها، والإيقاعات ومجاريها.

وأَخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدثني أَبي عن إِسحاقَ.

فأَمَّا السبب الذي من أَجله كان يعَاديها الهشاميّ، فأَخبرني به يحيى بن محمد بن عبد اللَّه بن طاهر، قال: ذُكرَ لأَبي أَحمدَ عبيدِ اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر عمِّي أَن الهشامِيَّ زعم، أَن أَحسن صوت صنعته عَريب.

صـــاح قـــد لـــمـــت ظـــالـــمـــا

وأن غِناءها بمنزلة قول أبي دُلف في خالد:

يـــا عـــيـــنُ بَـــكِّـــنـــي خـــالـــدا أَلـــفـــاً ويُـــدعَـــى واحـــدا

[مجزوء الكامل]

فقال: ليس الأَمر كما ذكرَ ولِعريب صَنعةٌ فاضلة متقدمة، وإِنما قال هذا فيها ظُلماً وحسداً، وغمطها ما تستحقه منَ التفضيل، بخبر له معَها ظريف، فسأَلناه عنه فقال: أَخرجتُ الهشاميَّ معِي إلى سُرَّ من رأى، بعد وفاة أَخي، يعني أبا محمدِ بنِ عبد اللَّه بن طاهر، فأَدخلته على المعتز، وهو يشرب، وعَريب تُغني، فقال له: يا ابنَ هشام، غنِّ، فقال: تُبتُ منَ الغناء مذ قتِلَ سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد واللَّهِ أَحسنت حين تُبتَ فإِن غِناءك كان قليل المعنى، لا متقنٌ ولا صحيحٌ ولا مطرب، فأَضحكت أَهل المجلس جميعاً منه، فخجل، فكان بعد ذلك يبسط لسانَه فيها، ويعيب صنعتَها ويقول: هيَ أَلف صوت في العدد، وصوت واحد في المعنى.

وليس الأَمر كما قاله. إن لها لَصنعةً شبّهت فيها بصنعة الأَوائل، وجوّدت وبرَّزت، منها:

أإنْ ســكَــنــتْ نــفــســي وقــلَّ عَــويــلُــهــا

ومنها:

تـــقـــول هـــمِّـــي يـــوم ودّعْـــتُـــهـــا

ومنها:

إذا أَردت انـــتـــصـــافـــاً كـــان نـــاصـــرُكـــم

ومنها:

بـــأبـــي مـــن هـــو دائـــي

ومنها:

أَسلموها في دمشقَ كما

ومنها:

فلا تتعنَّتي ظُلْماً وزورا

ومنها:

لقد نام ذو الشوق القديم منَ الهوى

رواية ابن المعتز عن عَريب:

ونسخت ما أَذكره من أَخبارها فأَنسبه إِلى ابن المعتز من كتاب دفعه إِليَّ محمد بن إِبراهيمَ الجراحيّ المعروف بقريض، وأَخبرني أَن عبد اللَّه بن المعتز دفَعه إِليه، من جمعه وتأْليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أَحاديثه، إِذ كان فيها حَشوٌ كثير، وأَضفت إِليه ما سمعته ووقع إِليَّ غيرَ مسموعٍ مجموعاً ومتفرّقاً، ونسبت كلّ رواية إِلى روايتها.

قال ابن المعتز: حدثني الهشاميّ أَبو عبد اللَّه. وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز عنِ ابن خُرْدَاذبه، قالا:

كانت عَريب لعبد اللَّه بن إِسماعيلَ صاحب مراكب الرشيد، وهوَ الذي رباها وأَدّبها وعلمها الغناء.

قال ابن المعتز: وحدثني غير الهشاميّ، عن إسماعيلَ بنِ الحسين خال المعتصم:

أَنها بنت جعفر بن يحيى، وأَن البرامكةَ لما انتُهبوا سُرِقت وهي صغيرة.

قال: فحدثني عبد الواحد بن إبراهيمَ بن محمد بن الخصيب، قال: حدثني مَنْ أَثق به عن أَحمدَ بن عبد اللَّه بن إسماعيلَ المراكبيّ:

أن أُم عَريب كانت تُسمَّى فاطمة، وكانت قيِّمة[1] لأُمّ عبد اللَّه بن يحيى بن خالد، وكانت صبيَّة نظيفة، فرآها جعفر بن يحيى فهوَيها، وسأَل أُم عبد اللَّه أَن تزوجه إياها، ففعلت، وبلغ الخبرُ يحيى بنَ خالد فأَنكره، وقال له: أَتتزوج مَنْ لا يُعرف لها أَمٌّ ولا أَب؟ اشترِ مكانها أَلف جارية وأَخرجها. فأَخرَجها وأَسكنها داراً في

(١) قيّمة: أي متعهّدة القيام بأعمال من يُوكلها الإشراف على أعمالها.

ناحية باب الأنبار سرّاً من أَبيه، ووكّل بها من يحفظها، وكان يتردّد إِليها، فولدت عريب في سنة إِحدى وثمانينَ ومائة، فكانت سنوها إِلى أَن ماتت ستّاً وتسعينَ سنة، قال: وماتت أُمّ عَريب في حياة جعفر. فدفعها إِلى امرأة نصرانية، وجعلها داية[1] لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من سنبس النخاس، فباعها من المراكبيّ.

قال ابن المعتز: وأَخبرني يُوسفُ بن يعقوبَ:

أنه سمع الفضل بن مروانَ يقول: كنت إِذا نظرت إِلى قدمَيْ عَريب شبهتهما بقدمَيْ جعفر بن يحيى. قال: وسمعت من يحكي أَن بلاغتها في كُتبها ذُكِرت لبعض الكتاب، فقال: وما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى؟

وأَخبرني جحظة، قال: دخلت إِلى عَريب معَ شروين المغني، وأَبي العبيس بن حمدون، وأنا يومَئذٍ غلام عليَّ قِباءٌ ومِنطقة، فأَنكرتني وسألت عني، فقال لها شروين: هذا فتًى من أَهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد، وهو يُغني بالطنبور، فأَدنتني وقرّبت مجلسي، ودعت بطنبور وأَمرتني بأَن أُغني، فغنَّيت أَصواتاً، فقالت: قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنياً، ولكن إِذا حضرت بين هذين الأَسدينِ ضِعت أنت وطنبورُك بين عُوديهما، وأَمرت لي بخمسينَ ديناراً.

قال ابن المعتز: وحدثني ميمون بن هارون، قال:

حدثتني عَريب، قالت: بعثَ الرشيد إِلى أهلنا ـ تعني البرامكة ـ رسولاً يسألهم عن أَحوالهم، وأَمره أن لَا يُعلمهم أنه من قِبَله، قالت: فصار إِلى عمّي الفضل، فسأله، فأَنشأ عمّي يقول:

صوت

سأَلونا عن حالنا كيف أَنتمْ مَن هوى نجمه فكيفَ يكونُ؟!
نحن قوم أَصابنا عَنَتُ الدّهر فظلنا لرَيبه نستكينُ

[الخفيف]

ذكرت عَريبٌ أن هذا الشعر للفضل بن يحيى، ولها فيه لحنان. ثاني ثقيل وخفيف ثقيل، كلاهما بالوسطى. وهذا غلط من عَريب: ولعله بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا فأُنسيَته، وجعلت هذا مكانه، فأَما هذا الشعر فللحسين بن الضحاك لا يُشَكُّ فيه، يَرثي به محمداً الأَمينَ بعدَ قوله:

(١) الداية: الظئر: المرضعة المربية.

نحن قوم أَصابنا حادِثُ الدّهر فظلنا لرَيبهِ نستكِينُ
نتمنَّى منَ الأَمين إياباً كلَّ يوم وأَين منَّا الأَمينُ

[الخفيف]

وهي قصيدة.

علاقتها بحاتم بن عديّ:

قال ابن المعتز، وحدَّثني الهشاميّ:

أَن مولاها خرج بها إِلى البصرة، فأَدَّبها وخرَّجها، وعلمها الخطّ والنحو والشعر والغِناء، فبرعت في ذلك، وتَزَايَدَت حتى قالتِ الشعر، وكان لمولاها صديق يُقال له حاتم بن عديّ من قواد خُراسان، وقيل: إنه كان يكتب لِعُجيف على ديوان العرض فكان مولاها يدعوه كثيراً، ويُخالطه، ثم رَكبه دينٌ فاستتر عندَه، فمدّ عينه إلى عَريب، فكاتبها، فأَجابته، فكانتِ المواصلة بينهما، وعشِقته عَريب، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سُلَّماً من عَقَبٍ[1]، وقيل: من خيوط غِلاظ، وسترته، حتى إذ همّت بالهرب إِليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة ـ وقد أَعدَّ لها موضعاً ـ لَفَّت ثيابها، وجعلتها في فِراشها بالليل، ودثرتها[2] بدثارها. ثم تسوّرت منَ الحائط حتى هربت فمضت إِليه، فمكثت عندَه زماناً، قال: وبلغني أنها لما صارت عندَه بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً لتُغنيَه به، فأَعاره عودَها، وهو لا يعلم أَنها عندَه، ولا يتَّهمه بشيء من أَمرها، فقال عيسى بن عبد اللَّه بن إسماعيلَ المراكبيّ، وهو عيسى بن زينبَ يهجو أَباه ويُعيّره بها، وكان كثيراً ما يهجوه:

قاتلَ اللَّه عَريبَا فعلتْ فِعلاً عجيبا
ركبت والليلُ داجٍ مَركباً صعباً مهيبا
فارتقَت متَّصِلاً بالنجـ ـم أَو مِنه قريبا
صبرتْ حتى إذا ما أَقصَدَ النومُ الرقيبا
مثلت بين حَشَايا ها لكيْ لا تستريبا
خَلفاً منها إذا نو دِيَ لم يُلفَ مُجيبا
ومضت يحملها الخو ف قضيباً وكثيبا

(١) العقب: العصب الذي تصنع منه الأوتار.
(٢) دثّرتها: غطّتها بغطاء.

مُـحَّـةً[١] لـو حُـرِّكـت خِـفـ ـتَ عـلـيـهـا أَن تـذوبـا
فـتـدلَّـت لـمـحـبٍّ فـتـلـقـاهـا حـبـيـبـا
جَـذلاً[٢] قـد نـال فـي الـدُّنـيـا مـنَ الـدُّنـيـا نـصـيـبـا
أَيُّـهـا الـظـبـيُّ الـذي تـسـحـر عـيـنـاه الـقُـلـوبـا
والـذي يـأكـل بـعـضـاً بـعـضُـه حُـسـنـاً وطِـيـبـا
كـنـتَ نـهـبـاً لـذئـابٍ فـلـقـد أُطـعـمْـتَ ذيـبـا
وكـذا الـشـاةُ إذا لـم يَـكُ راعـيـهـا لـبـيـبـا
لا يُـبـالـي وَبـأ الـمـرْ عـى إذا كـان خـصـيـبـا
فـلـقـد أَصـبـح عـبـدُ الـلَّـه كـشـخـانـاً[٣] حـريـبـا[٤]
قـد لـعـمـري لـطـم الـوجـ ـهَ وقـد شـقَّ الـجُـيـوبـا
وجـرت مـنـه دمـوع بـلَّـت الـشـعـر الـخـضـيـبـا

[مجزوء الرمل]

خبرها معَ المراكبيّ:

وقال ابن المعتز: حدثنا محمد بن موسى بن يونسَ أَنها ملَّته بعد ذلك فهربت منه، فكانت تُغنّي عند أَقوام عرفتهم ببغدادَ وهي متسترة متخفية، فلما كان يوم منَ الأَيام اجتاز ابن أخ للمراكبيّ ببستانٍ كانت فيه معَ قوم تغني، فسمع غناءها فعرفه: فبعث إِلى عمه من وقته، وأَقام هو بمكانه، فلم يبرح حتى جاء عمُّه فكبَسها[٥] وأَخذها، فضربها مائة مقرعة، وهي تصيح: يا هذا لِمَ تقتلني؟ لست أَصبر عليك أَنا امرأةٌ حُرَّةٌ، فإن كنتُ مملوكة فبعني، لست أَصبر على الضيق، فلمَّا كان من غدٍ ندم على فعله، وصار إِليها فقبّل رأْسها ورِجلها، ووهب لها عشرة آلاف درهم، ثم بلغ محمداً الأَمينَ خبرُها فأخذها منه، قال: وكان خبرُها سقط إِلى محمد في حياة أَبيه، فطلبها منه فلم يُجبه إِلى ما سأله، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده، فاضطغن[٦] ذلك عليه، فلما وليَ الخلافة جاء المراكبيّ، ومحمدٌ راكب، ليقبل على يده، فأَمر بمنعه ودفعه، ففعل ذلك الشاكريُّ[٧] فضربه المراكبيّ وقال له: أَتمنعني من

(١) المحّة: صفرة البيضة.
(٢) الجذل: الفرح.
(٣) الكشخان: القوَّاد، الديّوث.
(٤) الحريب: من سلب ماله.
(٥) كبسها: فاجأها متلبّسة.
(٦) اضطغن: حقد.
(٧) الشاكري: القائم بعمل الحراسة.

يد سيدي أَن أُقبّلها؟ فجاء الشاكريّ لمَّا نزل محمد فشكاه، فدعا محمدٌ بالمراكبيَّ، وأَمر بضرب عنقه، فسئل في أَمره فأَعفاه وحبسه، وطالبه بخمسمائة أَلف درهم مما اقتطعه من نفقات الكُراع[1]، وبعث فأَخذ عَريباً من منزله معَ خدم كانوا له، فلما قُتِل محمد هربت إِلى المراكبيّ، فكانت عنده، قال: وأَنشدني بعض أَصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لمَّا هربت إِليه ثم ملّته فهربت منه، وهي أَبيات، هذان منها:

ورُشُّوا على وجهي منَ الماء وانْدُبوا قتيلَ عَريبٍ لا قتيلَ حُروبِ
فليتكِ إِذ أَعجلتني فقتلتني تكونينَ من بعد الممات نصيبي

[الطويل]

قال ابن المعتز: وأَمَّا رواية إِسماعيلَ بنِ الحسين خال المعتصم فإِنها تُخالف هذا.

وذكر أَنها إِنما هربت من دار مولاها المراكبيّ إِلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن، أحد قواد خُراسانَ. قال: وكان أَشقر أَصهب الشعر أزرق، وفيه تقول عَريب والغناء فيه لها هزج ورمل من روايتي الهشاميّ وأبي العبيس:

بأَبي كل أَزرقٍ أصهبِ اللون أشقرِ
جُنَّ قلبي به وليـ ـس جنوني بمُنكرِ

[مجزوء الخفيف]

نتفٌ وطرائف أُخرى:

قال ابن المعتز: وحدثني ابن المدبّر، قال:

خرجت معَ المأمون إِلى أَرض الروم أطلب ما يطلبه الأحداث منَ الرزق، فكنا نسير معَ العسكر، فلما خرجنا منَ الرقَّة رأينا جماعة منَ الخدم معَهم جماعة منَ الحُرم في العَماريَّات[2] على الجَمَّازات[3]، وكنا رِفقة، وكنا أَتراباً، فقال لي أَحدهم: على بعضِ هذه الجمَّازات عَريب، فقلتُ: من يُراهنني أَمرُّ في جنبات هذه العماريَّات وأُنشد أبيات عيسى بن زينب:

قاتل اللَّه عَريبا فعلت فِعلاً عجيبا

[مجزوء الرمل]

(١) الكُراع من الأنعام: أي الخيول والبغال والحمير.
(٢) العماريات، الواحدة عمارة: الهوادج.
(٣) الجمازيات من الإبل، والواحدة جمازة: السريعة العدو.

فرهنني بعضهم وعُدِّل الرهنانِ فسرت إِلى جانبها فأَنشدت الأَبيات وأَنا رافع صوتي بها حتى أتممتها، فإِذا أنا بامرأة قد أَخرجت رأسها فقالت: يا فتى، يا فتى، أَنسيت أجود الشعر وأطيبه؟ أَنسيت قوله:

وعَـريـبٌ رَطْـبـة الـشَّـفْـ ـرَيـنِ قـد نـيـكـت ضُـروبـا

[مجزوء الرمل]

اذهبْ فخُذ ما بايعت[1] فيه، ثم أَلقت السِّجف، فعلمت أَنها عَريب، وبادرت إِلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني منَ الخدم.

أَخبرني إِسماعيلُ بنُ يونسَ، قال: قال لنا عمر بن شبَّةَ:

كانت للمراكبيّ جارية يُقال لها مظلومة، جميلة الوجه، بارعة الحسن، فكان يبعث بها معَ عَريب إِلى الحمام أَو إِلى من تزوره من أَهله ومعارفه، فكانت ربما دخلت معَها إِلى ابن حامد الذي كانت تميل إِليه، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده:

لـقـد ظـلـمـوكِ يـا مـظـلـومَ لـمـا أَقـامـوكِ الـرقـيـبَ عـلـى عَـريـبِ
ولـو أَوْلـوكِ إِنـصـافـاً وعَـدْلاً لـمـا أَخـلَـوْكِ أَنـت مـنَ الـرقـيـبِ
أتـنـهَـيـنَ الـمـريـبَ عـنِ الـمـعـاصـي فـكـيـف وأَنـت مـن شـأنِ الـمـريـبِ
وكـيـف يُـجـانِـب الـجـانـي ذُنـوبـاً لـديـكِ وأَنـتِ داعـيـةُ الـذنـوبِ
فـإِن يَـسْـتـرقِـبـوكِ عـلـى عَـريـبٍ فـمـا رَقـبُـوك مـن ريـب الـقـلـوبِ

[الوافر]

وفي هذا المعنى، وإِن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أَنشدنيه علي بنُ سليمانَ الأخفش في رَقيبة مُغنِّيةٍ استَحْسنت، وأَظنّه للناشئ:

فـديـتُـك لـو أَنـهـم أَنـصـفـوا لا لـمـا مـنـعـوا الـعـيـن عـن نـاظِـرَيْـكِ
أَلـم يـقـرؤوا ويـحَـهـم مـا يـرو ن مـن وَحْـي طَـرفِـك فـي مُـقـلـتَـيـكِ
وقـد بـعـثـوكِ رقـيـبـاً لـنـا فـمـن ذا يـكـون رقـيـبـاً عـلـيْـكِ؟!
تَـصُـدِّيـن أَعـيـنـنـا عـن سِـواكِ وهـل تـنـظـر الـعـيـنُ إِلا إِلـيـكِ؟!

[المتقارب]

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إِبراهيمَ، عن حماد بن إِسحاقَ عن

(١) بايعت: راهنت.

أَبيه. وعن محمد بن إِسحاقَ البغويّ عن إِسحاقَ بن إِبراهيمَ:

أن خبر عَريب لما نميَ إلى محمد الأَمين بعث في إحضارها وإِحضار مولاها، فأُحضرا، وغنت بحضرة إِبراهيمَ بنِ المهديّ تقول:

لـكـلّ أُنـاسٍ جَـوْهـر مـتـنـافـسٌ وأَنـتِ طـرازُ الآنـسـاتِ الـمـلائـح

[الطويل]

أَخبارها معَ المأْمون:

فطرب محمد واستعاد الصوت مراراً، وقال لإِبراهيمَ: كيف سمعت يا عمّ، قال: يا سيدي، سمعت حسناً، وإِن تطاولت بها الأَيام، وسكن روعُها[1] ازداد غِناؤها حسناً، فقال للفضل بن الربيع: خذها إِليك وساومْ بها، ففعل، واشتطّ مولاها في السَّوْم[2]، ثم أوجبها له بمائة أَلف دينار. وانتقَض أمرُ محمد وشُغِلَ عنها وشُغلت عنه فلم يأْمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أَنِ افتضَّها، فرجعت، إِلى مولاها، ثم هربت منه إِلى حاتم بن عديّ.

وذكر باقي قصتها كما ذكره مَنْ تقدم.

وقال في خبره:

إِنها هربت من مولاها إِلى حاتم، فلم تزل عندَه، حتى قدم المأمون بغداد، فتظلّم إِليه المراكبيّ من حاتم بن عديّ فأَمر بإِحضاره فأَحضر، فسأله عنها فأنكرها، فقال له المأمون: كذبتَ، قد سقط إِليَّ خبرُها وأمر صاحبَ الشرطة أن يُجرِّده في مجلس الشرطة، ويضع عليه السِّياط حتى يردَّها، فأَخذه، وبلغها الخبر، فركبت حمارَ مُكارٍ وجاءت وقد جُرّد ليُضرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أَنا عَريب، إن كنتُ مملوكةً فلْيبعني، وإن كنت حرَّة فلا سبيلَ له عليَّ، فرُفع خبرُها إلى المأمون، فأَمر بتَعْديلها[3] عند قُتيبةَ بنِ زياد القاضي، فعُدِّلت عنده، وتقدَّم إِليه المراكبيُّ مطالباً بها، فسأله البيّنة على مِلكه إِياها، فعاد متظلّماً إلى المأْمون وقال: قد طُولبت بما لم يُطالب به أَحد في رقيق، ولا يُوجد مثله في يدِ منِ ابتاع عبداً أَو أَمة.

وتظلمت إِليه زبيدةُ، وقالت: من أَغلظ ما جرى عليَّ بعد قتل محمدٍ ابني هجومُ المراكبيِّ على داري وأَخذُه عَريباً منها. فقال المراكبيّ: إِنما أَخذتُ ملكي، لأنه لم

(١) الروع: الخوف والرهبة.

(٢) اشتط مولاها في السوم: غالى في المساومة.

(٣) تعديلها: وضعها بعهدة كاتب العدل.

يَنْقُدني الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمرَ الواقديّ، وكان قد ولَّاه القضاء بالجانب الشرقيّ، فأَخذها من قُتيبةَ بنِ زياد، فأَمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأْمون بخمسينَ أَلف درهم، فذهبت به كلَّ مذهب ميلاً إِليها ومحبة لها.

قال ابن المعتز: ولقد حدثني عليّ بن يحيى المنجم أَن المأمون قبَّل في بعضِ الأَيام رجلها، قال: فلمَّا مات المأمون بيعت في ميراثه ولم يُبَع له عبد ولا أَمة غيرُها، فاشتراها المعتصم بمائة أَلف درهم وأَعتقها فهي مولاته.

وذكر حماد بن إسحاقَ عن أَبيه:

أنها لما هربت من دار محمد ـ لما أن قتل ـ تدلَّت من قصر الخُلْد[1] بحبل إِلى الطريق، وهربت إِلى حاتم بن عديّ.

وحدثني جحظة، عن ميمون بن هارون:

أن المأْمون اشتراها بخمسة آلاف دينار، ودعا بعبد اللَّه بن إِسماعيلَ فدفعَها إِليه وقال له: لولا أَني حلفت أَن لا أشتريَ مملوكاً بأكثرَ من هذا لزدتك، ولكني سأُوليك عملاً تكسب فيه أَضعافاً لهذا الثمن مضاعفة، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أَحمرَ قيمتهما أَلفا دينار، وخلع عليه خِلَعاً سنية. فقال: يا سيدي إنما ينتفع الأَحياء بمثل هذا، وأما أنا فإِني ميت لا محالةَ، لأَن هذه الجارية كانت حياتي، وخرج عن حضرته، فاختَلَط وتغير عقله، ومات بعد أَربعينَ يوماً.

قال ابن المعتز: فحدثني عليّ بن يحيى، قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان، قال:

حدثني إِبراهيمُ بن رِياح، قال: كنت أتولّى نفقات المأمون، فوصف له، إِسحاق بن إِبراهيمَ الموصليّ عَريب، فأَمره أن يشتريَها، فاشتراها بمائة أَلف درهم، فأَمرني المأمون بحملها، وأن أَحمل إِلى إِسحاقَ مائة ألف درهم أُخرى، ففعلت ذلك، ولم أَدرِ كيف أُثبتها، فحكيت في الديوان أَن المائة الأَلف خرجت في ثمن جوهرة، والمائة الأَلف الأُخرى خرجت لصائغها ودلَّالها، فجاء الفضل بن مروانَ إِلى المأْمون، وقد رأى ذلك فأَنكره، وسأَلني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمونَ عن ذلك، وقال: أَوجَبَ وَهب لدلَّال وصائغ مائة أَلف درهم. وغلَّظ القصةَ، فأَنكرها المأمون، ودعاني، فدنوت إِليه وأَخبرته أَنه المال الذي خرج في ثمن عَريب

(١) قصر الخلد: كان أبو جعفر المنصور قد ابتناه على شاطئ دجلة عندما أمر ببناء مدينة بغداد سنة ١٥٩هـ.

وصِلة إسحاقَ، وقلت: أَيُّما أَصوبُ يا أَميرَ المؤمنين: ما فعلتُ أو أُثبتُ في الديوان أَنها خرجت صِلةً لمغنٍّ وثمنِ مغنية؟ فضحك المأمون وقال: الذي فعلتَ أَصوبُ. ثم قال للفضل بن مروانَ: يا نبطيّ، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء.

وقال ابن المكيّ: حدثني أَبي.

عن نحرير الخادم قال: دخلت يوماً قصر الحرم، فلمحت عَريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل فسألت عنها فقيل هذه عَريب دعا بها سيدها اليومَ فافتضّها.

قال ابن المعتز: فأَخبرني أَبو عبد الملك البصريّ.

أَنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى أوصلت محمد بن حامد، وكانت قد عشِقته وكاتبته بصوت قالته، ثم احتالت في الخروج إِليه، فكانت تلقاه في الوقتِ بعدَ الوقت حتى حَبلت منه وولدت بنتاً. وبلغ ذلك المأمونَ فزوّجه إياها.

وأَخبرنا إِبراهيم بن القاسم بن زرزور، عن أَبيه. وحدثني به المظفر بن كيغلغ عنِ القاسم بن زرزور، قال:

لما وقف المأْمون على خبرها مع محمد بن حامد أَمر بإلباسها جُبَّةَ صوف وختم زيقِها[1] وحبسِها في كنيف[2] مظلم شهراً لا ترى الضوء، يُدخَلُ إليها خبزٌ وملح وماء من تحت الباب في كل يوم، ثم ذكرها فرَقَّ لها، وأَمر بإخراجها، فلما فُتح الباب عنها وأُخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني:

حَجبوه عن بصري فمُثِّل شخصُه ... في القلب فهو مُحجَّبٌ لا يُحْجَبُ

[الكامل]

فبلغ ذلك المأمونَ، فعجب منه ثم قال: لن تصلح هذه أَبداً، زوجها إياه.

(نسبة هذا الصوت)

صوت

لو كان يقدر أَن يبثَّك ما به ... لرأيتَ أَحسن عاتبٍ يتعتَّبُ

حجبوه عن بصري فمُثِّل شخصُه ... في القلبِ فهو محجَّبٌ ما يُحْجَبُ

[الكامل]

(١) الزيق من الثوب: ما أحاط منه بالعنق. (٢) الكنيف: المرحاض.

الغناء لعَريب ثقيل أَول بالوسطى.

قال ابن المعتز: وحدثني لؤلؤ صديق عليّ بن يحيى المنجم، قال: حدثني أَحمد بن جعفر بن حامد، قال:

لما توفيَ عمّي محمد بن حامد صار جَدّي إلى منزله، فنظر إلى تركته وجعل يُقلّب ما خلّف ويُخرَج إِليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أُخرج إِليه سفَطٌ مختوم، ففضّ الخاتم وجعل يفتحه، فإِذا فيه رِقاع عَريب إليه، فجعل يتصفّحها ويتبسم، فوقعت في يده رقعة، فقرأها ووضعها من يديه وقام لحاجة، فقرأها، فإِذا فيها قوله:

صوت

ويـلـي عـلـيـك ومـنـكَـا أَوقـعـت فـي الـحـقّ شـكَّـا
زعـمـت أَنّـي خـؤوْنٌ جَـوْراً عـلـيَّ وإفـكَـا
إن كـان مـا قـلـت حـقّـاً أَو كـنـت أَزمـعـت تـركَـا
فـأبـدلَ الـلَّـه مـا بـي مـن ذِلَّـةِ الـحـبِّ نُـسـكَـا

[المجتث]

لعَريب في هذه الأَبيات رمل وهزج عنِ الهشاميّ، والشعر لها.

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراسانيّ، عن يعقوبَ الرخاميّ، قال:

كنا معَ العباس بن المأْمون بالرّقة، وعلى شرطته هاشمٌ، رجلٌ من أَهل خُراسانَ، فخرج إِليّ، وقال: يا أبا يُوسفَ، أُلقي إِليك سِراً لثقتي بك، وهو عندك أمانة، قلت: هاتِه، قال: كنت واقفاً على رأس الأَمير وبي حرٌّ شديد، فخرجت عَريبُ فوقفت معي، وهي تنظر في كتاب، فما ملكت نفسي أَن أومأت إِليها بقبلة، فقالت: كحاشية البرد. فواللَّهِ ما أَدري ما أَرادت فقلت: قالت لك: طعنة. قال: وكيف ذاك؟ قلت: أَرادت قول الشاعر:

رمـى ضـرع نـابٍ[1] فـاسـتـمـرّ بـطـعـنـة كـحـاشـيـة الـبُـرْد الـيـمـانـي الـمُـسَـهّـم[2]

[الطوَيل]

(١) الناب من الإبل: الناقة المعمرة.
(٢) المسهم من الثياب: المخطط.

وحكى هذه القصة أحمد بن أَبي طاهر، عن بِشر بن زيد، عن عبد اللَّه بن أيوبَ بن أَبي سمير:

أنهم كانوا عندَ المأمون ومعَهم محمد بن حامد، وعَريب تُغنيهم، فغنت تقول:

رمى ضرع نابٍ فاستمرّ بطعنة كحاشية البُرْد اليماني المُسَهَّمِ

فقال لها المأمون: من أشار إِليكِ بقبلة، فقلتِ له طعنة؟ فقالت له: يا سيدي، مَن يُشير إِليَّ بقبلة في مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك، قالت: محمد بن حامد. فسكت.

قال ابن المعتز: وحدثني محمد بن موسى، قال:

إصطحب المأمون يوماً ومعَه نُدماؤه، وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين، وعَريب معَه على مُصَلاه، فأَومأَ إِليها محمد بن حامد بقبلة، فاندفعت تُغني ابتداء:

رمى ضرع نابٍ فاستمرَّ بطعنة كحاشية البُرد اليماني المَسَهَّم

[الطويل]

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأَن تقول له: طعنة، فقال لها المأْمون: أمسكي فأمسكت، ثم أَقبل على الندماء، وقال: من فيكم أَومأ، إلى عَريب بقبلة؟ واللَّهِ لئن لم يَصْدُقني لأَضربنَّ عنقه. فقام محمد فقال: أَنا يا أَميرَ المؤمنين أَومأت إِليها، والعفو أَقرب للتقوى، فقال: قد عفوْت، فقال: كيف استدل أَميرُ المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأت صوتاً، وهي لا تُغنّي ابتداء إِلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبتدئ هذا الصوت إِلا لمعنى أَومئ به إِليها، ولم يكن من شرط هذا الموضع إِلا إِيماء بقبلة، فعلمت أنها أَجابت بطعنة.

قال ابن المعتز وحدثني علي بن الحسين.

أَن عَريب كانت تتعشّق أَبا عيسى بن الرشيد، وروى غيره أنها كانت لا تضرب المثَل إِلا بحسن وجه أبي عيسى وحسنِ غنائه، وكانت تزعم أنها ما عشقت أَحداً من بني هاشم وأَصْفَتْه المحبةَ من الخلفاء وأَولادهم سِواه.

قال ابن المعتز: وحدثني بعض جوارينا.

أَن عَريب كانت تتعشّق صالحاً المنذريَّ الخادم، وتزوجته سِرّاً، فوجه به المتوكل إِلى مكان بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعراً، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل، وهو:

صوت

أَمَّـا الـحـبـيـبُ فـقـد مـضـى بـالـرغـم مـنـيَ لا الـرِّضـا
أَخـطـأتُ فـي تـركـي لِـمَـن لـم ألـق مـنـه مُـعـوِضـا

[مجزوء الكامل]

قال: فغنته يوماً بين يدي المتوكل فاستعاده، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن ففطِنت فأَصغت إليهن سِرّاً منَ المتوكل، فقالت: يا سحَّاقات، هذا خيرٌ من عملكن.

قال: وحدّثت عن بعض جواري المتوكل. أَنها دخلت يوماً إِلى عَريب فقالت لها: تعاليْ ويحك إِليَّ، فجاءت. قال: فقالت: قبِّلي هذا الموضع مني، فإِنك تجدين ريح الجنة، فأَومأت إلى سالفتها، ففعلت، ثم قالت لها: ما السببُ في هذا؟ قالت قبلني الساعة صالحٌ المنذريُّ في ذلك الموضع.

قال ابن المعتز: وأَخبرني أَبو عبد اللَّه الهشاميّ، قال: حدثني حمدون بن إسماعيلَ، قال:

حدثني محمد بن يحيى الواثقيّ، قال:

قال لي محمد بن حامد ليلة: أُحبّ أَن تُفرغ لي مضربك، فإِني أُريد أن أجيئك فأُقيم عندَك، ففعلت، ووافاني، فلما جلس جاءت عَريب فدخلت.

وقد حدثني به جحظة، قال: حدثني أَبو عبد اللَّه بن حمدان:

أن عَريب زارت محمد بن حامد، وجلسا جميعاً، فجعل يُعاتبها ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا، فقالت لي: يا محمدُ أَهذا عندك رأْي، ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجزُ، خُذ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إِليه.

وقال جحظة في خبره:

إِجعلْ سراويلي مِخْنَقَتي[1] والصقْ خلخالي بقُرطي، فإِذا كان غداً فاكتب إِليَّ بعتابك في طومار[2]، حتى أَكتب إِليك بعذري في ثلاثةٍ ودع هذا الفضول، فقد قال الشاعر:

صوت

دعـي عـدَّ الـذنـوب إِذا الـتـقـيـنـا تـعـالَـيْ لا نَـعُـدُّ ولا تَـعُـدّي

[الوافر]

(١) المِخنقة، بكسر الميم: القِلادة. (٢) الطومار: الصحيفة.

وتمام هذا قوله:

فأُقسمُ لو هممت بمد شعري إلى باب الجحيم لقلت: مُدّي

[الوافر]

الشعر للمؤمل، والغناء لعَريب خفيف رمل، وفيه لعلُّويه رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانةَ.

طرائف وملح أُخرى عن عَريب:

حدثني أبو يعقوبَ إسحاقُ بنُ الضحاك بن الخصيب، قال:

حدَّثني أَبو الحسن عليّ بن محمد بن الفرات، قال: كنت يوماً عند أَخي أَبي العباس، وعندَه عَريب جالسة على دَستٍ مفرد لها، وجواريها يُغنينَ بين يدينا وخلف ستارتنا، فقلت لأَخي ـ وقد جرى ذكر الخلفاء ـ قالت لي عَريب: ناكني منهم ثمانية، ما اشتهيت منهم أَحداً إلا المعتز فإنه كان يُشبه أَبَا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات: فأَصغيت إلى بعض بني أَخي فقلت له: فكيف ترى شهوتَها الساعة!، فضحك، ولمحَتْه، فقالت: أيَّ شيء قلتم؟ فجحدتُها[1]، فقالت لجواريها: أَمسِكن، ففعلن، فقالت: هن حرائر لئن لم تُخبراني بما قلتما لتنصرفنّ جميعاً، وهن حرائر، إن حردْت من شيء جرى ولو أنها تسفيل، فصدقتها، فقالت وأي شيء في هذا، أما الشهوةُ فبحالِها، ولكن الآلة قد بطلتْ، أو قالت: قد كلَّت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

وحدثني الحسن بن عليّ بن مُودَّةَ، قال: حدثني إبراهيمُ بن أبي العبيس قال: حدثنا أبي، قال:

دخلنا على عَريب يوماً مسلِّمين فقالت: أَقيموا عندي اليوم حتى أُطعمكُم لوزنيجة صنعتها بدعةُ بيدها من لوز رطب، وما حضر منَ الوظيفة، وأُغنّيكم أَنا وهي، قال: فقلت لها: على شريطة. قالت: وما هي؟ قلت: شيء أُريد أن أَسألكِ عنه منذ سنين وأنا أَهابك، قالت: ذاك لك، وأَنا أقدِّم الجواب قبل أَن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبت لذلك وقلت: فقولي، فقالت: تُريد أَن تسألني عن شرطي أي شيء هو، فقلت: أي واللَّهِ، ذاك الذي أَردت، قالت: شرطي أَير صُلب، ونكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يوصف، وجمال يُحمد فقد زاد قدره عندي، وإلا فهذان لا بدَّ منهما.

---

(١) جحدتها: أنكرتها.

وحدثني الحسن بن عليّ، قال:

وحدثني محمد بن ذي السيفينِ إسحاق بن كُنْداجيتي عن أَبيه قال:

كانت عَريب تُولع بي وأَنا حديث السن، فقالت لي يوماً: يا إِسحاقُ، قد بلغني أَن عندك دعوة، فابعث إِليَّ نصيبي منها، قال: فاستأنفت طعاماً كثيراً، وبعثت إِليها منه شيئاً كثيراً، فأَقبل رسولي من عندها مسرعاً فقال لي: لما بلغتُ إِلى بابها وعرفت خبري أَمرت بالطعام فأُنهب، وقد وجّهتْ إِليك برسول، وهو معي، فتحيرت وظننت أَنها قدِ استقصرت فعلي، فدخل الخادم ومعَه شيء مشدود في منديل، ورقعة، فقرأتها فإِذا فيها: بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم، يا عجميّ، يا غبيّ ظننت أني منَ الأَتراك ووخش[١] الجند فبعثت إِليَّ بخبز ولحم وحلواء، اللَّه المستعان عليك، يا فدتك نفسي قد وجّهت إِليك زلَّة[٢] من حضرتي، فتعلّم ذلك منَ الأَخلاق ونحوه من الأَفعال، ولا تستعمل أَخلاق العامة في ردّ الظرف فيزدادَ العيب والعتب عليك إِن شاء اللَّه. فكشفت المِنديل فإِذا بطبق ومكبة من ذهب منسوج على عمل وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق وقد عضت طرفيهما: وفيها قطعتان من صدر دُرَّاج[٣] مشوي ونَقْل[٤] وطلح[٥] وملح وانصرف رسولها.

قال ابن المعتز: حدثني الهشاميّ أَبو عبد اللَّه، عن رجل ذكره.

عن عَلُّويه قال: أمرني المأمون وسائرَ المغنين في ليلة منَ الليالي أن نصير إِليه بكرةً ليصطبح، فغدَوْنا، ولقيني المراكبيُّ مولى عَريب، وهي يومَئذٍ عندَه، فقال لي: يا أَيُّها الرجلُ الظالمُ المعتدي، أَما ترق ولا ترحم ولا تستحي؟ عَريب هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرات في كل ليلة. قال: عَلُّويه. فقلت: أُمُّ الخلافة زانية. ومضيت معَه، فحين أُدخلت، قلت: استوثقْ منَ الباب فإِني أَعرفُ خلق اللَّه بفضول البوابين والحجَّاب، وإِذا عَريب جالسة على كرسي تطبخ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأَتني قامت تُعانقني وتُقَبّلني، ثم قالت: أَيُّما أَحبُّ إِليك: أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يُطبخ لك؟ فقلت: بل قدر من هذه تكفينا، فغرفت قدراً منها وجعلتها بيني وبينَها فأكلنا، ودعت بالنبيذ فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أَبا

(١) وخش الجند: أسوأ الجنود أخلاقاً.
(٢) الزلّة: الوليمة المهداة من صديق إلى صديق.
(٣) الدُّراج: ضرب من الطيور، ريشه أغبر اللون ومرقّش.
(٤) النقل: هو ما يتنقل به الشرب من البذور والفاكهة أثناء تعاطيهم الخمرة.
(٥) الطلح: الموز.

الحسن، صنعت البارحة صوتاً في شعر لأَبي العتاهية، فقلت: ما هو، فقالت: هو:

عـذَيـري مـنَ الإِنـسـان لا إن جـفـوتُـه صـفـا لـي ولا إن صِـرتُ طـوعَ يـديـهِ

[الطويل]

وقالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نردده أَنا وهي حتى استوى، ثم جاء الحُجَّاب فكسروا باب المراكبيّ واستخرجوني، فدخلت على المأمون، فلما رأيته أَقبلت أمشي إِليه برقص وتصفيق، وأنا أُغني الصوت، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه فاستظرفوه وسألني المأمون عن خبره؟ فشرحته له، فقال لي: ادْنُ وردّده، فرددته عليه سبع مرات، فقال لي: في آخر مرةٍ: يا عَلُّويه خذِ الخلافة وأعطني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت

صوت

عَـذيـري مـنَ الإِنـسـان لا إِن جـفـوتُـه صـفـا لـي ولا إِن صـرتُ طـوعَ يـديـهِ

وإِنـي لـمـشـتـاقٌ إِلـى قـرب صـاحـب يـروق ويـصـفـو إِن كـدُرْت عـلـيـهِ

[الطويل]

عروضه منَ الطويل، والشعر لأبي العتاهية، والغناء لِعَريب، خفيف ثقيل أَول بالوسطى، ونسبه عمرو بن بانةَ في هذه الطريقة، والأصبغ إلى عَلُّويه.

وقال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زرزور، قال:

حدثتني عَريب، قالت: كنت في أيام محمد بنت أَربعَ عشرةَ سنة، وأنا حِينَئذٍ أصوغ الغناء.

قال القاسم: وكانت عَريب تكايد الواثق فيما يصوغه منَ الأَلحان، وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً، فيكون أَجود من لحنه، فمن ذلك:

لـم آتِ عـامـدةً ذنـبـاً إِلـيـك بـلـى أُقـرّ بـالـذنـب فـاعـفُ الـيـوم عـن زلـلِـي

[البسيط]

لحنها فيه خفيف ثقيل، ولحن الواثق رمل، ولحنها أَجود من لحنه. ومنها:

أَشـكـو إِلـى الـلَّـه مـا أَلـقـى مـنَ الـكَـمَـدِ حـسـبـي بـربـي ولا أَشـكـو إِلـى أَحـدِ

[البسيط]

لحنها ولحن الواثق جميعاً منَ الثقيل الأَول، ولحنها أَجود من لحنه.

نسبة هذين الصوتين

صوت

لـم آتِ عـامـدةً ذنـبـاً إِلـيـك بـلـى أُقـرّ بـالـذنـب فـاعـفُ الـيـومَ عـن زلـلِـي
فـالـصـفـحُ مـن سـيـد أَولـى لـمـعـتـذر وقـاك ربُّـك يـومَ الـخـوف والـوجـلِ
[البسيط]

الغناء للواثق رمل ولعَريب خفيف ثقيل، وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب بن يزدادَ فيه هزجاً مطلقاً.

صوت

أَشكـو إِلـى الـلَّـه مـا أَلـقـى مـنَ الـكَـمَـدِ حـسـبـي بـربـي ولا أَشـكـو إِلـى أَحـدِ
أيـن الـزمـان الـذي قـد كـنـتُ نـاعـمـةً فـي ظـلِّـه بـدنـوِّي مـنـكَ يـا سَـنـدِي؟!
وأَسـألُ الـلَّـه يـومـاً مـنـك يُـفـرحـنـي فـقـد كـحـلـت جـفـون الـعـيـن بـالـسَّـهَـدِ[1]
شـوقـاً إِلـيـك ومـا تَـدري بـمـا لـقَـيْـت نـفـسـي عـلـيـك ومـا بـالـقـلـب مـن كـمِـد
[البسيط]

الغناء لعَريب ثقيل أَول بالوسطي، وللواثق ثقيل أَول بالبنصر.

قال ابن المعتز: وكان سبب انحراف الواثق عنها، وكيادها إياه، وانحراف المعصتم عنها، أَنه وجد لها كتاباً إِلى العباس بن المأمون ببلد الروم، اقتُل أنت العِلج[2]، ثم حتى أَقتل أنا الأَعور الليلي هاهنا تعني الواثق، وكان يسهر بالليل، وكان المعتصم استخلفه ببغداد.

قال: وحدثني أبو العبيس بن حمدون، قال:

غضبت عَريب على بعض جواريها المذكورات ـ وسماها لي ـ فجئت إليها يوماً، وسألتها أَن تعفوَ عنها، فقالت في بعض ما تقوله مما تعتدَّ به عليها من ذنوبها: يا أَبا العبيس، إن كنت تشتهي أَن ترى زناي، وصفاقة وجهي وجرأتي على كل عظيمة أيام شبابي فانظر إليها، واعرف أَخبارها.

(١) السهد: النعاس.
(٢) العلج من الروم: القائد.

قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زرزور، قال: حدثني المعتمد، قال: حدثتني عَريب أنها كانت في شبابها يُقدّم إليها بِرذَون فتطفِر[1] عليه بلا رِكاب.

قال: وحدثني الأسديّ، قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانةَ، قال:

تمارى خالي أبو عليّ معَ المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عَريب؟ فجاءت، وهي محمومة، فسألها عنِ الصوت، فقالت فيه بعلمها: فقال لها: غنِّيه، فولَّت لتجيء بعود، فقال لها غنِّيه بغير عود، فاعتمدت للحمّى على الحائط، وغنّت، فأَقبلت عقرب، فرأيتها قد لسعت يدها مرتينِ أَو ثلاثاً، فما نحّت يدها، ولا سكتت حتى فرغت منَ الصوت، ثم سقطت وقد غُشيَ عليها.

قال ابن المعتز: وحدثني أبو العباس بن الفرات، قال:

قالت لي تُحفةُ جارية عَريب: كانت عَريب تجد في رأسها بَرْداً، فكانت تُغلِّف شعرها مكان العلة بستينَ مِثقالاً مسكاً وعنبراً، وتغسله من جمعة إلى جمعة، فإذا غسلته أَعادته، وتقتسم الجواري غُسالة رأسها بالقوارير، وما تسرحه منه بالميزان.

حدثني أَحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثني عليّ بن يحيى المنجم، قال: دخلت يوماً على عَريب مُسلِّماً عليها، فلما اطمأننت جالساً هطلتِ السماء بمطر عظيم، فقالت: أَقِمْ عندي اليومَ حتى أُغنِّيَك أَنا وجواري، وابعثْ إليَّ من أَحببت من إخوانك، فأمرتُ بدوابي فرُدّت وجلسنا نتحدث، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، ومن كان يُغنّينا، وأَي شيء استحسنا منَ الغناء، فأَخبرتها أن صوت الخليفة كان لحناً صنعه بنان منَ الماخوري، فقالت: وما هو: فأخبرتها أنه:

صوت

تَجافى ثم تنطبقُ ... جفونٌ حَشوُها الأَرَقُ
وذي كلف بكى جزَعاً ... وسَفرُ القومِ مُنطلِقُ
به قلَقٌ يُململُه ... وكان وما به قلقُ
جوانحه على خطرٍ ... بنارِ الشوقِ تحترقُ

[مجزوء الوافر]

(١) تطفر عليه: تعليه برشاقة.

فوجّهت رسولاً إلى بنان، فحضر من وقته وقد بلته السماء، فأَمرت بخِلع فاخرة فخُلعت عليه، وقدِّم له طعام فأَكل، وجلس يشرب معنا، وسألته عنِ الصوت فغناها إياه، فأَخذت دواة ورقعة وكتبت فيها:

أَجـاب الـوابـلُ الـغَـدِق[1] وصـاح الـنـرجـس الـغَـرقُ
وقـد غـنَّـى بـنـانُ لـنـا: جـفـونٌ حَـشـوهـا الأَرَقُ
فـهـاتِ الـكـأْس مـتـرعـةً كـأَنّ حَـبـابـهـا حَـدَقُ

[مجزوء الوافر]

قال علي بن يحيى: فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات.

وحدثني محمد بن خلف بن المرزبان، عن عبد اللَّه بن محمد المروزيّ، قال:

قال لي الفضل بن العباس بن المأْمون: زارتني عَريب يوماً، ومعَها عدة من جواريها، فوافتنا، ونحن على شرابنا، فتحادثنا ساعة، وسألتها أن تُقيمَ عندي، فأَبت، وقالت: قد دعاني جماعة من إِخواني من أَهل الأَدب والظرف، وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد، فيهم إبراهيم بن المدبر، وسعيد بن حُميد، ويحيى بن عيسى بن منارةَ، وقد عزمتُ على المصير إِليهم. فحلفت عليها فأَقامت عندَنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت:

بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم، وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أَحرف متفرقة، ولم تزد عليها وهي:

أَردتُ ولولا ولعلّي

ووجهت به إِليهم، فلما وصلتِ الرقعة عَيُوا بجوابها فأَخذ إبراهيمُ بن المدبر الرقعة فكتب تحت أَردت: ليت، وتحت لولا: ماذا، وتحت لعلي: أَرجو. ووجهوا بالرقعة، فصفقت ونعرت[2] وشربت رطلاً، وقالت: أَنا أَترك هؤلاءِ وأَقعد عندكم؟ إِذاً تركني اللَّه من يديه، ولكني أُخلِّف عندكم من جواري من يكفيكم، وأَقوم إِليهم، ففعلت ذلك، وخلفت عندنا بعض جواريها، وأَخذت معَها بعضهن، وانصرفت.

أَخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني سعيد بن عثمانَ بن العلاء، قال: حدثني أبي، قال:

(١) الوابل الغدق: المطر الغزير.
(٢) نعرت: صرخت بصوت عالٍ.

عتب المأمون على عَريب، فهجرَها أَياماً، ثم اعتلّت فعادَها، فقال لها: كيف وجدتِ طعم الهجر، فقالت: يا أَميرَ المؤمنين لولا مرارةُ الهجر ما عُرفتْ حَلاوةُ الوصل، ومن ذمَّ بدء الغضب أَحْمَدَ عاقبة الرضا. قال: فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقصة ثم قال: أَتُرى هذا لو كان من كلام النَّظام أَلم يكن كثيراً؟

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثني أَبو العيناء.

قال: حدثني أَحمد بن أَبي دُواد، قال: جرى بين عَريب وبين المأمون كلام، فكلمها المأمون بشيء غضبت منه، فهجرته أَياماً، قال أَحمد بن أبي دواد: فدخلت على المأمون، فقال لي: يا أَحمد، اقضِ بيننا، فقالت عَريب: لا حاجةَ لي في قضائه ودخوله فيما بيننا، وأنشأَت تقول:

ونخلط الهجر بالوِصال، ولا يَدخل في الصلح بيننا أَحدُ

[المنسرح]

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمٰن.

قال: حدثني أَحمد بن حمدونَ عن أَبيه، قال: كنت حاضراً مجلس المأْمون ببلاد الروم بعدَ صلاة العِشاء الآخرة، في ليلة ظلماء، ذات رعود وبروق، فقال ليَ المأمون: اركبِ الساعة فرس النوبة وسِر إِلى عسكر أَبي إِسحاق ـ يعني المعتصم ـ فأَدِّ إِليه رسالتي في كيت وكيت، قال: فركبت، ولم تثبت معي شمعة، وسمعت وقع حافر دابة، فرهبت ذلك، وجعلت أَتوقَّاه[1]، حتى صكّ ركابي ركابَ تلك الدابة، وبرقت بارقة فأَضاءت وجه الراكب، فإِذا عَريب، فقلت: عَريب؟ قالت: نعم، حمدون؟ قلت: نعم. ثم قلت: من أَين في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلت: وما صنعتِ عندَه؟ قالت: يا تكش[2] عَريب تجيء في مثل هذا الوقت من عند محمد بن حامد، خارجة من مضرب الخليفة، وراجعة إِليه، تقول لها: أَي شيء عملتِ عندَه؟ صليت معَه التراويح، أَو قرأت عليه أَجزاء منَ القرآن، أو دارسته شيئاً منَ الفقه، يا أَحمقُ تحادثنا وتعاتبنا واصطلحنا، ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكنا وانصرفنا، فأَخجلتني وغاظتني، وافترقنا، ومضيت فأَدّيت الرسالة، ثم عدت إِلى المأمون، وأَخذنا في الحديث وتناشد الأَشعار، وهممت واللَّهِ أن أَحدثه حديثها، ثم هِبته، فقلت: أُقدّم قبل ذلك تعريضاً بشيء منَ الشعر، فأنشدته:

---

(١) أتوقَّاه: أتجنّبه.

(٢) التكش: من لغات العامة، يقصد بها التحقير.

ألا حـيِّ أَطـلالاً لـواسـعـةِ الـحَـبْـلِ أَلُـوفٍ تُـساوي صـالـحَ الـقـوم بـالـرَّذلِ
فـلـو أَن مـن أَمـسـى بـجـانـب تـلـعـةٍ[1] إلـى جـبـلـيْ طـيٍّ فـسـاقـطـة الـحَـبـلِ
جُـلـوسٌ إلـى أَن يـقـصـر الـظـلّ عـنـدهـا لـراحـوا وكـلُّ الـقـومِ مـنـهـا عـلـى وصـلِ
[الطويل]

فقال ليَ المأمون: اخفض صوتك لا تسمعك عَريب، فتغضب وتظن أَنا في حديثها، فأَمسكتُ عما أَردت أَن أُخبرَه به، وخار اللَّه لي في ذلك.

حدثني محمد بن أَحمدَ الحكيميّ، قال: أخبرني ميمون بن هارون قال:

قال لي ابن اليزيديّ: حدثني أَبي، قال: خرجنا معَ المأمون في خروجه إلى بلد الروم، فرأيت عَريب في هودج، فلما رأتني قالت لي: يا يزيديّ أَنشدني شعراً قُلْته حتى أَصنع فيه لحناً، فأَنشدتها:

مـاذا بـقـلـبـي مـن دوامِ الـخَـفـقِ إذا رأَيـتُ لـمـعـان الـبـرقِ
مـن قِـبَـل الأُردنّ أَو دمـشـقِ لأَنَّ مَـنْ أَهـوى بـذاك الأُفـقِ
ذاك الـذي يـمـلـك مـنـي رقِّـي ولـسـت أَبـغـى مـا حـيـيـت عِـتْـقِـي
[الرجز]

قال: فتنفّست تنفُّساً ظننت أَن ضُلُوعها قد تقصفت منه، فقلت: هذا واللَّهِ تنفّس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجزُ، أَنا أَعشق؟ واللَّه لقد نظرت نظرة مُريبة في مجلس، فادّعاها مِن أَهل المجلس عشرون رئيساً طَريفاً.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثني أحمد بن أَبي طاهر، قال: حدثني أَحمد بن حمدون، قال:

وقع بين عَريب وبين محمد بن حامد شرّ، وكان يجد بها الوجد كله، فكادا يخرجان في شرّهما إلى القطيعة، وكان في قلبها منه أَكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً، فقالت له: كيف قلبُك يا محمد؟ قال: أشقى واللَّهِ ما كان وأَقرَحهُ، فقالت له استبدِل تسلُ، فقال لها: لو كانتِ البلوى باختيار لفعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبُك. فقال: وما يكون؟ أَصبر مكرهاً، أَما سمعت قول العباس بن الأَحنف:

تـعـبٌ يـكـون مـعَ الـرجـاء لـذي الـهـوى خـيـرٌ لـه مـن راحـة فـي الـيَـاسِ

(١) التلعة: المرتفع من الأرض.

لـولا كـرامـتُـكـم لـمـا عـاتـبـتـكـم ولـكـنـتـمُ عـنـدي كـبـعـض الـنـاسِ
[الكامل]

قال: فذرفت عيناها، واعتذرت إِليه وأَعتبته[1]، واصطلحا وعادا إلى أفضل ما كانا عليه.

حدثني أَحمد بن جعفر جحظة، قال: قال لي أَبو العباس بن حمدون ـ وقد تجارينا غناء عَريب: ـ ليس غِناؤها مما يُعتدّ بكثرته، لأن سقطه كثير، وصنعتها ساذجة، فقلت له: ومن تعرف في الناس كلهم من مُغنِّي الدولة العباسية سلمت صنعتُه كلها حتى تكون مثله، ثم جعلت أَعد ما أَعرفه من جيّد صنعتها ومتقدمها، وهو يعترف بذلك، حتى عددت نحواً من مائة صوت، مثل لحنها في:

يـا عـزّ هـل لـكِ فـي شـيـخٍ فـتًـى أَبـداً؟

و:

سـيـسـلـيـك عـمـا فـات دولـةُ مـفـضـلٍ

و:

صـــاحِ قـــد لُـــمـــت ظـــالـــمـــا

و:

ضـــحـــك الـــزمـــان وأَشـــرقـــتِ

ونحو هذا، ثم قال لي: ما خلفت عَريبُ بعدَها امرأةً مثلُها في الغِناء والرواية والصنعة، فقلت له: لا ولا كثيراً منَ الرجال أَيضاً.

ولعَريب في صنعتها.

يـا عِـزَّ هـل لـك فـي شـيـخٍ فـتًـى أَبـداً؟

خبر، أَخبرني ببعضه أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثني ميمون بن هارون. وذكر ابن المعتز أَن عبد الواحد بن إبراهيمَ بن الخصيب حدثه عمن يثق به.

عن أَحمدَ بن عبد اللَّه بن إسماعيلَ المراكبيّ، قال: قالت لي عَريب: حجّ بي أَبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريقي أَطلب الأَعراب، فأَستنشدهمُ

(١) أعتبته: إعتذرت إليه واسترضته.

الأَشعار، واكتب عنهمُ النوادر، وسائر ما أَسمعه منهم، فوقف شيخ منَ الأَعراب علينا يسأل، فاستنشدته فأَنشدني:

يـا عِـزَّ هـل لـكِ فـي شـيـخ فـتًـى أَبـداً وقـد يـكـون شَـبـابٌ غـيـر فـتـيـانِ

[البسيط]

فاستحسنته، ولم أَكن سمعته قبلَ ذلك، قلت: أنشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستحسنت قوله وبَررته، وحفظت البيت، وغنيت فيه صوتاً منَ الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلما كان في ذلك اليوم عشِيًّا، قال لي: ما كان أَحسنَ ذلك البيت الذي أَنشدكِ إياه الأَعرابيّ، وقال لك: إِنه يتيم، أَنشدينيه إِن كنت حفظته، فأَنشدته إياه، وأَعلمته أَني قد غنيت فيه، ثم غنيته له، فوهب لي أَلف درهم بهذا السبب، وفرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب.

فحدثني هذا المحدث أَنه قد حضر بعدَ ذلك مجلس أَبي عيسى بن المتوكل، ومن هاهنا تتصل رواية ابن عمار عن ميمون، وقد جمعت الروايتين، إِلَّا أَن ميمون بن هارون ذكر أَنهم كانوا عندَ جعفر بن المأمون، وعندَهم أَبو عيسى، وكان عندَهم عليّ بن يحيى، وبِدعة جارية عَريب تُغنيهم، فذكر عليّ بن يحيى أَن الصنعة فيه لغير عَريب، وذكر أَنها لا تدَّعي هذا، وكابر فيه، فقام جعفر بن المأمون، فكتب إلى عَريب رقعة ونحن لا نعلم، يسألها عن أَمر الصوت، وأَن تكتب إِليه بالقصة، ففعلت وكتبت إِليه بخطها.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم:

هـنـيـئـاً لأَربـاب الـبـيـوت بـيـوتُـهـم وللـعَـزَب الـمـسـكـيـن مـا يـتـلـمَّـسُ

[الطويل]

أَنا المسكينة، وحيدة فريدة، بغير مؤنس وأَنتم فيما أَنتم فيه، وقد أَخذتم أنسي ومن كان يلهيني ـ تعني جاريتها بِدعة وتُحفة ـ فأَنتم في القَصْف[1] والعزف، وأَنا في خلاف ذلك، هناكمُ اللَّه وأَمراكم[2]. وسأَلتَ ـ مدَّ اللَّه في عمرك ـ عما اعترض فيه فلان، والقصةُ في هذا الصوت كذا وكذا. وقصت قصتها معَ الأَعرابي كما حدّثت به. ولم تخرم حرفاً منها. فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون، فقرأه وضحك، ثم رمى

(١) القصف: اللهو وما يستتبعه من غناء وشرب.

(٢) أمراكم: جعل حياتكم هنيئة سعيدة.

به إلى أَبي عيسى ورمى به أَبو عيسى إِليَّ وقال: اقرأه، وكان عليُّ بن يحيى جالساً إِلى جنبي، فأَراد أَن يستلبَ الرقعة فمنعته، وقمت ناحية فقرأتها، فأَنكر ذلك، وقال: ما هذا؟ فورَينا الأَمر عنه لئلا تقعَ عَربدة، وكان عفا اللَّه عنا وعنه مُبغضاً لها.

قال ابن المعتز: وحدثني أَبو الخطاب العباس بن أَحمدَ بن الفرات قال: حدثني أَبي، قال:

كنا يوماً عندَ جعفر بن المأمون نشرب، وعَريب حاضرة، إذ غنى بعض من كان هناك:

يا بدرُ إِنك قد كُسيتَ مُشابهاً ... من وجه ذاك المستنيرِ اللائحِ
وأَراك تمصَح[1] بالمحاق[2]، وحُسنُها ... باقٍ على الأَيام ليس ببارحِ

[الكامل]

فضحكت عَريب وصفقت، وقالت: ما على وجه الأَرض أَحد يعرف خبر هذا الصوت غيري، فلم يُقدِم أَحد منا على مسألتها عنه غيري فسألتها، فقالت: أنا أُخبركم بقصته، ولولا أَن صاحب القصة قد مات لما أَخبرتكم: إن أبا محلم قدم بغدادَ، فنزل بقرب دار صالح المسكين، في خان هناك، فاطّلعت أُم محمد ابنة صالح يوماً، فرأته يبول، فأَعجبها متاعه، وأَحبت مواصلته، فجعلت لذلك عِلة بأَن وجهت إِليه تقترض منه مالاً، وتُعلمه أَنها في ضيقة وأَنها تردّه إِليه بعدَ جُمعة فبعث إِليها عشرة آلاف درهم، وحلف أَنه لو ملك غيرَها لبعث به، فاستحسنت ذلك وواصلته، وجعلت القرض سبباً للوُصلة، وكانت تُدخله إِليها ليلاً، وكنت أنا أُغني لهم، فشربنا ليلة في القمر، وجعل أَبو محلم ينظر إِليه، ثم دعا بدواة ورقعة، وكتب فيها قوله:

يا بدرُ إِنك قد كُسيتَ مشابهاً ... من وجه أُمّ محمدِ ابنة صالحِ

[الكامل]

والبيتَ الآخر، وقال لي: غني فيه، ففعلت، واستحسناه وشربنا عليه، فقالت لي أُم محمد في آخر المجلس: يا أُختي قد غنيتِ في هذا الشعر، إلا أَنه سيبقى عليّ فضيحةً آخرَ الدهر، فقال أَبو محلم: فأنا أُغَيّره، فجعل مكان أُم محمد ابنة صالح: ذاك المستنير اللائح، وغنيته كما غيره، وأَخذه الناس عني، ولو كانت أُم محمد حيَّة لما أخبرتكم بالخبر.

(١) تمصح: تُزيل وتذهب.
(٢) المحاق: آخر الشهر القمري، وقيل آخر الليالي الثلاث منه.

فأَما نسبة هذا الصوت

فإن الشعر لأَبي محلم النسَّابة، والغناء لعَريب ثقيل أَول مطلق في مجرى الوسطي من رواية الهشاميّ وغيره، وأَبو محلم اسمه عوف بن محلم.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: كتبت عَريب إلى محمد بن حامد ـ الذي كانت تهواه ـ تستزيره، فكتب إِليها إِني أَخاف على نفسي، فكتبت إِليه:

صوت

إذا كـنـت تـحـذر مـا تـحـذرُ وتـزعـم أَنـك لا تَـجـسُـرُ
فـمـا لـي أُقـيـم عـلـى صـبـوتـي ويـومُ لـقـائـك لا يُـقـدَرُ

[المتقارب]

فصار إِليها من وقته.

لعَريب في هذين البيتين وبيتين آخرينِ بعدهما لم يذكرا في الخبر رمل، ولشَاريةَ خفيف رمل، جميعاً من رواية ابن المعتز، والبيتانِ الآخران:

تـبَـيّـنْـتَ عُـذري ومـا تـعـذِرُ وأَبـلـيـتَ جـسـمـي ومـا تـشـعُـرُ
أَلِـفـتَ الـسـرور وخـلَّـيـتـنـي ودمـعـي مـنَ الـعـيـن مـا يَـفـتـرُ

[المتقارب]

وذكر ميمون في هذا الخبر: أَن محمد بن حامد كتب إِليها يُعاتبها في شيء كرهه، فكتبت إِليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إِليه بهذينِ البيتينِ الآخرين اللّذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

أَحـبـبـت مـن شـعـر بـشَّـار لـحـبـكـم بـيـتـاً كـلِـفـتُ بـه مـن شـعـر بـشَّـارِ
يـا رحـمـةَ الـلَّـه حُـلِّـي فـي مـنـازلـنـا وجـاوِريـنـا فـدتـكِ الـنـفـسُ مـن جـارِ
إذا ابـتـهـلـتُ سـأَلـت الـلَّـهَ رحـمـتـه كـنـيـت عـنـك ومـا يَـعـدُوكِ إضـمـاري

[البسيط]

الشعر لأَبي نُواس منه البيت الأول، والثاني لبشار ضمنه أَبو نواس، والغناء لعَريب ثقيل أَول بالبنصر، ولعمرو بن بانةَ في الثاني والثالث رمل.

وهذا الشعر يقوله أبو نُواس في رَحمةَ بنِ نجاح عمّ نجاح بن سلمةَ الكاتب.

أَخبرني بخبره عليّ بن سُليمانَ الأَخفش، قال حدثني محمد بن يزيدَ النحويّ قال:

كان بشارٌ يُشبِّب بامرأَة يُقال لها رحمة، وكان أَبو نواس يتعشّق غُلاماً اسمه رحمة بن نجاح عم نجاح بن سلمةَ الكاتب، وكان متقدماً في جماله، وكان أَبوه قد أَلزمه أَخاه رجلاً مدينياً فكان معَهم كأحدهم، وأَكثر أَبو نَواس التشبيب برحمة، في إقامته ببغدادَ وشخوصه عنها، وكان بشار قد قال في رحمةَ المرأة التي يهواها:

يا رحمةَ اللَّه حُلّي في منازلنا ... حسبي برائحة الفردوس من فيكِ
يا أَطيب الناس ريقاً غير مُختبرٍ ... إلَّا شهادةَ أَطرافِ المساويكِ
[البسيط]

فقال أَبو نُواس وضمن بيت بشار:

أَحببت من شعر بشارٍ لحبكم ... بيتاً كَلِفتُ به من شعر بشّار
[البسيط]

الأَبيات الثلاثة، وقال فيه:

يا من تأَهَّب مُزمعاً لرواحِ ... متيمِّماً بغدادَ غيرَ مُلاحي[1]
في بطنِ جارية كَفتك بسَيرها ... رَملاً وكلّ سِباحة السُّبّاحِ
بُنيت على قدَرٍ ولاءَم بينها ... صِنفان من قارٍ ومن أَلواحِ
وكأنها والماءُ يَنضح صدرَها ... والخيزُرانة في يدِ المَلَّاحَ
جُونٌ منَ الغِربان يبتدرُ الدُّجى ... يَهوِي بصوتٍ واصطفاقِ جناحِ
سلِّم على شاطي الصراة وأَهلها ... وأَخصُص هناك مدينة الوَضّاحِ
واقصدْ هُديتَ ولا تكن مُتحيِّراً ... في مقصدٍ عن ظَبي آلِ نجاحِ
عن رحمةِ الرحمن واسأل من ترى ... سِيماه سِيما شاربٍ للراحِ[2]
فإِذا دفعت إلى أَغنَّ وأَلثخ ... ومُنعَّم ومُكحَّل ورَداحِ[3]
وكشمسِنا وكبدرِنا حاشى التي ... سمَّيْتُها منه بنَور أَقاحي

(١) الملاحي: المنازع.
(٢) الراح: من أسماء الخمرة.
(٣) الرداح من النساء: العظيمة الرّدفين.

واقـصـد لـوقـت لـقـائـه فـي خَـلـوةٍ لِـتـبـوح عـنـي ثـمَّ كـلَّ مُـبـاحِ
وأَخبـر بـمـا أَحـببـت عـن حـالـي الـتـي مـمـسـاي فـيـهـا واحـدٌ وصـبـاحـي
[الكامل]

قال: فافتدى أَبو رحمة من أبي نُواس ذكر ابنه بأَن عقد بينه وبينه حُرمة، ودعاه إِلى منزله، فجاءه أَبو نُواس، والمدينيّ لا يعرفه، فمازحه مُزاحاً أَسرف عليه فيه، فقام إِليه رحمة فعرّفه أَنه أَبو نواس، فأَشفق المدينيّ من ذلك، وخاف أَن يهجوه، ويُشهر اسمه فسأل رحمة أَن يكلمه في الصفح له، والإِغضاء عنِ الانتقام، فأَجابه أَبو نُواس، وقال:

إذهـبْ سـلـمـت مـنَ الـهـجـاء وَلـذعِـهِ وأَمـا ولـثـغـةِ رحـمـةَ بـنِ نـجـاحِ
لـولا فـتـورٌ فـي كـلامـك يُـشـتَـهـى وتـرفـقـي لـك بـعـدُ واسـتـمـلاحـي
وتـكـسُّـرٌ فـي مُـقـلـتـيـك هـو الـذي عـطـفَ الـفـؤادَ عـلـيـك بـعـد جِـمـاحِ
لـعـلـمـتَ أَنـك لا تُـمـازح شـاعـراً فـي سـاعـة لـيـسـت بـحـيـنِ مُـزاحِ
[الكامل]

صوت

أَأَبـكـاك بـالـعُـرُف الـمـنـزلُ ومـا أَنـت والـطَّـلـلُ الـمـحـولُ
ومـا أَنـت وَيْـكَ ورسـمُ الـديـار وسِـنُّـك قـد قـارَبـت تـكـمُـلُ
[المتقارب]

عروضه منَ المتقارب، والشعر للكُميت بن زيد الأَسديّ، والغناء لمعْقِل بن عيسى أَخي أَبي دُلف العجليّ ولحنه منَ الثقيل الأَوَّل بالبنصر، وهذا البيتان من قصيدة مدح الكُميتُ بهما عبد الرحمن بن عنبسةَ بن سعيد بن العاص بن أُميّة.

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثنا أَبو مسلم علي بن مسلم عن محمد بن عبد الأَعلى بن كناسةَ، قال:

كان بين بني أَسد وبين طيء بالحُص ـ وهي قريبة من قادسية الكوفة ـ حرب، فاصطلحوا وبقى لطيءٍ دماء رجلين، فاحتمل ذلك رجلٌ من بني أَسد، فمات قبل أَن يؤديَه، فاحتمله الكُميت بن زيد، فأَعانه فيه عبد الرحمٰن بن عبسةَ، فمدحه بقوله:

أَأَبـكـاك بـالـعُـرفِ الـمـنـزلُ ومـا أَنـت والـطـلـلُ الـمـحـولُ
[المتقارب]

فأَعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ، فمدحه بقصيدته التي أَولها:

رأَيــت الــغــوانــيَ وَحــشــاً نــفُــورا

وأَعانه زياد بن المغفل الأَسديّ، فمدحه بقصيدته التي أَولها:

هل للشباب الذي قد فات من طلبِ؟!

ثم جلس الكُميت وقد خرج العطاء، فأَقبل الرجل يُعطي الكُميت المائتين، والثلاث المائة، وأَكثر وأَقلّ، قال: وكانت دِية الأَعرابيّ حينئذٍ أَلف بعير، ودية الحضريّ عشرة آلاف درهم، وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم، فأَدّى الكميت عِشرين أَلفاً عن قيمة أَلفي بعير.

نسبة ما في أَشعار الكُميت هذه من الأَغاني

صوت

منها:

هل للشباب الذي قد فات من طلبِ أَم ليس غابرُهُ الماضي بمنقَلبِ؟!
دعِ البُكاءَ على ما فات مطلبُه فالدهرُ يأْتي بأَلوانٍ منَ العَجَبِ

[البسيط]

غناه إِبراهيم الموصليُّ خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إِسحاق.

ذكر معقل بن عيسى

كان معقل بن عيسى فارساً شاعراً جواداً، مغنياً فهماً بالنغم والوتر، وذكره الجاحظ معَ ذكر أَخيه أَبي دُلف وتقريظه في المعرفة بالنغم، وقال: إنه من أَحسن أَهل زمانه وأَجود طبقته صفة أن سلم ذلك له أَخوه معقل، وإِنما أَخملَ ذكرَه ارتفاعُ شأْن أَخيه، وهو القائل لأَخيه أَبي دُلف في عتب عتبه عليه:

أُخيَّ مالك ترميني فتُقصدني ... وإِن رميتُك سهماً لم يجُز كبدي
أُخيَّ مالك مجبولاً على ترتي[1] ... كأَن أَجسادنا لم تغْدُ من جسدِ

[البسيط]

وهو القائل لمخارق ـ وقد كان زار أَبا دُلف إِلى الجبل، ثم رجع إِلى العراقِ، أَخبرني بذلك عليّ بنُ سليمانَ الأخفش عن أبي سعيد السكريّ:

صوت

لعمري لئن قرَّت بقُربك أَعينٌ ... لقد سخنت بالبَين منك عُيونُ
فسِرْ أَو أَقمْ، وقفٌ عليك مودتي ... مكانك من قلبي عليك مصونُ
فما أَقبحَ الدنيا إِذا كنتَ نازحاً[2] ... وما أحسنَ الدنيا بحيثُ تكونُ

[الطويل]

عروضه منَ الطويل، والشعر لمعقل بن عيسى، والغِناء لمخارق، ولحنه منَ الثقيل الأَول بالوسطى، وفيه لحن لمعقل بن عيسى، خفيف رمل، وفيه ثاني ثقيل يُقال: إِنه لمخارق، ويقال: إِنه لمعقل.

ومن شعر معقل قوله يمدح المعتصم، وفيه غِناء للزبير بن دَحْمانَ منَ الثقيل الأَول بالبنصر:

---

(١) الترة: الباطل.
(٢) نازحاً: مرتحلاً.

صوت

ألـدارُ هـاجـك رسـمُـهـا وطـلـولُـهـا أم بـيـن سُـعـدى يـومَ جـدَّ رحـيـلُـهـا
كـلُّ شـجـاك فـقـل لـعـيـنـك أَعـولِـي[1] إن كـان يُـغـنـي فـي الـديـار عـويـلُـهـا
ومـحـمـدٌ زيـنُ الـخـلائـفِ والـذي سَـنَّ الـمـكـارم فـاسـتـبـان سـبـيـلُـهـا

[الكامل]

صوت

أَلـيـس إِلـى أَجـبـال شـمْـخ إلـى الـلِّـوى لـوى الـرمـل يـومـاً لـلـنـفـوس مـعَـادُ
بـلادٌ بـهـا كـنـا، وكـنـا مِـنَ ٱهـلـهـا إذِ الـنـاسُ نـاسٌ والـبـلادُ بـلادُ

[الطويل]

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، والغِناء لابن محرز، ولحنه منَ الثقيل الأَول بالبنصر عنِ ابن المكيّ، وقيل: إنه من منحوله إليه.

أَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا يحيى بن سلمةَ بن أَبي الأَشهب التميميّ عنِ الهيثم بن عديّ، قال: أَخبرني حماد الراوية، قال:

حدثني ابن أُختٍ لنا من مراد، قال: وليت صدقاتِ قوم منَ العرب، فبينا أَنا أَقسمها في أَهلها إِذ قال لي رجل منهم: أَلا أُريك عجباً؟ قلتُ: بلى، فأَدخلني في شِعب من جبل فإِذا أنا بسهم من سهام عاد، فتى، قد نشِب في ذِروة الشعب، وإِذا على الجبل تجاهي مكتوب:

أَلا هـل إِلـى أبـيـات شـمـخ إِلـى الـلـوى لـوى الـرمـل يـومـاً لـلـنـفـوس مـعـادُ
بـلادٌ بـهـا كـنـا وكـنـا مِـنَ ٱهـلـهـا إذِ الـنـاس نـاسُ والـبـلاد بـلادُ

[الطويل]

ثم أَخرجني إلى ساحل البحر، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً، ويظهر تارة، وإذا عليه مكتوب: يا ابن آدمَ يا عبدَ ربه، اتقِ اللَّه، ولا تعجلْ في أَمرك، فإِنك لن تسبق رزقَك، ولن تُرزق ما ليس لك، ومنَ البصرة إِلى الديل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريق على الساحل حتى يتحقَّقه، فإِن لم يقدر على ذلك فلينطح برأسه هذا الحجر.

(١) أعولي: أبكي وأذر في الدمع.

صوت

يـا بـيـتَ عـاتـكـةَ الـذي أتـعـزَّلُ حـذرَ الـعِـدا وبـه الـفـؤاد مـوكَّـلُ
إنـي لأَمـنـحـك الـصـدودَ وإِنـنـي قـسَـمـاً إِلـيـك مـعَ الـصـدود لأَمـيـلُ

[الكامل]

أَتعزّله: أَتجنبه، وأَكون بمعزل عنه. العِدا: جمع عدو، ويُقال عُدا بالضم، وعِداً بالكسر، وأمنحك: أُعطيك، والمنيحة: العطية. وفي الحديث، أن رجلاً منحَ بعضَ ولده شيئاً من ماله، فقال له النبي ﷺ: «**أكلَّ ولدك منحتَ مثلَ هذا؟**» قال: لا، قال: «**فارجعه**».

الشعر للأَحوص بن محمد الأَنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن العزيز، والغِناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إِسحاقَ ويونسَ وغيرِهما، وفيه لابن سُريج خفيف ثقيل الأَول بالبنصر عنِ الهِشاميّ وابن المكيّ وعلي بن يحيى.

الأَحوص وبعض أَخباره

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ. وأَخبرنا به الحسين بن يحيى عن حماد، عن أَبيه، عن مصعب الزبيريّ، عنِ المؤمليّ عمرَ بنِ أَبي بكر، قال:

حدثني عبد اللَّه بن أَبي عُبيدةَ بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: خرجت أَنا والأحوص بن محمد معَ عبد اللَّه بن الحسين إِلى الحج، فلما كنا بقُدَيد قلنا لعبد اللَّه بن الحسن: لو أَرسلت إِلى سُليمانَ بن أَبي دُباكل فأَنشدنا شيئاً من شعره، فأَرسل إِليه فأَتانا، فاستنشدناه فأَنشدنا قصيدته التي يقول فيها:

يا بيتَ خنساءَ الذي أَتجنَّبُ ... ذهب الشباب وحبُّها لا يذهبُ
إني لأَمْنَحُك الصدودَ وإِنني ... قسماً إِليك معَ الصدودِ لاجنْبُ
ما لي أحنُّ إِلى جمالك قُرْبةً ... وأَصدُّ عنك، وأَنت مني أَقربُ
للَّه درُّك هل لديك مُعوَّلٌ ... لمتيم أَم هل لودّك مطلبُ
فلقد رأَيتك قبل ذاك وإِنني ... لموكَّل بهواك أَو متقرّبُ
إِذ نحن في الزمن الرخيّ وأَنتمُ ... متجاورون كلامَكم لا يُرْقبُ
تبكي الحمامةُ شجوها[1] فتُهيجني ... ويروح عازبُ[2] همِّيَ المتأوِّبُ
وتهبُّ جاريةُ الرياح مِنَ ارضكم ... فأَرى البلاد لها تُطلُّ وتُخصِبُ
وأَرى التميَّة باسمكم فيزيدُني ... شوقاً إِليك رجاؤك المتنسبُ
وأَرى العدوَّ يودّكم فأَودّه ... إِنْ كان يُنسب منك أَو لا يُنسبُ
وأُحالف الواشينَ فِيك تجمُّلاً ... وهم عليَّ ذوو ضَغائنَ دُؤَّبُ
ثم اتخذتهمُ عليَّ وليجةً[3] ... حتى غضبت ومثلُ ذلك يُغضِبُ

[الكامل]

(١) الشجو: الحزن.
(٢) عازب: زائل.
(٣) الوليجة: الحُجّة.

قال: فلما كان من قابل حجّ أَبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأَحوص، واستصحبه فأَصحبه، فلما خرج الأَحوص قال له بعض من عندَه: ماذا تُريد بنفسك؟ تقدم بالأَحوص الشام، وبها من يُنافسك من بني أَبيك، وهو منَ الأَفن[١] والسّفه على ما قد علمت فيعيبونك به. فلما رجع أَبو بكر منَ الحج دخل عليه الأَحوص متنجزاً لما وعدَه منَ الصحابة فدعا له بمائة دينار وأَثواب وقال: يا خَال، إِني نظرت فيما سأَلتني منَ الصحابة فكرهت أَن أَهجم بك على أَمير المؤمنين من غير إذنه فيجبهك[٢] فيشمت بي عدوّي من أَهل بيتي، ولكن خُذ هذه الثياب والدنانير، وأَنا مستأذن لك أَمير المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إِليك فقدمتَ عليّ، فقال له الأَحوص: لا ولكني قد شُيعت عندَك[٣]، ولا حاجةَ لي بعطيّتك. ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فأَرسل إِلى الأَحوص وهو يومَئذٍ أَمير المدينة، فلما دخل عليه أَعطاه مائة دينار، وكساه ثياباً، فأَخذ ذلك، ثم قال له: يا أَخي هَبْ لي عِرض أَبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأَحوص، فقال في عروض قصيدة سليمانَ بنِ أبي دُباكل قصيدة مدح بها عمرَ بن عبد العزيز. وقال حماد: قال أَبي: سرق أَبيات سُليمانَ بأَعيانها فأَدخلها في شعره، وغيّر قوافيها فقط فقال:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّلُ ... حذَر العِدى وبه الفؤادُ موكَّلُ
أَصبحتُ أَمنحك الصدودَ وإِنني ... قسماً إِليك معَ الصدود لأَميلُ
فصددتُ عنك وما صددت لبغضة ... أَخشى مقالة كاشحٍ[٤] لا يعْقلُ
هل عيشُنا بك في زمانك راجع؟! ... فلقد تقاعس[٥] بعدَك المتعللُ
إِني إذا قلت: استقام يحُطُّه ... خلفٌ كما نظر الخلاف الأَقبلُ[٦]
لو بالذي عالجْت لِينَ فؤاده ... فأَبى ليلين به للانَ الجندلُ[٧]
وتجنُّبي بيتَ الحبيب أَودّه ... أُرضي البغيض به، حديثٌ معضلُ
ولئن صددتُ لأَنتِ لولا رقبتي ... أَهوى منَ اللائي أَزور وأَدخلُ
إنَّ الشَّباب وعيشنا اللَّذَّ الذي ... كُنَّا به زَمناً نُسَرُّ ونُجْذَلُ

(١) الأفن: ضعف الرأي والحجة.
(٢) يجبهك: يُواجهك ويردّك خائباً خاسراً.
(٣) شُيعت عندك: وُجهت إِليك.
(٤) الكاشح: المبغض، الحاقد.
(٥) تقاعس: تقهقر وتراجع.
(٦) الأقبل من الرجال: من كانت إحدى عينيه أكثر إقبالاً من أختها.
(٧) الجندل: الصخرة العظيمة.

ذهبت بشاشته وأَصبح ذِكره ... حُزناً يعلّ به الفؤاد وينهلُ
إلا تذكّرَ ما مضى وصبابةً ... مُنيتْ لقلبٍ متيّمٍ لا يذهلُ[١]
أَودى الشبابُ وأَخلقت لذّاته ... وأَنا الحزين على الشباب المُعولُ
يبكي لما قَلَب الزمان جديدَه ... خَلقاً وليس على الزمان معوَّلُ
والرأس شامِلهُ البياضُ كأَنه ... بعد السواد به الثَّغامُ[٢] المحْولُ
وسفيهةٍ هبّت عليّ بسُحْرةٍ ... جهلاً تلوم على الثَّواء[٣] وتعذِلُ[٤]
فأَجبتها أَن قلتُ: لستِ مُطاعةً ... فذَري تنصُّحك الذي لا يُقبلُ
إِني كَفاني أَن أُعَالج رِحلة ... عُمَرٌ ونبوة من يضنُّ[٥] ويبخلُ
بنوالِ ذي فجر تكون سِجاله[٦] ... عَمَماً إذا نزل الزمانُ الممحلُ[٧]
ماضٍ على حدث الأُمور كأَنه ... ذو رَونق عَضب جلاه الصّيقلُ
تُبدي الرجال إذا بَدا إعظامَهُ ... حذر البُغاث هَوى لهنَّ الأَجدلُ[٨]
فيرونَ أَنَّ له عليهم سَورةً[٩] ... وفضيلةً سبقت له لا تُجْهَلُ
مُتحمِّل ثقلَ الأُمور حوى له ... سبقَ المكارم سابقٌ مُتمهِّلُ
وله إذا نُسبت قريشٌ منهم ... مجدُ الأَرومةِ[١٠] والفعَال الأَفضلُ
وله بمكةَ إذ أُميَّةُ أَهلُها ... إرثٌ إذا عُدَّ القديمٌ مؤثَّلُ
أَعيت قرائنَه وكان لزومه ... أَثراً أَبانَ وشادَه من يعقلُ
وسموْتُ عن أَخلاقهم فتركتهم ... لِنداك[١١] إن الحازم المتحوِّلُ
ولقد بدأْتُ أُريد وُدَّ معاشرٍ ... وَعدُوا مَواعدَ أُخلفت إذْ حَصَّلوا
حتى إِذا رجع اليقينُ مطامعي ... يأْساً وأَخلفني الذين أُؤمِّلُ
زايلتُ ما صنعوا إِليك برحلةٍ ... عَجْلى وعندَك عنهمُ مُتحوَّلُ

(١) يذهل: يدهش، يحتار.
(٢) السِّغام من الشجر: ما كان زهره أبيض.
(٣) الثواء: البقاء حيث يُوجد.
(٤) تعذل: تلوم.
(٥) يضنّ: يبخل.
(٦) سِجاله: انصبابه، انهماره.
(٧) الممحل: المجدب، القاحل.
(٨) الأجدل من الرجال: القوي من صلْب عظمه.
(٩) السورة: نباهة الذكر والصيت الحسن.
(١٠) الأرومة: الأصل.
(١١) الندى: الجود، الكرم.

ووعـدتـني فـي حـاجـتـي فـصـدقـتـني ... ووفـيـتَ إذ كـذبـوا الـحـديـثَ وبَـدَّلُـوا
وشـكـوتُ غُـرمـاً فـادِحـاً فـحـمـلـتـه ... عـنـي وأنـت لـمـثـلـه مُـتـحـمِّـلُ
فـلأشـكُـرنّ لـك الـذي أَوْلـيـتـنـي ... شـكـراً تُـحـلُّ بـه الـمَـطِـيّ وتُـرحَـلُ
مِـدَحـاً تـكـون لـكـم غـرائـبُ شـعـرهـا ... مـبـذولـة ولـغـيـركـم لا تـبـذلُ
فـإذا تـنـحّـلـتُ الـقـريـضَ فـإنـه ... لـكـمُ يـكـون خِـيـارَ مـا أَتـنـحَّـلُ
ولـعـمـرُ مـن حـجَّ الـحـجـيـجُ لـبـيـتـه ... تـهْـوى بـه قُـلُـصُ[1] الـمـطِـيّ الـذُّمَّـل[2]
إن امـرأ قـد نـال مـنـك قـرابـةً ... يـبـغـي مـنـافـع غـيـرهـا لـمُـضـلَّـلُ
تـعـفـو إذا جَـهِـلـوا بـحـلـمِـك عـنـهـم ... وتُـنـيـل أَن طـلـبـوا الـنَّـوال فـتُـجْـزِلُ
وتـكـون مـعـقـلـهـم إذا لـم يُـنـجـهـم ... مـن شَـرّ مـا يـخـشـون إلَّا الـمـعـقـلُ
حـتـى كـأَنـك يُـتَّـقـى بـك دونـهـم ... مـن أُسْـدِ بـيـشَـة[3] خـادِرٌ مـتـبـسِّـلُ[4]
وأراك تـفـعـل مـا تـقـول، وبـعـضُـهـم ... مَـذِقٌ[5] الـحـديـث يـقـول مـا لا يـفـعـلُ
وأَرى الـمـديـنـة حـيـن صـرتَ أمـيـرهـا ... أمِـنَ الـبـريءُ بـهـا ونـام الأَعـزلُ

[الكامل]

فقال له عمر: ما أَعفيتي مما استعفيت منه، قال: لأَنه مدح عمر وعرّض بأَخيه أَبي بكر.

نسبة ما مضى في هذه الأَخبار منَ الأَغاني

صوت

مـا لـي أَحـنّ إذا جِـمـالُـكِ قـرُبَـة ... وأَصـدّ عـنـك وأَنـت مـنـيَ أَقـربُ
وأَرى الـبـلاد إذا حـلـلْـتِ بـغـيـرهـا ... وَحْـشـاً[6] وإنْ كـانـت تُـظـلُّ وتُـخـصِـبُ
يـا بـيـت خـنـسـاءَ الـذي أَتـجـنَّـبُ ... ذهـب الـشـبـاب وحـبُّـهـا لا يـذهـبُ

(١) قُلُص، بالضمّ، من الإبل، والواحدة قلوص: القوية الشابة.
(٢) الذمل من الإبل: التي تسير سيراً ليّناً سهلاً.
(٣) بيشة: موضع في بلاد الشام اشتهر بضراوة أسوده.
(٤) المِتبسّل: المقطّب شجاعة وغضباً.
(٥) المَذِق من الرجال: من يقول ولا ينفّذ ما يقول أو الملول الذي يكون حديثه غير خالص.
(٦) وحشاً: مرعبة أو موحشة.

تبكي الحمامةُ شَجوها فتُهيجني ويروح عازبُ[١] همِّيَ المتأوِّبُ[٢]
[الكامل]

الشعر لسليمانَ بن أَبي دُباكل، والغِناء لمعبد خفيف ثقيل أَول بالبنصر عن عمرو، وقال ابن المكيّ: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، وأوله:

تبكي الحمامةُ شجوَها فتُهيجني

أَخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد: قرأت على أَبي: وقال محمد بن كناسةَ: حدثني أَبو ركين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: رأيت عاتكةَ التي يقول فيها الأَحوص:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّلُ

وهي عجوز كبيرة، وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نِيلَجٍ[٣] تتملَّح[٤] به.

أَخبرني الحرميُّ بن أَبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن محمد العمريّ، قال:

عاتكةُ التي يشبب بها الأَحوص عاتكةُ بنت عبد اللَّه بن يزيدَ بن معاوية:

أَخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني إسحاقُ بن عبد الملك:

أَن الأَحوص كان ليِّناً، وأن عاتكةَ التي يُنسب بها ليست عاتكة بنت عبد اللَّه بن يزيدَ بن معاوية، وإنما هو رجل كان ينزل قرىً كانت بين الأَشراف كنَّى عنه بعاتكة.

أَخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني يعقوبُ بن حكيم، قال:

كان الأَحوص ليناً وكان يلزم نازلاً بالأَشراف، فنهاه أَخوه عن ذلك، فتركه فرقاً[٥] من أَخيه، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأَشراف ويقول:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّلُ حذر العِدا وبه الفؤاد موكَّلُ
[الكامل]

يُكنّي عنه بعاتكةَ، ولا يقدر أَن يدخل عليه.

(١) العازب: البعيد.
(٢) المتأوّب: العائد.
(٣) النيلج: دخان الشحم يستعمل لمعالجة الوشم في الوجوه لإزالته.
(٤) تتملح به: تتجمّل بنتائج استعمال النيلج كدواء.
(٥) فرقاً: خوفاً.

خبره معَ الفرزدق وكثير:

أَخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن إِسماعيلَ بن جعفر بن إبراهيمَ، قال: حدثني عبد العزيز بن عِمرانَ، قال:

قدم الفرزدق المدينة، فقال لكُثَيّر: هل لك بنا في الأَحوص نأْتيه ونتحدث عندَه؟ فقال له: وما نصنع به؟ إذاً واللَّهِ نجدُ عنده عبداً حالكاً أَسود حلوكاً يُؤْثره علينا ويبيت مضاجعَه ليله حتى يُصبح، قال الفرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض، قال: فانهضْ بنا إِليه إذاً لا أَبا لغيرك، قال الفرزدق: فأَردفت كثيراً ورائي على بغلتي، وقلت: تلفف يا أَبا صخر فمثلُك لا يكون رديفاً. فخمَّر رأْسه وأَلصق فيّ وجهه، فجعلت لا أَجوز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءك يا أَبا فِراس، فأَقول: جارية وهبها ليَ الأَمير. فلما أكثرت عليه من ذلك واجتاز على بني زُريق، وكان يُبغضهم، فقلت لهم ما كنت أَقول قبل ذلك، كشف عن رأسه وأَومض[١] وقال: كذب، ولكني كرهت أَن أَكونَ له ردِيفاً، فركبت ورَاءه، ولم تكن لي دابة أَركبها إِلَّا دابته، فقالوا: لا تعجلْ يا أَبا صخر هاهنا دوابُّ كثيرة تركب منها ما أَردت، فقال: دوابكم واللَّهِ أَبغض إليَّ من رِدْفه. فسكتوا عنه. وجعل يتغشمر[٢] حتى جاوز أَبصارهم، فقلت: واللَّهِ ما قالوا لك بأْساً، فما الذي أَغضبك عليهم؟ فقال: واللَّهِ ما أَعلم نفراً أَشد تعصباً للقرشيين من نفرٍ اجتزت بهم، قال: فقلت له: وما أَنت لا أُمَّ لك ولقريش: قال: أَنا واللَّهِ أحدهم، قلت: إن كنتَ أَحدهم فأَنت واللَّهِ دَعيُّهم[٣]. قال: دعيُّهم خيرٌ من صحيح نسب العرب، وإِلا فأَنا واللَّه من أَكرم بيوتهم، أَنا أَحد بني الصلت بن النضر. قلت: إِنما قريش ولد فهر بن مالك، فقال: كذبت. فقلت، وقال: ما علمك يا ابن الجعراء بقريش؟ هم بنو النضر بن كِنانةَ. أَلم تر إِلى النبي ﷺ انتسب إلى النضر بن كِنانةَ ولم يكن ليجاوزَ أَفضل نسَبه، قال: فخرجنا حتى أَتينا الأَحوص، فوجدناه في مشرفةٍ[٤] له، فقلنا له: أَنرقى إِليك أَم تنزل، إِلينا؟ قال: لا أَقدر على ذلك، عندي أُمّ جعفر، ولم أرها منذ أَيام، ولي فيها شغل. فقال كُثير: أُمُّ جعفر واللَّهِ بعض عبيد الزرانيق. فقلنا له: فأَنشدنا بعض ما أَحدثت به، فأَنشدنا قوله:

يـا بـيـتَ عـاتـكـةَ الـذي أتـعـزَّلُ حـذرَ الـعِـدا وبـه الـفـؤاد مـوكَّـلُ

[الكامل]

---

(١) أومض: ألمح بإشارة خفية، بغمز أو سواه. (٢) يتغشمر: يتنمّر غضباً.

(٣) الدعيّ، من الرجال: من ينسب إلى قوم ليس منهم للمباهاة والمفاخرة.

(٤) المشرفة: الردهة العالية المطلّة على منبسط من الأرض.

حتى أَتى على آخرها. فقلت لكُثير: قاتله اللَّه ما أَشعَره، لولا ما أَفسد به نفسه. فقال: ليس هذا إفساداً، هذا خَسفٌ إلى التخوم، فقلت: صدقت، وانصرفنا من عنده، فقال: أَين تريد؟ فقلت: إن شئت فمنزلي، وأَحملك على البغلة، وأَهب لك المِطْرف[١]، وإن شِئْتَ فمنزلك ولا أَرزؤك[٢] شيئاً، فقال: بل منزلي وأَبذل لك ما قدرت عليه، فانصرفنا إلى منزله، فجعل يُحدثني ويُنشدني حتى جاءتِ الظهر، فدعا لي بعِشرين ديناراً وقال: استعن بهذه يا أَبا فِراس على مقدمك، فقلت: هذا أَشدُّ من حملان بني زُرَيق لك، قال: واللَّهِ إنك ما تأنف من أَخذ هذا من أَحد، واللَّهِ ما أَقبل من أحد غير الخليفة. قال الفرزدق: فجعلت أَقول في نفسي: تاللَّهِ إنه لمن قريش، وهممت أَن لا أَقبل منه، فدعتني وهي طمعة إلى أخذها منه فأَخذتها منه.

معنى قول كُثير للفرزدق: يا ابنَ الجعراء، يُعيِّره بدُغة، وهي أُمُّ عمرو بن تميم، وبها يُضرب المثل في الحماقة فيُقال: هي أُحمق من دُغة، وكانت حاملاً، فدخلتِ الخلاء، فولدت وهي لا تعلم ما الولد، وخرجت وسلاها[٣] بين رجليها وقدِ استهلّ ولدُها بين رجليها، فقالت: يا جارتا أَيفتحُ الجَعْرُ فاه؟ فقالت جارتها: نعم يا حمقاء ويدعو أَباه. فبنو تميم يُعيّرون بذلك، ويُقال للمنسوب منهم: يا ابنَ الجعراء.

أَخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني سُليمانُ بن داودَ الجمعيّ، قال:

اجتاز السريُّ بن عبد الرحمن بن عُتبةَ بن عويم بن ساعدةَ الأَنصاريّ بالأَحوص، وهو يُنشد قوله:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزّلُ

فقال السريّ:

يا بيتَ عاتكةَ المُنوَّه باسمه أقعدْ على من تحت سقفك واعجلِ

[الكامل]

فواثبه الأَحوص، وقال في ذلك:

فأَنت وشتمي في أَكاريس[٤] مالك وسبّي به كالكلب إذ ينبح النُّجما

(١) المِطرف، بكسر الميم: الثوب من لفقين.
(٢) أرزؤك: أكلّفك مشقّة ومالاً.
(٣) السلي: مستوعب جلدي يحتمي به الجنين في بطن أمه.
(٤) الأكاريس، الواحد كرس: الجماعة من كل شيء.

تُدعّى إلى زيد[١] وما أَنت منهمُ ... تحُقُّ أَباً إلا الولاء ولا أُمَّا
وإِنك لو عددت أَحساب مالك ... وأيامها فيها ولم تنطق الرَّجْما[٢]
أعادتك عبداً أَو تنقلت مُكدياً[٣] ... تلمّسُ في حيٍّ سوى مالكٍ جِذما[٤]
وما أَنا بالمحسوس في جذم مالك ... ولا بالمُسمَّى ثم يلتزم الإسما
ولكن أَبي لو قد سألت وجدته ... توسّط منها العِزّ والحسب الضخما

[الطويل]

فأَجابه السريّ، فقال:

سأَلْتُ جميع هذا الخلقِ طُرّاً[٥] ... متى كان الأُحَيْوِص من رجالي

[الوافر]

وهي أَبيات ليست بجيدة ولا مختارة فأَلغيت ذكرها.

بعض أَخباره:

أَخبرني محمد بن أَحمدَ بن الطلاس أبو الطيب، قال: أَخبرني أَحمد بن الحارث الخزار، عنِ المدائني. وأَخبرني به الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمّي. وقد جمعت روايتهما.

أَن المنصور أَمر الربيع لما حجَّ أَن يُسايرَه برجل يعرف المدينة وأَهلها وطرقَها ودورَها وحيطانها وكان رجل من أَهلها قدِ انقطع إِلى الربيع زماناً، وهو رجل منَ الأَنصار، فقال له: تهيأ. فإني أَظنّ جَدَّك[٦] قد تحرّك. إن أَمير المؤمنين قد أمرني أن أُسايرَه برجل يعرف المدينة وأَهلها وطرقها وحيطانها ودورها، فتحرّ موافقته، ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك، ولا تكتمه شيئاً، ولا تسأله حاجة. فغدا عليه بالرجل، وصلَّى المنصور، فقال: يا ربيعُ، الرجل. فقال: ها هوذا فسار معَه يُخبره عما سأل، حتى نَدَر[٧] من أَبيات المدينة، فأَقبل عليه المنصور، فقال: من أَنت أَولاً؟ فقال: من

(١) زيد: هو زيد بن أُمية بن مالك بن عوف.
(٢) تنطق الرجما: تنطق رجماً بالغيب دون تحقّق من صدق ما تقول.
(٣) المكدي: الفقير من يستجدي الناس ولم يحصل على مبتغاه منهم.
(٤) الجذم: الأصل.
(٥) طرّاً: جميعاً.
(٦) الجَدّ، بفتح الجيم: الحظّ.
(٧) ندر: قلّ، وخرج.

لا تبلغه معرفتُك ـ هكذا ذكر الخزار وليس في رواية الزبير ـ فقال: فما لك منَ الأَهل والولد؟ فقال: واللَّهِ ما تزوجت، ولا عِندي خادم. قال: فأَين منزلُك؟ قال: ليس لي منزل، قال: فإن أَمير المؤمنين قد أَمر لك بأربعة آلاف درهم. فرمى بنفسه فقبل رجله، فقال: اركب، فركب، فلما أَراد الانصراف، قال للربيع: يا أَبا الفضل، قد أمر لي أَمير المؤمنين بصلة، قال: إيه. قال: إن رأيت إن تنجزها لي، قال: هيهات[1]، قال: فأصنع ماذا؟ قال: لا أَدري واللَّهِ ـ وفي رواية الخزار أنه قال: ما أَمر لك بشيء، ولو أمر به لدعاني، فقال: أعطِه، أو وقّع إِليّ ـ فقال الفتى: هذا همٌ لم يكن في الحِساب، فلبث أَياماً، ثم قال المنصور للربيع: ما فعل الرجل، قال: حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، وقال له الربيع: إِنه خارج بعدَ غدٍ، فاحتلْ لنفسك، فإِنه واللَّهِ، إِن فاتك فإِنه آخر العهد به، فسارَ مَعه، فجعل لا يُمكِنه شيءٌ، حتى انتهى إِلى مسيره، ثم رجع، وهو كالمعرض عنه، فلما خاف فوتَه أَقبل عليه، فقال: يا أَميرَ المؤمنين، هذا بيتُ عاتكةَ. قال: وما بيتُ عاتكةَ؟ قال: الذي يقول فيه الأَحوص:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّلُ

قال: فمَه[2]، قال: إِنه يقول فيها:

إنَّ امرأً قد نال منك وَسِيلة ... يرجو منافع غيرها لمضلَّلُ
وأَراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مَذِق[3] الحديث يقول ما لا يفعلُ

[الكامل]

فقال الزبير في خبره: فقال له. قد وأَبيك أَذكرتَ بنفسك، يا سليمانَ بن مجالد أعطه أربعة آلاف درهم، فأَعطاه إياها، وقال الخراز في خبره: فضحك المنصور، وقال: قاتلك اللَّه، ما أَطرفَك، يا ربيعُ أَعطه أَلف درهم، فقال: يا أَميرَ المؤمنين إنها كانت أَربعة آلاف درهم، فقال له: أَلفٌ يحصل لك خير من أَربعة آلاف لا تحصل.

وقال الخزار في خبره: حدثني المدائنيّ، قال:

أُخذ قوم منَ الزنادقة، وفيهم ابنٌ لابن المقفع، فمرَّ بهم على أصحابٍ لهم بالمدائن، فلما رآهمُ ابن المقفع خشيَ أَنْ يُسلّم عليهم فيُؤخذ فتمثل:

---

(١) هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بعُد.
(٢) مه: صه، اسكت، أنصِت.
(٣) مذق الحديث من الرجال: من يقول ولا ينفذ ما يقول (تم شرحها سابقاً).

يـا بـيـتَ عـاتـكـةَ الـذي أَتـعـزَّلُ حـذَر الـعِـدا وبـه الـفـؤاد مـوكَّـلُ
[الكامل]

(الأَبيات)، ففطِنوا لما أَراد، فلم يُسلّموا عليه، ومضى.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبةَ، قال:

بلغني أن يزيدَ بن عبد الملك كتب إِلى عامله أَن يُجهّز إِليه معبد المغني والأَحوص الشاعر.

فأَخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد اللَّه بن شبيب قال: حدثني إسماعيلُ بن أبي أويس، قال: حدثني أَبي، قال: حدثنا سلمةُ بن صفوانَ الزرقيّ، عن الأحوص الشاعر. وذكر أَحمد بن سعيد الدمشقيّ: أن الزبير بن بكَّار حدثه عنِ ابنِ أُويس عن أَبيه عن مسلمةَ بن صفوانَ عنِ الأحوص. وأَخبرني به الحرميّ بن أَبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني جرير المدينيّ المغني وأَبو مسكينٍ، قالوا جميعاً:

كتب يزيدُ بن عبد الملك في خِلافته، إِلى أمير المدينة، وهو عبد الواحد بن عبد اللَّه النصريّ: أن يحملَ إِليه الأَحوص الشاعر ومعبداً المغني مولى ابن قطن، قال فجهزنا وحملنا إِليه، فلما نزلنا عُمانَ أَبصرنا غديراً وقصوراً، فقعدنا على الغدير، وتحدثنا وذكرنا المدينة، فخرجت جارية من بعض تلك القصور ومعَها جرة تُريد أَن تستقي فيها ماء، قال الأَحوص: فتغنّت بمدحي في عمرَ بنِ عبد العزيز:

يـا بـيـتَ عـاتـكـةَ الـذي أَتـعـزّلُ

فتغنَّت بأَحسن صوت سمعته قطّ، ثم طرَّبت فأَلقتِ الجرَّة فكسرتها، فقال معبد: غِنائي واللَّهِ، وقلت: شِعري واللَّهِ، فوثبنا إِليها، وقلنا لها: لمن أَنت يا جاريةُ؟ قالت: لآل سعيد بن العاص ـ وفي خبر جرير المغني، لآل الوليد بن عُقبةَ ـ ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسينَ أَلف درهم، وشغف بي، فغلبته بنتُ عمّ له طرأَت عليه، فتزوجها على أَمري، فعاقبَتْ منزلتُها منزلتي، ثم علا مكانُها مكاني، فلم تزدْها الأَيام إِلا ارتفاعاً، ولم تزدني إِلا اتضاعاً[1]، فلم ترضَ منه إِلا بأَن أَخدُمَها، فوكلتني باستقاء الماء، فأَنا على ما تَريان، أَخرج فأَستقي الماء، فإِذا رأَيت هذه القصور والغُدران

(١) اتضاعاً: فقداً لعلوّ منزلته.

ذكرتُ المدينة فطربت إليها، فكسرت جرتي، فيعذلني[١] أَهلي ويلوموني. قال: فقلت لها: أَنا الأَحوص، والشعر لي، وهذا معبد، والغِناء له، ونحن ماضيانِ إلى أَمير المؤمنين، وسنذكرُك له أَحسن ذكر. وقال جرير في خبره، ورافقه وكيع ورواية عمرَ بنِ شَبَّةَ، قالوا: فأَنشأتِ الجارية تقول:

إن تَرَوْني الغَداة أَسعى بجرِّ ... أَستقي فيه ماءَ هذا الغديرِ
فلقد كنت في رخاءِ منَ العيش وفي ظل نعمةٍ وسُرورِ
ثم قد تُبصرانِ ما فيه أَمسيت وماذا إليه صار مصيري
فإلى اللَّه أَشتكي ما أُلاقي ... من هَوَانٍ وما يُجِنُّ[٢] ضميري
أَبلِغا عنيَ الإمامَ وما يعرف صدقَ الحديث مثلُ الخبيرِ
أَنني أَضْرَبُ الخلائقِ بالعُو ... د وأَحكاهُم بمٍّ وزِيرِ[٣]
فلعلَّ الإلهَ يُنقذُ مما ... أَنا فيه فإنني كالأسيرِ
ليتني مِتُّ يومَ فارقتُ أَهلي ... وبِلادي فزُرت أَهل القبورِ
فاسمعا ما أَقول لقَّاكما اللَّهُ نجاحاً في أَحسن التيسيرِ

[الخفيف]

فقال الأَحوص من وقته:

صوت

إن زين الغدير من كسر الجرَّ وغنّى غِناء فَحلٍ مُجِيدِ
قلت: من أَنتِ يا ظعينُ، فقالت: ... كنت فيما مضى لآل الوليدِ

[الخفيف]

وفي رواية الدمشقيّ:

قلت: من أَنتِ يا خَلوبُ، فقالت: ... كنت فيما مضى لآل سعيدِ
ثم أَصبحت بعد حيٍّ قريش ... في بني خالدٍ لآل الوحيدِ
فغِنائي لمعبد ونشيدي ... لفتى الناس الأَحوَص الصنديدِ

(١) يعذلني: يلومني.
(٢) يُجنّ: يُضمر، يُخبّئ.
(٣) البمّ والزير: من أدوات الموسيقى.

فـتـبـاكـيـتُ ثـم قـلـت: أَنـا الأَحـ ـوص والـشـيـخُ مـعـبـدٌ فـأَعـيـدي
فـأَعـادت لـنـا بـصـوتٍ شـجـيٍّ يـتـرُك الـشـيـخ فـي الـصِّـبـا كـالـولـيـدِ
[الخفيف]

وفي رواية أَبي زيد:

فـأَعـادت فـأَحـسـنـت ثـم ولَّـت تَـتَـهـادى، فـقـلـت، قـولَ عـمـيـدِ:
يَـعـجـز الـمـال عـن شِـراكِ ولـكـن أَنـتِ فـي ذِمـة الإمـام يَـزيـدِ
ولـك الـيـومَ ذِمَّـتـي بـوفـاءٍ وَعـلـى ذاك مـن عِـظـام الـعـهـودِ
أَن سَـيـجـري لـك الـحـديـثُ بـصـوتٍ مَـعـبـديٍّ يـردّ حـبـلَ الـوريـدِ
يـفـعـل الـلَّـه مـا يـشـاء فـظُـنِّـي كـلَّ خـيـر بـنـا هـنـاكَ وزيـدي
قـالـتِ الـقـيـنـةُ الـكـعـابُ[1] إلـى الـلَّـ ـهِ أُمـوري وأَرتـجـي تـسـديـدي
[الخفيف]

غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشاميّ وغيرهما، وهذه طريقة هذا الصوت، وأَهل العلم بالغِناء لا يصححونه لمبعد.

قال الأَحوص: وضع فيه معبد لحناً فأَجاده، فلما قدمنا على يزيدَ قال: يا معبد، أَسمعني أَحدث غِناء غنّيت وأَطراه، فأَسمعه يقول:

إن زيـن الـغـديـر مـن كـسَـر الـجـرَّ وغـنّـى غِـنـاء فـحـل مُـجـيـدِ
[الخفيف]

فقال يزيد: إن لهذا لقصةً، فأَخبراني بها، فأَخبراه بها، فكتب إِلى عامله بتلك الناحية: إن لِآل فلان جاريةً، من حالها ذَيْت وذَيْت[2]، فاشترِها بما بلغَت، فاشتراها بمائة أَلف درهم، وبعث بها هَدية، وبعث معَها بأَلطافٍ كثيرة، فلما قدِمت على يزيدَ رأَى فضلاً بارعاً، فأُعجب بها، وأَجازها وأَخدمها وأَقطعها، وأَفرد لها قصراً، قال: فواللَّهِ ما برحنا حتى جاءَتنا منها جوائزُ وكُساً وطُرَف.

وقال الزبير في خبره عن عمّه، قال:

أَظن القصةَ كلها مصنوعة، وليس يُشبه الشعرُ شعرَ الأَحوص، ولا هو من طِرازه، وكذلك ذكر عمرُ بنُ شَبَّةَ في خبره.

(١) الكعاب من القيان: التي برز ثدياها وتكعّبا.
(٢) ذيت وذيت: اسم كناية عن مقول القول.

أَخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: سمعت هشام بن عبد اللَّه بن عِكرمةَ يحدث:

عن عتبةَ بنِ عمرَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: كنت مع يزيدَ بن عمرَ بن هُبيرةَ ليلة الفرات، فلما انهزم الناس التفت إليَّ فقال: يا أَبا الحارث، أَمسينا وهم واللَّهِ كما قال الأحوص:

أَبكي لما قلبَ الزمانُ جديدَه خَلَقاً وليس على الزمان مُعوّلُ

[الكامل]

أَخبرني الحرميّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني محمد بن محمد العمريّ،

أَن عاتكةَ بنتَ عبد اللَّه بن يزيدَ بن معاويةَ رُئيت في النوم، قبل ظهور دولة بني العباس على بني أُميّة، كأَنها عُريانة ناشرةٌ شعرَها تقول:

إنَّ الشَّبابَ وعيشَنا اللَّذَّ الذي كنَّا به زمناً نُسَرُّ ونُجْذَلُ
ذهبت بشاشته وأَصبح ذكرُه حُزْناً يُعَلُّ به الفؤاد ويُنْهَلُ

[الكامل]

فتأوَّل الناس ذلك زوالَ دُنيا بني أُميّة، فكان كما قالوا.

أَخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أَبيه، عنِ الجمحيّ عن شيخ من قريش.

أَنه رأَى في النوم امرأةً من ولد عثمانَ بنِ عفانَ على مَنايم على دار عثمانَ المقبلة على المسجد، وهي حَاسِرة، في يديها عود وهي تضرب به وتغني:

إن الشباب وعيشنا اللذَّ الذي كنا به يوماً نسرّ ونجذلُ
ذهبت بشاشته وأَصبح ذكرُه حُزْناً يُعَلُّ به الفؤادُ وينهلُ

[الكامل]

قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى خرج الأَمر عن أَيديهم، وقتِل مروان.

قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منايم.

صوت

يا هندُ إنك لو علمـ تِ بعاذلَينِ تتابعا

قـالا فـلـم أَسـمـع لـمـا قـالا وقـلـت بـلِ اسـمـعـا
هـنـد أَحـبُّ إِلـيَّ مـن مـالـي وروحـي فـارجـعـا
ولـقـد عـصـيـت عـواذلـي[1] وأَطـعـت قـلـبـاً مُـوجـعـا

[مجزوء الكامل]

الشعر لعبد اللَّه بن الحسن بن الحسن، عليهم السلام، والغِناء لابن سريج، ولحنه فيه لحنان: أَحدهما منَ القدر الأَوسط منَ الثقيل الأَول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إِسحاقَ، والآخر رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، ذكر أَبو العبيس أَنه لابن سريج، وذكر الهشاميّ وابن المكيّ أَنه للغريض، وذكر حبش أن لإِبراهيمَ فيه رملاً آخر بالبنصر، وقال أَحمد بن عبيد: الذي صَحَّ فيه ثقيل الأَول وخفيفه ورمله، وذكر فيه إِبراهيم أَن فيه لحناً لابن عبّاد.

(١) عواذلي: لُوَّامي.

ذكر عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن عليهمُ السلام وأخباره وخبر هذا الشعر

عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أَبي طالب، عليهمُ السلام، وقد مضى نسبه رِضوانُ اللَّه عليه في أَخبار جده الحسين عليه السلام في شعره الذي يقول فيه:

لَعَمْرُكَ إنني لأُحب داراً تحلّ بها سُكينةُ والرَّبابُ

[الوافر]

ويُكنَّى عبد اللَّه بن الحسن أَبا محمد، وأُم عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن فاطمةُ بنت الحسين بن علي بن أَبي طالب عليها السلام، وأُمُّها الجَرباء بنت قُسامةَ بن رومانَ من طيّء.

أَخبرني أَحمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن، قال.

إنما سميتِ الجرباءَ لحسنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة وإن كانت جميلة إلا استُقبح منظرُها لجمالها، وكان النساء يتحامين أَن يقفن إلى جنبها، فشُبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافةَ أَن تُعدِيها.

وكانت أُم إسحاقَ من أَجمل نساء قريش، وأَسوأَهن خلقاً، ويقال: إن نساء بني تَيْم كانت لهن حظوة عند أَزواجهن، على سوء أَخلاقهن، ويُروى أَن أُم إسحاقَ كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكتّم زوجها:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه بذلك قال:

وقد كانت أُم إسحاقَ عند الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قبل أَخيه الحسين عليه السلام، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين فقال له: يا أُخي، إني أَرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجنّ من بيوتكم، فإذا انقضت عِدتها فتزوَّجها، فلما تُوفي الحسن عنها تزوجها الحسين عليه السلام، وقد كانت ولدت منَ الحسن عليه السلام ابنه طلحةَ بن الحسن فهو أَخو فاطمةَ لأُمها، وابنُ عمها، وقد دَرَج[1] طلحة، ولا عقِبَ له:

(١) درج: هلك، مات ولم يخلف من يرثه من ولده.

ومن طرائف أخبار التيميات من نساء قريش، في حُظوتهن وسوء أَخلاقهن، وما أَخبرنا به الحرميّ بن أَبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه، قال:

كانت أُم سلمةَ بنتُ محمد بن طلحةَ عندَ موسى بن عبد اللَّه بن الحسن، وكانت تقسو عليه قسوةً عظيمة، وتُغلظ له ويفرَقُ منها ولا يُخالفُها، فرأى منها يوماً طِيبَ نفس، فأَراد أَن يشكوَ إِليها قسوتها، فقال لها: يا بنتَ محمد، قد أُحرِق واللَّهِ قلبي، فحدّدت له النظر، وجمعت وجهها، وقالت له: أَحرَق قلبك ماذا، فخافها فلم يقدر على أَن يقول لها: سوءُ خلقك، فقال لها: حب أَبي بكر الصديق، فأَمسكت عنه.

وتزوج الحسن بن الحسن فاطمةَ بنت الحسين في حياة عمه، وهو عليه السلام زوَّجه إياها.

أَخبرني الطوسيّ والحرميّ، قالا: حدثنا الزبير عن عمه بذلك، وحدثني أَحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن، قال: حدثني إِسماعيلُ بن يعقوبَ، قال: حدثني جَدّي عبد اللَّه بن موسى بن عبد اللَّه بن الحسين، قال:

خطب الحسن بن الحسن إِلى عمه الحسين عليه السلام، وسأله أن يزوجَه إِحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام: اخترْ يا بنيَّ أَحبَّهما إِليك. فاستحيا الحسن ولم يُحِرْ جواباً، فقال له الحسين عليه السلام فإِني قدِ اخترت منهما ابنتي فاطمة، فهي أَكثرهما شبهاً بأُمي فاطمةَ بنت رسول اللَّه ﷺ.

أَخبرني الطوسيّ والحرميّ، قالا: حدثنا الزبير قال: حدثني عمّي مصعب.

أَن الحسن لما خيّره عمّه اختار فاطمة، فكانوا يقولون: إن امرأة مردودَتها سُكينة لمنقطعة القرين في الجمال.

أَخبرني الطوسيّ والحرميّ بن أَبي العلاء، قالا: حدثنا الزبير بن بكار وأَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا أَحمد بن يحيى وأَحمد بن زهير وأَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أَحمد بن أَبي سعد الدمشقيّ وأَحمد بن زهير، قالا: حدثنا الزبير وأَخبرني أَحمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن قال: حدثنا الزبير بن بكار. واللفظ للحسن بن عليّ، وخبره أَتمّ، قال: قال الزبير: حدثني عمّي مصعب، ولم يذكره عن أَحد.

خبر وفاته:

وأَخبرني محمد بن يحيى عن أَيوبَ عن عمرَ بن أَبي الموالي. قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسفَ بن الماجشون، وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض.

أَن الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاةُ جزع، وجعل يقول: إِني لأجدُ كرباً ليس هو إلا كرب الموت وأَعاد ذلك دفعاتٍ فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع، تقدم على رسول اللّه ﷺ، وهو جَدُّك، وعلى عليٍّ والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم وهم آباؤك، فقال: لعمري إن الأَمر لكذلك، ولكن كأني بعبد اللّه بن عمرو بن عثمانَ حين أَموت، وقد جاء في مُضَرَّجتين أَو ممصرتين، وقد رجل جُمَّته[1] يقول: أَنا من بني عبد مناف، جئت لأَشهدَ ابن عمّي، وما به إلا أَن يخطب فاطمة بنت الحسين، فإِذا جاء فلا يدخل عليّ، فصاحت فاطمة: أَتسمع؟ قال: نعم، قالت: أعتقتُ كلّ مملوك لي وتصدقت بكل مِلك لي إن أَنا تزوجت بعدَك أَحداً أبداً، قال: فسكن الحسنُ، وما تنفس ولا تحرك حتى قَضَى، فلما ارتفع الصياح أَقبل عبد اللّه على الصفة التي ذكرها الحسنُ، فقال بعض القوم: نُدخله، وقال بعضهم: لا يدخل، وقال قوم لا يضرّ دخولُه، فدخل، وفاطمة تصُكُّ وجهها، فأَرسل إِليها وصيفاً كان معَه، فجاء يتخطى الناس، حتى دنا منها، فقال لها: يقول لك مولاي: أَبقي على وجهك، فإِن لنا فيه أَرباً. قال: فأَرسلت يدها في كُمّها، واختمرت[2]، وعُرف ذلك منها، فما لطمت وجهها حتى دُفن ـ رضي اللّه عنه ـ، فلما انقضت عِدتها خطبها، فقالت: فكيف لي بنذري ويميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبدين، وبكل شيء شيئين، ففعل وتزوجته. وقد قيل في تزويجه إياها غيرُ هذا.

أَخبرني به أَحمد بن محمد بن إسماعيلَ الهمدانيّ، قال: حدثني يحيى بن الحسن العلويّ، عن أَخيه أَبي جعفر، عن إِسماعيلَ بنِ يعقوبَ، عن محمد بن عبد اللّه البكريّ.

أَن فاطمة لما خطبها عبد اللّه أَبت أَن تتزوجه، فحلفَت عليها أمها لتتزوَّجنه، وقامت في الشمس، وآلت لا تبرح حتى تتزوجه، فكرهت فاطمة أَن تخرج فتزوجته.

وكان عبد اللّه بن الحسن بن الحسن شيخ أَهله وسيداً من ساداتهم، ومُقدماً

(١) رجل جُمته، بضمّ الجيم: مشّط مجتمع شعر رأسه.
(٢) اختمرت: سترت وجهها بالخمار.

فيهم فضلاً وعِلماً وكرماً. وحبسه أَبو جعفر المنصور أَمير المؤمنين في الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وإبراهيم، فمات في الحبس، وقيل إنه سُقِط عليه، وقيل غيرُ ذلك.

وسامته وصفاته:

أَخبرني أَحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن الحسن قال: حدثني عليّ بن أحمدَ الباهليّ، قال: سمعت مُصعباً الزبيريّ، يقول:

انتهى كلُّ حُسنٍ إِلى عبد اللَّه بن حسن، وكان يُقال: مَن أَحسنُ الناس؟ فيقال: عبد اللَّه بن الحسن، ويقال مَنْ أَفضل الناس؟ فيقال عبد اللَّه بن الحسن.

حدثني أَحمد بن الحسين الخثعميّ الأُشنادانيّ والحسين بن علي السلوليّ، قالا: حدثنا عبَّاد بن يعقوبَ، قال:

حدثنا تلميذ بن سُليمانَ، قال: رأيت عبد اللَّه بن الحسن، وسمعته يقول: أَنا أَقرب الناس إِلى رسول اللَّه ﷺ، وولدني رسول اللَّه ﷺ مرتين.

حدثني أَحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن قال: حدثني إسماعيلُ بن يعقوبَ، قال: حدثني عبد اللَّه بن موسى، قال:

أَول ما اجتمعت له وِلادة الحسن والحسين عليهما السلام عبدُ اللَّه بن الحسن عليه السلام.

حدثني محمد بن الحسن الأُشنانديّ، قال حدثنا عبَّاد عن عبد اللَّه بن يعقوبَ، قال:

حدثنا بندقةُ بن محمد بن حجازةَ الدهان، قال:

رأيت عبد اللَّه بن الحسن، فقلت: هذا واللَّهِ سيد الناس، كان مكسوّاً نوراً من قرنه إِلى قدمه.

قال عليّ بن الحسين: وقد رُوي ذلك في أَخبار أبي جعفر محمد بن عليّ، عليه السلام، وأُمه أُمُّ عبد اللَّه بنت الحسن بن عليّ، عليه السلام.

حدثني أَحمد بن محمد بن سعيد، قال: أَخبرنا يحيى بن القاسم بن عبد الرازق، قال:

جاء منظور بن زَيَّانَ الفزاريّ إِلى حسن بن حسن، وهو جَدّه أَبو أُمّه، فقال له: لعلك أَحدثت بعدي أَهلاً؟ قال: نعم تزوجت بنت عمي الحسين بن عليّ، عليهما

السلام، فقال له: بئس ما صنعت، أَما تعلم أَن الأَرحام إذا التقت أَضوت[١]؟، كان ينبغي أَن تتزوجَ في الغُرُب، قال: فإِن اللَّه جلّ وعزّ قد رزقني منها ولداً، قال: أرنيه، فأَخرج إِليه عبد اللَّه بن الحسن، فسرّ به وقال أَنجبت هذا واللَّهِ ليثٌ عادٍ ومعديٌّ عليه، قال: فإِن اللَّه عزّ وجلّ قد رزقني منها ولداً آخر ثانياً، قال: فأَخرج إِليه حسن بن حسن بن حسن فسرّ به وقال: أَنجبتَ واللَّهِ، وهو دون الأَول، قال: فإِن اللَّه عزّ وجلّ قد رزقني منها ولداً آخرَ ثالثاً، قال: فأَرنيه، قال: فأَراه إِبراهيمَ بن الحسن.

حدثني أَبو عُبيد محمد بن أَحمدَ الصيرفيّ، قال: حدثنا محمد بن عليّ بن خلف، قال: حدثنا عمرُ بن عبد الغفار، قال:

حدثنا سعيد بن أَبان القرشيّ، قال: كنت عندَ عمرَ بنِ عبد العزيز، فدخل عليه عبد اللَّه بن الحسن، وهو يومَئذٍ شاب، في إزار ورداء، فرحّب به وأَدناه، وحيَّاه وأَجلسه إِلى جنبه، وضاحكه، ثم غمز عكنةً من بطنه، وليس في البيت حينئذٍ إلا أُمويٌّ، فقيل له، ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأَرجو بها شفاعة محمد ﷺ.

حدثني عمرُ بن عبد العزيز بن جميل العَتكيّ، قال: حدثنا عمرُ بن شَبَّةَ، قال: حدثني إِسماعيلُ بن جعفر الجعفريّ، قال:

حدثني سعيد بن عُقبةَ الجهنيّ، قال: إِني لعندَ عبد اللَّه بن الحسن، إذ أَتاني آتٍ، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإِذا أَنا بأبي عدي الشاعر الأُمويّ، فقال: أَعلمْ أَبا محمد، فخرج إِليه عبد اللَّه، وهو خائف فأَمر له بأَربعمائة دينار، وهند بمائتي دينار فخرج بستمائة دينار.

وقد روى مالك بن أَنس بن عبد اللَّه بن الحسن الحديث.

حدثني أَحمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن، قال: حدثنا عليُّ بن أَحمدَ الباهليّ، عن مصعب بن عبد اللَّه، قال:

سُئِلَ مالك عنِ السَّدل[٢] فقال: رأَيت من يرضى بفعله، عبد اللَّه بن الحسن يفعله.

(١) أضوت: ضعف نسلها، فكان جسد الواحد من أولادها ضعيفاً.

(٢) السدل: إرخاء الثوب على سائر الجسد.

والسبب في حبس عبد اللَّه بن الحسن وخروج ابنيه وقتلهما يطول ذكره، وقد أَتى عمرُ بن شَبَّةَ منه بما لا مزيدَ عند أَحد فيه إِلا اليسير، ولكن من أَخباره ما يحسن ذكرُه هاهنا فنذكره.

أَخبرني عمرُ بن عبد العزيز العتكيّ، قال: حدثنا عمرُ بن شبّةَ قال: حدثني موسى بن سعد بن عبد الرحمن وأيوبُ بن عمرَ، عن إِسماعيلَ بن أبي عمرو، قال:

لما بنى أَبو العباس بناءَه بالأَنبار الذي يُدعى الرُّصافةَ رصافةَ أَبي العباس. قال لعبد اللَّه بن الحسن: أدخلْ فانظر، ودخل معَه، فلما رآه تمثل:

أَلَـم تـرَ حـوشـبـاً أَمـسـى يُـبـنِّـي ... بـنـاءً نـفـعـه لـبـنـي نُـفـيـلَـهْ
يُـؤَمِّـل أَن يُـعَـمَّـرَ عـمـرَ نـوح ... وأَمـر الـلَّـه يـحـدث كـل لـيـلَـهْ

[الوافر]

فاحتمله أَبو العباس، ولم يُبكِّتْه بها.

أَخبرني عمِّي، قال: حدثني أبو عمرَ بنُ شبَّةَ، قال: حدثني يعقوبُ بن القاسم، قال: حدَّثني عمرُ بن شِهاب. وحدثني أَحمد بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن الحسن، عنِ الزبير، عن محمد بن الضحاك عن أَبيه، قالوا:

إِن أَبا العباس كتب إِلى عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن في تغيّب ابنيه:

أُريـد حـيـاءَه ويُـريـد قـتـلـي ... عـذيـرُك مـن خـلـيـلـك مـن مُـرادِ

[الوافر]

وقال عمر بن شبّةَ: إنما كتب بها إِلى محمد. قال عمر بن شبّةَ: فبعثوا إِلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أَبي حنين فأَجابه عنها، وقال الزبير: أَجابه عبد اللَّه بن الحسن فقال:

وكـيـف يُـريـدُ ذاك وأَنـت مـنـه ... بـمـنـزلـةِ الـنِّـيـاط[1] مَـن الـفـؤادِ
وكـيـف يُـريـدُ ذاك وأَنـت مـنـه ... وزنـدك حـيـن تـقـدح مـن زنـادي
وكـيـف يُـريـد ذاك وأَنـت مـنـه ... وأَنـت لـهـاشـمِ رأْسٌ وهـادي

[الوافر]

(١) نياط القلب، الواحد نوط: عرق غليظ متّصل بالقلب، فإذا قطع مات صاحبه.

طرائف من أَخباره:

أَخبرني عمرُ بن عُبيد اللّه، قال: حدثني عمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حدثني عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمرَ بن علي بن أَبي طالب، عليهم السلام.

قال: حدثني الحسن بن زيد، قال: حدثني عبد اللّه بن الحسن قال: بينا أَنا في سمَر أَبي العباس، وكان إذا تثاءب أَو أَلقى المروحة من يده قمنا، فأَلقاها ليلة، فقمنا، فأَمسكني فلم يبق غيري، فأَدخل يده تحت فراشه، وأَخرج إضبارة كتب، وقال: اقرأْ أَبا محمد، فقرأت، فإِذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التغلبيّ يدعوه إلى نفسه، فلما قرأته قلت له: يا أَميرَ المؤمنين، لك عهدُ اللّه ومِيثاقُه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كان في الدنيا أَخبرنا العتكيّ، قال حدثنا عمر بن شبّةَ، قال: حدثني محمد بن إسماعيلَ، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمرَ عنِ ابن أَبي عُبيدةَ بن محمد بن عمار بن محمد بن عمار بن ياسر، قال:

لما استُخلف أَبو جعفر أَبى إِلَّا صلب محمد والمسألةَ عنه وعمن يُؤويه[1]، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد علم أَمير المؤمنين أَنك قد عرفته بطلب هذا الشأْن قبل اليوم، فهو يَخافُك على نفسه، ولا يُريد لك خِلافاً، ولا يُريد لك معصيةً إِلا الحسنَ بنَ زيد، فإِنه أَخبرَه خبرَه، وقال: واللّهِ ما آمنُ وُثوبَه عليك. وإِنه لا ينام، فر رأيك فيه، قال ابن أَبي عُبيدةَ: فأَيقظ من لا ينام.

أَخبرني عمرُ بن عبد اللّه، قال: حدثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حدثني عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمرَ بن عليّ بن أَبي طالب عليه السلام عن محمد بن عِمرانَ عن عُقبةَ بنِ سلم.

أَن أَبا جعفر دعاه فسأله عنِ اسمه ونسبه، فقال: أَنا عقبةُ بن سلم بن نافع بن الأَزد هنائيٌّ، قال: إني لأَرى لك هيئةً وموضعاً، وإِني لأُريدُك لأَمر أَنا به مَعنيٌّ. قال: أَرجو أَن أَصدق ظنَّ أمير المؤمنين. قال: فأخفِ شخصك، وائتني في يوم كذا وكذا، فأَتيته فقال: إِن بني عمَّنا هؤلاء قد أَبوا إِلَّا كيداً لملكنا، ولهم شيعة بخراسانَ، بقرية كذا وكذا، يُكاتبونهم، ويُرسلون إِليهم بصدقات وأَلطاف، فاخرج حتى تأْتيَهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أَهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإِن كانوا نزعوا عن رأْيهم علمت ذلك وكنت على حذر منهم، حتى تأْتيَ عبد اللّه بن حسن متخشعاً فإِن جبَهك[2]،

(١) يُؤويه: يحميه في بيته ويُخفي أمره.
(٢) جبهك: واجهك وأفحمك بقوله.

وهو فاعل، فاصبرْ وعاوِدْه أَبداً حتى يأْنسَ بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجلْ إِليّ، ففعل ذلك وفعل به، حتى أَنس عبد اللَّه بناحيته، فقال له عقبة: الجوابَ، فقال له: أَما الكتابُ فإني لا أَكتب إلى أحد، ولكن أَنت كِتابي إِليهم، فأقرئهمُ السلام، وأخبرْهم أَن ابني خارج لوقت كذا وكذا، فشخص عقبةُ حتى قدم على أَبي جعفر فأَخبره الخبر.

أَخبرني العتكيّ، قال: حدثنا عمرُ، قال: حدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إِسحاقَ، قال:

سأَل أَبو جعفر عن عبد اللَّه بن الحسن لما حجّ عنِ ابنيه، فقال: لا أعلم بهما، حتى تغالظا، فأَمضَّه[1] أَبو جعفر، فقال له: يا أَبا جعفر، بأي أُمهاتي تُمضُّني: أَبخديجةَ بنتِ خُويلد؟ أَم بفاطمةَ بنتِ رسول اللَّه ﷺ؟ أَم بفاطمةَ بنتِ الحسين، عليهمُ السلام؟ أَم بأُم إِسحاقَ بنت طلحة؟ قال: لا، ولا بواحدة منهن، ولكن بالجرباء بنت قِسامة، فوثب المسيّب بن زهير، فقال: يا أَميرَ المؤمنين، دعني أَضربْ عنقَ ابن الفاعلة، فقام «زيادُ بن عُبيد اللَّه فأَلقى عليه رداءَهُ، وقال: يا أميرَ المؤمنين، هبه لي: فأَنا المستخرج لك ابنَيه، فتخلّصه منه.

قال أَبو زيد عمرُ بنُ شَبَّةَ: وحدثني بكر بن عبد اللَّه، مولى أبي بكر، قال: حدثني علي بن رباح أَخي إِبراهيمَ بن رباح.

عن صاحب المصلّى، قال: إني لواقف على رأْس أَبي جعفر، وهو يتغدّى، بأَوطاس، وهو متوجه، إِلى مكةَ، ومعَه على مائدته عبد اللَّه بن الحسن وأَبو الكِرام الجعفريّ، وجماعة من بني العباس، فأَقبل على عبد اللَّه بن الحسن، فقال: يا أَبا محمد، محمد وإبراهيم أَراهما قدِ استوحشا من ناحيتي، وإني لأحبُّ أَن يأْنسا بي ويأتياني فأَصلهما وأُزوجهما وأَخلصُهما بنفسي، قال: وعبد اللَّه يُطرق طويلاً: يرفع رأْسه ويقول: وحقِّك، يا أَميرَ المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما منَ البلاد عِلم، ولقد خرجا عن يدي، فيقول: لا تفعلْ يا أبا محمد، اكتبْ إِليهما وإلى من يُوصل كتابك إليهما، قال: وامتنع أبو جعفر عن عامَّة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد اللَّه، وعبدُ اللَّه يحلف أَنه لا يعرف موضعَهما، وأَبو جعفر يكرّر عليه: لا تفعلْ يا أَبا محمد لا تفعلْ يا أَبا محمد.

قال أَبو زيد: فحدثني محمد بن عبَّاد، عنِ السنديّ بن شاهك.

---

(١) أمضه: آلمه بغليظ كلامه وتوبيخه.

أن أبا جعفر، قال لعقبة بن سلم إذا فرغنا منَ الطعام فلحظتك فامثل بين يدي عبد اللّه، فإنه سيصرف بصره عنك، فدُر حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك، حتى يملأ عينيه منك، ثم حسبُك وإياك أَن يراك ما دام يأْكل ففعلَ ذلك عقبة، فلما رآه عبد اللّه وثب حتى جثا بين يدي أَبي جعفر، فقال: يا أَميرَ المؤمنين، أَقِلني[1] أَقالَك اللّه، قال: لا أَقالني اللّه إِن أَقلتُك، ثم أَمر بحبسه.

قال أَبو زيد عمرُ بنُ شبَّةَ: فحدثني أَيوبُ بنُ عمرَ، قال: أَخبرني محمد بن خالد المخزوميّ، قال: أَخبرني أَبي، قال: أَخبرني العباس بن محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس، قال:

لما حجَّ أَبو جعفر في سنة أَربعين ومائةٍ أَتاه عبد اللّه وحسن ابنا حسن، فإنهما وإياي لعِندَه، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه، إذ تكلم المهديُّ فلحن، فقال عبد اللّه: يا أَميرَ المؤمنين أَلا تأْمر بهذا من يَعدِل لسانه، فإنه يفعل فِعل الأَمة، فلم يفهم، وغمزتُ عبد اللّه فلم ينتبه، وعاد لأَبي جعفر، فأُحفِظ[2] من ذلك، وقال له: أَين ابنُك؟ قال: لا أَدري، قال: لَتَأْتِيَنِّي به، قال: لو كان تحت قدميَّ ما رفعتهما عنه، قال: يا ربيعُ، فمُرْ به إِلى الحبس.

أَخبرني أَحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن الحسين، قال:

تُوفي عبد اللّه في محبسه بالهاشمية، وهو ابن خمس وسبعينَ سنة، في سنة خمس وأَربعين ومائة.

وهند التي عناها عبد اللّه في شعره الذي فيه الغناء: زوجته هند بنت أَبي عُبيدةَ بن عبد اللّه بن زَمعةَ بن الأَسود بن المطلب بن أَسد بن عبد العزّى بن قُصيّ، وأُمها قرينة بنت يزيدَ بن عبد اللّه بن وهب بن زمعةَ بن الأَسود بن المطلب.

وكان أَبو عُبيدةَ جواداً وممدّحاً، وكانت هند قبلَ عبد اللّه بن الحسن تحت عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان، فمات عنها:

فأَخبرني الحرميّ بن أَبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمانُ بن عيَّاش السعديّ، قال:

لما تُوفي أَبو عُبيدةَ وَجَدَتْ عليه ابنتُه هِندٌ وَجداً شديداً، فكلم عبدُ اللّه بن

(١) أقلني: أعفني من الإجابة.
(٢) أحفظ: أثار غضبه وانفعاله.

الحسن محمدَ بنَ بشير الخارجيَّ أَن يدخل على هند بنت أَبي عُبيدةَ فيعزّيَها ويُؤسيَها عن أَبيها، فدخل معَه عليها، فلما نظر إِليها صاح بأَبعد صوته:

فقومي ٱضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيْ أَباً مثله تسمو إِليه المفاخرُ
وكنتِ إذا آسيتِ آسيتِ والداً يزين كما زان اليدينِ الأَساورُ

[الطويل]

فصكت وجهها وصاحت بحَرَبها وجهدها، فقال له عبد اللَّه بن الحسين: ألهذا دخلتَ؟ فقال الخارجيّ: وكيف أُعزِّي عن أَبي عُبيدةَ وأَنا أُعزَّى به؟

أَخبرني العتكيّ، قال: حدثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سُليمانَ، قال: حدثني عليّ بن صالح، قال:

زوّج عبد الملك بن مروان ابنَه عبدَ اللَّه هندَ بنت أَبي عُبيدةَ، وريطةَ بنت عبيد اللَّه بن المدان لِما كان يقال: إنه كائن في أَولادهما، فمات عنهما عبد اللَّه أَو طلقهما، فتزوج هنداً عبدُ اللَّه بن الحسن، وتزوج ريطة محمد بن عليٍّ، فجاءت بأَبي العباس السفاح.

أَخبرني العتكيّ، قال: حدثني عمرُ بنُ شَبَّةَ، عن أَبي داحةَ عن أبيه، قال:

لما مات عبد اللَّه بن عبد الملك رجعت هندٌ بميراثها منه، فقال عبد اللَّه بن حسن لأُمّه فاطمة: اخطبي عليَّ هنداً، فقالت: إذاً تردُّك: أَتطمع في هند، وقد ورثت من عبد اللَّه ما ورثته، وأَنت ترب[1] لا مالَ لك؟ فتركها ومضى إلى أَبي عُبيدةَ أَبي هند، فخطبها إِليه، فقال: في الرحب والسعة، أَمَّا مني فقد زوجتك. ومكانَك لا تبرحْ. ودخل أَبو هند فقال: يا بُنيةُ، هذا عبد اللَّه بن حسن أَتاكِ خاطباً، قالت: فما قلتَ له؟ قال: زوجته لك. قالت: أحسنت، قد أجزتُ ما صنعتَ. وأَرسلتْ إلى عبد اللَّه لا تبرحْ حتى تدخل بأَهلك، قال: فتيسَّرت[2] له، فبات بها مُعرِساً من ليلته، ولا تشعر أُمه، فأَقام سبعاً، ثم أَصبح يوم سابعه غادياً على أُمه، وعليه ردع[3] الطيب، وفي غير ثيابه التي تعرف، فقالت له: يا بنيَّ، من أَين لك هذا؟ قال: من عند التي زعمت أَنها لا تريدني.

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، وعمّي عبد العزيز بن أَحمدَ، قالا:

---

(١) أنت ترب: فقير لا مال معك.
(٢) تيسّرت: توفّرت فرصة مؤاتية.
(٣) ردع الطيب: أثر رائحته في جسده.

حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثتني ظَبية مولاةُ فاطمةَ، قالت: كان جَدُّك عبد اللّه يستنشدني كثيراً أبيات عبد اللّه بن حسن ويُعجب بها:

إنَّ عيني تعوَّدت كُحلَ هندٍ جَمعتْ كفُّها معَ الرِّفق لِينا

[الخفيف]

صوت

يا عِيدُ ما لك من شوق وإيراق ومرّ طيفٍ على الأَهوال طَرَّاقِ

يَسري على الأَينِ والحيَّات محتفياً نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ

[البسيط]

عروضه منَ البسيط، العيد: ما اعتاد الإنسان من همّ أو شوق أو فكر، والأين، والأيم: ضرب منَ الحيات، والأَين: الإعياء أَيضاً وروى أبو عمرو:

يا عيد قلبكَ من شوق وإيراق

الشعر لتأَبطَّ شراً، والغِناء لابن محرز ثقيل أَول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحبش، وذكر الهشاميّ أنه من منحول[1] يحيى إلى ابن محرز.

(١) منحول: منسوب إلى من لم يعمله.

أَخبار تأَبَّط شرّاً ونسبه

هو ثابت بن جابر بن سفيانَ بن عميثل بن عديّ بن كعب بن حزن ـ وقيل: حرب ـ بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلانَ بن مضرَ بن نِزار.

وأُمه امرأة يقال لها: أُميمة، يقال: إِنها من بني القَين بطنٍ من فهم، ولدت خمسة نفر: تأبط شراً، وريش نسر، وكعب جدر، ولا بواكي له وقيل: إِنها ولدت سادساً واسمه عمرو.

وتَأَبَّطَ شرّاً لقب لُقب به، ذكر الرواة أَنه كان رأَى كَبشاً في الصحراء، فاحتمله تحت إِبطه، فجعل يبول عليه طولَ طريقه، فلما قرب منَ الحيّ ثقل عليه الكبش فلم يقلَّه، فرمى به فإِذا هو الغول، فقال له قومه: ما كنت متأبطاً يا ثابت؟ قال: الغول. قالوا: لقد تأبطت شرّاً. فسمي بذلك.

وقيل: بل قالت له أُمه: كل إِخوتك يأتيني بشيء إِذا راح غيرك، فقال لها: سآتيك الليلةَ بشيء. ومضى فصاد أَفاعيَ كثيرةً من أَكبر ما قدر عليه، فلما راح أَتى بهن في جِراب متأَبِّطاً به، فأَلقاه بين يديها، ففتحه، فتساعَين في بيتها، فوثبت وخرجت، فقال لها نساء الحيّ: ماذا أَتاك به ثابت؟ فقالت: أَتاني بأفاعي في جِراب، قلن: وكيف حملها؟ قالت: تَأَبَّطَها، قلن: لقد تأبط شرّاً. فلزمه تأبط شرّاً.

وحدثني عمّي، قال: حدّثني عليّ بن الحسين، قال: حدَّثني الحسن بن عبد الأعلى.

عن أبي محلم: بمثل هذه الحكاية وزادَ فيها: أن أُمه قالت له في زمن الكمَّاة. ألا ترى غِلمان الحيّ يجتنون لأهليهمُ الكمأة فيروحون بها؟ فقال: اعطني جرابك حتى أَجتنيَ لكِ فيه. فأعطته، فملأه لها أَفاعيَ. وذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.

ذكر أَنه إِنما جاءَها بالغول يحتج بكثرة أَشعاره في هذا المعنى، فإِنه يصف لقاءه إِياها في شعره كثيراً، فمن ذلك قوله:

فأَصبحَت الغولُ لي جارةً ... فيا جارتا أَنتِ ما أَهولا

فطالبتُها بُضعها فعَوت ... بوجه تغوّل فاستغولا

فمن كان يسأل عن جارتي فإنّ لها باللِّوى منزلا
[المتقارب]

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا الحزنبل، عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ، قال:

نزلت على حيّ من فهم أُخوة عدوانَ من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط شراً، فقال لي بعضهم: وما سؤالك عنه؟ أَتريد أَن تكون لصًّا؟ قلت: لا، ولكن أُريد أَن أَعرف أخبار هؤلاء العدائين فأَتحدَّثَ بها. فقالوا: نحدثك عن خبره: إِن تأبط شراً كان أَعدى ذي رِجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إِذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إِلى الظباء فينتقي على نظره اسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله، وإِنما سمي تأبط شرّاً فيما حُكي لنا لقيَ الغول في ليلة ظلماء، في موضع يُقال له رَحى بطان، في بلاد هُذيل، فأَخذت عليه الطريق، فلم يزل بها حتى قتلها، وبات عليها، فلما أَصبح حملها تحت إبطه، وجاء بها إلى أَصحابه، فقالوا له: لقد تأبطت شرّاً. فقال في ذلك:

تأَبط شراً ثم راح أَوِ اغتدى يُوائمُ غُنْماً أَو يُشيْفُ على ذَحْلِ
[الطويل]

يوائم: يوافق. ويُشيف: يقتدر.

وقال أَيضاً في ذلك:

أَلا مَنْ مبلغٌ فتيانَ فهْمٍ بما لاقيتُ عند رَحى بطانِ
وأني قد لقيت الغول تهوي بسهب[1] كالصحيفة صحصحانِ[2]
فقلت لها: كلانا نِضْو[3] أَينٍ[4] أَخو سفر فخَلِّي لي مكاني
فشدَّت شدَّة نحوي فأَهوى لها كفِّي بمصقولٍ يماني
فأَضربها بلا دَهَش فخرَّت صريعاً لليدينِ وللجرانِ[5]
فقالت: عُدْ، فقلت لها: رويداً مكانَكِ إنني ثبْتُ الجنانِ
فلم أَنفكَّ مُتَّكِئاً لديها لأُنظرَ مُصبحاً ماذا أَتاني

(١) السهب: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.
(٢) الصحصحان من الأرض: ما انبسط منها وكان أجرد.
(٣) النضو: الهزيل أو المهزول.
(٤) الأين: الإرهاق وشدّة التعب.
(٥) الجِران، بكسر الجيم: مقدّم العنق.

إذا عـيـنـان فـي رأْس قـبـيـح كـرأس الـهِـرِّ مـشـقـوق الـلـسـانِ
وسـاقـا مُـخـدَج[١] وشـواة[٢] كـلـب وثـوب مـن عَـبـاءٍ أَو شِـنـانِ[٣]

[الوافر]

أَخبرني الحسين بن يحيى، قال: قرأت على حمَّاد: وحدثني أَبوك عن حمزةَ عُتبةَ اللهبيّ، قال:

قيل لتأبط شرّاً هذه الرجال غلبتها فكيف لا تنهشك الحيات في سُراك؟ فقال: إني لا أَسري البَرْدَين. يعني آخر الليل وأوله لأَنها في أَول الليل تمور[٤] خارجةً من حجرتها، وآخرَ الليل تمور مقبلة إِليها.

قال حمزة: ولقي تأبط شرّاً ذات يوم رجلاً من ثقيف يُقالَ له: أَبو وهب، وكان جباناً أَهوجَ، وعليه حُلّة جيدة، فقال أَبو وهب لتأبط شرّاً: بِمَ تغلب الرجال يا ثابت، وأَنت كما أَرى دميم ضئيل: قال: باسمي، إنما أَقول ساعةَ أَلقى الرجل: أنا تأبط شرّاً، فينخلع قلبه حتى أَنال منه ما أَردت، فقال له الثقفيّ: أَبهذا فقط؟ قال: قطّ، قال: فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، قال: فيم تبتاعه قال: بهذه الحلة وكُنيتي لك، قال له: أفعل، ففعلا وقال له تأبط شرّاً: لك اسمي ولي اسمك وكُنيتك. وأَخذ حلته وأَعطاه طِمريه[٥]، ثم انصرف وقال في ذلك يُخاطب زوجة الثقفيّ:

أَلا هـل أَتـى الـحـسـنـاءَ أَن حـلـيـلَـهـا تـأبـط شـرّاً واكـتـنـيـت أَبـا وهـبِ
فـهـبـه تـسـمـى اسـمـي وسـمـانـيَ اسـمـه فأَين له صبري على مُعظم الخطبِ؟!
وأَيـن لـه بـأْسٌ كـبـأْسـي وسَـوْرَتـي[٦]؟ وأَيـن لـه فـي كـلّ فـادحـة قـلـبـي؟!

[الطويل]

قال حمزة: وأَحبَّ تأبط شرّاً جارية من قومه، وأَرادها فعجز عنها، فلما رأت جزعه من ذلك تناومت عليه فآنسته، وهدأ ثم جعل يقول:

مـا لـك مـن أَيـرٍ سـلـيـب الـخُـلَّـهْ عـجـزتَ عـن جـاريـة رِفـلَّـهْ[٧]

(١) المُخدج من البشر: من ولد ناقصاً، لم يتمَّ الأشهر التسعة في بطن أُمه.
(٢) الشواة: قحف الرأس، أو اليد، أو الرجل.
(٣) الشنان، بكسر الشين، الواحدة شِنة، بكسر الشين: القربة الخلق الصغيرة.
(٤) تمور: تتحرّك سريعاً من جهة إلى أخرى ومن هذه إلى تلك كالسهم.
(٥) الطمر: الثوب المؤلف من لفقين.
(٦) سورتي: حِدّة غضبي وانفعالي.
(٧) الرفلة من الجواري: الكثيرة اللحم والطويلة ذيل الثوب.

تـمـشـي إِلـيـك مـشـيـةً هِـركـلَّـهْ[١] كـمـشـيـةِ الأُرخ تُـريـد الـعَـلَّـهْ

[الرجز]

الأُرخ: الأُنثى منَ البقر التي لم تنتج. والعَلة: تريد أن تعُلَّ بعد النهل، أَي أَنها قد رَويت، فمشيتها ثقيلة، والعَلُّ الشرب الثاني.

لـو أَنـهـا راعـيـة فـي ثـلَّـهْ[٢] تـحـمـل قـلـعَـيـنِ[٣] لـهـا قـبـلَّـهْ[٤]
لـصـرتَ كـالـهِـراوة[٥] الـعـبـلَّـهْ[٦]

[الرجز]

غزوته معَ ابن راق على بجيلةَ:

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد، قال: حدثنا أَحمد بن عمرَ، قال: حدثنا أَبو بركةَ الأَشجعيّ، قال:

أَغارَ تأبط شَرّاً، وهو ثابت بن العميثل التهميّ ومعَه عمرو بن براق الفهميّ على بجيلةَ فاطردا لهم نعماً، ونذرت بهما بجيلةُ فخرجت في آثارهما، ومضيا هاربين في جبال السراة، وركبا الحزن[٧] فعارضتهما بجيلة في السهل، فسبقوهما إلى الوهط[٨]، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف، فدخلوا لهما في قصبة العين فجاءا وقد بلغ العطشُ منهما إلى العين فلما وقفا عليها، قال: تأبط شرّاً لابن براق: اقِلَّ منَ الشراب فإِنها ليلة طرد، فقال: وما يُدريك؟ قال: والذي أَعدو بطيره إِني لأَسمع وجيب[٩] قلوب الرجال تحت قدمي، وكان من أسمع العرب وأَكيدهم. فقال له ابن براق: ذلك وجيبُ قلبك. فقال له تأبط شرّاً: واللَّهِ ما وجَب قطُّ ولا كان وجَّاباً. وضرب بيده عليه وأَصاخ[١٠] نحو الأرض يستمع، فقال: والذي أَعدو بطيره إني لأسمعُ وجيب قلوب الرجال، فقال له ابن براق: فأَنا أَنزل قبلك. فنزل فبرك وشرب، وكان أَكلَّ

(١) الهركلة، بكسر الهاء: المشية في اختيال وتكبّر.
(٢) الثَّلَّة من الضأن: جماعة الغنم الكثيرة.
(٣) القلع: هو ما يضع فيه الراعي زاده وحوائجه.
(٤) القبلة: قد يكون الحرز الذي يضع الراعي فيه زاده.
(٥) الهِراوة، بكسر الهاء: العصا الغليظة.
(٦) العبلة: الضخمة.
(٧) الحزن من الأرض: الصعب المرتقى والصلب ومنحدره قويّ.
(٨) الوهط: الأرض المطمئنة.
(٩) وجيب القلوب: شدّة خفقانها واضطرابها.
(١٠) أصاخ: أنصت ليستمع.

القوم عن بجيلةَ شوكةً فتركوه، وهم في الظلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه فأَخذوه وأَخرجوه منَ العين مكتوفاً، وابنُ براق قريب منهم لا يطمعون فيه، لما يعلمون من عدوه، فقال لهم ثابت: إنه من أَصلف الناس وأَشدهم عُجباً بعدوه، وسأَقول له استأسِرْ معي، فسيدعوه عُجْبه بعدوه إلى أَن يعدوَ من بين أَيديكم، وله ثلاثة أَطلاق: أولها: كالريح الهابَّة، والثاني: كالفرس الجواد، والثالث: يكبو فيه ويعثر، فإِذا رأيتم منه ذلك فخذوه، فإِني أُحبّ أن يصير في أيديكم كما صرت، إِذ خالفني. قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شرّاً: أَنت أَخي في الشدة والرخاء، وقد وعدني القوم أن يُمنُّوا عليك وعليّ، فاستأسرْ وواسني بنفسك في الشدة، كما كنت أَخي في الرخاء، فضحك ابن براق، وعلم أَنه كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر من عندَه هذا العدو؟ ثم عدا، فعدا أولَ طلق مثل الريح كما وصف لهم، والثاني كالفرس الجواد، والثالث جعل يكبو ويعثر على وجهه، فقال ثابت: خُذوه، فعدوا بأَجمعهم، فلما أَن نفّسوا عنه شيئاً عدا تأبط شرّاً في كِتافه، وعارضه ابنُ براق فقطع كتافه، وأفلتا جميعاً، فقال تأبط شرّاً قصيدته القافية في ذلك، وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إِلى آخرها.

وأما المفضّل الضبيّ فذكر أن تأَبط شرّاً وعمرو بن براق والشنفرى ـ وغيره يجعل مكان الشنفرى السُّلَيْك بن السُّلَكة ـ غزوا بجيلة، فلم يظفروا منهم بغِرَّة، وثاروا إِليهم، فأَسروا عَمراً وكتفوه، وأَفلتهم الآخرانِ عدْواً، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أَن ابن براق قد أُسر قال تأبط شرّاً لصاحبه: امضِ فكن قريباً من عمرو فإِني سأتراءى لهم، وأُطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه، فإِذا فعلُوا ذلك فحلّ كتافه وانجُوا، ففعل ما أَمره به، وأَقبل تأبط شرّاً حتى تراءى لبجيلةَ، فلما رأوه طمعوا فيه فطلبوه، وجعل يُطمعهم في نفسه ويعدو عدواً خفيفاً، يُقَرِّب فيه، ويسألهم تخفيف الفدية وإِعطاءه الأَمان حتى يستأسر لهم، وهم يُجيبونه إِلى ذلك ويطلبونه، وهو يُحضر إِحضاراً خفيفاً ولا يتباعد، حتى علا تلعةً أَشرف منها على صاحبيه، فإِذا هما قد نجوا، ففطنت لهما بجيلة فألحقتهما طلباً ففاتاهم، فقال: يا معشرَ بجيلةَ أأَعجبكم عَدوُ ابن براق اليوم؟ واللَّهِ لأعدوَنَّ لكم عَدواً أُنسيكم به عَدوَه، ثم عدا عدواً شديداً ومضى، وذلك قوله:

يـا عـيـدُ مـا لـكَ مـن شـوقٍ وإِيـراقِ ومـرَّ طـيـف عـلـى الأَهـوال طـرّاقِ

[البسيط]

طرائف من أَخباره:

وأَما الأصمعيّ: فإِنه ذكر فيما أخبرني به ابن أَبي الأَزهر، عن حماد بن إسحاقَ عن أَبيه عن عمه.

أن بجيلة أَمهلتهم حتى وردوا الماء وشربوا وناموا، ثم شدّوا عليهم، فأَخذوا تأبط شرّاً، فقال لهم إن ابن براق دلَّاني في هذا، وإنه لا يقدر على العدْوِ لعِقْرٍ في رجليه، فإِن تبعتموه أخذتموه، فكتفوا تأبط شرّاً، ومضوا في إِثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ورجعوا.

أَخبرني الحرميُّ بن أَبي العلاء، قال: حدثنا أَبو سعيد السكريّ قال: حدثنا ابن الأَشرم عن أَبيه. وحدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو، قالا:

كان تأبط شرّاً يعدُو على رجليه، وكان فاتكاً شديداً، فبات ليلةً ذاتَ ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له مرحى بطان، فلقيته الغول، فما زال يُقاتلها ليلته إلى أَن أصبح وهي تطلبه، قال: والغول سَبع من سباع الجِنَّ، وجعل يُراوغها وهي تطلبه وتطلبه وتلتمس غِرَّة منه فلا تقدر عليه إِلى أَن أَصبح، فقال تأبط شرّاً في ذلك:

أَلا مَنْ مُبلغٌ فتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيت عند رَحى بطانِ
بأَني قد لقيت الغول تهوي ... بسَهبٍ كالصحيفة صحصحانِ[1]
فقلت لها: كلانا نضو[2] أينٍ ... أَخو سفر فخلِّي لي مكاني
فشدّت شدَّةً نحوي فأَهوى ... لها كفي بمصقول يماني
فأَضربها بلا دَهَش فخرَّت ... صريعاً لليدينِ وللجرانِ[3]
فقالت: عُدْ. فقلت لها: رُويداً ... مكانَك إنني ثبتُ الجَنانِ
فلم أَنفكَّ متَّكِئاً عليها ... لأَنظرَ مُصبحاً ماذا أتاني
إذا عينانِ في رأس قبيح ... كرأس الهِرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخدَجٍ وشواة[4] كلب ... وثوب من عباءٍ أَو شِنانِ[5]

[الوافر]

---

(١) الصحصحان من الأرض: ما انبسط منها وكان أجرد.
(٢) النضو: الهزيل أو المهزول.
(٣) الجِران، بكسر الجيم: مقدم العنق.
(٤) الشواة: قحف الرأس أو اليد أو الرجل.
(٥) الشنان، بكسر الشين، الواحدة شِنة: القربة الخلق الصغيرة.

قالوا: لو كان من حديثه أَنه خرج غازياً يُريد بجيلة هو ورجل معَه، وهو يريد أَن يغترَّهم فيُصيب حاجته، فأَتى ناحية منهم، فقتل رجلاً، ثم استاق غنماً كثيرة، فنذروا[١] به، فتبعه بعضهم على خيل، وبعضهم على رَجَّالة، وهم كثير. فلما رآهم وكان من أَبصر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، ولن يفارقونا اليومَ حتى يقاتلونا أَو يظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبهُ ينظر، فيقول: ما أَتبين أحداً، حتى إِذا دهموهما[٢] قال لصاحبه: اشتدّ فإِني سأمنعك ما دام في يدي سَهم، فاشتد الرجل، ولقيهم تأبط شرّاً، وجعل يرميهم حتى نفِدت نبله، ثم إنه اشتد فمرّ بصاحبه، فلم يطُق شدَّه، فقُتِل صاحبُه، وهو ابن عم لزوجته، فلما رجع تأبط شرّاً وليس صاحبه معَه عرفوا أنه قد قتل: فقالت له امرأته، تركت صاحبك وجئت مُتباطِئاً. فقال تأبط شرّاً في ذلك:

أَلَا تلكما عِرسِي منيعة ضُمِّنت ... منَ اللَّه إثماً مستسرّاً وعالنا
تقول: تركت صاحبي بمضيعة ... وجئت إِلينا فارقاً[٣] متباطنا[٤]
إذا ما تركت صاحبي لثلاثة ... أوِ اثْنين مثلينا فلا بتَّ آمنا
وما كنت أَبَّاءً[٥] على الخِلّ إِذ دعا ... ولا المرء يدعوني مُمِرًّا[٦] مُداهنا[٧]
وكَرّي إذا أَكرهْتُ رهطاً وأَهله ... وأَرضاً يكون العَوصُ[٨] فيها عُجاهِنا[٩]
ولما سمعت العَوصَ تدعو تنفَّرت ... عصافير رأْسي من غُواةٍ فراتِنا[١٠]
ولم أنتظر أن يَدهموني نحالهم ... ورائيَ نحلاً في الخليَّة واكِنا[١١]
ولا أَن تُصيبَ النافذاتُ مقاتلي ... ولم أَكُ بالشدِّ الذَّليق[١٢] مُداينا
فأرسلتُ منبتًّا مِنَ الشر والهاً ... وقلت: تزحزح لا تكونن حائنا

(١) نذروا به: حذّروا وتنبّهوا له.
(٢) دهموهم: فاجؤوهم.
(٣) فارقاً: خائفاً مرتعباً.
(٤) متباطناً: متثاقلاً كأنه متخم من كثرة ما أكل.
(٥) أبّاء: رافضاً متجافياً.
(٦) ممرًّا: علاقة سيّئة فيها شيء من المرارة.
(٧) مداهناً: مخادعاً، مخاتلاً.
(٨) العَوص: النفس أو الداهية الشديدة وهنا كناية عن الناس وهم حيّ من بجيلة.
(٩) العُجاهن من الرجال: الذي ليس بصريح النسب.
(١٠) الفراتن من النساء، الواحدة فرتنى: الأمة الزانية.
(١١) الواكن من الطيور: الذي دخل في وكنه، وهو عشّه وهنا كناية عن خلية النحل التي تعني الخطر الداهم.
(١٢) الذليق من الرجال: ذو الحدَّة.

وحشحشت[١] مشعوف[٢] النَّجاء كأَنني هِجَفٌّ[٣] رأَى قصراً سمالاً[٤] وداجنا[٥]
مِنَ الحص[٦] هزروفٌ[٧] كأَن عِفاءَه[٨] إذا استدرج الفيفا[٩] ومدَّ المغابنا[١٠]
أَزجَّ[١١] زلوجٌ[١٢] هزرفيٌّ[١٣] زفازفٌ[١٤] هِزَفٌّ[١٥] يبُذُّ الناجيات[١٦] الصوافنا[١٧]
فزحزحت عنهم أَو تجيني منيتي بغبراءَ أَو عَرفاءَ[١٨] تغذو[١٩] الدفائنا[٢٠]
كَأَني أَراها الموتَ لا در درُّها إذا أَمكنت أَنيابها والبراثنا
وقالت لِأخرى خلْفَها، وبناتُها حتوفٌ، تُنقِّي مخَّ من كان واهنا[٢١]
أَخاليجُ[٢٢] ورَّادٍ على ذي محافلٍ[٢٣] إذا نزعوا مدُّوا الدِّلاء الشواطنا[٢٤]

[الطويل]

وقال بعضهم: إنما كان معَه صاحبانِ له في ذلك اليوم، فقتلا، وأَنشد في ذلك لتأبط شرّاً. وقال حمزة: بل خرج تأبط شرّاً هو وصاحبان له، حتى أَغاروا على العوص من بجيلةَ، فأَخذوا نِعماً لهم وأَتبعتهم العَوص فأَدركوهم، وقد كانوا استأجروا لهم رِجالاً كثيرة، فلما رأى تأبط شرّاً أَن لا طاقةَ لهم بهم شدّ وتركهما، فقتل صاحباه، وأخذتِ النعم، وأَفلت حتى أَتى بني القين من فهم، فبات عندَ امرأة منهم

(١) حثحثت: اضطربت.
(٢) المشحوف: المذعور، الخائف.
(٣) الهجف: الظليم المسنّ.
(٤) سمالاً، الواحدة سملة: ما بقي في الحوض من مياه.
(٥) الداجن: الباقي في مكانه.
(٦) الحص، الواحد أحص من الطيور: ما هو قليل الريش.
(٧) الهزروف: السريع.
(٨) العِفاء: الشعر والوبر.
(٩) الفيف: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.
(١٠) المغابن: الأرفاغ وبواطن الأفخاذ.
(١١) الأزج: البعيد الخطو.
(١٢) الزلوج: السريع.
(١٣) الهزرفي: الكثير الحركة.
(١٤) الزفازف من الطيور: هو في جريانه يصوّت.
(١٥) الهِزف، بكسر الهاء من الظلمان: ما كان طويل الريش.
(١٦) الناجيات من الإبل: السريعات.
(١٧) الصوافن من الخيل، الواحد صافن: الذي يقوم على قوائمه الثلاث وأقام الرابعة على طرف حافره.
(١٨) العرفاء من الضباع: ما كان عرفها طويلاً.
(١٩) تغذو: تتبع.
(٢٠) الدفائن: ما كان مدفوناً بالتراب.
(٢١) الواهن: الهالك لشدّة ضعفه.
(٢٢) الأخاليج، الواحد أخلج: الحبل.
(٢٣) المحافل، الواحد محفل: الجمع من البشر، وبذي المحافل البئر حيث يجمع الناس.
(٢٤) الشواطن، الواحد شطن: الحبال التي يُستخرج بواسطتها الماء من الآبار.

يتحدَّث إليها، فلما أَراد أَن يأْتيَ قومه دهنته ورجَّلته فجاء إليهم وهم يبكون، فقالت له امرأته: قبحك اللَّه، تركت صاحبيك وجئت مُدَّهِناً، وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن.

وقال تأبط شرّاً يرثيهما، وكان اسم أحدهما عمراً:

أَبعد قتيل العَوص آسى على فتًى ... وصاحبه أَو يأْملُ الزادَ طارقُ
أَو ٱطردُ نهباً آخرَ الليل أَبتغي ... عُلالةَ[1] يومٍ أَن تعوق العوائقُ
لعمرو فتًى نِلتم كأَن رِداءه ... على سَرحةٍ[2] من سَرح[3] دومة شانقُ[4]
لأطردُ نهباً أَو نرود بفِتية ... بأَيمانهم سُمرُ القنا[5] والفتائقُ[6]
مساعرةٌ شُعث كأَن عيونهم ... حريق الغضا تلفى عليها الشقائقُ
فعدُّوا شهورَ الحُرم ثم تعرّفوا ... قتيلَ أُناسٍ أَو فتاةٍ تُعانق

[الطويل]

قال الأَثرم وأبو عمرو في هذه الرواية: وخرج تأبط شرّاً يُريد أَن يغزوَ هُذيلاً في رهط فنزلوا على الأَحل بن قُنصُل رجلٍ من بجيلة، وكان بينهما حِلف، فأَنزلهم ورحّب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذراريح[7] ليسقيَهم فيستريحَ منهم، ففطِن له تأبط شرّاً، فقام إلى أَصحابه، فقال: إني أَحبُّ أن لا يعلمَ أنَّا قد فطنا له ولكن سابوُّه حتى نحلف أَنا لا نأْكل من طعامه، ثم أغترُّه فأقتله، وقال: إنه إن علم حَذِرني، وقد كان مالأ ابنَ قُنصُل رجلٌ منهم يُقال له لُكيز قتلت فهمٌ أَخاه، فاعتلَّ[8] عليه وعلى أَصحابه، فسبّوه وحلفوا أَن لا يذوقوا من طعامه وشرابه، ثم خرج في وجهه، وأَخذ في بطن وادٍ فيه البُبور[9]، وهي لا يكاد يسلم منها أَحد، والعرب تسمي البَبر ذا اللونين، وبعضهم يُسميه السَّبَنتي، فنزل في بطنه، وقال لأَصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيَّدوا، فهذا الوادي كثير الأَروى[10]، فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادي،

(١) العُلالة، بضمّ العين: ما يُتعلّل به، أي تمسّك بالحجة وتعلّل بها.
(٢) السرحة من الأشجار: العالية المرتفعة. (٣) دومة: موضع.
(٤) الشانق: المتطاول في السماء. (٥) سمر القنا: الرماح الطويلة.
(٦) الفتائق: الواحد فتيق من السيوف: ما كان نصله حادّاً.
(٧) الذراريح، الواحد ذراح: هي دويبة أعظم من الذباب.
(٨) اعتلّ عليه: مرض لأجل ما حلّ بأخيه.
(٩) الببور، الواحد ببر: من الحيوانات المفترسة، لون جلده أسود وهو من الفهود.
(١٠) الأروى: الواحد أروية: ضأن الجبل.

فجاؤوا فوجدوه وقد قتل بَبراً وحده، وغزا هُذيلاً فغنم وأَصاب. فقال تأبط شرّاً في ذلك:

وأَقسمت لا أَنسى وإن طال عيشُنا ... صنيعَ لُكيز والأَحلّ بن قنصُلِ
نزلنا به يوماً فساء صباحنا ... فإنك عمري قد ترى أَيّ منزلِ
بكى إِذْ رآنا نازلينَ ببابه ... وكيف بكاءُ ذي القليل المسبّلِ[1]
فلا وأَبيه ما نزلنا بعامر ... ولا عامر حتى الرئيس بن قوفلِ

[الطويل]

عامر بن مالك أبو بَراء مُلاعب الأَسنة، وعامر بن الطُّفيل، وابن قوفل: مالك بن ثعلبة أَحد بني عوف بن الخزرج.

ولا باللَّيل ربِّ مروانَ قاعداً ... بأَحسنِ عيش والنُّفائيِّ نوفلِ

[الطويل]

ربّ مروان: جرير عبد اللَّه البجلي، ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمرَ أَحد بني الديل بن بكر.

ولا ابن وُهيبِ كاسبِ الحمد والعلا ... ولا ابن ضُبيع وسط آل المخبّلِ
ولا ابن حُليس قاعداً في لِقاحِه ... ولا ابنُ جريٍّ وسط آل المغَفّلِ
ولا ابنِ رياحٍ بالزُّليفات دارُه ... رياح بن سعد لا رياح بن مَعقِلِ
أُولئك أَعطى للولائد خِلفةً ... وأَدعى إلى شَحم السديف المرعبلِ[2]

[الطويل]

وقال أَيضاً في هذه الرواية: كان تأبط شرّاً يشتار[3] عسلاً في غار من بلاد هذيل، يأْتيه كل عام، وإن هُذيلاً ذُكر ذلك لها فرصدوه لإبان ذلك، حتى إذا جاء هو وأَصحابه تدلّى فدخل الغار، وأَغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم ووقفوا على الغار، فحرّكوا الحبل، فأطلع تأبط شرّاً رأسه، فقالوا: اصعد، فقال: لا أَراكم. قالوا: بلى، قد رأيتنا. فقال: فعَلام أَصعد؟ أَعلى الطلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرطَ لك. قال: فتُراكم قاتلي وآكلي جَناي. لا واللَّهِ لا أَفعل. قالَ: وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أَعدّه للهرب، قال: فجعل يسيل العسل منَ الغار ويُهريقه[4]، ثم عمد إلى الزقّ فشده

(١) المسبل من الأملاك: ما كان مباحاً في سبيل اللَّه تعالى يحصل عليه من يشاء.
(٢) السديف المرعبل، السديف: الجمل، والمرعبل: المقطّع.
(٣) يشتار العسل: يقطفه. (٤) يهريقه: يجعله يسيل.

على صدره، ثم لصق بالعسل، فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليماً وفاتهم، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبط شرّاً في ذلك:

أَقول لِلحيان، وقد صفرتْ[١] لهم ... وطابي[٢] ويومي ضيُّق الجحر معورُ[٣]
لكم خصلة إما فداءٌ ومِنَّةٌ[٤] ... وإما دم والقتل بالحرّ أَجدرُ
وأُخرى أُصادي[٥] النفسَ عنها وأَنها ... لفرصةُ حزم إن ظفرت ومصدرُ[٦]
فرشت لها صدري فزلّ عنِ الصفا ... به جؤجؤ[٧] عبلٌ[٨] ومتن[٩] مخصّرُ[١٠]
فخالط سهل الأَرض لم يكدح[١١] الصفا[١٢] ... به كدحة، والموتُ خزيانُ ينظرُ
فآبت إلى فهم ولم أَكُ آيباً ... وكم مثلها فارقتها، وهي تصفِرُ
إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جَده[١٣] ... أَضاع وقاسى أَمره وهو مُدبرُ
ولكن أَخو الحزم الذي ليس نازلاً ... به الخطب إلا، وهو للقصد[١٤] مبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما كان حُوَّلاً ... إذا سُدّ منه منخرٌ جاش منخرُ
فإنك لو قايَست باللِّصب[١٥] حِيلتي ... بلقمانَ لم يَقصُر بيَ الدهرَ مَقصرُ

[الطويل]

طرائف من أَخباره:

وقال أَيضاً في حديث تأبط شرّاً: إنه خرج في عِدّة من فهم فيهم عامر بن الأَخنس والشنفرى والمسيّب وعمرو بن براق ومرة بن خليف، حتى بيتوا العَوص، وهم حيٌّ من بجيلةَ، فقتلوا منهم نفراً، وأَخذوا لهم إبلاً فساقوها، حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة، فاعترضت لهم خثعم، وفيهم ابنُ حاجز، وهو رئيس القوم، وهم يومَئذ في نحو من أَربعينَ رجلاً، فلما نظرت إِليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأَخنس: ماذا ترى؟

---

(١) صفرت: خلت، فرغت.
(٢) الوِطاب، بكسر الواو والواحد وطب: وعاء اللبن.
(٣) المعور: هو الذي بدت عورته.
(٤) المِنّة، بكسر الميم: التفضل على الأسير بحريته.
(٥) أصادي النفس: أتدبّر رأيي بحثاً عن مخرج لما أنا فيه.
(٦) مصدر: مخرج.
(٧) الجؤجؤ: الصدر.
(٨) العبل: الضخم، السمين.
(٩) المتن: الظهر.
(١٠) المخصر: الخصر النحيل.
(١١) يكدح: يتعب.
(١٢) الصفا: الصخر الرقيق الكبير.
(١٣) الجدّ، بفتح الجيم: الحظّ.
(١٤) القصد: الهدف المقصود.
(١٥) اللصبّ: مضيق الوادي.

قال: لا أَرى لكم إلا صِدق الضراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قتلتم كنتم قد أَخذتم ثأْركم، قال تأبط شرّاً: بأَبي أَنت وأُمي، فنِعم رئيسُ القوم أَنت إذا جُدَّ الجدُّ، أَما إِذا اجتمع رأْيكم على هذا، فإِني أَرى لكم أَن تحملوا على القوم حملة واحدة، فإنكم قليل، والقوم كثير، ومتى افترقتم كَثَرَكُمُ القومُ، فحملوا عليهم، فقتلوا في حملتهم، وحملوا ثانية، فانهزمت خثعم وتفرّقت، وأَقبل ابنُ حاجز فأَسند في الجبل، فقال تأبط شرّاً في ذلك:

جَزى اللَّهُ فِتياناً على العوص أَمطرت ... سماؤُهم تحت العَجاجة[١] بالدَّمِ
وقد لاح ضَوءُ الفجر[٢] عَرْضاً كأَنه ... بلمحته أَقرابُ أَبلقَ أَدهمِ
فإِنَّ شِفاءَ الداء إدراكُ ذحْلِهِ[٣] ... صَباحاً على آثار حَوم عرمرَمِ[٤]
وضاربتهم بالسفح إِذ عارضتهُمُ ... قبائل من أَبناء نسرٍ وخثعم
ضِراباً غدا منه ابنُ حاجزَ هارِباً ... ذُرا الصخر في جَدْرِ[٥] الرَّجيل[٦] المُرَيِّمِ[٧]

[الطويل]

وقال الشنفرى في ذلك:

دَعيني وقولي بعدُ ما شئتِ إنني ... سيُغدى بنعشي مرةً فأُغيَّبُ
خرجنا ولم نعهدْ، وقلتَ: وِصاتنا ... ثمانية ما بعدَها متعتبُ
سراحين فتيانٌ كأَن وجوهَهم ... مصابيحُ أَو لون منَ الماء مذْهبُ
تمرُّ برهو الماء صَفحاً، وقد طوت ... شمائلُنا، والزادُ ظن مغيّبُ
ثلاثاً على الأَقدام حتى سما بنا ... على العوص شعشاع[٨] منَ القوم محربُ[٩]
فثاروا إِلينا بالسواد فهجهجوا[١٠] ... وصوَّت فينا بالصباح المشوبُ
فشنَّ عليهم هزةَ السيفِ ثابت ... وصمم فيهم بالحُسام المسَيَّبُ
وظلتُ بفتيانٍ معي أَتّقيهمُ ... بهن قليلاً ساعةً ثم جنّبُوا
وقد خرَّ[١١] منهم راجلانِ وفارس ... كميٌّ[١٢] صرعناه وقرم[١٣] مُسنّبُ

(١) العجاجة: الغبار.
(٢) الفجر: ضوء الصباح.
(٣) الذحل: الثأر.
(٤) الحوم العرمرم: الجيش العظيم عدداً وعُدّة.
(٥) الجَدْر: الحائط.
(٦) الرجيل: المكان بعيد الطرفين.
(٧) المُريّم: المقيم في مكان ما.
(٨) الشعشاع: الطويل الحسن الهيئة.
(٩) المحرب: أخو الحرب شجاعة وقوّة.
(١٠) هجهجوا: هدروا صائحين عالياً.
(١١) خرّ: وقع صريعاً.
(١٢) الكميّ من الأبطال: الشاكي السلاح.
(١٣) القرم: السيد المنيع الجانب، الشجاع.

نسوق بنسر كل ريعٍ[١] وتلعة[٢] ثمانية، والقوم رجل ومقنِبُ[٣]
فلما رآنا قومنا، قيل: أفلحوا فقلنا: اسألوا عن قائل لا يُكذّبُ
[الطويل]

وقال تأبط شرّاً في ذلك:

أَرى قدميّ وقْعَهُما خفيفٌ كتحليل الظليم[٤] حدا رئَا لَهْ
ترى بِهِمَا عذاباً كل يوم لخثعم أَو بجيلةَ أو ثُمالَهْ
[الوافر]

ففرق تأبط شرّاً أَصحابه، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم، وساق تأَبط شرّاً وأَصحابه الإِبل، حتى قدم بها عُليَا مكة.

وقال غيره: إنما سمي تأبط شرّاً ببيت قاله، وهو:

تأَبط شرّاً ثم راح أَوِ اغتدى يوائمُ[٥] غُنْماً أو يُشِيْفُ[٦] على ذَحْلِ[٧]
[الطويل]

قال: وخرج تأبط شرّاً يوماً يُريد الغارة، فلقي سَرحاً[٨] لمراد فاطرده، ونذرت[٩] به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إِلى قومه، وقال في ذلك:

إذا لاقيتَ يومَ الصدق فاربعْ عليك[١٠] ولا يهمك يوم سوٍّ
على أَني بسرحِ بني مُرادٍ شجوتهم[١١] سِباقاً أَي شَجوِ
وآخر مثله لا عيبَ فيه بصرت به ليوم غير زوٍّ[١٢]
خفَضت بساحة تجري علينا أَباريق الكرامةً يوم لهْوِ
[الخفيف]

أَغار تأبّط شرًّا وحدَه على خثعم، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيَّد الأَرانب، معَه قوسه ونبله، فلما رآه تأبّط شرًّا أَهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأَصاب يده اليسرى، وضربه تأبط شرّاً فقتله، وقال في ذلك:

---

(١) الريع: المرتفع من الأرض.
(٢) التلعة: ما علا من الأرض.
(٣) المقنب: جماعة الخيول المغيرة.
(٤) الظليم: ذكر النعام.
(٥) يوائم: يوافق.
(٦) يشيف: يقتدر.
(٧) الذحل: الثأر.
(٨) السرح: الإبل السائمة التي لا راعي لها.
(٩) نذرت: حذّرت، نبّهت.
(١٠) اربع عليك: توقّف.
(١١) شجوتهم: أتعبتهم وأحزنتهم.
(١٢) الزو: الشفع، الزوج.

وكادت وبيتِ اللَّه أَطنابُ[١] ثابت ... تقوَّض عن ليلى وتبكي النوائحُ
تمنى فتًى منا فلاقى ولم يكد ... غُلاماً نمته المحصنات[٢] الصرائحُ[٣]
غلام نمى فوق الخماسيّ قدرُه ... ودون الذي قد ترتجيه النواكحُ
فإن تكُ نالته خطاطيف[٤] كفه ... بأَبيض قصال نمى، وهو فادحُ
فقد شدّ في إحدى يديه كِنانه[٥] ... تداوى لها في أَسود القلب قادحُ

[الطويل]

هذه الأَبيات أَن تكون لقوم المقتول أَشبه منها بتأبّط شرّاً.

قال: وخطب تأبّط شرّاً امرأة من هُذيل من بني سهم، فقال لها قائل: لا تنكحيه فإنه لأَول نصل غداً يفقد فقال تأبّط شرّاً.

وقالوا لها: لا تنكحيه[٦] فإنه ... لأَول نصلٍ أَن يُلاقيَ مجْمعا
فلم ترَ من رأي فتيلاً وحاذرت ... تايُّمَها من لابس الليل أَروعا
قليل غِرار النوم أَكبر همه ... دمُ الثأر أَو يلقى كميًّا مقنعا[٧]
قليل ادخار الزاد إلا تعلَّة ... وقد نشز الشرسوف[٨] والتصق المعى
يُناضله كُلٌّ يشجعُ قومَه ... وما طبُّه[٩] في طرقه أَن يشجعا
يبيت بمغنى الوحش حتى أَلفنه ... ويُصبحُ لا يحمي لها الدهرَ مرتعا
رأَين فتًى لا صيد وحش يهمه ... فلو صافحت إنساً لصافحنه معا
ولكن أَرباب المخاض[١٠] يشقهم ... إذا افتقدوه أو رأَوْه مشسعا[١١]
وإني وإن عمّرت أَعلم أَنني ... سألقى سِنان الموت يبرق أصلعا[١٢]

(١) الأطناب، الواحد طنب: الحبال التي تثبت بها الخيام.
(٢) المحصنات من النساء: المتزوّجات العفيفات اللواتي أحصنّ بأزواجهن.
(٣) الصرائح: الخالصات.
(٤) خطاطيف السباع: مخالبها تشبيهاً لها بالحديدة الحجناء.
(٥) الكنانة: جعبة السهام. (٦) لا تنكحيه: لا تتزوّجي منه.
(٧) كمياً مقنّعاً: بطلاً شاكي السلاح يضع قناعاً على وجهه.
(٨) الشرسوف: غضروف معلّق بكل ضلع.
(٩) طبّه: حذقه.
(١٠) أرباب المخاض: أصحاب الإبل التي مرّ على حملها عشرة أشهر.
(١١) المشسع: المبعد.
(١٢) يبرق أصلعاً: يبدو جليًّا بسيوف قاطعة.

عـلـى غِـرَّةٍ أَو جـهـرةٍ مـن مـكـاثـر أَطـال نِـزالَ الـمـوت حـتـى تـسـعـسـعـا

[الطويل]

تسعسع: فني، وذهب، يقال: قد تسعسع الشهر، ومنه حديث عمرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ حين ذكر شهر رمضان، فقال: إن هذا الشهر قد تسعْسع.

وكـنـت أَظـنُّ الـمـوت فـي الـحـيّ أَو أُرى أَكـدُّ وأُكـرى أَو أَمـوت مـقـنّـعـا

ولـسـت أَبـيـت الـدهـرَ إلا عـلـى فـتًـى أُسـلّـبـه أَو أُذعـر[1] الـسّـرب[2] أَجـمـعـا

ومـن يُـغـر بـالأَبـطـال لا بـدَّ أَنـه سيلقى بهم من مَصرع الموت مصرعا

[الطويل]

قال: وخرج تأَبط شرّاً ومعه صاحبانِ له: عمرو بن كِلاب أَخو المسيّب، وسعد بن الأَشرس، وهم يُريدون الغارة على بجيلةَ، فنذروا[3] بهم، وهم في جبل ليس لهم طريق إلا عليهم، فأَحاطوا بهم، وأَخذوا عليهمُ الطريق، فقاتلوهم، فقُتل صاحبا تأبّط شرّاً ولم يكد حتى أتى قومه، فقالت له امرأته، وهي أُخت عمرو بن كِلاب، إحدى نساء بني سعد بن علي بن رُهم بن رياح: هربتَ عن أخي وتركته وغررته، أَما واللَّهِ لو كنت كريماً ما أَسلمته. فقال تأَبّط شرّاً في ذلك:

أَلا تِـلـكـمـا عِـرسـي مـنـيـعـة ضُـمّـنـت مـنَ الـلَّـه إِثـمـاً مُـسـتـسـرًّا وعـالـنـا

[الطويل]

وذكر باقي الأَبيات.

وإنما دعا امرأته إلى أَن عيّرته أَنه لما رجع بعدَ مقتل صاحبيه، انطلق إلى امرأة كان يتحدّث إليها، وهي من بني القين بن فهم، فبات عندَها، فلما أَصبح غدا إلى امرأته، وهو مدهن مترجل فلما رأته في تلك الحال علمت من أَين جاء وأَين بات، فغارت عليه فعيّرته.

وذكروا أَن تأبّط شرًّا أَغار على خثعم، فقال كاهن لهم: أَروني أَثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه، فكفؤوا على أثره جفنة، ثم أرسلوا إلى الكاهن، فلما رأَى أَثره، قال: هذا ما لا يجوز على صاحبه الأَخذ، فقال تأبّط شرّاً:

أَلا أبـلـغْ بـنـي فـهـمٍ بـن عـمـرو عـلـى طـول الـتـنـائـي[4] والـمـقـالَـهْ

---

(١) أذعر: أرعب، أخاف.

(٢) السرب: الجماعة من الظباء، أو سواهم من البشر.

(٣) نذروا بهم: حذّروهم.

(٤) التنائي: البعد.

مقال الكاهن الجامي لما ... رأى أثري وقد أنهبت مالَهْ
رأى قدميَّ وقعُهما حثيثٌ ... كتحليل الظليم[1] دعا رئالَهْ[2]
أرى بهما عذاباً كل عام ... لخثعم أو بجيلةَ أو ثُمالَهْ
وشرٌ كان صُبّ على هُذيل ... إذا علِقت حِبالهم حِبالَهْ
ويومَ الأَزْد منهم شَرّ يوم ... إذا بعُدوا فقد صدّقتُ قالَهْ

[الوافر]

وذكروا أَن ناساً منَ الأَزْد ربئوا[3] لتأبّط شرّاً ربيئة، وقالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأَقيموا فيه حتى يأْتيَكم، فلما دنا منَ القوم توجّس[4] ثم انصرف ثم عاد، فنهضوا في أَثره حين رأَوْهُ لا يجوز، ومرّ قريباً، فطمِعوا فيه وفيهم رجل يُقال له حاجز، ليثٌ من ليوثهم سريع، فلم يلحقه، فقال تأَبط شرّاً في ذلك:

تَعْتعْتُ[5] حِضْنَي حاجزٍ وصِحابه ... وقد نبذوا خلقانهم[6] وتشنعوا[7]
أظنُّ وإِن صادفت وَعْثاً[8] وإن جرى ... بيَ السهل أَو متنٌ منَ الأَرض مهيعُ[9]
أُجاري ظِلال الطير لو فات واحدٌ ... ولو صدقوا، قالوا: بلى أَنت أسرعُ
فمن كان من فتيانِ قيس وخِندفٍ ... أَطاف به القنَّاصُ من حيث أَفزعوا
يُحبّ ثلاثاً بين يوم وليلة ... وآب[10] مريحاً، وهو أَشوشُ أروعُ
ولو كان قِرني[11] واحداً لكفيته ... وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمعُ

[الطويل]

فأجابه حاجز:

فإِن تك جاريتَ الظلال فربما ... سبقت ويومَ القِرْن عريانُ أَشنعُ
وخلّيت إخوان الصفاء كأَنهم ... ذبائحُ عنز[12] أَو فحيل[13] مصرّعُ

(١) الظليم: ذكر النعام.
(٢) الرئال، الواحد رأل: ولد النعام.
(٣) ربئوا ربيئة: بثّوا رباياهم، أي طلائعهم.
(٤) توجّس: أحسّ بالخطر وخاف.
(٥) تعتع للأمر: احتاط له واستعدّ لمواجهته.
(٦) الخلقان، الواحد خلق: الأثواب البالية.
(٧) تشنعوا: أبدوا منهم ما يُرعب.
(٨) الوعث من الأمكنة: المكان الكثير الدهس الذي تغيب فيه الأقدام أو الطريق العَسِر.
(٩) المهيع: الواسع الأرجاء.
(١٠) آب: رجع، عاد.
(١١) القرن: الشبيه، المثيل.
(١٢) العنز: شاة كان العرب يذبحونها في رجب لآلهتهم في الجاهلية.
(١٣) الفحيل من الجمال: هو ما يمتاز بفحولته.

تُبكّيهم شجوَ الحمامة بعدَما أَرحت ولم تُرفع لهم منك إصبعُ
فهذي ثلاثٌ قد حويت نجاتها وإِن تنجُ أُخرى فهي عندك أَربعُ
[الطويل]

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد، قال: ذكر عليّ بن محمد المدائنيّ عنِ ابن دأْب، قال:

سُئل تأَبّط شرّاً: أَيُّ يوم مرَّ بك خير؟ قال: خرجتُ حتى كنت في بلاد بجيلةَ: أَضاءت ليَ النار رجلاً جالساً إلى امرأة. فعمدت إِلى سيفي، فدفنته قريباً، ثم أقبلت حتى استأنست، فنبحني الكلب، فقال: ما هذا؟ فقلت: بائس. فقال: أُدنُه، فدنوت، فإِذا رجل جلحاب[١] آدم، وإِذا أَضواء الناس إِلى جانبه، فشكوت إِليه الجوع والحاجة: فقال: اكشف تلك القصعة، فأَتيت قصعة إِلى جنب إبله، فإِذا فيها تمر ولبن، فأَكلت منه حتى شبعت، ثم خررت متناوماً، فواللَّهِ ما شئت أَن اضطجع حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله، ثم اندفع يُغني، وهو يقول:

خيرُ الليالي إن سأَلت بليلة ليل بخيْمة بين بيش وعشَّرِ[٢]
لضجيع آنسةٍ كأَن حديثَها شهدٌ[٣] يُشاب[٤] بمزجة من عنبرِ
وضجيع لاهية أُلاعِبُ مثلها بيضاءَ واضحة كظيظ المئزرِ[٥]
ولأَنت مثلُهما وخيرٌ منهما بعدَ الرُّقادِ وقبل أَن لم تُسْحِري
[الكامل]

أَطرف أَخباره:

قال: ثم انحرف فنام، ومالت فنامت: فقلت: ما رأيت كالليلة في الغِرَّة، فإِذا عشر عُشراوات بين أَثلاث فيها عبد واحد وأَمة، فوثبت فاتحثت[٦] سيفي، وانتحيت للعبد فقتلته، وهو نائم، ثم انحرفت إِلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أَخرجته من صلبه، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست، فلما رأته مقتولاً جزعت[٧]، فقلت: لا تخافي، أنا خير لكِ منه. قال: ثم قمت فرَحَلتُ بعضَ الإِبل وقامت تشدّ

(١) الجلحاب من الرجال: الضخم الأجلح. (٢) بيش وعشر: موضعان.
(٣) الشهد: العسل. (٤) يُشاب: يُمزج.
(٥) كظيظ المئزر، الكظيظ: المملوء، والمئزر: رداء من لفقين، مما يدلّ على سمنها.
(٦) اتحثت سيفي: جرّدته.
(٧) جزعت: خافت.

معي ثم أَطردت الإبل أَنا والأَمة، فما حللتُ عُقدة حتى نزلت بصعدةِ بني عوف بن فهم، وأَعرست[١] بالمرأة، وانقلبت عنها أتغنى وأَقول:

بحليلةِ البُجليّ بتُّ من ليلها ... بين الإزار وكشحها[٢] ثم الصَقِ
بأَنيسةٍ طويت على مَطويّها ... طيَّ الحمالةِ[٣] أَو كطيّ المِنطقِ[٤]
فإِذا تقوم فصَعدةٌ في رملةٍ ... لبَدَت بِرَيِّق دِيمةٍ لم تُغدِقِ
وإِذا تجيء تجيء شحب خلْفها ... كالأَيم[٥] أَصعد في كثيب[٦] يرتقي
كذب الكَواهِن والسواحر والهُنا ... أَن لا وفاءَ لعاجز لا يتَّقي

[الكامل]

قال: فهذا خير يوم لقيته.

وشرّ يوم لقيت أَني خرجت، حتى إذا كنت في بلاد ثُمالةَ أَطوف، حتى إِذا كنت منَ القفير[٧] عَشيّاً إذا أَنا بسبع خلِفات فيهن عبد، فأقبلت نحوه وكأَني لا أُريده وجددت فجعل يلوذ[٨] بناقة فيها حمراء، فقلت في نفسي: واللَّهِ إنه ليثقُ بها. فأُفوّق له، ووضع رِجله في أَرجُلها وجعل يدور معَها، فإِذا هو على عجزِها. وأَرميه حين أَشرف، فوضعت سهمي في قلبه، فَخرّ، وندَّتِ النَّاقة شيئاً وأَتبعتها فرجعت فسقتهن شيئاً ثم قلت: واللَّهِ لو ركبت الناقة وطردتهنَّ وأخذت بعثنون[٩] الحمراء فوثبت، فساعةَ استويت عليها كرّت نحو الحي تريع[١٠] وتبعتها الخلِفاتُ، وجعلت أُسكّنها وذهبت، فلما خشيت أن تطرحني في أَيدي القوم رَميت بنفسي عنها، فانكسرت رجلي، وانطلقت والذَّودُ[١١] معَها، فخرجت أَعرج، حتى انخنست[١٢] في طرف كثيب وأَجاز في الطلب، فمكثت مكاني حتى أَظلمت، وشبّت لي ثلاثة أَنوار فإِذا نار عظيمة ظننت أَن لها أَهلاً كثيراً، ونار دونها، ونويرة صغيرة، فهوَيت للصغرى، وأَنا أَجمزُ[١٣]، فلما نبحني الكلب نادى رجل فقال: من هذا؟ فقلت: بائس. فقال: ادنُه

(١) أعرست: تزوّجت.
(٢) الكشح: ما بين السرّة ووسط الظهر.
(٣) الحمالة: علاقة السيف.
(٤) المِنطق: النطاق وما يتمنطق به.
(٥) الأيم: ذكر الأفعى.
(٦) الكثيب: التلّ من الرمل.
(٧) القفير: ماء في طريق الشام بأرض عُذرة، والقُفير بالتصغير موضع.
(٨) يلوذ: يحتمي.
(٩) العثنون: اللحية.
(١٠) تريع: ترجع.
(١١) الذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى التسع.
(١٢) انخنست: استترت.
(١٣) أجمز: أقفز بسرعة.

فدنوت وجلست وجعل يُسائلني، إلى أَن قال: واللَّهِ إني لأَجد منك ريحَ دم. فقلت: لا واللَّهِ، ما بي دم. فوثب إليَّ فنَفضني[١]، ثم نظر في جعبتي، فإذا السهم، فقلت: رميتُ العشية أَرنباً. فقال: كذبت، هذا ريح دم إنسان، ثم وثب إلي ولا أَدفع الشرّ عن نفسي فأَوثقني كُتافاً، ثم عَلَّق جعبتي وقوسي، وطرحني في كسر البيت ونام، فلما أَسحرت حركت رجلي، فإذا هي صالحة، وانفتل الرباط فحللته، ثم وثبت إلى قوسي وجعبتي فأَخذتهما ثم هممت بقتله فقلت: أَنا ضمِنُ الرِّجل وأَنا أَخشى أَن أُطلب فأُدرك ولم أَقتل أَحداً أَحبّ إليَّ، فوليت ومضيت. فواللَّهِ إني لفي الصحراء أحدّث نفسي إذا أَنا به على ناقة يتبعني، فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي وجعبتي وأَمنته وأَقبل فأَناخ راحلته ثم عقلها[٢]، ثم أَقبل إليّ، وعهدُه بي عهدُه، فقلت له: ويلك، ما تُريد مني؟ فأَقبل يشتمني، حتى إذا أَمكنني، وثبت عليه فما أَلبَثتُه أَن ضربت به الأَرض، وبركت عليه أَربطه، فجعل يصيح يالَ ثُمالة، لم أَر كاليوم. فجَنَبته إلى ناقته وركبتها، فما نزعتُ حتى أَحللته في الحيّ وقلت:

أغـرّك مـنـي يـا ابـنَ نـغـلـة[٣] عِـلَّـتـي ... وبِـالأَمـس إن رابـت عـلـيّ روائـبـي
ومـوقـد نـيـرانٍ ثـلاثٍ فـشـرُّهـا ... وألأَمـهـا إذ قـدتـهـا غـيـر عـازبِ[٤]
سـلـبـت سِـلاحـي بـائـساً وشـتـمـتـنـي ... فـيـا خـيـرَ مـسـلـوبٍ ويـا شـرَّ سـالـبِ
فـإن أَكُ لـم أَخـصـبْـك فـيـهـا فـإنـهـا ... نـيـوبُ أَسـاويـدَ[٥] وشـول عـقـاربِ[٦]
ويـا رَكـبـة الـحـمـراء شـرَّة ركـبـةٍ ... وكـادت تـكـون شـرَّ ركـبـةِ راكـبِ

[الطويل]

قال: وخرج تأَبّط شرّاً غازياً يريد الغارة على الأَزْد في بعض ما كان يُغير عليهم وحدَه، فنذرت[٧] به الأَزد، فأَهملوا له إبلاً، وأمروا ثلاثة من ذوي بأْسهم: حاجزَ بنَ أُبيّ، وسوَّاد بن عمرو بن مالك، وعوف بن عبد اللَّه، يتبعونه حتى ينام فيأْخذوه أَخذاً، فكمنوا له مكمناً، وأَقبل تأبّط شرًّا فبصُر بالإبل، فطردها بعضَ يومه، ثم تركها

(١) نفضني: تقصّ حالتي، بحث ما أنا عليه.
(٢) عقلها: ربطها.
(٣) النغلة: الزانية.
(٤) العازب: هو من يرعى إبله بعيداً عن نجعه.
(٥) الأساويد، الواحد أسود: أخبث الحيَّات.
(٦) شول عقارب، الواحدة شولة من العقارب: التي تشول من ذنبها.
(٧) نذرت: حذّرت، نبّهت.

ونهض في شِعب لينظر هل يطلبه أَحد. فكمن القوم حينَ رأوه ولم يرهم، فلما لم ير أَحداً في أَثَره عاود الإبل فشلّها[١] يومَه وليلته والغد حتى أَمسى، ثم عقلها[٢]، وصنع طعاماً فأَكله، والقوم ينظرون إِليه في طلّه[٣] ثم هيّأ مُضطجعاً على النار، ثم أَخمدها وزحف على بطنه ومعَه قوسه، حتى دخل بين الإِبل، وخشيَ أَن يَكونَ رآه أحد وهو لا يعلم، ويأْبى إلا الحذر والأَخذ بالحزم فمكث ساعة وقد هيأ سهماً على كبد قوسه، فلما أَحسوا نومه أَقبلوا ثلاثتهم يؤمُّون المِهاد الذي رأَوه هَيّأَه، فيرمي أحدَهم فيقتله، وجال الآخران، ورمى آخر فقتله، وأَفلت حاجز هارباً، وأَخذ سَلب الرجلينِ، وأَطلق عُقُل الإبل وشلها حتى جاء بها قومَه، وقال تأبّط شرًّا في ذلك:

تُـرَجّـى نـسـاءُ الأَزْد طـلـعـةَ ثـابـت ... أَسـيـراً ولـم يَـدرِيـن كـيـف حَـويـلـي[٤]
فـإن الأُلـى أوصـيـتـم بـيـنَ هـارِبٍ ... طـريـدٍ ومـسـفـوح الـدمـاء قـتـيـل
وَخـدتُ[٥] بـهـم حـتـى إِذا طـال وَخـدُهـم ... روابَ عـلـيـهـم مـضـجـعـي ومـقـيـلـي
مـهـدْتُ لـهـم حـتـى إِذا طـالَ رَوْعـهـم ... إِلـى الـمـهـد خـاتـلـت[٦] الـضِّـيـا بـخـتـيـلِ
فـلـمـا أَحـسـوا الـنـومَ جـاؤوا كـأَنـهـم ... سِـبـاعٌ أضـافَـت هـجـمـةً[٧] بـسـلـيـلِ[٨]
فـقـلّـدت سـوَّار بـن عـمـرو بـن مـالـك ... بـأَسـمـرَ جَـسـر الـقُـدَّتـيـن[٩] طـمـيـلِ[١٠]
فـخـرّ كـأَنَّ الـفِـيـل أَلـقـى جِـرانـهُ[١١] ... عـلـيـه بـرَّيـان الـقِـواء[١٢] أَسـيـلِ[١٣]
وظـلَّ رَعـاع[١٤] الـمـتـن مـن وقـع حـاجـز ... يـخـرُّ ولـو نـهـنـهـت[١٥] غـيـرَ قـلـيـلِ
لأبـتُ كـمـا أَبـا ولـو كـنـت قـارِنـاً ... لـجِـئـتُ ومـا مـالـكـت طـول زَمـيـلـي[١٦]

(١) شلّها: طردها.
(٢) عقلها: ربطها.
(٣) الطلّ: المرتفع من الأرض.
(٤) الحويل: القوَّة والقدرة.
(٥) وخد: أسرع الجمل وصار يرمي بقوائمه كالنعام.
(٦) خاتل: خادع.
(٧) الهجمة من الإبل: ما بين الأربعين حتى المائة.
(٨) السليل: الماء المتدفّق في الوادي.
(٩) القدّة: الحديدة يُقدّ بها.
(١٠) طميل: ملطّخ بالدماء.
(١١) الجران: مقدّم عنق البعير، وألقى جرانه، أي برك.
(١٢) القواء من الأرض: القفراء لا ماء فيها، الخالية.
(١٣) الأسيل: الناعم، الأملس.
(١٤) رعاع المتن: ركب ظهر الفرس ليروّضها.
(١٥) نهنهت: كففت وزجرت قولاً وفعلاً.
(١٦) الزميل: ضرب من عدو الإبل السريع.

فسرُّك ندمانـاك لـمـا تـتـابـعـا وإنـك لـم تـرجـع بَـعـوصَ قـتـيـلِ
ستـأْتي إِلى فـهـمٍ غـنـيـمـةُ خـلـسـةٍ[١] وفـي الأَزْد نـوحُ وَيـلـةٍ بـعـويـلِ
[الطويل]

فقال حاجز بن أُبي الأَزْديّ يُجيبه:

سـألـتُ فـلـم تـكـلّـمـنـي الـرسـومُ

وهي في أَشعار الأَزْد:

فأجابه تأبّط شرًّا:

لـقـد قـال الـخـلـيُّ، وقـال حُـلـسـاً[٢] بـظـهـر الـلـيـل شُـدَّ بـه الـعـكـومُ[٣]
لِـطـيـفٍ مـن سـعـادَ عَـنـاك مـنـهـا مُـراعـاةُ الـنـجـوم ومَـن يَـهـيـمُ
وتـلـك لـئـن عُـنـيـتَ بـهـا رَداحٌ[٤] مـنَ الـنـسـوان مـنـطـقُـهـا رخـيـمُ
نِـيـاقُ الـقُـرط[٥] غَـراءُ[٦] الـثـنـايـا وريـداء[٧] الـشـبـاب ونِـعـم خِـيـم[٨]
ولـكـن فـاتَ صـاحـبُ بـطـن رَهـوٍ وصـاحـبـه فـأَنـت بـه زعـيـمُ
أُواخِـذ خُـطَّـةً فـيـهـا سـواءً أَبـيـت ولـيـلُ داثـرهـا[٩] نـؤومُ
ثـأرت بـه ومـا افـتـرقـت يـداه فـظـلَّ لـهـا بـنـا يـومٌ غـشـومُ
نـحـزُّ رقـابـهـم حـتـى نـزَعـنـا وأَنـفُ الـمـوت مـنـخـرُه رَمـيـمُ[١٠]
وإن تـقـع الـنـسـورُ عـلـيَّ يـومـاً فـلـحـم الـمـعـتـفـي[١١] لـحـمٌ كـريـمُ
وذي رَحِـم أَحـال الـدهـرُ عـنـهُ فـلـيـس لـه لِـذي رحـم حَـريـمُ
أَصـاب الـدهـرُ آمـنَ مَـروَتـيـه[١٢] فـأَلـقـاه الـمـصـاحـبُ والـحـمـيـمُ

---

(١) خلسة: سرقة.
(٢) حُلساً: من حلس الرجل إذا أحبّ شيئاً وتولّع به.
(٣) العكوم، الواحد عكم: وهو ما يشدّ به فم البعير.
(٤) رداح من النسوان: من كانت عظيمة الأَلية.
(٥) نياق القرط: طويلة العنق، فالعقد يتدلّى على رقبتها.
(٦) غرّاء الثنايا: بيضاء الأسنان.
(٧) ريداء الشباب: غُضّة تنعم بعنفوان الفتوّة والشباب.
(٨) الخيم: الخلق والسجية.
(٩) داثرها: ساترها.
(١٠) رميم: محطّم وقد تحلّل.
(١١) المعتفي: طالب الإحسان.
(١٢) المرو، الواحدة مروة: حجارة بيضاء، رقيقة براقة.

مـدَدْتُ لـه يـمـيـنـاً مـن جَـنـاحـي لـهـا وَفـرٌ وكـافـيـةٌ رَحـومُ[١]
أُواسـيـهِ عـلـى الأَيـام أَنـي إِذا قـعـدت بـه الـلُّـؤمـا ألـوم
[الوافر]

ذكروا أَنه لما انصرف الناس عن المستغل، وهي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أَخو تأبّط شرًّا لمن حضر من قومه: لا واللاتِ والعزى لا أَرجع حتى أَغير على بني عُتير من هُذيل، ومعَه رجلانِ من قومه هو ثالثهما، فاطردوا إِبلاً لبني عُتير فاتبعهم أرباب الإِبل، فقال عمرو: أَنا كارٌ على القوم ومنهنههم[٢] عنكما، فأمضيا بالإِبل. فكرّ عليهم فنهنههم طويلاً، فجرح في القوم رئيساً، ورماه رجل من بني عُتير بسهم فقتله، فقالت بنو عُتير: هذا عمرو بن جابر، ما تضيعون أَن تلحقوا بأَصحابه أبعدها اللَّه من إِبل، إِنا نخشى أن نلحقهم فيُقتل القومُ منا، فيكونوا قد أَخذوا الثأْر، فرجعوا ولم يجاوزوه. وكانوا يظنون أَن معَه أُناساً كثيراً، فقال تأَبّط شرًّا لما بلغه قتل أَخيه:

وحـرّمـتُ الـنـسـاءَ وإن أُحـلّـت بـشَـور[٣] أو بـمـزج أو لِـصـابِ[٤]
حـيـاتـي أو أَزور بـنـي عُـتـيـر وكـاهِـلـهـا بـجـمـع ذي ضِـبـابِ[٥]
إِذا رفـعـت لـكـعـبٍ أَو خـثـيـم[٦] وسـيـار يـسـوغُ لـهـا شـرابـي
أَظُـنّـي مـيِّـتـاً كـمـداً ولـمّـا أُطـالـعْ طـلـعـةً أَهـل الـكـرابِ[٧]
وزلـت مُـسـيَّـراً أَهـدي رعـيـلاً[٨] أَؤم سـوادَ طـودٍ[٩] ذي نِـقـابِ[١٠]
[الوافر]

فأَجابه أَنس بن حذيفةَ الهُذليّ:

لـعـلّـك أَن تـجـيء بـك الـمـنـايـا تُـسـاق لـفـتـيـة مـنّـا غِـضـابِ
فـتـنـزلَ فـي مَـكـرّهـمُ صـريـعـاً وتُـنـزل طـرقـة الـضَّـبُـعِ الـسَّـغَـابِ[١١]

(١) الرحوم: من الرحمة.
(٢) منهنههم: زاجرهم قولاً وفعلاً.
(٣) الشور: جني العسل من القفير.
(٤) اللصاب من السيوف التي تنشب في أغمادها كثيراً.
(٥) الضِّباب، بكسر الضاد: مفردها ضَبّ، وهو حيوان من الزحافات ذنبه كثير العقد.
(٦) خثيم: اسم قبيلة أو حيّ.
(٧) الكراب: حراثة الأرض وزراعتها.
(٨) الرعيل: القطعة من الخيل، أو الطليعة من الخيل.
(٩) الطود: الجبل.
(١٠) النقاب، الواحد نقب: الطريق في الجبل.
(١١) السَّغاب: هنا بمعنى السَّاغب أي الجائع.

تـأَبَّـط سـوأةً وحـمـلـت شـرًّا لـعـلّـك أَن تـكـون مـنَ الـمـصـابِ
[الوافر]

ثم إِن السَّمع بن جابر أَخا تأبّط شرًّا خرج في صعاليكَ من قومه يُريد الغارة على بني عُتير ليثأَر بأَخيه عمرو بن جابر، حتى إِذا كان ببلاد هُذيل لقي راعياً لهم، فسأله عنهم، فأَخبره بأَهل بيت من عتير كثيرٍ مالهم، فبيَّتهم، فلم يُفلت منهم مُخبر، واستاقوا أَموالهم، فقال في ذلك السّمع بن جابر:

بـأَعـلـى ذي جـمـاجـم أَهـل دارٍ إذا ظـعـنـت[1] عـشـيـرتُـهـم أَقـامـوا
طـرقـتـهـم بـفـتـيـانٍ كـرام مـسـاعـيـرٍ إِذا حـمـيَ الـمـقـامُ
مـتـى مـا أَدعُ مـن فـهـمٍ تـجـبْـنـي وعـدوانَ الـحـمـاةِ لـهـم نـظـامُ
[الوافر]

غارته على الأَزْد:

ذكروا أَن تأبّط شرًّا خرج ومعَه مُرة بن خليف يريدانِ الغارة على الأَزْد، وقد جعلا الهداية بينهما، فلما كانت هداية مُرّة نعس، فجار عنِ الطريق، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإِذا فيها مياه يصيح الطير عليها، وإِذا البيض والفراخ بظهور الأَكم، فقال تأبّط شرًّا: هلكنا واللاتِ يا مرّةُ، ما وطيء هذا المكان إنسٌ قبلنا، ولو وطئته إنسٌ ما باضتِ الطير بالأَرض، فاختر أَية هاتين القُنتين شئت، وهما أَطول شيء يُريان منَ الجبال، فأَصعد إِحداهما وتصعد أَنت الأُخرى، فإِن رأيت الحياة فألح بالثوب وإِن رأيت الموت فأَلح بالسيف، فإِني فاعل مثل ذلك، فأقاما يومين، ثم إِن تأبّط شرًّا أَلاح بالثوب، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل، فقال مرة: ما رأيت يا ثابت؟ قال: دخاناً أَو جراداً. قال مرة: إِنك إن جزعت منه هلكنا، فقال تأبّط شرًّا: أَما أنا فإِني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح، فمكثا بذلك يومينِ وليلتينِ، ثم تبعا الصوت، فقال تأبّط شرًّا: النعمُ والناس. أَما واللَّهِ لئن عُرفنا لنقتلنَّ، ولئن أَغرنا لنُدْركن، فأْتِ الحيَّ من طرف وأَنا منَ الآخر، ثم كن ضيفاً ثلاثاً، فإِن لم يرجع إِليك قلبك فلا رجع، ثم أَغِرْ على ما قِبلَك إِذا تدلتِ الشمس فكانت قدر قامة، وموعدك الطريق. ففعلا، حتى إِذا كان اليوم الثالث دخلا شِعباً، فنحرا قلوصاً، فبينا هما يشويانِ إِذ سمعا حساً على باب الشعب، فقال تأبّط: الطلبُ يا مُرة إِن ثبت لم يدخل فهم مَجيزون، وإِن دخل فهمُ الطلب، فلم يلبث أَن سمع الحسّ يدخل، فقال

(١) ظعنت: رحلت.

مرة: هلكنا، ووضع تأبّط شرًا يده على عضد مُرَّة، فإذا هي ترعد، فقال: ما أَرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية من هُذيل خذ بظهري، فإن نجوتُ نجوتَ وإن قُتلت وقيتك. فلما دنا القوم أَخذ مرة بظهر تأبّط، وحمل تأبّط شرًا فقتل رجلاً، ورموه بسهم فأَعلقوه[١] فيه، وأَفلتا جميعاً بأَنفسهما، فلما أَمنا وكان من آخر الليل، قال مرة: ما رأيت كاليوم غنيمة أُخذت على حين أَشرفنا على أَهلنا، وعض عضده، وكان الحيُّ الذين أَغاروا عليهم بجيلة، وأتى تأبّط شرًا امرأته فلما رأت جراحته ولولت، فقال تأبّط شرًا في ذلك:

وبِالشِّعب إذا سدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومن خلفه هضبٌ صغار وجاملُ[٢]
شددت لنفس المردِ مرَّة حَزْمه ... وقد نُصبت دون النّجاء[٣] الحبائلُ
وقلت له: كن خلف ظهري فإنني ... سأَفديك وانظرْ بعد ما أَنت فاعلُ
فعاذ بحدّ السيف صاحبُ أَمرهم ... وخلوا عنِ الشيء الذي لم يحاولوا
وأَخطأهم قتلي ورفَّعت صاحبي ... على الليل لم تؤخذ عليّ المخاتلُ[٤]
وأَخطأ غنمَ الحيِّ مُرَّة بعدَما ... حوته إليه كفُّه والأناملُ
يعضُّ على أَطرافه كيف رَوْلهُ[٥] ... ودون الملا[٦] سهل منَ الأَرض ماثلُ[٧]
فقلت له: هذي بتلك وقد يرى ... لها ثمناً من نفسه ما يُزاولُ
تُولول سُعدى إن أَتيتُ مُجرحاً ... إليها، وقد مَنَّت عليَّ المقاتلُ
وكائنْ أَتاها هارباً قبل هذه ... ومن غانِمٍ أَو أَين منك الولاوِلُ

[الطويل]

معركة معَ خثعم:

فلما انقضتِ الأَشهر الحرمُ خرج تأبّط شرًا والمسيب بن كِلاب في ستة نفر يُريدون الغارة على بجيلةَ، والأَخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كِلاب وسعد بن الأَشرس، فخرج تأبّط شرًا، والمسيب بن كِلاب، وعامر بن الأَخنس، وعمرو بن براق، ومرة بن خليف، والشنفرى بن مالك، والسمع وكعب جدار ابنا جابر أَخوا تأبّط شرًا. فمضوا حتى أَغاروا على العَوْص، فقتلوا منهم ثلاثة نفر: فارسينِ وراجلاً،

(١) أعقلوه: صرعوه.
(٢) الجامل من الإبل: جماعة منها.
(٣) النجاء: الخلاص، النجاة، الفرار.
(٤) المخاتل: المخادع.
(٥) الرول: لُعاب الدوابّ.
(٦) الملأ: الناس.
(٧) ماثل: بادٍ، ظاهر.

واطردوا لهم إبلاً، وأخذوا منهم أَفراساً، فَمَضوْا بما غنموا حتى إِذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أَربعينَ رجلاً، فيهم أُبيّ بن جابر الخثعميّ، وهو رئيس القوم، فقال تأبّط شرًّا: يا قومُ، لا تُسلموا لهم ما في أَيديكم حتى تُبلوا عُذراً، وقال عامر بن الأَخنس: عليكم بصدق الضراب وقد أَدركتم بثأْركم. وقال المسيَّب: اصدقوا القوم الحملة، وإِيَّاكم والفشلَ، وقال عمرو بن براق: ابذلوا مهجكم ساعة، فإن النصر عند الصبر. وقال الشنفرى:

نحن الصعاليك الحماة البزَّلُ إذا لقينا لن نُرى نُهللُ

[الرجز]

وقال مرة بن خليف:

يا ثابتَ الخير! ويا ابن الأَخنسِ ويا ابنَ برَّاق الكريم الأَشوسِ
والشنفرى عندَ حيود الأَنفس أَنا ابن حامي الشرب في المغمَّسِ[١]
نحن مساعيرُ الحروب الضُّرَّسِ[٢]

[الرجز]

وقال كعب جُدار أَخو تأبّط شرًّا:

يا قومُ أَمَّا إذ لقيتُم فاصبروا ولا تخيموا[٣] جزعاً[٤] فتدبروا[٥]

[الرجز]

وقال السمّع أَخو تأَبّط شرًّا:

يا قومُ كونوا عندَها أَحرارا لا تسْلموا العُوذ[٦] ولا البكارا
ولا القناعيس[٧] ولا العِشارا[٨] لخثعم وقد دَعوْا غِرارا
ساقوهمُ الموتَ معاً أَحرارا وافتخروا الدهرَ بها افتخارا

[الرجز]

---

(١) المغمّس: الموضع في وسط المعمعة والحرب.
(٢) الحروب الضُّرّس: القاسية.
(٣) تخيموا: تجبنوا، تخافوا، تنكصوا على أعقابكم.
(٤) جزعاً: جبناً، خوفاً.
(٥) تدبروا: تفرّوا.
(٦) العوذ، جمع عائذ: ما كان حديث النتاج من الإبل والخيول والظباء.
(٧) القناعيس من الإبل، الواحد قنعاس، وهو العظيم منها.
(٨) العِشار، بكسر العين، من الإبل التي مضى على حملها عشرة أشهر.

فلما سمع تأبّط شرًّا مقالتهم قال: بأَبي أَنتم وأُمي نِعْمَ الحماةُ إذا جدَّ الجِدُّ، أَما إِذا أَجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرقوا، فإِن القوم أَكثر منكم. فحملوا عليهم فقتلوا منهم، ثم كروا الثانية فقتلوا، ثم كروا الثالثة فقتلوا فانهزمت خثعم وتفرقت في رؤوس الجبال، ومضى تأَبّط شرًّا وأصحابه بما غنِموا وأسلابِ مَنْ قُتلوا، فقال تأبّط شرًّا من ذلك:

جزى اللَّه فِتياناً على العوص أَشرقت ... سيوفهم تحت العَجاجة[١] بالدّم
وقد لاح ضوء الصبح عَرضاً كأنه ... بلمحته أَقرابُ[٢] أبلقَ أدهم[٣]
فآبَ بلا ذمٍّ وأَدرك ذَحْلَه[٤] ... وصاح على أَدبار حوْم عرمرمِ[٥]
وضارَبَهم بالسيف إِذ عارضتْهُمُ ... قبائل من أَبناء بشرٍ وخثعم
ضِراباً غدا منه أُبيٌّ بنُ جابرٍ ... ذُرا الصَّخر في جوفِ الجبال المزنَّم[٦]

[الطويل]

وقال الشنفرى في ذلك:

دعيني وقولي بعدُ ما شئت، إِنني ... سيُفدى بنفسي مرة فأُغيَّبُ
خرجنا ولم تعهد وملّت وصالنا ... ثمانيةٌ ما بعدنا متعتبُ
سراحين[٧] فِتيانٌ كأَن وجوههم ... مصابيح أَو لون منَ الماء مذهبُ
تمرْ برهْو الماء صفحاً، وقد طوت ... شمائلنا والزادُ طيٌّ مُعصّبُ
ثلاثاً على الأَقدام حتى سما بنا ... على العوص شعشاعٌ منَ القوم محربُ
فثاروا إِلينا في السواد وهجهجوا[٨] ... وصوّت فيهم بالصياح مثَوّبُ
فشنّ عليهم هزّة السيف ثابتٌ ... وصمم فيهم بالحسام المُسيَّبُ
وظَلْتُ بفتيان معي أَتَّقيهمُ ... بهم غيرِ مِيلِ[٩] ساعةٌ ثم جنّبُوا
وقد خرَّ منهم فارسانِ وراجلٌ ... كريمٌ صرعناه وكومٌ[١٠] مُسلَّبُ

(١) العجاجة: الغبار.
(٢) الأقراب: الخواصر.
(٣) الأدهم من الخيول: الأسود.
(٤) الذَّحل: الثأر.
(٥) الحوم العرمرم، القطيع العظيم من الإبل.
(٦) المزنّم من الإبل: ما قطع من آذانها شيء وبقي معلّقاً.
(٧) سراحين، الواحد سرحان: الذئاب.
(٨) هجهجوا: صرخوا وضجّوا.
(٩) الميل، الواحد أميل: الجبناء.
(١٠) الكوم، الواحدة كوماء: الإبل العظام الضخام.

نسوق بنشر كلّ ريع[١] وتلعةٍ[٢] ثمانيةً، والقومُ رَجل ومِقنبُ[٣]
ولما رآنا قومُنا قيل: أَفلحوا فقلنا: سَلوا عن قائل لا يكذّبُ
[الطويل]

وقال الشنفرى في ذلك:

أَلا هل أَتى عنَّا سُعاد ودونها مهامِهُ[٤] بيدٍ تعتلي بالصعالكِ
بأَنّا صبحنا القوم في حُرّ دارهم[٥] حِمام المنايا[٦] بالسيوف البواتكِ[٧]
قتلنا بعمرو منهم خيرَ فارس يزيد وسعداً وابن عوفٍ بمالكِ
ظَللنا نفَرِّي بالسيوف رؤوسهم ونرشقهم بالنبل بين الدكادكِ[٨]
[الطويل]

معَ بني نفاثة:

قال: وخرج تأبّط شرًّا في سرية من قومه، فيهم عمرو بن براق، ومرة بن خليف والمسيَّب بن كِلاب، وعامر بن الأَخنس، وهو رأس القوم، وكعب جدار وريش لغب والسمع وشريس بنو جابر إخوة تأبّط شرًّا، وسعد ومالك ابنا الأَقرع، حتى مرّوا ببني نفاثةَ بن الدِّيل وهم يُريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مُطلٍّ عليهم، فلما كان في وجه السحر أَخذ عامر بن الأَخنس قوسه، فوجد وترها مُسترخياً، فجعل يوترها، ويقول تأبّط شرًّا: بعض حطيط وترك يا عامر، وسمعه شيخٌ من بني نفاثةَ، فقال لبنات له: أَنصتن فهذه واللَّهِ غارة لبني ليث ـ وكان الذي بينهم يومَئذٍ متفاقماً في قتل حُمَيصةَ بن قيس أَخي بلعاء، وكانوا أَصابوه خطأً ـ وكانت بنو نُفاثةَ في غزوة والحيّ خلوف[٩]، وليس عندهم غيرُ أَشياخ وغِلمان لا طَباخَ[١٠] بهم، فقالتِ امرأة منهم: أَجهروا الكلام، والبسوا السلاح، فإِن لنا عِدَّةً فواللاتِ ما هم إلا تأبّط شرًّا

(١) الريع: الطريق المنفرج في الجبل، المكان المرتفع.
(٢) التلعة: المرتفع من الأرض.
(٣) المِقنب، بكسر الميم: جماعة الخيل تجتمع للغارة.
(٤) المهمه: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.
(٥) حُرّ دارهم: في عقر دارهم.
(٦) حِمام المنايا: الموت.
(٧) السيوف البواتك: السيوف القاطعة.
(٨) الدكادك، الواحدة دكدك من الأراضي: التي فيها غُلَظ.
(٩) الحيّ خلوف: ليس فيه من يحميه من الفرسان الذين غادروا ديارهم.
(١٠) الطباخ: الإحكام والقوة.

وأَصحابه. فبرزن معَ نوفل وأَصحابه. فلما أَبصر بهم، قال: انصرفوا فإِن القوم قد نذروا بكم، فأَبَوْا عليه إِلا الغارة فسلّ تأبّط شرًا سيفه وقال: لئن أَغرتم عليهم لأتكئن على سيفي حتى أَنفذه من ظهري، فانصرفوا ولا يحسبون إلا أَن النساء رجال، حتى مروا بإِبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأَطردوها، فلحقهم غلام من بني جُندع بن ليث، فقال: يا عامرَ بنَ الأَخنس، أَتهاب نساء بني نُفاثةَ وتُغير على رجال بني ليث؟ هذه واللَّهِ إبلٌ لبلعاءَ بن قيس. فقال له عامر أَوَ كان رجالهم خلوفاً؟ قال: نعم، قال: أَقري بلعاءَ مني السلام، وأَخبرْه بردي إبله، وأَعلمْه أَني قد حبست منها بكراً لأَصحابي، فإِنَّا قد أَرملنا[١]. فقال الغلام: لئن حبست منها هُلبة[٢] لأُعلمنه، ولا أَطرد منها بعير أَبداً. فحمل عليه تأبّط شرًا فقتله، ومضَوْا بالإِبل إِلى قومهم، فقال في ذلك تأبّط شرًا:

أَلا عجِب الفتيان من أُمِّ مالكٍ ... تقول: أَراك اليومَ أَشعث أغبرا
تبُوعاً لآثار السَّرية بعدَ ما ... رأَيتك برّاق المفارق أَيسرا
فقلت لها: يومانِ: يومُ إقامة ... أَهزّ به غُصناً منَ البان أَخضرا
ويومٌ أَهز السيف في جيد أَغيد ... له نِسوةٌ لم تلق مثلي أَنكرا
يخفن عليه، وهو ينزع نفسه ... لقد كنت أَبّاء الظُّلامة قسورا[٣]
وقد صحت في آثار حوم كأنها ... عذارى عُقيل أَو بكارةُ حِميرا
أبعد النَّفاثيين آمل طُرفةً ... وآسي على شيء إذا هو أَدبرا
أَكفكف[٤] عنهم صُحبتي وإخالهم ... منَ الذلّ يعراً[٥] بالتَّلاعة[٦] أَعفرا
فلو نالتِ الكفان أَصحاب نوفل ... بمهمهةٍ[٧] من بطن طرٍّ فعرعرا[٨]
ولما أَبى الليثيُّ إلا تهكّماً ... بعِرضي وكان العرضُ عِرضي أَوترا
فقلت له: حق الثناءُ فإِنني ... سأذهب حتى لم أَجد مُتأَخَّرا

(١) أرملنا: افتقرنا أو نفد زادنا.
(٢) الهلبة: الشعرة من شعر الذنب.
(٣) القسور: الغلام الشجاع القوي.
(٤) أكفكف عنهم صحبتي: أردّهم وأمنعهم.
(٥) اليعر: الجدي.
(٦) التلاعة: المرتفع من الأرض. وهي ماء لبني كنانة.
(٧) المهمهة: المفازة لا ماء فيها ولا أنيس.
(٨) بطن طرّ وعرعر: موضعان.

ولـمـا رأيـت الـجـهـل زاد لـجـاجـةً يـقـول: فـلا يـأْلـوك أَن يـتـشـورا[١]
دنـوْت لـه حـتـى كـأَن قـمـيـصَـه تشرَّب من نضح[٢] الأَخادع[٣] عُصفُرا[٤]
فـمـن مـبـلـغٌ لـيـتَ بـن بـكـر بـأَنـنـا تـركـنـا أَخـاهـم يـوم قـرنٍ[٥] مُـعـفَّـرا
[الطويل]

قال: غزا تأبّط شرًّا بني نُفاثةَ بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كِنانةَ وهم خلوف، ليس في دارهم رجل، وكان الخبر قد أَتى تأبّط شرًّا، فأَشرف فوق جبل ينظر إلى الحيّ، وهم أسفل منه، فرأته امرأة، فطرح نفسه، فعلمتِ المرأة أنه تأبّط شرًّا، وكانت عاقلة، فأَمرتِ النساء فلبسن لِبسة الرجال، ثم خرجت كأَنهن يطلبن الضالة، وكان أَصحابه يتفلّتون ويقولون: أُغزُ، وإِنما كان في سَريَّة من بين الستة إِلى السبعة، فأَبى أَن يدعهم، وخرج يُريد هُذيلاً، وانصرف عنِ النفاثيين، فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفاً له من هُذيل، فقال له: العجب لك يا تأبّط شرًّا! قال: وما هو؟ قال: إن رجال بني نفاثةَ كانوا خلوفاً فمكرت بهمُ امرأة، وإنهم قد رجعوا.

ففي ذلك يقول:

أَلا عـجـب الـفـتـيـانُ مـن أُمِّ مـالـك تـقـول: لـقـد أَصـبـحـت أَشـعـثَ أَغـبـرا
[الطويل]

وذكر باقي الأَبيات المتقدمة.

وقال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأَخنس الفهمي، وكان من حديث عامر بن الأَخنس أَنه غزا في نفر بضعةٍ وعشرينَ رجلاً، فيهم عامر بن الأَخنس، وكان سيداً فيهم، وكان إذا خرج في غزيٍّ رأسهم، وكان يُقال له: سيّد الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثةَ بن عدي بن الديل ممسين، ينتظرون أَن ينام الحيّ، حتى إذا كان في سواد الليل مرّ بهم راعٍ منَ الحي قد أَغدرَ[٦] فمعه غديرته[٧] يسوقها فبصُرَ بهم وبمكانهم، فخلَّى الغديرة وتبع الضراء ضراء[٨] الوادي،

(١) يتشوّر: يخجل. (٢) نضح الماء: رشّه.
(٣) الأخادع، الواحد أخدع، وهما أخدعان: عرقان في صفحتي العنق.
(٤) العُصفُر: صبغ أصفر اللون.
(٥) يوم قرن: حيث دارت معركة.
(٦) أغدر: تُرك ولم يلحقوه معهم، فبقي في الديار.
(٧) غديرته: ناقته تركها ترعى إلى جانبه.
(٨) الضراء من الأشجار: ما كان ملتفاً في الوادي.

حتى جاء الحيّ فأَخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم، فقاموا فاختاروا فتيان الحي فسلّحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دنوا منهم قال رجل منَ النفاثيين: واللَّهِ ما قوسي بموترة. فقالوا: فأَوترْ قوسك، فوضع قوسه فأَوترها، فقال تأَبّط شرًا لأَصحابه:

اسكتوا، واستمع، فقال أتيتم واللَّهِ، قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا واللَّهِ أسمع حَطيط وتر قوس. قالوا: واللَّهِ ما نسمع شيئاً. قال: بلى واللَّهِ إني لأسمعُه، يا قومُ النجاءَ. قالوا:

لا! واللَّهِ ما سمعتَ شيئاً: فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معَه نفر، وبيّتهم بنو نفاثةَ فلم يُفلت منهم إنسان، وخرج هو وأَصحابه الذين انطلقوا معَه، وقُتل تلك الليلة عامر بن الأَخنس.

قال ابن عُمير، وسأَلت أهل الحجاز عن عامر بن الأَخنس، فزعموا أنه مات على فراشه.

فلما رجع تأَبّط شرًا قالت له امرأته: تركتَ أَصحابك، فقال حينئذٍ:

أَلا عجِبَ الفِتيانُ من أُمّ مالكٍ تقول: لقد أَصبحت أَشعث أَغبرا

[الطويل]

فلما رجع تأَبّط شرًا وبلغه ما لقي أصحابه، قال: واللَّهِ ما يمسّ رأسي غسلٌ ولا دهنٌ حتى أَثأَر بهم، فخرج في نفر من قومه، حتى عرض لهم بيت من هُذيل بين صُوى[1] جبل، فقال: اغنموا هذا البيت أَولاً، قالوا: لا واللَّهِ، ما لنا فيه أَرَبٌ، ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أَن نسوقها. فقال: إني أتفاءل أَن أَنزل، ووقف، وأَنَّت[2] به ضبعٌ من يساره، فكرهها، وعاف على غير الذي رأى، فقال: أَبشري أُشبعك منَ القوم غداً. فقال له أَصحابه: ويحك، انطلق، فواللَّهِ ما نرى أَن نُقيم عليها. قال: لا واللَّهِ لا أَريم[3] حتى أُصبح. وأَتت به ضبع عن يساره فقال: أَشبعك منَ القوم غداً. فقال أَحد القوم: واللَّهِ إني أَرى هاتينِ غداً بك فقال: لا واللَّهِ لا أَريمُ حتى أُصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأَى أَهل البيت وعدّهم على النار، وأَبصر سواد غلام منَ القوم دونَ المحتلم، وغَدَوْا على القوم، فقتلوا شيخاً وعجوزاً، وحازوا جاريتينِ وإبلاً. ثم قال تأَبّط شرًا: إِني قد رأَيت معهم غلاماً، فأَين الغلام الذي كان

(١) الصُّوى، بضم الصاد، الواحدة صُوة: الأحجار تترك علامات للطريق.

(٢) أنّت به: قصدته وهي تصدر صوتاً.

(٣) أريم: أقيم وأثبت.

معهم؟ فأَبصر أَثره فاتبعه، فقال له أَصحابه: ويلك دعْه فإنك لا تُريد إِليه شيئاً، فاتبعه، واستتر الغلامُ بقتادةٍ إلى صخرة، وأَقبل تأبّط شرًّا يقصُّه[١]، وفوّق الغلامُ سهماً حين رأَى أنه لا يُنجيه شيء، وأَمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة، فوثب على الصخرة، وأَرسل السهم، فلم يسمع تأبّط شرًّا إلا الحبضة[٢] فرفع رأَسه، فانتظم السهمُ قلبه، وأَقبل نحوَه، وهو يقول: لا بأْسَ، فقال الغلام: لا بأْس، واللَّهِ لقد وضعته حيث تكره. وغشيَه تأَبّط شرًّا بالسيف، وجعل الغلام يلوذ بالقتادة، ويضربها تأَبّط شرًّا بحُشاشته[٣]، فيأْخذ ما أَصابتِ الضربة منها، حتى خَلَص إِليه، فقتله، ثم نزل إلى أَصحابه يجر رجله، فلما رأَوْه وثبوا، ولم يدروا ما أَصابه، فقالوا: ما لك؟ فلم ينطق، ومات في أَيديهم. فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأْكل منه سبع ولا طائر إِلا مات، فاحتملته هذيل، فألقته في غار يقال له غار رَخمان فقالت رَيطة أُخته، وهي يومئذٍ متزوجة في بني الديل.

نِعْمَ الفتى غادرتمُ برَخمان ... بثابت بن جابر بن سفيانْ

[الرجز]

وقال مرة بن خليف يرثيه:

إن العزيمة والعزَّاءَ قد ثَوَيا[٤] ... أَكفانَ ميت غدا في غار رَخمانِ

إِلَّا يكن كُرسُفٌ[٥] كُفِّنت جَيِّدَه ... ولا يكن كفنٌ من ثوب كتَّانِ

فإِن حُرّاً منَ الأَنساب ألبسه ... ريش الندى، والندى من خير أَكفانِ

وليلةٍ رأْسُ أفعاها إِلى حجر ... ويومِ أَور منَ الجوزاءِ رنّانِ

مضيتَ أول رهطٍ عندَ آخره ... في إِثْر عادية أو إثر فتيانِ

[البسيط]

وقالت أم تأبّط شرًّا ترثيه:

وابناه وابن الليل، ليس بزقيل[٦]، شروب القيل[٧]، ووادٍ ذي هول أَخزت الليل، تجر بالذيل.

خبر مقتله:

قال أَبو عمرَ الشيبانيّ: لا بل كان من شأْن تأَبّط شرًّا، وهو ثابت بن جابر بن

(١) يقصّه: يتبع آثاره.
(٢) الحبضة: الحركة.
(٣) الحشاشة: بقية الروح.
(٤) ثوى: أقام.
(٥) الكُرسُف، بالضم: القطن.
(٦) الزقيل: الجبان لشدّة ضعفه.
(٧) شروب القيل: من شرب اللبن عند القائلة نصف النهار.

سفيان، وكان جريئاً شاعراً فاتكاً أَنه خرج من أَهله بغارة من قومه، يُريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعيد بن هُذْيل، وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أَهل الجاهلية، حتى هبط صدرَ أَدام، وخفض عن جماعة بني صاهلةَ، فاستقبل التلاعة، فوجد بها داراً من بني نُفاثةَ بن عديّ، ليس فيها إِلا النساء، غير رجل واحد، فبصر الرجل بتأَبّط شرًّا وخشيَه، وذلك في الضحى، فقام الرجل إِلى النساء، فأمرهن فجعلن رؤوسهن حجماً وجعلن دروعهن أَردية، وأَخذن من بيوتهن عمَداً كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل، ثم تأَبّط شرًّاْنها ثم نهض ونهضن معَه يغريهن كما يغري القوم، وأَمرهن أَن لا يُبرزن خدّاً. وجعل هو يبرز للقوم ليروه، وطفِق يُغري ويصيح على القوم، حتى أَفزع تأَبّط شرًّا وأَصحابه، وهو على ذلك يُغري في بقية ليلة أَو ليلتين منَ الشهر الحرام، فنهضوا في شعب يُقال له شعب وَشَل، وتأبّط شرًّا ينهض في الشعب معَ أَصحابه، ثم يقف في آخرهم ثم يقول: يا قومُ لكأَنما يطردكمُ النساء، فيصيح عليه أَصحابه، فيقولون: انجُ أدركك القوم، وتأْبى نفسه، فلم يزل به أَصحابه حتى مضى معَهم، فقال تأبّط شرًّا في ذلك:

أَبعدَ النفاثيينَ أَزجر طائرا ... وآسي على شيءٍ إِذا هو أَدبرا؟!
أُنهنه[1] رِجْلي عنهم وإِخالهم ... منَ الذُّل يعراً بالتلاعة أَعفرا
ولو نالتِ الكفانِ أَصحابُ نوفل ... بمهمهةٍ من بين ظنّ وعرعرا[2]

[الطويل]

قال: ثم طلعوا الصَّدر حين أَصبحوا فوجدوا أَهل بيت شاذ من بني قريم ذنبَ نُمار فظلّ يراقبهم حتى أَمسَوْا وذلك البيت لساعدةَ بنِ سفيانَ أَحد بني حارثةَ بن قريم فحصرهم تأبّط شرًّا وأَصحابهُ حتى أَمسوا، قال: وقد كانت قالت وليدة لساعدةَ: إِني قد رأيت اليوم القومَ أَوِ النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أَهله. وانتظر تأَبّط شرًّا وأصحابهُ أَن يغفل الشيخ، وذلك آخر ليلة منَ الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهمُ الصبح، ولم يقدروا على غِرَّةٍ[3] مَشوْا إِليه وغرُّوه ببقية الشهر الحرام، وأَعطَوْه من مواثيقهم ما أَقنعه، وشكَوْا إِليه الجوع، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى. قال: ومضى تأبّط شرًّا إلى ابن له ذي ذؤابة، كان أَبوه قد أَمره فارتبأ[4] من وراء ماله، يقال له: سفيان بن ساعدة. فأقبل إِليه تأبّط

(١) أنهنه رجلي: أكفّها عن التردّد إليهم.
(٢) ظنّ وعرعر: موضعان.
(٣) غِرَّة، بكسر الغين: غفلة.
(٤) ارتبأ من وراء ماله: حرص عليه وحفظه.

شرًّا مستتراً بمجَنِّه[١]، فلما خشيَ الغلام أَن يناله تأبّط شرًّا بسيفه، وليس معَ الغلام سيف، وهو مفوّق سهماً، رمى مجنَّ تأبّط شرًّا بحجر، فظن تأبّط شرًّا أنه قد أَرسل سهمه، فرمى مجنه عن يده، ومشى إِليه، فأَرسل الغلام سهمه فلم يخط لبَّته[٢] حتى خرج منه السهم، ووقع في البطحاء حذوَ القوم، وأَبوه مسْمَك، فقال أبو الغلام حين وقع السهم: أَخاطِئهُ سفيانُ، فحردَ[٣] القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير، ومات تأبّط شرًّا.

فقالت أُمه وكانتِ امرأةً من بني القين بن جسر بن قُضاعةَ ترثيه:

قتيل ما قتيلُ بني قُريم ... إِذا ضنَّت[٤] جُمادى بالقِطارِ
فتى فهمٍ جميعاً غادروه ... مُقيماً بالحُرَيضَة من نُمارِ

[الوافر]

وقالت أُمه ترثيه:

ويلُ أُمِّ طِرفٍ[٥] غادروا برَخمانْ ... بثابت بن جابر بن سُفيانْ
يُجدِّل القِرْن ويروي النَّدْمانْ ... ذو مَأْقطٍ[٦] يَحمي وراء الأَضوانْ

[الرجز]

وقالت ترثيه أَيضاً:

وابناه وابن الليل، ليس بزُميْل ... شروب للقيْل، رَقود بالليلْ
ووادٍ ذي هَوْل[٧]، أَجزت بالليل ... تضرب بالذيْل، برَجْل كالثَّوْلْ[٨]

[الرجز]

قال: وكان تأَبّط شرًّا يقول قبل ذلك:

ولقد علمت لَتَعْدُونَّ عليَّ شيمٌ[٩] كالحسايلْ[١٠]
يأْكُلْن أَوصالاً ولحماً ... كالشكاعَى[١١] غير جاذلْ[١٢]
يا طيرُ كلْنَ فإِنني ... سمٌّ لكُنَّ وذو دَغَاولْ[١٣]

[مجزوء الكامل]

---

(١) المجن: الترس.
(٢) لبّته: رقبته.
(٣) حرد: غضب.
(٤) ضنّت: بخلت.
(٥) الطِّرف، بكسر الطاء: كريم الأبوين.
(٦) المأقط: الموضع حيث يقتل القوم.
(٧) وادٍ ذي هول: مرعب، مخيف.
(٨) الثول: أسراب النحل.
(٩) الشيم: السود.
(١٠) الحسائل، الواحد حسيل: عجل البقرة.
(١١) الشكاعى من الأشجار: شجرة شوكية صغيرة.
(١٢) الجاذل من الشجر: المنتصب.
(١٣) الدغاول: الغوائل.

وقال قبل موته:

لعلّي ميِّتٌ كمداً ولمَّا ... أُطالعْ أَهلَ ضيم فالكرابِ
وإِن لم آتِ جمع بني خُثيمٍ ... وكاهلها برَجْل كالضِّبابِ
إِذا وقعت بكعب أَو قُريمٍ ... وسيارٍ فيا سوغ الشرابِ

[الوافر]

فأَجابه شاعر من بني قريم:

تأَبّط شرًّا سوأةً وحملتَ شرًّا ... لعلّك أَن تكونَ منَ المُصابِ
لعلّك أَن تجيءَ بك المنايا ... تُساق لفتية منّا غِضابِ
فتُصبحَ في مَكرِّهم صريعاً ... وتُصبحَ طرفةَ الضّبُع السَّغابِ[1]
فزلتم تهربون ولو كرهتم ... تسوقون الخزائم[2] بالنقابِ[3]
وزال بأَرضكم منا غُلامٌ ... طليعةُ فتيةٍ غُلبِ الرقابِ

[الوافر]

ونذكرها هنا بعد أخبار تأبّط شرًّا أخبار صاحبيه عمرو بن براق الشنفرى وتبدأ بما يُغنّى فيه من شعريهما. ونتبعه بالأَخبار.

فأَما عمرو بن براق فمما يُغنَّى فيه من شعره قوله:

صوت

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً ... وَأَنفاً حميّاً تجتنبْك المظالمُ
وكنتُ إِذا قومٌ غزوْني غزوتُهم ... فهل أَنا في ذا يال هَمدانَ ظالمُ؟!
كذبتم وبيتِ اللَّهِ لا تأْخذونَها ... مُراغمةً ما دام للسيف قائمُ
ولا صُلحَ حتَّى تعثر الخيل بالقنا ... وتُضربَ بالبِيْضِ الرِّقاقِ الجماجمُ

[الطويل]

عروضه منَ الطويل، الشعر لابن بُراق وقيل ابن براقةَ. والغناء لمحمد بن إِسحاقَ بن عمرو بن بزيع ثقيل أَول مطلق في مجرى الوسطى عنِ الهشاميِّ.

---

(١) السَّغاب: هنا بمعنى السَّاغب أي الجائع.
(٢) الخزائم، الواحدة خزيمة من البقر: المسنّة القصيرة من البقر.
(٣) النقاب، الواحدة نقب: الطريق في الجبل.

عمرو بن بُراق

أخبرني عليُّ بن سُليمانَ الأَخفش، قال: حدثنا السكريّ عنِ ابن حبيب قال: وأخبرنا الهمدانيّ ثعلب عنِ ابن الأَعرابيّ عنِ المفضل، قالا:

أَغار رجل من مراد يُقال له حَريمٌ على إبل لعمرو بن بُراق وخيلٍ، فذهب بها، فأَتى عمرو ٱمرأة كان يتحدَّث إليها ويزورها فأَخبرها أن حريماً أَغار على إبله وخيله فذهب بها، وأَنه يُريد الغارة عليه، فقالت له المرأة: ويحكَ لا تعرض لِتلفاتِ حريم فإِني أَخافه عليك، فقال: فخالفها وأَغار عليه، فاستاق كل شيء كان له فأَتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أَخذه منه، فقال لا أَفعل وأبى عليه، فانصرف فقال عمرو في ذلك:

تقولُ سليمى لا تعَرَّض لتَلفةٍ ... وليلُكَ عن ليل الصعاليك نائمُ
وكيف ينامُ الليلَ من جُلُّ ماله ... حُسامٌ كَلَون المِلح أَبيضُ صارمُ
وصوتٌ إذا عَضَّ الكريهةَ لم يدَعْ ... لها طَمعاً طوْعُ اليمين مُكارمُ
نقَدْتُ به إلفاً وسامحت دونه ... على النقدِ إذ لا يُستطاعُ الدراهمُ
أَلم تعلمي أَن الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نام الدَّثور[1] المُسالمُ؟!
إذا الليل أَدجى واكفهرّت نجومُه ... وصاح منَ الأَفراطِ[2] هامٌ جواثم[3]
ومال بأَصحاب الكرى غالباته ... فإِني على أَمر الغِواية حازمُ
كذبتم، وبيتِ اللَّه لا تأْخذونها ... مُراغمةً ما دام للسيف قائمُ
تَحالفَ أقوامٌ عليَّ ليسمنوا ... وجرُّوا عليَّ الحرب إذ كنت سالِمُ
أَفالآن أُدْعى للهوادة بعدما ... أُجيل على الحيّ المذاكي الصلادمُ[4]
كأَنَّ حريماً إذ رجا أَن يَضُمَّها ... ويذهبَ مالي يا ابنةَ القوم حالِمُ

(١) الدَّثور: بمعنى المتدثّر.
(٢) الأفراط، الواحد فرط: تباشير انبلاج الصبح.
(٣) الجواثم: المستقرّة في مكانها.
(٤) الصلادم، الواحد صلدم: الصلب الشديد.

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً وأَنفاً حَمِيّاً تجتنبْك المظالمُ
ومن يطلبِ المال المُمَنعَ بالقنا يَعِشْ ذا غِنًى أَوْ تخْترِمْه المخارمُ
وكنت إذا قومٌ غزوني غَزوتهم فهل أنا في ذا يالَ همدان ظالمُ؟!
فلا صُلحَ حتى تعثرَ الخيل بالقنا وتُضربَ بالبِيْضِ الرِّقاقِ الجماجمُ
[الطويل]

وأما الشنفرى فإنه رجل منَ الأَزْد ثم منَ الأَوس بن الحَجر بن الهو بن الأزد ومما يُغنّى فيه من شعره قوله:

صوت

أَلا أُمُّ عمرو أَزمعت فاستقلّتِ وما ودّعت جيرانَها إذ تولَّتِ
فوا ندَمَا بانتْ أُمامةُ بعدَما طَمعتُ فهَبْها نعمةَ العيش ولَّتِ
وقد أَعجبتني لا سَقوطٌ خِمارُها إذا ما مشَت ولا بذاتِ تَلفُّتِ
[الطويل]

غنّى في هذه الأَبيات إِبراهيمُ ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانةَ:

أَخبار الشنفرى ونسبه

وأَخبرني بخبره الحرميّ بن أَبي العلاء، قال: حدثنا أَبو يحيى المؤدب وأحمد بن أبي المِنهال المهلبيّ، عن مؤرج وعن أَبي هشام محمد بن هشام النمريّ.

أَن الشنفرى كان منَ الأَوس بن الحجر بن الهنو بن الأَزد بن الغوث، أُسرته بنو شبابةَ بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلانَ. فلم يزل فيهم حتى أَسرت بنو سلامانَ بن مفرج بنِ عوف بن ميدعانَ بن مالك بن الأَزْد رجلاً من فهم ثم أَحد بني شبابةَ فعدته بنو شبابة بالشنفرى: قال: فكان الشنفرى في بني سلامانَ بن مفرج لا تحسبه إِلَّا أحدَهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حِجره وكان السلاميّ اتخذه ولداً وأَحسن إِليه وأعطاه، فقال لها الشنفرى: اغسلي رأْسي يا أُخيّه (وهو لا يشك في أنها أخته) فأنكرت أَن يكون أَخاها ولطمته، فذهب مُغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: أصدقني من أَنا؟ قال: أَنت منَ الأَوس بن الحجر، فقال ما إِني لم أدعكم أقتل منكم مائة بما استعبدتموني. ثم إِنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً وقال الشنفرى للجارية السلامية التي لطمته، وقالت: لست بأَخي.

أَلا ليت شعري، والتَّلهُّفُ ضِلَّةٌ ... بما ضربَتْ كف الفتاة هجينَها
ولو علمت قعسوس[1] أَنساب والدي ... ووالدها ظلت تُقاصر دونَها
أَنا ابن خِيار الحَجر بيتاً ومنصباً ... وأُمي ابنة الأَحرار لو تعرفينَها

[الطويل]

قال: ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأَزْد على رجليه فيمن تبعه من فهم، وكان يُغير عليه أَكثر من ذلك، وقال الشنفرى لبني سلامان:

وإِني لأَهوى أَن أَلفَّ عَجاجتي[2] ... على ذي كساءٍ من سلامانَ أَوْ بُرْد
وأَصبح بالعضداء أَبغي سَرَاتَهم ... وأَسلُك خلّا بين أَرباعَ والسّردِ

[الطويل]

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط منَ الغامِديّين من بني الرمداء

(١) قعسوس: علم امرأة.
(٢) ألفَّ عجاجتي على ذي كساء: أُغير عليهم.

فأَعجزهم فأَشلوا عليه كلباً لهم يقال له: حبيش ولم يضعوا به شيئاً، وهو هارب بقرية يُقال خيس برجلين من بني سلامانَ بن مفرج فأَرادهما ثم خشي الطلب، فقال:

قتيلَيْ فِجار أَنتما إن قُتِلتما بجوف دَحيس أَو تبالةَ، يا اسمعا

[الطويل]

يريد يا هذان اسمعا، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان:

وقالا: تزرني حتفتي أَو تُلاقِني أُمشّ بدهر أَو عُذافٍ فنوَّرا[١]

أُمشّي بأَطراف الحماط[٢] وتارةً تُنَفِّضُ رجلي بُسبطاً فعصَنصرا[٣]

وأَبغي بني صعب بن مُرٍّ بلادهم وسوف أُلاقِيهم إن اللَّه يسّرا

ويوماً بذاتِ الرأس أو بطن منجل[٤] هنالك تلقى القاصيَ المتغورا[٥]

[الطويل]

قال ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلامانيّ وخازم الفهميّ بالناصف من أبيدة ومع أَسيدَ ابن أَخيه. فمرَّ عليهمُ الشنفرى، فأَبصر السواد بالليل فرماه، وكان لا يرى سواداً إِلا رماهُ كائناً ما كان، فشكَّ ذراع ابن أَخي أسيدَ إِلى عضده، فلم يتكلّم، فقال الشنفرى: إن كنت شيئاً فقد أَصبتك وإِن لم تكن شيئاً فقد أَمنتك، وكان خازم باطحاً يعني منبطحاً بالطريق يرصدُه، فنادى أسيد: يا خازم، اصلِت، يعني اَسللْ سيفك. فقال الشنفرى: لكل ما تصلت فأَصلت الشنفرى. فقطع أصبعين من أصابع خازم الخنصر والبنصر، وضبطه خازم حتى لحقه أَسيد وابن أُميّةَ نجدةً فأَخذ أسيد سِلاح الشنفرى، وقد صرع الشنفرى حازماً وابن أَخي أَسيد، فضبطاه وهما تحته، وأخذ أَسيد برجل ابن أَخيه، فقال أسيد: رجل من هذه؟ فقال الشنفرى: رجلي، فقال ابن أخي أَسيد: بل هي رجلي يا عمّ، فأسروا الشنفرى، وأدّوه إِلى أهلهم، وقالوا له: أَنشدنا. فقال: إِنما النشيد على المسرة، فذهبت مثلاً، ثم ضربوا يده فتعرضت أي اضطربت، فقال الشنفرى في ذلك:

لا تبعدي إما ذهبت شامَهْ فربَّ وادٍ نفرت حمامَهْ

ورُبَّ قرْنٍ فصَّلت عظامَهْ

[الرجز]

---

(١) دهر، عذاف، نوَّر: أماكن.

(٢) الحماط: ضرب من النباتات.

(٣) بسبط، عصنصر: مكانان.

(٤) ذات الرأس، بطن منجل: موضعان.

(٥) القاصي المتغور: الموغل في البعد.

ثم قال له السلاميّ: أَأَطْرِفُك؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفرى: إله كاك كنا نفعل أَي كذلك كنا نفعل، وكان الشنفرى إذا رمى رجلاً منهم، قال له: أَأَطرفك، ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أَرادوا قتله: أين نقبرك؟ فقال:

لا تـقـبـرونـي إن قـبـري مُـحـرّم ... عـلـيـكـم ولـكـن أَبـشـري أُمَّ عـامـرِ
إذا احتُملت رأْسي، وفي الرأس أكثري ... وغُـودرَ عـنـدَ الـمـلـتـقـى ثـمَّ سـائـري
هـنـالـك لا أَرجـو حـيـاةً تـسـرُّنـي ... سمِيرَ الـلـيـالـي مُـبـسـلاً[1] بـالـجـرائـرِ[2]

[الطويل]

وقال تأَبّط شرًّا يرثي الشنفرى:

عـلـى الـشـنـفـرى سـاري الـغـمـام ورائـحٌ ... غـزيـرُ الـكُـلـى، وصـيَّـبُ الـمـاء بـاكـرُ
عـلـيـك جـزاءٌ مـثـلُ يـومِـك بـالـجَـبَـا[3] ... وقد أُرْعِفَتْ[4] منك السيوفُ البواترُ[5]
ويـومُـك يـومُ الـعَـيْـكـتـيـن[6] وعـطـفـةً[7] ... عـطـفـت وقـد مـسَّ الـقـلـوبَ الـحـنـاجـرُ
تـجـولُ بـبـزّ الـمـوت فـيـهـم كـأَنـهـم ... بـشـوْكَـتِـك الـحُـدّى[8] ضـئـينٌ[9] نـوافـرُ
فـإِنـك لـو لاقـيـتـنـي بـعـدَ مـا تـرى ... وهـل يُـلـقَـيـن مـن غـيَّـبـتـه الـمـقـابـرُ؟!
لأَلـفـيـتـنـي فـي غـارةٍ أَنـتـمـي بـهـا ... إِلـيـك وإِمـا راجـعـاً أَنـا ثـائـرُ
وإن تـكُ مَـأْسـوراً وظـلـت مـخـيـمـاً ... وأَبـلـيـت حـتـى مـا يـكـيـدك واتـرُ[10]
وحتى رماك الشيب في الرأْس عانساً[11] ... وخـيـرُكَ مـبـسـوط وزادك حـاضـرُ
وأَجـمـلُ مـوتِ الـمـرء إِذْ كـان مـيـتـاً ... ـ ولا بـدَّ يـومـاً ـ مـوتُـه، وهـو صـابـرُ
فـلا يـبـعـدنَّ الـشـنـفـرى وسـلاحُـه الـحـديـد وشـدُّ خَـطـوه مـتـواتـرُ
إذا راع رَوْعُ الـمـوت راعَ وإِن حـمَـى ... حـمَـى مـعَـهُ حـرٌّ كـريـم مـصـابـرُ

[الطويل]

قال: وقال غيره: لا بل كان من أَمر الشنفرى وسبب أَسره ومقتله أَن الأَزْد قتلت الحارث بن السائب الفهميّ، فأَبوا أَن يبوؤوا بقتله، فباء بقتله رجل منهم يقال له

(١) مبسلاً: مسلماً.
(٢) الجرائر، الواحدة جريرة: الجرائم.
(٣) الجبا: الحوض الذي تجبى فيه الماء للإبل.
(٤) أُرعفت: نزفت دماء.
(٥) السيوف البواتر: القاطعة، البتَّارة.
(٦) يوم العَيكتين: موضع جرت فيه معركة.
(٧) العطفة: الميل.
(٨) الحُدى: الحادَّة.
(٩) الضئين: جمع ضأن.
(١٠) الواتر: طالب ثأر.
(١١) العانس: من غيّره الشيب.

جزام بن جابر قبل ذلك، فمات أَخو الشنفرى، فأَنشأت أُمُّه تبكيه، فقال الشنفرى، وكان أول ما قاله منَ الشعر:

ليس لوالدةٍ هوْؤها ولا قولُها لابنها: دعدَعِ[١]
تُطيف وتُحدث أَحواله وغيرُك أملكُ بالمصرعِ

[المتقارب]

قال: فلما ترعرع الشنفرى جعل يُغير على الأَزْد مع فهم، فيقتل من أَدرك منهم ثم قدم مِنًى وبها حرام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أَبيك، فشدَّ عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجليه فقال:

قتلت حَراماً مُهْدياً بِمُلَبَّدٍ[٢] ببطن مِنًى وسط الحجيج المُصوِّتِ

[الطويل]

قال: ثم إن رجلاً منَ الأَزْد أَتي أَسيد بن جابر، وهو أَخو حرام المقتول فقال: تركت الشنفرى بسوق حُباشةَ. فقال أُسيد بن جابر: واللَّهِ لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكل من جني أليف أبيدة، فقعد له على الطريق هو وابنا حرام، فلما أَحسوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفي وطأه فلما سمع الغلامانِ وطأه قالا: هذه الضبع، فقال أَسيد: ليستِ الضبع، ولكنه الشنفرى، ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله حتى إذا رأى سوادهم نكص ملياً لينظرَ هل يتبعه أَحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغُلامان: أَبصرْنا. فقال عمهما: لا واللَّهِ ما أَبصركما، ولكنه اطرد لكيما تتبعاه فلْيضعْ كل واحد منكما نعله على مقتله. فرماهم الشنفرى فخَسَق[٣] في النعل ولم يتحركِ المرمى. ثم رمى فانتظم ساقَيْ أَسيد، فلما رأَى ذلك أَقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأَخذوه، فشدوه وَثاقاً، ثم إنهم انطلقوا به إِلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتماروا[٤] بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أَخوكم وابنكم، فلما رأَى ذلك أَحد بني حرام ضربه ضربة فقطع يده منَ الكوع، وكانت بها شامةٌ سوداء، فقال الشنفرى حين قطعت يده:

لا تبعدي إِما هلكتِ شامَهْ فرُبَّ خرْقٍ[٥] قطعت قتامَهْ[٦]
وربَّ خِرقٍ فصلت عظامَهْ

[الرجز]

---

(١) دعدع: كلمة تقال لمن عثر، فيقال له: دع دع وهوْؤها: أي رأيها.
(٢) الملبد: هو من قام بحلق شعره في الحرم، وهو ركن من أركان الحج والعمرة.
(٣) خسق: وقع. (٤) تماروا: تردّدوا.
(٥) الخرق: متّسع من الأرض تنخرق فيه الرياح من كلّ جهة.
(٦) قتامه: عتمته في الليل.

وقال تأبّط شرًّا يرثيه:

لا يـبـعـدن الـشـنـفـرى وسـلاحُـه الـ ـحـديـدُ وشـدٌّ خـطـوهُ مـتـواتـرُ
إذا راع روع الـمـوت راع وإِن حـمـى حـمـى مـعَـه حـرٌ كـريـم مـصـابـرُ

[الطويل]

قال: وذُرِعَ خطوُ الشنفرى ليلة قُتل فوجدوه أَول نزوة نزاها إِحدى وعشرين خطوةً، ثم الثانية سبع عشرة خطوةً. قال: وقال ظالم العامريّ في الشنفرى وغاراته على الأَزد وعجزهم عنه، ويحمد أَسيد بن جابر في قتله الشنفرى:

فـمـا لـكـمُ لـم تـدركـوا رجـل شـنـفـرى وأَنـتـم خِـفـافٌ مـثـل أَجـنـحـة الـغُـربِ
تـعـاديـتـمُ حـتـى إذا مـا لـحـقـتـمُ تـبـاطـأ عـنـكـم طـالـتٌ وأَبـو سـغْـبِ[1]
لـعـمـرُك لـلـسَّـاعـي أَسـيـدُ بـن جـابـر أَحـقُّ بـهـا مـنـكـم بـنـي عَـقِـب الـكَـلْـبِ

[الطويل]

قال ولما قتل الشنفرى وطرح رأْسُه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها، فتمت به المائة وكان مما قاله الشنفرى فيهم منَ الشعر وفي رطمة المرأة التي أَنكرته الذي ذكرته واستغنى عن إعادته ما تقدم ذكره، وقال الشنفرى في قتله حراماً قاتلَ أَبيه.

أرى أمَّ عـمـرو أَجـمـعـتْ فـاسـتـقـلّـتِ ومـا ودَّعـت جـيـرانـهـا إذ تـولَّـتِ
فـقـد سـبـقـتـنـا أُمُّ عـمـرو بـأَمـرِهـا وقـد كـان أَعـنـاقُ الـمـطـيِّ أَظـلَّـتِ
فـوَا نـدَمَـا عـلـى أُمـيـمـةَ بـعـدَمـا طـمِـعْـتُ فـهَـبـهـا نِـعـمـةَ الـعـيـش ولَّـت
أُمـيـمـةُ لا يـخـزْي نـثـاهـا[2] حـلـيـلَـهـا[3] إِذا ذكِـر الـنِّـسـوانُ عَـفَّـت وجـلَّـت
يـحُـلُّ بـمـنـجـاةٍ مـنَ الـلَّـوم بـيـتُـهـا إذا مـا بـيـوتٌ بـالـمـلامـةِ حـلَّـتِ
فـقـد أَعـجـبـتـنـي لا سَـقـوطٌ قِـنـاعُـهـا إذا مـا مَـشَـتْ ولا بـذاتِ تـلـفُّـتِ
كـأَن لـهـا فـي الأَرض نِـسـيـاً تـقـصُّـه[4] إذا مـا مـشَـت أَو أن تـحَـدِّثُـك تُـبْـلِـتِ[5]

[الطويل]

---

(١) السغب: الجوع.
(٢) نثاها: حديثها عن أحواله وإشاعة أخباره.
(٣) حليلها: زوجها.
(٤) تقصّه: تتبعه.
(٥) تبلت: توقفت عن متابعة كلامها لما فاجأها من الانبهار.

النِّسى: الذي يسقط منَ الإِنسان وهو لا يدري أَين هو يصفها بالحياء، وأَنها لا تلتفت يميناً ولا شِمالاً ولا تبرَّج، ويروى:

تقصه على أُمها وإن تكلمك.

فدقَّت وجلَّت واسبكرَّتْ[١] وأُكملتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ منَ الحُسن جُنَّتِ
تَبيتُ بُعيدَ النوم تُهدي غَبوبَها ... لجاراتها إذا الهَديةُ قلَّتِ

[الطويل]

الغبوبي: ما غِب عندَها منَ الطعام أَي بات ويروى غبوقها:

فَبِتْنا كأَن البيت حُجِّرَ[٢] حولَنا ... برَيحانةٍ راحت عِشاءً وطلَّتِ[٣]
بريحانةٍ من بطن حَليَة[٤] أَمرعَت[٥] ... لها أَرَجٌ[٦]، ما حَولها غيرُ مُسنتِ[٧]
غدوتُ منَ الوادي الذي بين مِشعَلٍ[٨] ... وبين الجبَا هيهات أَنشأت سُرْبتي[٩]
أُمشِّي على الأَرض التي لن تضِيرني ... لأَكسب مالاً أو أُلاقيَ جُمَّتي[١٠]
إِذا ما أَتتني حتفتي لم أُبالِها[١١] ... ولم تُذِر خالاتي الدموعَ وعمّتي
وهُنيء بي قومٌ وما إن هَناتُهم ... وأَصبحتُ في قوم وليسوا بمنبتي[١٢]
وأُمّ عِيالٍ قد شهدتُ تقوتُهم ... إذا أَطعمتهُم أَوتحَتْ[١٣] وأَقلّتِ
تخاف علينا الجوعَ إن هي أَكثرتْ ... ونحنُ جِياعٌ، أَيَّ آلٍ تألَّتِ[١٤]
عُفاهيةٌ[١٥] لا يُقصر السترُ دُونها ... ولا تُرتجى للبيت إن لم تبَيِّتِ
لها رَفضةٌ[١٦] فيها ثلاثونَ سَلجَماً[١٧] ... إذا ما رأت أُولى العَديّ[١٨] اقشعرتِ[١٩]

---

(١) اسبكرّت: استطالت وسبك جسدها سبكاً جميلاً، وارتدت ثوباً بدت به دقيقة حيث يجب أن تكون كذلك وممتلئة حيث يجب أن تكون كذلك.
(٢) حجّر: أحاط.
(٣) طلَّت: أصابها مطر خفيف.
(٤) بطن حلية: وادٍ في تهامة.
(٥) أمرعت: ازدانت بالزهر والنبت.
(٦) الأرج: الطيب والعبير.
(٧) المسنت: المجدب.
(٨) مشعل والجبا: موضعان.
(٩) سربتي: بعد المدى الذي بدأ منه مسيره.
(١٠) جمّتي: حتفي.
(١١) أبالها: لم أهتمّ بها.
(١٢) منبتي: أصلي.
(١٣) أوتحت العطاء: قلّلته.
(١٤) تألّت: نقصت الرجل حقّه.
(١٥) عفاهية: ضخمة.
(١٦) الرفضة: جعبة السهام.
(١٧) السلجم: الطويل من النصال.
(١٨) العدي: القوم يستعدّون للقتال.
(١٩) اقشعرّت: ارتعدت وتقبّضت.

وتـأْتـي الـعَـديَّ بـارزاً نِـصـفُ سـاقـهـا ... كَـعَـدوِ حِـمـار الـعـانـةِ[١] الـمـتـفـلِّـتِ
إذا فـزعَـت طـارت بـأَبـيـضَ صـارم ... ورامَـت بـمـا فـي جَـوفِـهـا ثـمَّ سَـلَّـتِ[٢]
حُـسـام كـلـونِ الـمِـلـح صـافٍ حـديـدُه ... جُـزارٍ[٣] مِـن ٱقـطـار الـحَـديـد الـمـنـعَّـتِ
تـراهـا كَـأَذنـابِ الـمـطـيِّ صَـوادِراً ... وقـد نُـهِـلَـت[٤] مـنـه الـدمـاءُ وعَـلَّـتِ[٥]
سـنـجـزي سَـلامـانَ بـن مُـفـرجَ قـرضَـهـم ... بـمـا قـدَّمـت أَيـديـهـمُ وأَزَلَّـتِ
شـفـيـنـا بـعـبـد الـلَّـه بـعـضَ غـلـيـلـنـا ... وعـوفٍ لـدى الـمـعْـدي أَوان اسـتـهـلَّـتِ
قـتـلـنـا حَـرامـاً مُـهـديـاً بـمُـلَـبِّـدٍ ... مـحـلَّـهـمـا بـيـن الـحَـجـيـج الـمـصـوِّتِ
فـإِن تُـقـبـلـوا نـقـبـل بـمـن نِـيـل مـنـهـم ... وإن تُـدبـروا فـأُمُّ مَـن نِـيـل فُـتَّـت
أَلا لا تـزُرنـي إن تـشـكَّـيـت خُـلَّـتـي ... كـفـانـي بـأَعـلـى ذي الـحُـمـيـرة[٦] عِـدوتـي
وإنـي لـحـلـوٌ إن أَريـدَتْ حـلاوتـي ... ومُـرٌّ إذا الـنـفـس الـصـدوفُ[٧] اسـتـمـرَّتِ
أبـيٌّ لـمـا آبـيَ وَشـيـكٌ مـفـيـئـتـي ... إلـى كُـلِّ نـفـسٍ تـنـتـحـي بـمَـوَدَّتـي

[الطويل]

وقال الشنفرى أَيضاً:

ومَـرقـبـةٍ عـنـقـاء[٨] يَـقـصُـر دونـهـا ... أَخو الضَّروة[٩] الرِّجل الخفيُّ المخففُ
نـمـيـتُ إِلـى أَعـلـى ذُراهـا وقـد دنـا ... مـنَ الـلـيـل مـلـتـفُّ الـحـديـقـة أَسـدفُ
فـبـتّ عـلـى حـدّ الـذراعـيـنِ مُـجـدِبـاً[١٠] ... كـمـا يـتـطـوَّى الأَرقـمُ[١١] الـمـتـعـطِّـفُ[١٢]
قـلـيـل جـهـازي غـيـر نـعـلـيـنِ أَسـحـقـتْ ... صُـدُورُهـمـا مـخـصـورةً[١٣] لا تُـخـصـفُ[١٤]
وضـبـيَّـة[١٥] جَـرد[١٦] وأَخـلاق رَيـطـةٍ[١٧] ... إذا أَنـهـجـت مـن جـانـب لا تُـكـفـفُ[١٨]

(١) العانة: القطيع من الحمر الوحشية.
(٢) سلّت: انتزعت.
(٣) الجُزار: السيف القاطع.
(٤) نُهلت: شربت للمرة الأولى.
(٥) علَّت: شربت مرَّة بعد مرّة.
(٦) ذي الحميرة: موضع.
(٧) الصدوف: الممتنعة، العزوف.
(٨) عنقاء: داهية.
(٩) أخو الضروة: الصياد يصطحب كلاباً ضراهاً للصيد.
(١٠) مجدباً: ثابتاً لم يفارق مكانه.
(١١) الأراقم، الواحد أرقم من الحيَّات: أخبثها.
(١٢) المتعطف: الذي يلتوي في كلّ اتجاه.
(١٣) مخصورة: أي قدماه لا يفصلهما عن الأرض شيء.
(١٤) لا تخصف: أي لا يُطبق نعل على قدميه حذاء مماثل.
(١٥) الضبية: الملاءة.
(١٦) الجرد: الخلق، البالية.
(١٧) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً.
(١٨) لا تكفف: لا ترتد على الجانب المقابل.

وأَبيضُ[١] من ماء الحديد مهند ... مِجَدٌ لأَطراف السواعد مِقطفُ
وصفراءُ من نبع أَبيٍّ ظهيرةٌ ... تُرنَّ كإِرنان[٢] الشجيّ[٣] وتهتفُ
إذا طال فيها النزع تأْبى بعجْسِها ... وترمي بذَروَيها[٤] بهنَّ فتقذفُ
كأَن حفيف النبل من فوق عجسِها[٥] ... عوازبُ[٦] نحلٍ أَخطأ الغارَ مُطْنِفُ[٧]
نأَتْ أُم قيس المربَعينِ كليهما ... وتحذر أنْ ينأَى[٨] بها المتصيَّفُ
وإنكِ لو تدرينَ أَن رُبَّ مَشْربٍ ... مَخوفٍ كداءِ البطن أَو هو أَخوفُ
ورَدتُ بمأْثورٍ[٩] ونبل وضالة ... تخيَّرتْها مما أَريش وأَرصُفُ[١٠]
أَركّبها في كل أَحمرَ عاتِرٍ[١١] ... وأَقذف منهن الذي هو مُقرفُ[١٢]
وتابعت فيه البريّ حتى تركته ... يَزفّ[١٣] إذا أَنقذته ويُذرِّفُ[١٤]
بكفِّيَ منها للبغيض عراضةٌ[١٥] ... إذا بعت خِلاً[١٦] ما له مُتخوّفُ
ووادٍ بعيد العمق ضَنك[١٧] جماعُهُ ... بواطنُهُ للجنّ والأُسْدِ مأْلفُ
تعسفتُ منه، بعدَ ما سقط الندى ... غماليلَ[١٨] يخشى غِيلها المتعسِّفُ[١٩]
وإني إِذا خام[٢٠] الجبان عنِ الردى[٢١] ... فلي حيث يخشى أَن يجاوزِ مُخسفُ
وإِنِ امرأً أَجار سعد بن مالك ... عليَّ وأَثواب الأقيصر[٢٢] يعنفُ

[الطويل]

---

(١) أبيض من ماء الحديد: السيف المصقول. (٢) الإرنان: النشاط والقوَّة.
(٣) الشجي: الحزين. (٤) الذروان: طرفا القوس.
(٥) العجس: مقبض القوس.
(٦) عوازب، الواحد عازب: أي الغريب أو البعيد عن أهله ومكان إقامته.
(٧) المطنف: من اعتلى رأس الجبل، وهو الطنف.
(٨) ينأى: يبتعد. (٩) المأثور من السيوف: ذو الأثر.
(١٠) أريش وأرصف: أغتني وأجمع. (١١) العاتر: المشتدّ.
(١٢) المقرف: السيّئ. (١٣) يزفّ: يسرع.
(١٤) يذرف: يدمع. (١٥) العراضة: الهدية.
(١٦) الخِلّ، بكسر الخاء: الصاحب والصديق. (١٧) الضنك: الضيق والمرهق.
(١٨) الغماليل: الروابي.
(١٩) المتعسِّف: المتجشم للمخاطر.
(٢٠) خام الجبان: جبن ونكص على عقبيه.
(٢١) الردى: الموت.
(٢٢) الأقيصر: اسم صنم، كان يُعبد في الجاهلية.

وقال الشنفرى أيضاً:

ومستبسل[١] ضافي القميص ضممتُه ... بأَزرقَ لا نكسٌ[٢] ولا مُتعوّجِ
عليه نُساريٌّ[٣] على خُوطِ نَبْعةٍ[٤] ... وفوقٍ كعرقوب[٥] القطاةِ مُحدرجِ
وقاربت من كفَّيَّ ثُمَّ فرَجتها[٦] ... بنزعٍ إذا ما استكره النزعُ مِخلجِ[٧]
فصاحت بكفّي صيحةً ثم راجعت ... أَنينَ الأَميم[٨] ذي الجراح المشجَّجِ[٩]

[الطَويل]

وقد روي: فناحت بكفي نوحة.

أَخباره معَ بني سَلَامان:

وقال غيره: لا بل كان من سبب أَمر الشنفرى أَنه سَبَتْ بنو سلامان ـ بن مفرج بن مالك بن هوازن بن كعب بن عبد اللَّه بن مالك بن نصر بن الأَزْد ـ الشنفرى ـ وهو أَحد بني ربيعةَ بن الحجر بن عمرانَ بن عمرو بن حارثةَ بن ثعلبةَ بن امرئ القيس بن مازن بن الأَزْد ـ وهو غلام، فجعله الذي سباه في بهمة[١٠] يرعاها معَ ابنة له، فلما خلا بها الشنفرى أَهوى ليقبِّلها، فصكَّت[١١] وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إِليه ليقتله، فوجده، وهو يقول:

أَلا هل أَتى فتيانُ قومي جماعةً ... بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها
ولو علمت تلك الفتاة مناسبي[١٢] ... ونسبتها ظلت تقاصرُ دونَها
أَليس أَبي خيرَ الأَواس وغيرها ... وأُمّي ابْنةَ الخيرين لو تعلمينَها
إذا ما أَرومُ الودَّ بيني وبينَها ... يؤمُّ بياضُ الوجه مني يمينَها؟!

[الطويل]

قال: فلما سمع قوله سأله ممن هو، فقال: أَنا الشنفرى، أَخو بني الحارث بن ربيعةَ، وكان من أَقبح الناس وجهاً، فقال له: لولا أَني أَخاف أَن يقتلَني بنو سلامان لأَنكحتك ابنتي. فقال: عليَّ إِن قتلوك أَن أَقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحَه ابنته،

(١) المستبسل: السباع.
(٢) النكس: الجبان.
(٣) النساري: عليه ريش نسر.
(٤) خُوط نبعة: غصن شجرة النبع.
(٥) العرقوب: هو عصب غليظ فوق العقب.
(٦) فرجتها: فتحتها.
(٧) المخلج: المضروب.
(٨) الأَميم: هو من ضرب على يافوخه، أم رأسه.
(٩) المشجج: المشروخ.
(١٠) البهمة: القطيع من الماشية.
(١١) صكّت: ضربت بعنف.
(١٢) مناسبي: أصلي ومحتدي.

وخَلَّى سبيله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافَه[١] على الرجل فقتلوه، فلما بلغَه ذلك سكت ولم يُظهرْ جزعاً عليه، وطفِق يصنع النبل، ويجعل أَفواقَها منَ القرون والعِظام، ثم إن امرأَته بنت السلامانيّ قالت له ذات يوم: لقد خِسْت[٢] بميثاق أَبي عليك، فقال:

كـأَنْ قَـدْ فـلا يَـغْـرُرْكِ مـنـي تـمـكُّـثـي ... سـلَـكـتُ طـريـقـاً بـيـن يَـرْبَـعَ فـالـسَّـردِ[٣]
وإِنِّـي زعـيـم أَن تـثـورَ عـجـاجـتـي[٤] ... عـلـى ذي كِـسـاءٍ مـن سَـلامـانَ أَو بُـردِ
هُـمُ أَعـدمـونـي نـاشِـئـاً ذا مَـخـيـلـةٍ ... أُمَـشِّـي خـلال الـدار كـالـفـرس الـوَرْدِ
كـأَنـي إذا لـم يُـمـسـي فـي الـحـيّ مـالـك ... بـتـيـهـاءَ لا أُهـدى الـسـبـيـل ولا أَهـدي

[الطويل]

قال: ثم غزاهم فجعل يقتلهم، ويعرفون نبله بأَفواقِها[٥] في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعةً وتسعين رجلاً، ثم غزاهم غزوة، فنذروا[٦] به، فخرج هارباً، وخرجوا في إِثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته، فأَطعمته إِقطاً ليزيد عطشاً، ثم استسقى فسقته رائباً، ثم غيبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، وجاءَها القوم فأَخبرتهم خبره، ووصفت صفته وصفة نبله، فعرفوه، فرصدوه على ركيٍّ لهم وهو ركِيٌّ ليس لهم ماء غيره، فلما جنَّ عليه الليل[٧] أَقبل إِلى الماء، فلما دنا منه قال: إِني أَراكم، وليس يرى أَحداً إِنما يُريد بذلك أَن يُخرج رَصَداً إن كان ثمَّ. فأَصاخ القوم وسكتوا. ورأى سواداً، وقد كانوا أَجمعوا قبل أَن قتل منهم قتيل أَن يُمسكه الذي إِلى جنبه لئلا تكونَ حركة، قال: فرمى لما أَبصر السواد، فأصاب رجلاً فقتله، فلم يتحركْ أَحد، فلما رأَى ذلك أَمن في نفسه، وأقبل إِلى الركيّ، فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يرُعْهُ إِلَّا بهم على رأسه قد أَخذوا سِلاحه فنزا[٨] ليخرج فضرب بعضهُم شماله فسقطت، فأَخذها فرمى بها كبد الرجل، فخرّ عندَه في القليب[٩]، فوطئ على رقبته فدقَّها. وقال في قَطع شِماله:

لا تـبـعـدي أَمـا ذهـبـتِ شـامَـه ... فـرُبَّ وادٍ نـفـرتْ حـمـامَـهْ

(١) خلافه: بعده.
(٢) خست بميثاق أبي عليك: أخلفت ولم تف بما يتوجّب عليك.
(٣) يربع والسرد: موضعان.
(٤) عجاجتي: إغارتي عليهم.
(٥) الأفواق، الواحد فوق: موضع الوتر من رأس السهم.
(٦) نذروا به: تنبهوا له.
(٧) جنّ عليه الليل: أظلم.
(٨) نزا: قفز.
(٩) القليب: البئر.

وربّ قـرنٍ فـصـلـتْ عِـظـامَـه وربّ حـيٍّ فـرقـت سـوامَـهْ
[الرجز]

قال: ثم خرج إِليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث عاماً أَو عامينِ مصلوباً، وعليه من نذره رجلٌ، قال: فجاء رجل منهم كان غائباً، فمرّ به وقد سقط، فركض رأْسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فبغَّت[1] عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة:

صوت

ألا طـرقـتْ فـي الـدُّجـى زيـنـب وأَحـبـبْ بـزيـنـبَ إِذ تـطـرقُ
عـجـبـت لـزيـنـبَ أَنَّـى سـرَتْ وزيـنـبُ مـن ظـلِّـهـا تـفـرَقُ
[المتقارب]

عروضه منَ المتقارب، الشعر لابن رُهيمةَ، والغناء لخليل المعلّم رمل بالبنصر عنِ الهشاميّ وأَبي أيوبَ المدنيّ.

(١) بغّت: هاجت.

أَخبار الخليل ونسبه

هو الخليل بن عمرو، مكيّ، مولى بني عامر بن لؤيّ، مقِلّ لا تُعرف له صنعة غير هذا الصوت.

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد، قال: حدثني القطرانيّ المغنّي، عن محمد بن حسين، قال:

كان خليل المعلم يُلقب خُلَيلان، وكان يؤَدّب الصبيان ويلقنهمُ القرآن والخط، ويُعلم الجواري الغناء في موضع واحد، فحدثني مَنْ حضره قال: كنت يوماً عندَه وهو يُردد على صبي يقرأ بين يديه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦]. ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردد عليها:

إعتادَ هذا القلبَ بَلبالُهُ أَن قرّبت للبينِ أَجمالُهُ

[السريع]

فضحكتُ ضَحكاً مُفرطاً لما فعلَه، فالتفت إِليها فقال: ويلكِ مالك؟ فقالت: أَتَنكرُ ضحكي مما تفعل، واللَّهِ ما سبقَك إِلى هذا أَحد. ثم قالت: انظر أيّ شيء أَخذتَ على الصبيّ منَ القرآن، وأَيَّ شيء هوذا تلقي على الصبية، واللَّهِ أَني لأَظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل اللَّه، فقال: أَرجو أَلا أَكون كذلك إِن شاء اللَّه.

أَخبرني عليّ بن سُليمانَ الأَخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيدَ المبرد، قال: حدثني عبد الصمد بن المعذل، قال:

كان خُلَيلان المعلم أَحسن الناس غِناءً، وأَفتاهم وأفصحَهم، فدخل يوماً على عُقبةَ بنِ سلم الأَزديّ الهنائيّ فاحتبسه عنده، فأَكل معَه ثم شرب، وحانت منه التفاتةٌ، فرأَى عوداً معلَّقاً، فعلم أَنه عُرّض له به، فدعا به وأَخَذه فغناهم:

يا ابنةَ الأَزْدِيّ قلبي كئيبُ مُستهامٌ عندَها ما يُنيبُ

[المديد]

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بن سلم متغيراً، وقد ظن أَنه عرَّض به، ففطِنَ لما أَراد فغنى:

أَلا هَزِئتْ بنا قرشيَّةٌ يهتزُّ موكبها.

فسُرّيَ عن عقبةَ وشرب، فلما فرغ وضع العود من حجره وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه:

نسبة هذين الصوتين

يا ابنةَ الأَزديِّ قلبي كئيبُ ... مستهامٌ عندَها ما يُنيبُ
ولقد لاموا، فقلتُ: دَعوني ... إن مَنْ تنهون عنه حبيبُ
إنَّما أَبلى عظامي وجسمي ... حبُّها والحُبُّ شيءٌ عجيبُ
أَيُّها العائبُ عندي هواها ... أَنتَ تفدي ومن أَراك تعيبُ

[المديد]

عروضه منَ المديد، والشعر لعبد الرحمن بن أَبي بكرِ الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ، والغناء لمعبد ثقيل أَول بالسبابة في مجرى البنصر عن إِسحاقَ، وفيه لمالك خفيف ثقيل أَول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسبه إِسحاق إِلى أَحد، ووجدته في روايات لا أَثق بها منسوباً إِلى حُنين، وقد ذكر يونس أَن فيه لحنَين ولمالك كِلاهما، ولعلَّ هذا أَحَدهما، وذكر حَبش أَن خفيف الرمل لابن سريج، وذكر الهشاميّ وعليّ بن يحيى أَن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، وذكر الهشاميّ أَن فيه لطويس هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانةَ أَن لمالك فيه ثقيلاً أَول وخفيفه، ولمعبد خفيف ثقيل آخر:

صوت

أَلا هَزِئتْ بنا قُرشيَّةٌ ... يهتزُّ موكبُها
رأَت بي شيبةً في الرأ ... س مني ما أُغيِّبُها
فقالت لي: ابنُ قيس ذا؟ ... وبعضُ الشيب يُعجبُها؟!
لها بعلٌ خبيث النفس ... يحصرُها ويَحجُبُها
يراني هكذا أَمشي ... فيُوعِدُها[1] ويَضربُها

[مجزوء الوافر]

عروضه منَ الوافر، الشعر لابن قيس الرقيات، والغناء لمعبد خفيف ثقيل

(١) يوعدها: يهدّدها.

بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيه ليونسَ ثقيل أَول عن إِسحاقَ عن إِبراهيمَ والهشاميّ:

صوت

هل ما علمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ ... أَمْ حبلُها إذ نأتكَ اليومَ مصرومُ[١]

أَمْ هل كبيرٌ بكى لم يقضِ عَبرتَهُ ... إثر الأحِبَّةِ يومَ البينِ مَشْكُومُ[٢]؟!

يَحملن أُتْرُجَّةً[٣] نضخَ[٤] العَبيرُ بها ... كأنَّ تَطْيابها في الأَنف مَشمومُ

كأنَّ فارة مِسكٍ في مفارقها ... للباسِطِ المتعاطي، وهو مَزكومُ

كأَنَّ إِبريقهم ظبيٌ على شَرف ... مُفَدَّم[٥] بِسَبَا[٦] الكَتَّانِ مَلثومُ[٧]

قد أَشهد الشَّرْب فيهم مزهر صَوِحٍ[٨] ... والقوم تصرعهم صهْباءُ[٩] خُرطومُ

[البسيط]

الشعر لعلقمةَ بن عَبَدةَ والغناء لابن سريج، وله فيه لحنانِ أَحدُهما في الأَول والثاني خفيف ثقيل أَول بالخنصر في مجرى البنصر عن إِسحاقَ والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس منَ الأَبيات وذكر عمرو بن بانةَ أَن في الأَربعة الأَبيات الأَول المتوالية لمالك خفيف ثقيل بالوسطى، وفيها ثقيل أَول نسبه الهشاميّ إِلى الغريض وذكر حبش أَن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر، وذكر حبش أَن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.

---

(١) مصروم: مقطوع.
(٢) مشكوم: جائع.
(٣) الأُترجّة: قصد الشاعر بها المرأة وهي نوع من جنس الليمون زكي الرائحة.
(٤) نضخ العبير: بلّله.
(٥) المفدّم من الأباريق: المزين فمه بالفدام.
(٦) سبا الكتّان: كناية عن نوعية الفدام الذي يغطّي فم الإبريق والمصنوع من الكتّان.
(٧) ملثوم: مقبّل.
(٨) الصوح: الجاف.
(٩) الصهباء: من أسماء الخمرة وأنواعها.

أَخبار علقمة ونسبه

هو علقمة بن عَبَدَةَ بن النعمان بن ناشرةَ بن قيس بن عُبيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيد بن مناةَ بن تميم بن مُر بن أُدٍّ بن طابخةَ بن الياس بن مضرَ بن نِزار.

وكان زيد مناةَ بن تميم وفَدَ هو وبكر بن وائل ـ وكانا لِدَةَ عصر واحدٍ ـ على بعض الملوك وكان زيد مناةَ حسوداً شرها طعاناً[1] وكان بكر بن وائل خبيثاً منكِراً داهياً، فخاف زيد مناةَ أَن يحظى منَ الملك بفائدة ويقل معَها حظُّه، فقال له: يا بكرُ لا تلْقَ الملك بثياب سفرك، ولكن تأَهّب للقائِهِ وادخل عليه في أَحسن زينة، ففعل بكر ذلك وسبقه زيد مناةَ إلى الملكِ فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهن، وقد حدَّث نفسه بالعُرض لبنت الملك، فغاظه ذلك وأَمسك عنه، ونُمِيَ الخبرُ إِلى بكر بن وائل، فدخل إِلى الملك فأَخبره بما دار بينه وبين زيد مناةَ، وصدَقه عنه، واعتذر إِليه مما قاله فيه عذراً قبله، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك، فقال الملك لزيد مناةَ ما تُحبُّ أَن أَفعلَ بك، فقال: لا تفعل ببكر شيئاً إِلَّا فعلتَ بي مِثله، وكان بكر أَعوَر العين اليمنى، قد أَصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أَنه أَعور فأَقبل الملك على بكر بن وائل، فقال له: ما تحب أَن أَفعل بك يا بكرُ، قال: تفقأ عينيَ اليمنى وتُضعف لزيد مناةَ، فأَمر بعينه العوراء ففُقئت، وأَمر بعيني زيد مناةَ ففقئتا، فخرج بكر، وهو أَعور بحاله، وخرج زيد مناة وهو أَعمى.

وأَخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عُبيدةَ.

ويُقال لعلقمةَ بن عبَدَةَ علقمةُ الفحل، سُمّيَ بذلك لأَنه خَلفَ على امرأة امرئ القيس لما حكمَتْ له على امرئ القيس بأَنه أَشعر منه في صفة فرسه، فطلّقها، فخالفه عليها، وما زالتِ العرب تُسمّيه بذلك، وقال الفرزدق:

والـفـحـلُ عـلـقـمـةُ الـذي كـانـت لـه ... حُـلَـلُ الـمـلـوك كـلامـهُ يـتـنـحَّـلُ

[الكامل]

أَخبرني عمّي، قال: حدثني النضر بن عمرو، قال: حدثني أَبو سيوار، عن أَبي عُبيد اللَّه مولى إِسحاق بن عيسى، عن حمادٍ الرّاوية، قال:

(١) طعاناً: مشنّعاً على الناس.

كانتِ العرب تعرض أَشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردّوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمةُ بن عبدةَ، فأَنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فقالوا: هذه سمط الدهر[١]، ثم عاد إِليهم العامَ المقبل فأَنشدهم:

طَحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ بُعَيْدَ شبابٍ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

[الطويل]

فقالوا: هاتان سمِطا الدهرِ.

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إِسحاقَ، قال: سمعت أَبي يقول:

سرق ذو الرمة قوله:

يطفو إذا ما تلقّته الجراثيم

من قول العجاج:

إِذا تلقّته العقاقيل[٢] طفا

وسرقه العجاج من علقمةَ بن عبدةَ في قوله:

تطفو إذا ما تلقته العقاقيل

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدثنا العمريّ عن لقيط. وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حدثني أَبو عُبيدةَ، قال:

كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدةَ التميميّ، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أَنا أَشعر منك، فتحاكما إِليها، فأَنشد امرؤ القيس قوله:

خليليّ مُرَّا بي على أُمِّ جُندبِ

(١) سمط الدهر: عقده وزينته.

(٢) العقاقيل: معظم البحر.

حتى مرَّ بقوله:

فـلـلـسّـوطِ أُلـهـوبٌ ولـلـسـاق دِرَّةٌ ولـلـزَّجْـر مـنـه وَقـع أَخـرج[١] مـهـذبِ[٢]

[الطويل]

ويروى: أَهْوج مِنعبِ[٣]. فأَنشدها علقمة قوله:

ذهـبـت مـنَ الـهِـجـرانِ فـي غـيـر مـذهـبِ

حتى انتهى إلى قوله:

فـأدرَكـهُ حـتـى ثـنـى مـن عِـنـانـه يـمـرُّ كـغـيـثٍ رائـحٍ مُـتـحـلِّـبِ

[الطويل]

فقالت له: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأَنك زجرت فرسك، وحرَّكته بساقك، وضربته بسوطك. وأَنه جاء هذا الصيد ثم أَدركه ثانياً من عِنانه، فغضب امرؤ القيس، وقال: ليس كما قلت، ولكنكِ هوَيتِه. فطلّقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك. وبهذا لقب علقمة الفحل.

أَخبرني عمّي، قال: حدثنا الكرانيّ، قال: حدثنا العمريّ، عن لقيط، قال:

تحاكم علقمةُ بن عبدةَ التميميّ والزبرقانُ بن بدر السعديّ والمخبَّل، وعمرو بن الأَهتم، إلى ربيعةَ بنِ حُذار الأسديّ، قال: أما أنت يا زبرقانُ! فإن شعرك كلحم لا أُنضِجَ فيؤْكل، ولا تُرك نيئاً فينتفعَ به. وأما أنت يا عمرو فإِن شعرك كبُرْدِ حَبرةٍ يتلألأ في البصرِ فكلما أَعدته فيه نقص وأَما أَنت يا مخبل فإِنك قصرت عنِ الجاهلية ولم تُدركِ الإِسلام. وأما أنت يا علقمةُ فإِن شعرك كمزادةٍ قد أُحكم خَرْزُها فليسَ يَقْطُر منها شيء.

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني عمّي، عنِ العباس بن هشام، عن أبيه، قال:

مرَّ رجل من مُزينةَ على باب رجل منَ الأنصار، وكان يُتَّهم بامرأته، فلما حاذى بابه تنفس ثم تمثل:

هـل مـا عـلـمـتَ ومـا اسـتُـودِعـتَ مـكـتـومُ أَم حـبـلُـهـا إذ نـأَتْـك الـيـومَ مـصـرومُ؟!

[البسيط]

---

(١) الأخرج من الجياد: الأبيض البطن والجانبين إلى منتهى الظهر.

(٢) المهذب: المسرع.

(٣) المنعب: الأحمق المصوّت.

قال: فتعلق به الرجل: فرفعه إلى عمرَ رضوان اللَّه عليه، فاستعداه عليه، فقال له المتمثل: وما عليّ في أَن أَنشدتُ بيت شعرٍ، فقال له عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: ما لك لم تُنشده قبل أَن تبلغ بابه، ولكنك عرضت به معَ ما تعلم منَ القَالةِ فيك، ثم أَمر به فضُرب عِشرينَ سوطاً:

صوت

فوالـلَّـهِ لا أَنـسـى فـتـيـلاً رُزِيـتـه ... بجانب قُوْسَي[1] ما حَييتَ على الأَرضِ
بَـلـى إنـهـا تـعـفـو الـكـلـومُ وإِنـمـا ... نُـوكَّـلُ بـالأَدنـى وإن جَـلَّ مـا يـمـضـي
ولـم أدرِ مَـنْ أَلـقَـى عـلـيـه رداءَهُ ... ولـكـنـه قـدْ بُـزَّ عـن مـاجـدٍ مَـحْـضِ

[الطويل]

الشعر لأَبي خِراش الهُذليّ، والغِناء لابن محرز خفيف ثقيل أَول بالوسطى من رواية عمرو بن بانةَ وذكر يحيى بن المكيّ أَنه لابن مسجع وذكر الهشاميّ أَنه ليحيى المكيّ نحله ابنَ مسجع، وفي أَخبار معبد أَن له فيه لحناً.

(١) قُوسي: موضع ببلاد السراة من الحجاز.

ذكر أَبي خِراش وأَخباره

أبو خِراش اسمه خُوَيلد بن مرةَ، أَحد بني قِرْد واسم قرد عمرو بن معاويةَ بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركةَ بن الياس بن مضرَ بن نِزار.

شاعر فحل من شعراء هُذيل المذكورين الفصحاء، مُخضرم: أَدرك الجاهلية والإِسلام فأسلم وعاش بعد النبي ﷺ مدة، ومات في خلافة عمرَ بنِ الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ: نهشته أَفعى فمات، وكان ممن يَعْدو فيسبق الخيل في غارات قومِه وحروبهم.

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعمّي والحسن بن عليّ، قالوا: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي عُمير وعمرُ بن إِسماعيلَ بن عبد العزيز بن عمرَ بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثني أَبو بركةَ الأَشجعيُّ من أَنفُسهم، قال:

خرج أَبو خِراش الهذليّ من أَرض هُذيل يُريد مكة، فقال لزوجته أُمّ خِراش: ويحكِ إِني أُريد مكةَ لبعض الحاجة، وإِنك من أَفكِّ النساء وإن بني الديل يطلبونني بترات فإِياك وأَن تذكريني لأَحد من أَهل مكةَ حتى نصدر منها، فقالت: معاذَ اللَّه أن أذكرك لأحد من أهل مكةَ، وأَنا أَعرف السبب.

قال فخرج بأُمّ خِراش وكمن لحاجته وخرجت إِلى السوق لتشتريَ عِطراً أَو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلستْ إِلى عطار، فمرَّ بها فتيان من بني الديل، فقال أحدهما لصاحبه: أُمّ خِراش وربِّ الكعبة وإِنها لمن أَفكِّ النساء: وإن كان أَبو خِراش معَها فستدلّنا عليه. قال: فوقفا عليها، فسلّما، وأَحْفيا[1] المسأَلة والسلام، فقالت: مَنْ أنتما بأَبي أَنتما، فقالا: رجلانِ من أَهلكِ من هُذيل، قالت: بأَبي أَنتما، فإِن أَبا خِراش معي ولا تذكراه لأَحد، ونحن رائحون العشية، فخرج الرجلانِ فجمعا جماعة من فِتيانهم، وأَخذوا مولى لهم يُقال له مَخلد، وكان من أَجود الرجَّال عدْواً، فكمنوا في عقبةَ على طريقه، فلما رآهم قد لاقَوْهُ في عين الشمس، قال لها: قتلتني وربِّ الكعبة، لمن ذكرتني؟ فقالت: واللَّهِ ما ذكرتك

(١) أحفيا المسألة: ألحّا وبالغا في الطلب.

وربِّ الكعبة إلَّا لفتيين من هُذيل، فقال لها: واللَّهِ ما هما من هُذيل، ولكنهما من بني الديل، وقد جلسا لي وجمعا عليَّ جمعاً من قومِهما، فاذهبي أَنتِ فإذا حُزْتِ عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا استوحش فأَفوتهم، فأَركضي بعيرك، وضعي عليه العصا والنجاء النجاء.

قال: وهي على قعود عُقيليّ يُسابق الرياح، فلما دنا منهم، وقد تلثّموا ووضعوا تمراً على طريقه على كساء، فوقف قليلاً كأَنه يُصلح شيئاً، وجازت بهم أُمّ خِراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم، ووضعتِ العصا على قعودها، وتواثبوا إليه ووثب يعدو، قال: فزاحمه على المحجة[1] التي يسلك فيها على العقبة ظبي فسبقه أَبو خِراش، وتصايح القوم بمخلد يا مخلد، أَخذاً أَخذاً، فقال: فات الأخذ. فقالوا: ضرباً ضرباً، فسبق الضرب، فصاحوا رمياً رمياً فسبق الرمي، وسبقت أُم خِراش إلى الحي فنادت: ألا إن أَبا خِراش قد قتل، فقام الحيُّ إليها، وقام أبوه، وقال: ويحكِ، ما كانت قصته، فقالت: إن بني الديل عرضوا له الساعة في العقبة. قال: فما رأَيتِ، أَو ما سمعتِ، قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلدُ أَخذاً أَخذاً، قال: ثم سمعتِ ماذا؟ قالت: ثم سمعتهم يقولون: ضرباً ضرباً، قال: ثم سمعت ماذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رمياً رمياً. قال: فإن كنت سمعتِ رمياً رمياً، فقد أَفلت، وهو منا قريب، ثم صاح: يا أَبا خِراش، فقال أَبو خراش: يا لبيك، وإذا هو قد وافاهم على أَثرها. وقال أَبو خِراش في ذلك:

رفوني وقالوا: يا خُويلدُ لم ترع فقلت، وأنكرت الوجوه، هُمُ هُمُ

[الطويل]

رفوني بالفاء: سكنوني، وقالوا لا بأس عليك:

فغارَرْت شيئاً والدّريسُ كأَنما يُزعزعه وَعكٌ منَ الموم[2] مُردِمُ

[الطويل]

غاررت: تلبثت، والدريس: الخلق منَ الثياب، ومثله الجَرد والسّحق والحَشيفُ ومردم لازم.

تذكّرت ما أَين المفرُّ وإنني بحبل الذي يُنجي منَ الموت مُعصمُ[3]

(١) المحجة: السبيل، الطريق.
(٢) الموم: الحمى.
(٣) المعتصم: المتمسّك.

فـوالـلَّـهِ مـا ربـداءُ[١] أَو عِـلـجُ عـانـةٍ[٢] أَقـبّ[٣] ومـا إن تـيـس رَبـلٍ[٤] مـصـمِّـمُ
بـأَسـرعَ مـنـي إذْ عـرفـت عـدِيَّـهُـم[٥] كـأَنـي لِأَولاهـم مـنَ الـقُـربِ تـوأمُ
وأَجـودَ مـنـي حـيـن كَـفَّـتُ[٦] سـاعـيـاً وأَخـطـأَنـي خـلـفَ الـثـنـيـة أسـهـمُ
أَوائـل بـالـحـث الـذلـيـق[٧] وحـثـنـي لدى المتن مشبوح الذراعين خلجمُ[٨]
تـذكَّـر ذحـلاً[٩] عـنـدنـا، وهـو فـاتـكٌ مـنَ الـقـوم يَـعـروه اجـتـراءٌ ومـأثَـمُ
تـقـول ابـنـتـي، لـمـا رأتـنـي عَـشـيَّـةً: سـلِـمـتَ ومـا إن كـدت بـالأَمـس تـسـلـمُ
فـقـلـت وقـد جـاوزتُ صـاري[١٠] عـشـيـةً أَجـاوزْت أُولـى الـقـوم أَم أَنـا أَحـلـمُ؟!
فلولا دِراك الشَّدِّ قاظت[١١] حليلتي[١٢] تـخـيّـر فـي خُـطَّـابـهـا، وهـي أَيِّـمُ[١٣]
فـتـسـخـط أَو تـرضـي مـكـانـي خـلـيـفـةً وكـاد خِـراشٌ عـنـدَ ذلـك يَـيـتـمُ

[الطويل]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكِنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية، قالا: حدثنا الرياشيُّ قال: حدثنا الأصمعِيُّ، قال: حدثنا رجل من هُديل، قال:

دخل أَبو خِراش الهذليّ مكةَ، وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسان يُرِيدُ أنْ يرسلهما في الحَلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إن سبقتُهما؟ قال: إن فعلت فهما لك، فأُرسلا، وعَدا بينهما فسبقهما فأخذهما.

قال الأصمعيّ: إذا فاتك الهذليّ أَنْ يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خيرَ فيه.

وأَخبرني بما أَذكره من مجموع أَخبار أَبي خِراش عليُّ بن سليمان الأَخفش، عن أَبي سعيد السكري من «مجموع أَشعارهم وأَخبارهم» يذكره أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن أبي حاتم عن أبي عُبيدةَ وعن ابن حبيب عن أبي عمرو.

وأَخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشيّ عنِ الأَصمعيّ،

---

(١) الربداء من النعام: السوداء المائلة إلى الغبرة.
(٢) علج العانة: الحمار الوحشي.
(٣) الأقبّ: الضامر الخصر.
(٤) الربل: ضرب من نباتات الشتاء.
(٥) العدي: جماعة المقاتلين يسارعون إلى القتال.
(٦) كَفَّتُ: أسرع في العدو.
(٧) الذليق: الشديد.
(٨) الخلجم: الطويل.
(٩) الذحل: الثأر.
(١٠) صاري: جبل في قبلى المدينة المنوَّرة.
(١١) قاظت: حلَّت في فصل الصيف.
(١٢) حليلتي: زوجتي.
(١٣) الأيم من النساء من فقدت معيلها أو زوجها.

وقد ذكرت ما رواه في أَشعار هذيل وأَخبارها، كلِ واحد منهم عن أَصحابه في مواضعه، قال السكريّ، فيما رواه عنِ ابن حبيب عن أَبي عمرو الشيبانيّ، قال:

نزل أَبو خِراش الهذليّ على دُبَيَّةَ السُّلميّ ـ وكان صاحب العُزَّى التي في غطفان، وكان يَسدنها[١]، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول اللَّه ﷺ إِليها، فهدمها وكسرها وقتل دُبيَّةَ السُّلميَّ ـ قال فلما نزل عليه أَبو خِراش أَحسن ضِيافَته. ورأى في رجله نعلين قدِ اخلقتا، فأَعطاه نعلين من جِذاء السَّبت حَسَنَين فقال أَبو خِراش يمدحه:

حَذاني[٢] بعد ما خذِمت[٣] نعالي ... دُبَيَّة إنه نِعْمَ الخليلُ[٤]
مقابَلتين[٥] من صَلْوَيْ[٦] مِشَبٍّ[٧] ... منَ الثيران وصلُهما جميلُ
بمثلهما يَروح يُريد لهواً ... ويقضي الهمَّ ذو الأَربِ[٨] الرَّحيلُ[٩]
فنِعم معرَّسُ[١٠] الأَضياف ترمي ... رِحالهم شآمية بَليلُ
يُقاتل جُوعَهم بمكلّلات ... منَ الفُرنيّ[١١] يرعَبُها[١٢] الجميلُ

[الوافر]

قال أَبو عمرو: الجميل الإهالة، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب، إهالةً كانت أو شحماً.

وقال أبو عمرو: ولما بعثَ رسول اللَّه ﷺ خالدَ بن الوليد فهدم عُزَّى غطفان ـ وكانت ببطن نخلة، نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة، وقتلَ دُبيَّة قال أَبو خِراش الهذلي يرثيه:

ما لِدُبيَّةَ مُنْذُ اليوم لم أَرَه ... وسط الشَّروبِ[١٣] ولم يُلمِم[١٤] ولم يَطفِ

---

(١) يسدنها: يقوم بخدمتها وسدانتها.
(٢) حذاني: ألبسني حذاء.
(٣) خذفت: تقطّعت.
(٤) الخليل: الصاحب والصديق.
(٥) متقابلتين: متجانستين.
(٦) الصلوى: ما فوق الذنب من الوركين.
(٧) المِشب، بكسر الميم: الفتيّ، الشاب.
(٨) الأرب: الغاية، المطلب.
(٩) الرحيل: القادر على المشي.
(١٠) معرّس الأضياف: الكريم الذي يستقبل ضيوفهم في الليل ويقوم بواجبهم.
(١١) الفرني: الخبز في الفرن.
(١٢) يرعبها: يملؤها.
(١٣) الشرر: جماعة الشرب.
(١٤) لم يلمم: لم يحضر.

لـو كـان حـيًّـا لـغـادَاهـم بـمـتـرعـةٍ[١] فيها الرواويق[٢] من شيزى[٣] بَني الهَطِفِ
[البسيط]

بنو الهَطِف: قوم من بني أَسد يعملون الجِفان:

كـأبـي الـرمـادِ عـظـيـمُ الـقِـدرِ جَـفـنـتُـه[٤] حـيـنَ الـشـتـاءِ كـحَـوض الـمـنـهـل الـلّـقـفِ
[البسيط]

المُنْهل: الذي إبله عطاش، واللَّقف: الذي يضربُ الماءُ أَسفله فيتساقط وهو ملآن، حوض لقيف أَي ملآن.

أمـسـى سُـقـامٌ[٥] خـلاءً لا أَنـيـس بـه إلا الـسّـبـاعُ ومـرُّ الـريـحِ بـالـغُـرَفِ
[البسيط]

وقال الأَصمعيّ وأَبو عمرو في روايتهما جميعاً.

أُخذَ أَصحابُ رسول اللَّه ﷺ في يوم حُنين أُسارَى وكان فيهم زهير بن العجوة أَخو بني عمرو بن الحارث، فمرّ به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حُذافةَ بن جُمح، وهو مربوط في الأسرى، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أَبو خِراش يرثيه:

وفـجّـع أَصْـحَـابـي جـمـيـلُ بـن مـعـمـر بـذي فـجَـر تـأْوي إِلـيـه الأَرامـلُ
طـويـل نِـجـاد الـسـيـف لـيـس بـجـيـدَرٍ[٦] إذا قـام تـسـتـرخـي عـلـيـه الـحـمـائـلُ
إلـى بـيـتـه يـأْوي الـغـريـب إذا شـتـا ومُـهـتـلـكٌ بـالـي الـدَّريـسَـيـنِ[٧] عـائـلُ[٨]
تـروَّح مـقـروراً[٩] وراحـت عَـشـيَّـةً لـهـا حـدبٌ تـحـتـثّـه فـيـوائـلُ[١٠]
تـكـاد يـداهُ تُـسـلـمـانِ رِداءه منَ القر لما استذلقته[١١] الشمائلُ[١٢]

---

(١) المترعة: الملئ.
(٢) الرواويق مفردها راووق أي المصفاة، وربما سمّوا الباطية راووقاً.
(٣) الشِيزى، بكسر الشين: خشب أسود تصنع منه القصاع.
(٤) الجفنة: القصعة العظيمة.
(٥) سُقام: موضع أدواء في الحجاز.
(٦) الحيدر: القصير.
(٧) الدريس: الثوب الرّثّ، الخلق.
(٨) عائل: من له زوجته وأسرة.
(٩) مقرور: نزل به برد شديد.
(١٠) يوائل: يسارع إلى الملجإ يحتمي به.
(١١) إستذلقته: أتعبته.
(١٢) الشمائل: رياح الشمال الشديدة البرودة.

فما بالُ أَهل الدار لم يتصدّعوا ... وقد خفّ منها اللوذعيُّ[١] الحلاحلُ[٢]
فأُقسم لو لاقيته غيرَ موثق ... لآبكَ[٣] بالجزع الضباعُ النواهلُ[٤]
لظلَّ جميل أَسوأ القوم تلَّة[٥] ... ولكنّ قرنَ الظهر للمرء شاغلُ
فليس كعهد الدار يا أُمَّ مالك ... ولكن أَحاطت بالرقاب السلاسلُ[٦]
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل ... سوى الحقِّ شيئاً فاستراح العواذلُ
ولم أَنس أَياماً لنا وليالياً ... بحَليَة إذ نلقى بها ما نُحاولُ

[الطويل]

وقال أَيضاً يرثيه:

أَفي كلّ مَمْسَى ليلةً أَنا قائلٌ ... منَ الدهر لا يَبعَد قتيلُ جميلِ
فما كنت أَخشى أَن تُصيبَ دماءَنا ... قريشٌ ولمّا يُقتلوا بقتيلِ
فأَبرح ما أُمِّرتمُ وعَمَرْتمُ ... مدى الدهر حتى تُقتلوا بغليلِ[٧]

[الطويل]

وقال أَبو عمرو في خبره خاصة:

أَقبل أَبو خِراش وأَخوه عُروةُ وصُهيبٌ القِرديّ في بضعةَ عشرَ رجلاً من بني قِرد، يطلبون الصيد، فبينا هم بالمجمَعَة من نخلةَ لم يرُعهم إلا قوم قريب من عدّتهم، فظنهمُ القِرديّون قوماً من بني ذُؤيبةَ أَحد بني سعد بن بكر بن هَوازن، أَو من بني حبيب أَحد بني نصر، فعدا إِليهمُ الهُذليون يطلبونهم، وطمعوا فيهم حتى خالطوهم وأَسروهم جميعاً، وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر فيهم ابنا شَعُوب، أَسرهما صُهيب القِرديّ فهمَّ بقتلهما. وعرفهم أَبو خِراش فاستنقذهم جميعاً من أَصحابه وأَطلقهم، فقال أَبو خِراش في ذلك يمنُّ على ابني شَعوب أَحد بني شِجع بن عامر بن ليث فعلَه بهما:

عدَوْنا عَدوةً لا شَكّ فيها ... وخِلناهم ذُؤَيبةَ أَو حبيبا

(١) اللّوذعيّ: الذكيّ الذهن، الحديد الفؤاد، الفصيح اللسان.
(٢) الحلاحل: الرزين في مجلسه.
(٣) آبك: جاء إليك، رجع إليك.
(٤) النواهل: التي تشرب دماء أعداء المرثي.
(٥) التلَّة: الصرعة.
(٦) السلاسل: القيود.
(٧) الغليل: الحقد الخفي في القلب.

فـنُـغـري الـثـائـريـنَ بـهـم، وقـلـنـا: شـفـاءُ الـنـفـس أَن بَـعـثـوا الـحـروبـا
مـنـعـنـا مـن عَـديّ بـنـي حُـنـيـفٍ صِـحـابَ مُـضـرس وابـنـي شَـعـوبـا
فـأَثـنـوا، يـا بـنـي شِـجـعٍ! عـلـيـنـا وحـقُّ ابـنـي شَـعـوبٍ أَن يُـثـيـبـا
وسـائِـل سـيـرةَ الـشـجـعـيِّ عـنَّـا غـداةَ تَـخـالـهـم نـجْـواً[١] جَـنـيـبـا[٢]
بـأَن الـسـابـق الـقِـرديّ أَلـقـى عـلـيـه الـثـوب إِذ ولَّـى دَبـيـبـا[٣]
ولـولا ذاك أَرهـقـه صُـهـيـبٌ حُـسـامَ الـحـدِّ مـطـروراً[٤] خَـشـيـبـا[٥]

[الوافر]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا الرياشيّ، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

أقفَر أَبو خراشٍ الهُذليُّ منَ الزاد أَياماً، ثم مرَّ بامرأة من هُذيل جَزلة شريفة، فأَمرت له بشاة فذُبحت وشويت، فلما وجد بطنُه ريحَ الطعام قرقر، فضرب بيده على بطنه، وقال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، والطعام، واللَّهِ لا طعمت منه شيئاً، ثم قال: يا ربَّةَ البيت، هل عندَك شيء من صَبر أَو مُرّ؟ قالت: تصنع به ماذا؟ قال: أُريده، فأَتته منه بشيء، فاقتمحه[٦]، ثم أَهوى إِلى بعيره فركبه، فناشدته المرأة فأبى، فقالت له: يا هذا، هل رأيت بأْساً أَو أَنكرت شيئاً؟ قال: لا واللَّهِ، ثم مضى وأَنشأ يقول:

وإِنـي لأَثـوي[٧] الـجـوعَ حـتـى يَـمَـلَّـنـي فـأَحـيـا ولـم تـدْنـس ثـيـابـي ولا جِـرمـي
وأَصـطـبـح الـمـاء الـقَـراحَ[٨] فـأَكـتـفـي إِذا الـزاد أَضـحـى لـلـمـزلَّـج[٩] ذا طَـعْـم
أَرِدُّ شُـجـاعَ الـبـطـنِ قـد تـعـلـمـيـنـه وأُؤثـر غـيـري مـن عـيـالـك بـالـطُّـعـم
مـخـافـةَ أَن أَحـيـا بـرَغـمٍ وذِلـةٍ فَـلَـلْـمـوتُ خـيـرٌ مـن حـيـاة عـلـى رَغْـم

[الطويل]

وأَخبرني عمّي عن هارون بن محمد الزيات، عن أَحمدَ بنِ الحارث، عنِ المدائنيّ بنحو مما رواه الأَصمعيّ. وقال أبو عمرو:

(١) النجو: الغيوم، السّحب.
(٢) الجنيب من الغيوم: الذي أصابته ريح الجنوب.
(٣) دبيباً: أي يحبو بطيئاً.
(٤) مطروراً: محدّداً.
(٥) خشيباً: أي صقل حديثاً.
(٦) إقتمحه: سفّه بيده.
(٧) أثوي: أستقرّ.
(٨) الماء القراح: العذب الفرات.
(٩) المزلج من الرجال: الضعيف.

أَسرَتْ فهمُ، عُروةَ بنَ مُرةَ أَخا أبي خِراش.

وقال غيره: بل بنو كِنانةَ أَسروه، فلما دخلتِ الأَشهر الحرم مضى أَبو خِراش إليهم ومعَه ابنه خِراش، فنزل بسيّد من سادتهم، ولم يعْرفه نفسه، ولكنه استضافه فأَنزله وأُحسن قِراه[١]، فلما تحرّم به انتسب له، وأَخبره خبر أَخيه، وسأله معاونته حتى يشتريَه منهم، فوعدَه بذلك، وغدا على القوم معَ ذلك الرجل فسأَلهم في الأَسير أَن يهبوه له، فلم يفعلوا، فقال لهم: فبيعونيه. فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يُساومهم حتى رضوا بما بذله لهم، فدفع أبو خِراش إِليهم ابنه خِراشاً رهينة، وأَطلق أَخاه عُروةَ، ومضيا، حتى أَخذ أَبو خِراش فكاك أَخيه وعاد به إِلى القوم حتى أَعطاهم إياه وأَخذ ابنه، فبينا أَبو خِراش ذاتَ يوم في بيته إذ جاءه عبدٌ له، فقال: إن أَخاك عُروةَ جاءني وأَخذ شاة من غنمك فذبحها ولطمني لما منعته منها، فقال له: دعْه، فلما كان بعدَ أَيام عاد فقال له قد أَخذ أُخرى فذبحها، فقال: دعْه، فلما أَمسى، قال له: إِن أَخاك اجتمع معَ شَربٍ من قومه فلما انتشى جاء ليأخذ ناقة من إِبلك لينحرَها لهم، فعاجله. فوثب أَبو خِراش إِليه، فوجده قد أَخذ الناقة لينحرَها، فطردَها أَبو خِراش، فوثب أَخوه عُروةُ إِليه فلطم وجهه، وأَخذ الناقة فعقرها، وانصرف أَبو خِراش، فلما كان من غد لامه قومُه، وقالوا له: بئسَت لعمرُ اللَّه المكافأةُ كانت منك لأَخيك، رهن ابنه عنك، وفداك بماله، ففعلت به ما فعلت، فجاء عُروةُ يعتذر إِليه، فقال أَبو خِراش:

لعلّك نافعي يا عُروَ يوماً ... إذا جاورتُ من تحت القبورِ
أَخذتَ خُفارتي ولطمت وجهي ... وكيف تُثيب بالمنِّ الكَبيرِ
ويوم قد صَبرَت عليك نفسي ... لدى الأَشهادِ مرتديَ الحرورِ
إذا ما كان كسُّ[٢] القومِ رُوقاً[٣] ... وحالت مقلتا الرجل البصيرِ
بما يَممته وتركتُ بكري ... وما أَطعمتُ من لحم الجَزورِ

[الوافر]

قال: معنى قوله بكري، أَي بكر ولدي أَولهم.

وقال الأَصمعيّ وأَبو عُبيدةَ وأَبو عمرو وابن الأَعرابيّ.

---

(١) القِرى، بكسر القاف: الضيافة.

(٢) الكسّ من الرجال: من خرجت أسنانه السفلى من حنكه وتقاعس حنكه الأعلى.

(٣) الروق، الواحد روقة: الغلام الجميل الوجه.

كان بنو مُرَّةَ عشرة: أَبو خِراش وأَبو جُندب وعُروةُ والأَبَحُّ والأَسودُ وأَبو الأسود وعمرو وزهير وجناد وسفيان، وكانوا جميعاً شعراء دهاةً سِراعاً لا يُدركون إذا عَدَوْا.

فأَما الأَسود بن مرةَ فإنه كان على ماء من داءة، وهو غُلام شاب، فوردت عليه إبل رئاب بن ناضرةَ بن المؤمل من بني لحيان، ورئابٌ شيخٌ كبير، فرمى الأَسودُ ضرعَ ناقة منَ الإبل، فغضب رئاب، فضربه بالسيف فقتله.

وكان أَشدَّهم أَبو جُندب، فعرف خبر أَخيه فغضب غضباً شديداً وأَسف، فاجتمعت رجال هُذيل إليه يُكلِّمونه وقالوا: خذ عقل أَخيك، واستبقِ ابنَ عمك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، اجمعوا العَقل، فجاؤوه به في مرة واحدة، فلما أَراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا له: أَرِحنا، اقبضه منا، فقال: إني أُريد أَن أَعتمر، فاحبسوه حتى أَرجع، فإن هلكت فلامٌ ما أَنتم ـ هذه لُغةِ هذيل يقولون: امّ بالكسر ولا يستعملون الضم ـ وإن عشت فسوف ترون أَمري. وولى ذاهباً نحو الحرم، فدعا عليه رجال من هُذيل وقالوا: اللَّهم لا تردّه. فخرج فقدِم مكةَ، فواعدَ كلّ خليع وفاتك في الحرم أَن يأْتوه يومَ كذا وكذا فيُصيب بهم قومه، فخرج مُبادراً حتى أَخذته الذُّبحة في جانب الحرم فمات قبل أَن يرجع، فكان ذلك خبره.

قالوا: أَما زهير بن مرَّةَ فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لِحاء الحَرم، حتى ورد ذاتَ الأَقبر من نعمان، فبينا هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قومٌ من ثُمالةَ فقتلوه، وله يقول أَبو خِراش وقدِ انبعث يغزو ثُمالة، ويُغير عليهم حتى قَتَلَ بأَخيه منهم أَهلَ دارَينِ أَي حِلتين من ثُمالة:

خذوا ذلكم بالصلح إني رأيتكم قتلتم زُهيراً وهو مُهدٍ ومُهمِلُ

[الطويل]

مهدٍ أَي أَهدى هَدياً للكعبة، مُهملٌ قد أَهمل إبله في مراعيها.

قتلتم فتًى لا يفجر اللَّهَ عامداً ولا يجتويه جارُه عام يُمحِلُ

[الطويل]

ولهم يقول أَبو خِراش:

إني امرؤ أَسأل كيما أَعلما مَن شرُّ رهطٍ يشهدون الموسما

[الرجز]

وجدتهم ثُمالةَ بن أَسلما

قال: وكان أَبو خِراش إذا لقيهم في حروبه لهم أَوقع بهم، ويقول:

إِلـــيـــكِ أُمَّ ذبَّـــانْ ... مـا ذاك مـن حـلـب الـضَّـانْ
لـكـن مـصـاعُ الـفـتـيـان[١] ... بـــكـــلّ لـــيـــنٍ حـــرَّانْ

[الرجز]

قال: وأَما عُروةَ بن مرةَ وخِراش بن أبي خِراش فأَخذهما بطنان من ثُمالةَ يُقال لهما بنو رزام وبنو بلال، وكانوا متجاورين، فخرج عُروةُ بنُ مرةَ وابنُ أبي خِراش أَخيه مُغيرَينِ عليهم طمعاً في أَن يظفرا من أَموالهم بشيء فظفِر بهما الثَّماليون، فأَما بنو رِزام فنهوا عن قتلهما، وأَبت بنو بلال إلا قتلَهما، حتى كاد يكون بينهم شرّ، فأَلقى رجل منَ القوم ثَوبه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عُروةَ، ثم قال له: انجُ، وانحرف القومُ بعد قتلهم عُروةَ إلى الرجل، وكانوا سلموه إِليه، فقالوا: أين خِراش بن أبي خِراش؟ فقال: أفلت مني فذهب، فسعى القوم في أَثره، فأعجزهم، فقال أبو خِراش في ذلك يرثي أَخاه عُروةَ ويذكر خلاص ابنه:

حـمـدت إِلـهـي بـعـدَ عُـروةَ إذ نـجـا ... خِـراشٌ وبـعـض الـشرّ أَهـون مـن بـعـضِ
فـوالـلَّـهِ لا أَنـسـى قـتـيـلاً رُزيـتـه[٢] ... بـجـانـب قـوسي مـا حـييت عـلـى الأَرضِ
بـلـى إنـهـا تـعـفـو الـكـلـومُ[٣] وإنـمـا ... نُـوكَّـل بـالأَدنـى وإن جـلّ مـا يـمـضـي
ولـم أدرِ مَـنْ أَلـقـى عـلـيـه رداءَه ... سِوى أَنـه قـد سُـلّ عـن مـاجـدٍ مـحـضِ[٤]
ولـم يـكُ مـثـلـوجَ الـفـؤاد مـهـبـجـاً[٥] ... أَضـاعَ شـبـاباً فـي الـربـيـلة[٦] والـخـفـضِ[٧]
ولـكـنـه قـد نـازعـتـه مـجـاوع ... عـلـى أَنـه ذو مِـرَّة صـادقُ الـنَّـهـضِ

[الطويل]

قال ثم إن أبا خِراش وأخاه عُروة استنفرا حيًّا من هُذيل يقال لهم بنو زَليفةَ بن صبيح، ليغزوا ثُمالةَ بهم طالبين بثأَر أَخيهما، فلما دنوا من ثُمالةَ أَصاب عُروةَ وردُ حُمَّى، وكانت به حمَّى الرّبع، فجعل عُروةُ، يقول:

أَصـبـحـت مَـوروداً فـقـرَّبـونـي ... إلـى سَـواد الـحـيّ يـدفـنـونـي
إِن زهـيـراً وَسـطـهـم يـدعـونـي ... رَبَّ الـمـخـاضِ والـلِّـقـاح الـجُـونِ

[الرجز]

(١) المصاع من الفتيان: المقاتلة والصراع.
(٢) رُزيته: أصبت بفقده.
(٣) الكلوم، الواحد كلم: الجراح.
(٤) المحض: الخالص.
(٥) مهبجاً: مثقلاً.
(٦) الربيلة: كثرة اللحم المكتمل.
(٧) الخفض: بحبوحة العيش وهناؤه.

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى، ثم بيّتوا ثُمالةَ؟ فوجدوهم خلوفاً[١] ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا منَ الرجال، وساقوا النساء والذراري والأَموال، وجاء الصائح إلى ثُمالةَ عِشاءً فلحقوهم، وانهزم أبو خِراش وأَصحابه، وانقطعت بنو زُليفةَ فنظر الأكنع الثُماليُّ ـ وكان مقطوع الأَصبع ـ إلى عُروةَ فقال: يا قومُ ذلك واللَّهِ عُروة، وأنا واللَّه رام بنفسي عليه حتى يموت أَحدُنا، وخرج يَمعج[٢] نحوَ عُروةَ، فصاح عُروة بأَبي خِراش أَخيه: أي أَبا خِراش، هذا واللَّهِ الأَكنع، وهو قاتلي، فقال أَبو خِراش: امضِهْ، وقعد له على طريقه ومرَّ به الأَكنع مصمّماً على عُروةَ، وهو لا يعلم بموضع أبي خِراش، فوثب عليه أَبو خِراش، فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الضربة سَحره[٣]، وانهزمت ثُمالة، ونجا أبو خِراش وعُروة.

وقال أبو خِراش يرثي أخاه ومن قتلته ثُمالةُ وكِنانةُ من أَهله. وكان الأصمعيّ يفضّلها:

فقدت بني لُبنى فلما فقدتهم ... صبرت فلم أَقطع عليهم أَباجلي

[الطويل]

الأبجل عِرق في الرِّجل:

رماحٌ منَ الخَطِيّ زُرقٌ نِصالُها ... حِدارٌ أَعاليها شِدادُ الأَسافلِ

فلهفي على عمرو بن مُرّةَ لهفةً ... ولهفي على ميت بقوسي المعاقلِ[٤]

حسانُ وجوهٍ طيِّبٌ حُجزاتهم[٥] ... كريمٌ نثاهم[٦] غيرُ لُفٍّ[٧] معازلِ[٨]

قتلتَ قتيلاً لا يُحالفُ غدرةً ... ولا سُبّةً لا زلتَ أَسفلَ سافلِ

وقد أَمنوني واطمأنت نفوسُهم ... ولم يعللوا كلَّ الذي هو داخلي

فمن كان يرجو الصلح مني فإنه ... كأَحمرِ عادٍ[٩] أَو كليب بن وائلِ

أُصيبت هُذيلٌ بابن لُبنى وجدَّعت ... أنوفهم[١٠] باللوذعيّ[١١] الحُلاحلِ[١٢]

---

(١) خلوفاً: خلوّ الديار من حماتها الفرسان. (٢) يعج: يسرع.
(٣) سَحره: رئته. (٤) المعاقل: حيث تعقل الإبل.
(٥) حُجُزاتهم: الواحدة حُجُزة: الأصل، الناحية.
(٦) النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.
(٧) لُفّ، الواحد ألفّ: الموضع الملتفّ الكثير الأهل.
(٨) المعازل: هم من لا سلاح لهم.
(٩) أحمر عاد: قصد الشاعر بذلك أحمر ثمود الذي نحر ناقته وقد أحسّ بفداحة فعله.
(١٠) جدعت أنوفهم: قطعت. (١١) اللوذعي: الحادّ الذكاء واللسان.
(١٢) الحلاحل: الرزين.

رأَيت بني العَلَّاتِ[١] لما تضافروا[٢] يحوزون سهمي دونهم بالشمائلِ
[الطويل]

طرائف من أَخبار خِراش:

قالوا: وأَما أَبو الأَسود فقتلته فهم بياتاً تحت الليل.

وأَما الأَبحّ فكان شاعراً، فأَمسى في دار بعرعر من ضيم فذُكر لساريةَ بن أَبي زنيم العبديّ أَحد بني عبد بن عديّ بن الديل، فخرج بقوم من عشيرته يُريدُه ومَنْ معَه، فوجدوهم قد ظعنوا[٣]، وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب، فقال الأبحّ في ذلك:

لعمرُك ساريَ بنَ أَبي زنيم لأَنتَ بعرعرَ الثأرُ المنيمُ[٤]
تركت بني معاويةَ بنِ صخر وأَنت بمَربعٍ وهمُ بِضِيْم
تساقيهم على رُصفِ وظرٍّ كدابغة وقد حَلِم الأَديمُ[٥]
[الوافر]

رصف وظر ماءانِ. ومربع وضيم موضعان.

فلم تتركهم قَصْداً ولكن فرقتَ منَ المصالِت[٦] كالنجومِ
رأَيتهم فوارسَ غيرَ عُزلٍ إذا شرق المقاتلُ بالكُلومِ
[الوافر]

فأَجابه سارية، فقال:

لعلَّك يا أَبحُّ حسبْت أَني قتلتُ الأَسود الحَسن الكريما
أَخذتُم عَقلهُ وتركتموه يسوق الظُّميَ وسْطَ بني تميما
[الوافر]

عَيَّرهم بأَخذ دِية الأَسود بن مرةَ أَخيهم، وأَنهم لم يُدركوا بثأْره، وبنو تميم من هُذيل.

قالوا: وأَما جناد وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يُسمّ قاتله.

قالوا: وأُمهم جميعاً لُبْنَى إلا سفيانَ بن مرةَ فإن أُمه أُم عمرو القردية وكان أَيسرَ القوم وأَكثرهم مالاً.

---

(١) بنو العلّات: الإخوة من أمهات عديدة لأب واحد.
(٢) تضافروا: اجتمعوا واتّحدوا.
(٣) ظعنوا: رحلوا.
(٤) في البيت إقواء.
(٥) الأديم: الجلد وفي البيت إقواء.
(٦) المصالت، الواحد مصلت: الشجعان.

وقال أَبو عمرو:

وغزا أَبو خِراش فهُماً، فأَصاب منهم عجوزاً، فأَتى بها منزل قومه، فدفعها إِلى شيخ منهم، وقال له: احتفظ بها حتى آتيك وانطلقَ لحاجته، فأَدخلته بيتاً صغيراً وأَغلقت عليه وانطلقت، فجاء أَبو خِراش، وقد ذهبت، فقال:

سدّت عليه دَولجاً ثم يممت ... بني فالح باللَّيث أَهلِ الخزائم

[الطويل]

الدّولج: بيت صغير يكون للبَهم. والليث: ماء لهم، والخزائم البقر، واحدتها خَزومة.

وقالت له: دَنِّخ مكانكَ إنني ... سألقاك إن وافيت أهل المواسم

[الطويل]

يقال: دنخ الرجل ودمَّخ إذا أَكب على وجهه ويديه.

وقال أَبو عمرو:

دخلت أُميمةُ امرأة عُروةَ بن مرةَ على أَبي خِراش، وهو يلاعب ابنه، فقالت له: يا أَبا خِراش تناسيت عُروةَ وتركت الطلب بثأْره، ولهوت معَ ابنك، أَما واللَّهِ لو كنتَ المقتول ما غفل عنك، ولطلبَ قاتلَك حتى يقتله فلما سمع ذلك أبو خِراش بكى وأَنشأ يقول:

لعمري لقد راعت أُميمةَ طلعتي ... وأَن ثوائي[1] عندَها لقليلُ
وقالت أَراه بعدَ عُروةَ لاهياً ... وذلك رُزْءٌ[2] لو علمتِ جليلٌ
فلا تحسبي أَني تناسيت عهده ... ولكنّ صبري يا أُميمَ جميلُ
أَلم تعلمي أَن قد تفرّق قبلَنا ... نديما صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ[3]
أَبى الصبر أَني لا يزال يُهيجُني ... مبيتٌ لنا فيما خلا ومَقيلُ
وأَني إِذا ما الصبح آنست ضوءه ... يُعاودُني قُطْعٌ[4] عليَّ ثقيلُ

[الطويل]

قال أَبو عمرو، فأَما أَبو جُندب أَخو أَبي خِراش، فإِنه كان جاورَ ابن نُفاثةَ بن عدي بن الديل حيناً منَ الدهر، ثم إنهم همُّوا بأَن يغدروا به، وكانت له إبل كثيرة، فيها أَخوه جَنَّاد، فراح عليه أَخوه جنَّادٌ ذاتَ ليلة، فإِذا به كُلومٌ، فقال له أبو جُندب: ما لك؟ فقال: ضربني رجل من جيرانك، فأقبل أَبو جُندب حتى أَتى جيرانه من بني

(١) ثوائي: مكوثي. (٢) الرزء: الفقد.
(٣) مالك وعقيل: هما نديما جذيمة الأبرش. (٤) القُطع، بضم القاف: البقية.

نُفاثةَ، فقال لهم: يا قومُ ما هذا الجوار؟ لقد كنت أَرجو من جِواركم خيراً من هذا أَيتجاورُ أَهل الأعراض بمثل هذا. فقالوا: أَولم يكن بنو لحيانَ يتقتلوننا، فواللَّه ما قرَّت دماؤنا، وما زالت تغلي، واللَّهِ إنك للثأرُ المُنيم. فقال: أما أنه لم يُصِبْ أَخي إلا خيرٌ، ولكنها هذه مُعاتبة لكم، وفَطِن للذي يُريد القوم منَ الغدر به، وكان بأَسفلَ دُفاق، فأَصبحوا طاعنين، وتواعدوا ماء ظَرٍّ، فنفذ الرجال إلى الماء، وأَخروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، واتخذوا الحِياض للإبل، فأمرَ أبو جُندب أخاه جناداً وقال له: اسرح معَ نَعَم القوم، ثم توقّف وتأخر حتى تمرّ عليك النَّعمُ كلُّها، وأَنت في آخرها سارحٌ إبلَك، واتركها في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك واطردها نحو أرضنا، وموعدك نجدُ ثنيَّة أَلوذَ في طريق بلاده. وقال لامرأته أم زِنباع، وهي من بني كلب بن عوف: اظعني[1] وتمكّثي حتى تخرج آخر ظعينة منَ النساء، ثم توجهي، فموعدك ثنية يدعان من جنب نخلةَ وأَخذ أَبو جُندب دلوه، وورد معَ الرجال، فاتخذ القومُ الحِياض، واتخذ أَبو جُندب حوضاً فملأَه ماء، ثم قعد عندَه، فمرَّت به إبل ثم إبل، فكلما وردت إبل سأل عن إبله، فيقولون: قد بلغَتْ وتركناها بالضَّجْن[2]، ثم قدمتِ النساء، كلما قدمت ظعينة سألها عن أهله، فيقولون: بلغَتْك، تركناها تظعن. حتى إذا ورد آخرُ النعم وآخرُ الظعن، قال: واللَّهِ لقد حَبسَ أَهلي حابس، أَبصِرْ يا فلانُ حتى أَستأنس أَهلي وإبلي. وطرح دلوه على الحوض، ثم ولَّى حتى أَدرك القوم بحيث وعدَهم، فقال أَبو جُندب في ذلك:

أَقــول لأُمِّ زِنْــبــاعٍ: أَقــيــمــي ... صُدور العِيس[3] شطرَ بني تميمِ
وغــرَّبــتُ الــدعــاء وأَيــن مِــنــي ... أُنــاسٌ بــيــن مَــرَّ وذي يَــدومِ

[الوافر]

غرَّبت الدعاء: دعوت من بعيد.

وحــيّ بــالــمــنــاقــب قــد حــمَــوْهــا ... لــدى قُــرَّان حــتــى بــطــن ضِــيــمِ
وأَحــيــاء لــدى ســعــد بــن بــكــر ... بــأَمــلاحِ فــظــاهــرةِ الأَديــمِ
أُولــئــك مــعــشــري وهــمُ أُرومــي ... وبــعــض الــقــوم لــيــس بــذي أُرومِ
هــنــالــك لــو دعــوت أَتــاك مــنــهــم ... رجــالٌ مــثــل أَرمِــيــةِ الــحــمــيــمِ

[الوافر]

الأَرمية: السحائب الشديدة الوقع واحدها رَمِيّ، والحميم: مطر القيظ.

---

(١) اظعني: ارحلي.
(٢) الضجن، بفتح الضاد: جبل بناحية تهامة.
(٣) العيس: النياق البيضاء الكريمة.

أَقـلَّ الـلَّـه خـيـرَهـم ألـمَّـا يَـدَعْـهُـم بـعـضُ شـرهـمُ الـقـديـمِ
ألـمَّـا تـسـلـم الـجـيـرانُ مـنـهـم وقـد سـال الـفِـجـاجُ مـنَ الـعـمـيـمِ
غـداةَ كـأَن جـنَّـادَ ابـن لُـبـنـى بـهُ نَـضـخُ الـعـبـيـرِ مـنَ الـكـلـومِ
دعـا حـولـي نُـفـاثـةُ ثـم قـالـوا: لـعـلّـك لـسـت بـالـثـأر الـمـنـيـم
[الوافر]

المنيم: الذي إِذا أُدرك استراح أَهله.

نـعَـوا مـن قـتَّـلـت لـحـيـانُ مـنـهـم ومَـن يـغـتـرُّ بـالـحـرْب الـعـدوم[1]
[الوافر]

قالوا جميعاً: وكان أَبو جُندب ذا شرٍّ وبأْس، وكان قومه يسمونه المشؤوم، فاشتكى شكوى شديدة، وكان له جار من خُزاعةَ يقال له حاطم، فوقعت به بنو لحيان فقتلوه قبل أن يستبلّ أَبو جُندب من مرضه، واستاقوا أَمواله، وقتلوا امرأته، وقد كان أَبو جُندب كلَّم قومَه فجمعوا لجاره غنماً، فلما أَفاق أَبو جُندب من مرضه خرج من أَهله حتى قدِمَ مكةَ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن، وقد شق ثوبه عن استه، فعرف الناس أَنه يُريد شرًّا، فجعل يصيح ويقول:

إِنـي امـرؤ أَبـكـي عـلـى جـاريَّـهْ أَبـكـي عـلـى الـكـعـبـيّ والـكـعـبـيَّـهْ
ولـو هـلـكـتُ بـكـيـا عـلـيّـهْ كـانـا مـكـان الـثـوب مـن حَـقـويَّـهْ
[الرجز]

فلما فرغ من طوافه وقضى حاجته من مكةَ خرج في الخُلعاء من بكر وخُزاعة، فاستجاشهم[2] على بني لحيان، فقتل منهم قتلى، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبايا، وقال في ذلك:

لـقـد أَمـسـى بـنـو لـحـيـان مـنـي بـحـمـدِ الـلَّـه فـي خِـزْيٍ مُـبـيـنِ
تـركـتـهـمُ عـلـى الـرُّكـبـات صُـعـراً يُـشـيـبـون الـذوائـب بـالأَنـيـنِ
[الوافر]

أَخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثني عبد الرحمن ابن أَخي الأَصمعيّ قال: حدثني عمّي، قال:

هاجر خِراش بن أَبي خِراش الهذليّ في أَيام عمرَ بنِ الخطاب رضوان اللَّه عليه، وغزا معَ المسلمين، فأَوغل في أرض العدوّ، فقدم أبو خِراش المدينة، فجلس بين

(١) العدوم: الكثير العضّ.
(٢) إستجاشهم: أثارهم وجيشهم للقتال.

يدي عمرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ، وشكا إليه شوقه إلى ابنه، وأنه رجل قدِ انقرض أهله وقُتل إِخوته، ولم يبق له ناصر ولا مُعين غيرُ ابنه خِراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

أَلا مـن مُـبـلـغ عـنـي خِـراشـاً ... وقـد يـأْتـيـك بـالـنـبـإِ الـبـعـيـدُ
وقـد يـأْتـيـك بِـالأخـبـار مـن لا ... تُـجـهـز بـالـحـذاء ولا تُـزيـدُ

[الوافر]

تزيد وتزوّد واحد، منَ الزاد.

تُـنـاديـه لـيـغـبـقَـه كُـلـيـبٌ ... ولا يـأْتـي لـقـد سَـفِـهَ الـولـيـدُ
فـردّ إنـاءه لا شـيءَ فـيـه ... كـأَنَّ دمـوع عـيـنـيـه الـفـريـدُ[1]
وأَصـبـح دون غـابـقـه[2] وأَمـسـى ... جـبـالٌ مـن حـرارِ الـشـام سـودُ
ألا فـاعـلـمْ خِـراش بـأَن خـيـر الـ ... ـمُـهـاجـر بـعـدَ هـجـرتـه زهـيـدُ
وأَنّـك وابـتـغـاء الـخـيـر بـعـدي ... كـمـخـضـوب الـلـبـان[3] ولا يـصـيـدُ

[الوافر]

قال: فكتب عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بأن يَقفُل خِراشٌ إِلى أَبيه، وأَن لا يَغزوَ من كان له أب شيخٌ إِلَّا بعد أَن يأْذن له.

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمرُ بنَ شَبَّةَ، قال: حدثنا الأَصمعيّ.

وأَخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد، قال: حدثنا عليّ بن الصباح عنِ ابن الكلبيّ عن أَبيه.

وأَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أَبو غسان دماذ، قال: قال أَبو عُبيدةَ.

وأَخبرنا أيضاً هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه. وذكره أَبو سعيد السكريّ في رواية الأَخفش عنه عن أَصحابه، قالوا جميعاً: أَسلم أبو خِراش فحسُنَ إِسلامُه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدِموا حُجّاجاً، فنزلوا بأَبي خِراش، والماءُ منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمّي، ما أَمسى عندَنا ماء، ولكن هذه شاةٌ وبُرمة[4] وقربة، فرِدوا الماء

(١) الفريد، الواحدة فريدة: الشذور من الفضة كاللؤلؤ.
(٢) الغابق: الشارب عند الصباح.
(٣) مخضوب اللبان: وخضب اللبن، استخرج منه زبدته.
(٤) بُرمة، بضم الباء: القِدر من الحجر.

وكُلوا شاتكم، ثم دعوا بُرمتنا وقِربتنا على الماء حتى نأْخذها فقالوا: لا واللَّهِ ما نحن بسائرينَ في ليلتنا هذه، وما نحن ببارحين حيث أَمسينا. فلما رأَى ذلك أَبو خِراش أَخذ قِربته، وسعى نحوَ الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أَقبل صادراً، فنهشته حيَّة قبل أَن يصل إِليهم، فأَقبل مسرعاً حتى أَعطاهمُ الماء وقال: اطبخوا شاتكم وكلوا، ولم يُعلمهم بما أَصابه، فباتوا على شاتهم يأْكلون حتى أَصبحوا، وأَصبحَ أَبو خِراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، وقال وهو يعالج الموت:

لـعـمـرُك والـمـنـايـا غـالـبـاتٌ ... عـلـى الإنـسـان تـطـلـعُ كـلَّ نـجْـدِ
لـقـد أَهـلـكـتِ حـيَّـة بـطـنِ أَنـفٍ[1] ... عـلـى الأَصـحـاب سـاقـاً ذات فـقـدِ

[الوافر]

وقال أَيضاً:

لـقـد أهـلـكـت حـيَّـة بـطـنِ أَنـفٍ ... عـلـى الأَصـحـاب سـاقـاً ذاتَ فـضـلِ
فـمـا تـركـت عـدوّاً بـيـن بُـصـرى ... إلـى صُـنـعـاءَ يـطـلـبـه بـذُحـلِ[2]

[الوافر]

قال فبلغ خبرُه عمرَ بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ، فغضب غضباً شديداً وقال: لولا أَن تكون سُنَّةً لأَمرت أَن لا يُضاف يمانٍ أَبداً، ولكتبت بذلك إِلى الآفاق أن الرجل ليُضيف أحدَهم، فيبذل مجهوده، فيُسخّطه ولا يقبله منه، ويُطالبه بما لا يقدر عليه، كأنه يُطالبه بدَيْن، أَو يتعنَّته ليفضحه، فهو يُكلّفه التكاليف، حتى أَهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً وقتله. ثم كتب إِلى عامله باليمن: بأَن يأْخذ النفر الذين نزلوا بأَبي خِراش فيُغرّمهم دِيتَه ويُؤَدّبهم بعدَ ذلك بعقوبة تمسهم جزاءً لأَعمالهم:

صوت

تـهـيـمُ بـهـا لا الـدهـرُ فـانٍ ولا الـمـنـى ... سـواهـا ولا يُـنـسـيـك نـأْيٌ ولا شُـغْـلُ
كـبـيـضـة أُدْحِـيٍّ[3] بـمِـيـث[4] خَـمـيـلـةٍ ... يُـحَـفِّـفـهـا جَـوْنٌ بـجـؤجـئـه[5] صَـعْـلُ[6]

[الطويل]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دَارةَ، والغِناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى عنِ ابن المكيّ.

(١) بطن أنف: موضع من مواضع هذيل.
(٢) الذحل: الثأر.
(٣) الأُدحية: مبيض النعام في الرمل.
(٤) الميث: اللين.
(٥) الجؤجؤ: الصدر من السفينة والطائر.
(٦) الصعل: الدقيق الرأس من النعام.

أَخبار ابن دارةَ ونسبه

هو عبد الرحمٰن بن مُسافعِ بن دارةَ، وقيل: بل هو عبد الرحمٰن بن رِبْعيٍّ بن مسافع بن دارةَ، وأَخوه مسافعُ بن دارةَ، وكِلاهما شاعر، وفي شعريهما جميعاً غِناء يذكر هاهنا، وأَخوهما سالم بن دارةَ شاعر أَيضاً، وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين.

فأَما سالم فمخضرم، قد أَدرك الجاهلية والإِسلام.

وأَما هذانِ فمن شعراء الإِسلام، ودارةُ لقب غلب على جَدِّهم، ومسافع أَبوهم، وهو ابن شُريح بن يربوع الملقب بدارةَ بن كعب بن عديّ بن جُشم بن عوف بن بُهْثةَ بن عبد اللَّه بن غطفانَ بن سعد بن قيس بن عيلانَ بن مُضر.

وهذا الشعر يقوله عبد الرحمٰن في حبسِ السّمهريّ العكليّ اللّص وقتله، وكان له نديماً وأَخاً.

أَخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أَبي عُبيدةَ، قال:

لما أُخذ السّمهريُّ العكليُّ وحُبس وقُتل ـ وكانت بنو أَسد أخذته وبعثت به إِلى السلطان، وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع بن دارةَ، فقُتل بعد طول حبس ـ فقال عبد الرحمٰن بن مسافع يهجو بني أَسد ويُحرّض عليهم عُكلا:

صوت

إِن يمسّ العينين سقم فقد أَتى ... لعينيك من طول البكاء على جملِ
تهيم[1] بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سِواها ولا تُسلى بنأي ولا شُغلِ
كبيضة أُدحيٍّ بميث خميلةٍ ... يُخَفِّفها جونٌ بجؤجئه الصَّعلِ
وما الشمسُ تبدو يوم غيم فأَشرقت ... على الشامة العنقاء[2] فالنير فالذَّبلِ[3]

(١) تهيم بها: تعشقها.
(٢) العنقاء: الداهية.
(٣) الذبل: ميعة الشباب.

بدا حاجبٌ منها وضنَّت[١] بحاجب ... بأَحسنَ منها يومَ زالت على الحِملِ
يقولون: أَزلٌ[٢] حُبُّ جملٍ وتربها ... وقد كذبوا ما في المودة من أَزلِ
إذا شحطت[٣] عني وجدت حرارة ... على كبدي كادت بها كبدي تغلي
ولم أَرَ محزونين أَجمل لوعةً ... على نائبات الدهر مني ومن جُملِ
كِلانا يذودُ النفسَ، وهْي حزينةٌ ... ويُضمِرُ وجداً[٤] كالنَّوافذ بالنَّبلِ
وإني لمبلي الناس من حب غيرها ... فأَما على جملٍ فإنيَ لا أُبلي
وإن شِفاء النفس لو تسعف المنى ... ذوات الثنايا الغُرّ والأَعين النّجْلِ
أُولئك إن يمنعن فالمنعُ شيمةٌ ... لهنّ وإن يُعطينَ يُحمدنَ بالبذلِ
سَأُمسك بالوصل الذي كان بيننا ... وهل ترك الواشون والنأْي من وصلِ؟!
أَلا إسقياني قهوةً فارسيةً ... منَ الأَوَّل المختوم ليست منَ الفضلِ
تُنسي ذوي الأَحلام واللّبِّ حِلمَهم ... إذا أَزبدت في دَنِّها[٥] زبدَ الفحلِ
ويا راكباً إمَّا عرضت فبلغنْ ... على نأْيهم مني القبائلَ من عُكلِ
بأَن الذي أَمست تجمجم[٦] فقعسٌ ... إسارٌ بلا أَسر وقتلٌ بلا قتلِ
وكيف تنام الليلَ عُكْلٌ ولم تنلْ ... رضى قودٍ[٧] بالسمهريِّ[٨] ولا عقلِ[٩]
فلا صلحَ حتى تنحط الخيل في القنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزلِ[١٠]
وجُردٍ[١١] تعادي[١٢] بالكماة[١٣] كأَنها ... تُلاحظُ من غيظ بأَعينها القُبلِ[١٤]
عليها رِجال جالدوا يومَ منعج ... ذوي التاج ضرَّابو الملوك على الوهلِ[١٥]
بضربٍ يُزيل الهام عن مستقرّه ... وطعن كأَفواه المقرَّحةِ[١٦] الهُدْلِ[١٧]

(١) ضنّت: بخلت.
(٢) أزل: وقوع في الشدَّة والضيق.
(٣) شحطت: بعدت، رحلت بعيداً.
(٤) الوجد: الحبّ العظيم.
(٥) الدنّ: وعاء الخمرة يتّخذ من جلد شاة.
(٦) تجمجم: تنطق في صدرها بما لا يُفهم.
(٧) القود: الثأر.
(٨) السمهري: الرمح الطويل.
(٩) العقل: الدية.
(١٠) الحطب الجزل: الذي يدوم التهابه طويلاً.
(١١) الجُرد، الواحد أجرد من الخيول: الحليق الشعر.
(١٢) تُعادي: تسابق عدواً.
(١٣) الكماة، الواحد كميّ: البطل الشاكي السلاح.
(١٤) القُبل، بضم القاف: الواحد أقبل: وهو من يقبل سواد عينيه على أنفه.
(١٥) الوهل: الفزع.
(١٦) المقرَّحة: المجرّحة.
(١٧) الهُدْل، الواحد أهدل: هو المسترخي، ويقصد الشاعر بالهدل الجمال.

عـلامَ تُـمـشِّـي فـقـعـس بـدمـائـكـم ... ومـا هـي بـالـفـرع الـمـنـيـف ولا الأَصـلِ
وكـنـا حـسـبـنـا فـقـعـساً قـبـل هـذه ... أَذلَّ عـلـى وطء الـهـوان مـنَ الـنَّـعـلِ
فـقـد نـظـرت نـحـوَ الـنـجـوم وسـلـمـت ... على الناس واعتاضت بخِصب منَ المحلِ
رمـى الـلَّـه فـي أَكـبـادكـم إن نـجـت بـهـا ... شِـعـاب قَـنـان مـن ضـعـيـف ومـن وغـلِ
وإِن أَنـتـمُ لـم تـثْـأَروا بـأَخـيـكـمُ ... فـكـونـوا نِـسـاءً لـلـخَـلـوق ولـلـكُـحْـلِ
وبـيـعـوا الرُّديـنـيـات[١] بـالـحـلـي واقـعـدوا ... عـلى الذلّ وابتاعوا المغازل[٢] بالنَّبلِ
أَلا حـبَّـذا مـن عـنـدَهُ الـقـلـب فـي كـبْـلِ[٣] ... ومـن حُـبُّـه داءٌ وخَـبـلٌ مـنَ الـخـبـلِ[٤]
ومـن هـو لا يـنـسـى ومـن كـلّ قـولـه ... لـديـنـا كـطـعـمِ الـراح أَو كـجَـنَـى الـنّـحـلِ
ومـن إن نـأى لـم يُـحـدثِ الـنّـأْيُ بُـغـضَـهُ ... ومـن إن دنـا فـي الـدار أُرصـد بـالـبـدلِ

[الطويل]

وأَما خبر السمهريّ ومقتله.

فإِن عليّ بن سليمانَ الأَخفش أَخبرني به، قال: حدثنا أَبو سعيد السكريّ، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو الشيبانيّ، قال:

لقي السمهريُّ بن بِشر بن أُويس بن مالك بن الحارث بن أُقيش العُكْليّ ويُكَنَّى أَبا الديلم هو وبهدل، ومروان ابنا قُرفةَ الطائيّان عونَ بن جعفر بن جعدةَ بن هُبيرةَ بن أَبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عِمْرانَ بن مخزوم بن يَقظةَ بن مرةَ بن كعب بن لُؤَي، ومعَه خاله أَحدُ بني حارثةَ بن لام من طِيء، وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له: العُراضة[٥]، أي مُر لنا بشيء، فقال: يا غلامُ جفِّن[٦] لهم، فقالوا: لا واللَّهِ ما الطعامُ نُريد، فقال: عرْضهم، فقالوا: ولا ذلك نُريد، فارتاب بهم، فأَخذ السيف فشدّ عليهم، وهو صائم، وكان بهدل لا يسقط له سهم، فرمى عَوْناً فأَقصده، فلما قتلوه ندِموا فهربوا ولم يأخذوا إِبله، فتفرّقت إبله، ونجا خاله الطائي، إما عرفوه فكفّوا عن قتله، وإما هرب ولم يعرفِ القَتلة، فوُجد بعض إبله في

(١) الردينيات: الرماح المنسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تعمل على إصلاح الرماح وتقويمها.
(٢) المغازل، الواحد مِغزل: آلة لغزل الصوف والقطن عليها.
(٣) الكبل: القيد.
(٤) الخبل: ضرب من جنون.
(٥) العُراضة: الهدية يأتي بها القادم من سفر لأحبائه.
(٦) جفّن لهم: أطبخ في الجفنة، وهي قصعة عظيمة يُطبخ بها أو يقدّم بها الطعام.

يدي شافع بن واتر الأَسديّ، وبلغ عبد الملك بن مروان الخبرُ، فكتب إلى الحجاج بن يُوسفَ، وهو عامله على العراق، وإلى هشام بن إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة: أَن يطلبوا قتلة عون، ويُبالغوا في ذلك، وأَن يأْخذوا السُّعاة به أَشدّ أَخذٍ، ويجعلوا لمن دلّ عليهم جَعالة واشتام[١] السمهريّ في بلاد غَطفان ما شاء اللَّه، ثم مرَّ بنَخل، فقالت عجوز من بني فَزارةَ: أظن واللَّهِ هذا العُكليُّ الذي قتل عَوناً، فوثبوا عليه فأَخذوه، ومرَّ أَيوب بن سلمةَ المخزوميّ بهم، فقالت له بنو فَزارةَ: هذا العكليُّ قاتلُ ابن عمك عونٍ فأَخذه منهم، فأَتى به هشام بن إسماعيلَ المخزوميَّ عاملَ عبد الملك على المدينة، فجحد وأَبى أَن يُقرّ، فرفَعه إلى السجن فحبسه.

وزعم آخرون أن بني عُذرةَ أَخذوه، ولما عُرفت إِبل عون في يدي شافع بن واتر اتّهموه بقتله فأَخذوه، وقالوا: أَنت قِرفَتُنا[٢]، قتلت عوناً، وحبسوه بفيد ماء لبني أَسد، وجحد[٣]، وقد كان عرف من قتله، إما أَن يكون كان معَهم، فورّى عنهم وبرّأَ نفسه وإما أن يكونوا أودعوها إِياه أَو باعوها منه، فقال شافع في ذلك:

فإِن سرّكم أَن تعلموا أَين ثأْرُكم ... فسَلمى معانٌ وابن قِرفةَ ظالمُ
وفي السجن عكليٌّ شريكٌ لبهدلٍ ... فولوا ذُباب[٤] السيف من هو حازمُ
فوالـلَّـهِ ما كنا جُناةً ولا بنا ... تأَوّبَ عوناً حتفُه، وهو صائمُ

[الطويل]

فعرفوا من قتله فأَلحّوا على بهدل في الطلب، وضيّقوا على السمهريّ في القيود والسجن، وجحد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهريّ أَيقنت نفسُه أَنه غير ناجٍ، فجعل يلتمس السبيل إِلى الخروج منَ السجن، فلما كان يوم جمعة، والإمام يخطب، وقد شغل الناس بالصلاة، فكّ إحدى حلقتي قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم: فقصد نحوَ الحرَّة، فولج غاراً منَ الحرة، وانصرف الإمام منَ الصلاة فحَفل أَهلُ المدينة عامَّتهم الباعة وغلقوا أَبوابهم، وقال لهمُ الأَمير: اتبعوه، فقالوا: وكيف نتبعه وحدنا؟ فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون وحدَكم؟ فقالوا: أَرسل معَنا الأُبلّيين وهم حرس وأَعوان الأُبلَّة. فأَعجزهمُ الطلبُ، فلما أَمسى كسر الحلقةَ الأُخرى، ثم همس[٥] ليلته طَلقاً، فأَصبح وقد قطع أَرضاً

(١) اشتام في الشيء: دخل فيه.
(٢) القرفة: هو من يُتّهم بشيء ما.
(٣) جحد: أنكر.
(٤) ذباب السيف: حدّه.
(٥) همس ليلته: سار بلا تعب طوال الليل بجد.

بعيدة، فبينا هو يمضي إذ نعب غراب عن شِماله فتطير، فإذا الغراب عن شجرة بانٍ يُنشنش[١] ريشَه ويُلقيه، فاعتاف[٢] شيئاً في نفسه، فمضى وفيها ما فيها، فإذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك، فسأله مَنْ أَنت؟ قال: رجل لهِب من أَزْد شنؤة، انتجع أَهلي، فقال له: هل عندك شيء من زجر قومك؟ فقال: إني لآنس من ذلك شيئاً، فقص عليه حاله، غير أَنه ورَّى الذنب على غيره والعِيافة[٣]، وخبره عنِ الغراب والشجرة: فقال اللهبيّ: هذا الذي فعل ما فعل، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه، سيُصلب، فقال السمهريّ بفيك الحجر، فقال اللهبي: بل بفيك الحجر، استخبرتني فأَخبرتك.

ثم غضب فمضى حتى اغترز[٤] في بلاد قُضاعةَ، وترك بلاد غطفان.

وذكر بعض الرواة فإنه توقف يومَه وليلتَه فيما يعمله وهل يعود من حيث جاء ثم سار حتى أَتى أَرض عُذرةَ بن سعد يستجير القوم فجاءَ إِلى القوم متنكراً، ويستحلب للرعيان اللبنَ فيحلبون له، ولقيه عبد اللَّه الأَحدب السعديّ، أَحد بني مخزوم، من بني عبد شمس، وكان أَشدّ منه وأَلصَّ، فجنى جِناية، فطلب، فترك بلاد بني تميم، ولحق ببلاد قُضاعةَ، وهو على نجيبة[٥] لا تُسايَر، فبينا السمهريّ يُماشي راعياً لبني عُذرةَ، ويحدثه عن خِيار إبلهم ويسأله السمهريّ عن ذلك وإنما يُريد أَن يستدله على أَنجاهن ليركبَها فيهرب بها، لئلا يُفارق الأَحدب، فأشار له إلى ناقة، فقال السمهريّ: هذه خير منَ التي تفضلها، هذه لا تُجارى، فتحيّن الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بها، فخرجت تطير به، وذلك في آخر الليل، فلما أَصبحوا فقدوها وفقدوه، فطلبوه في الأثر.

وخرجا حتى إِذا كان حجرٌ عن يسارهما، وهو وادٍ في جبل أَو شبه الثقب فيه استقبلتهما سَعَة هي أَوسع منَ الطريق، فظنا أن الطريق فيها، فسارا مليًّا فيها، ولا نجمَ يأْتمَّانِ به، فلما عرفا أَنهما جائران والتفت عليهما الجبال أَمامهما وجدّا الطَّلب أَثر بعيريهما، ورواه قد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أَنه سيرجع، فقعدوا له بفم الثقب، ثم كرا راجعين، وجاءت الناقة وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامها[٦]، فلما أَبصر القوم هَمَّ أَن يعقر ناقتهم، فقال له الأَحدب: ما هذا جزاؤها. فنزل ونزل الأَحدب، فقاتلهما القوم، حتى كادوا

(١) يُنشنش الريشة: يحرّكها ويدفعها بشدّة.
(٢) إعتاف: أمسك عن الشيء.
(٣) العِيافة: كراهة شيء ما.
(٤) اغترز في شيء ما: دخل فيه.
(٥) النجيبة: الناقة السريعة النشيطة.
(٦) اللغام: زبد أفواه الإبل ورغاؤها.

يغشون السمهريّ، فهتف بالأَحدب، فطرد عنه القوم، حتى توقّلا[١] في الجبل، وفي ذلك يقول:

السمهري يعتذر من ضلاله:

وما كنت محتاراً ولا قدعَ السّرى[٢] ولكن جبا حجر بغير دليلِ

[الطويل]

وقال الأَحدب في ذلك:

لَمَّا دَعاني السمهريُّ أجبته بأَبيض[٣] من ماء الحديد صقيلِ
وما كنت ما ٱشتدَّت على السيف قبضتي لأسلِمَ من حُبّ الحياة زَميلي

[الطويل]

وقال السمهريّ أيضاً:

نجوت ونفسي عندَ ليلي رَهينةٌ وقد غمَّني داجٍ منَ الليل دامسُ
وغامست عن نفسي بأَخلقَ مِقصلٍ ولا خيرَ في نفسٍ ٱمرىءٍ لا تُغامس[٤]
ولو أن ليلى أَبصرتنيَ غُدوةً ومَطوايَ[٥] والصفّ الذين أُمارسُ
إِذاً لبكت ليلى عليَّ وأعولت وما نالتِ الثوبَ الذي أَنا لابسُ

[الطويل]

فرجع إِلى صحراء مَنعِج، وهي إِلى جنب أُضاخ، والحلة قريب منها، وفيها منازل عُكل، فكان يتردّد ولا يقرب الحِلة، وقد كان أَكثر الجعل فيه، فمرّ بابني فائد بن حبيب، من بني أَسد، ثم من بني فقعس، فقال: أَجيرا متنكراً. فحلبا له فشرب، ومضى لا يعرفانه، وذهبا هما، ثم لبث السمهريّ ساعة وكرّ راجعاً، فتحدث إِلى أُخت ابني قائد، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدَّحة[٦] وإِذا كدوح طَريّة. فأَخبر بذلك أَخاه فنظر فرأى ما أخبره أَخوه، فارتابا به، فقال أَحدهما: هذا واللَّه السمهريّ الذي جُعل فيه ما جُعل، فاتفقا على مصابرته[٧]،

(١) توقل في الجبل: صعد فيه.
(٢) قدع السرى: ضعف البصر لكثرة إمعانه بالنظر في شيء ما.
(٣) الأبيض: السيف.
(٤) لا تُغامس: لا ترم نفسك في وسط الحرب.
(٥) مطوي: قطعي البلاد.
(٦) مكدّحة: مخدّشة.
(٧) مصابرته: المكابرة على الصبر.

فوثبا عليه، فقعد أَحدهما على ظهره، وأخذ الآخر برجليه، فوثب السمهريّ فألقى الذي على ظهره، وقال: أَتلعبان؟ وقد ضبط رأْس الرجل الذي كان على ظهره تحت إبطه، وعالجه الآخر، فجعل رأسَه تحت إبطه أَيضاً، وجعل الرجلانِ يعالجانه، فناديا أُختهما أَن تُعينَهما، فقالت: إِلى الشّرك في جُعلكما؟ قالا: نعَم، فجاءت بجرير[١] فجعلته في عنقه بأُنشوطة، ثم جذبته حتى رنّحته[٢] وهو مشغول بالرجلين يمنعهما، فلما استحكمتِ العقدة، وراخت من علّابيه[٣] خلى عنهما، وشدّ أَحدهما فجاء بصِرار[٤] فألقاه في رجله، وهو يداور الآخر، والأُخرى تخنقه، فخرّ لوجهه، فربطاهُ، ثم انطلقا به إلى عثمانَ بنِ حيانَ المريّ، وهو في إمارته على المدينة، وأَخذا ما جُعل لأَخذه فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أَن أدفعه إلى ابن أَخي عون، فدُفع إِليه، فقال السمهريّ: أتقتلني وأَنت لا تدري أَقاتلُ عمِّك أَنا أُم لا؟ إِدنُ أُخبرْك، فأَراد الدنو منه، فنودي: إِياك والكلبَ، وإِنما أَراد أن يقطعَ أَنفه: فقتله.

ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زَجرَ اللهبي وصِدْقَه فقال:

أَلَا أَيُّها البيت الذي أَنا هاجرُهُ ... فلا البيتُ منسيٌّ ولا أَنا زَائرُهْ
أَلَا طرقت ليلى وساقي رَهينةٌ ... بِأَشهبَ مشدودٍ عليّ مسامرُهْ
فإِن أَنجُ يا ليلى فربَّ فتًى نجا ... وإِن تكنِ الأُخرى فشيء أُحاذرهْ
وما أَصدق الطير التي بَرَحت لنا ... وما أَعيفَ اللهبيّ لا عزَّ ناصرُهْ
رأيت غُراباً ساقطاً فوق بانةٍ[٥] ... ينشنشُ[٦] أَعلى ريشه ويُطايرُهْ
فقال: غراب باغتراب منَ النوى ... وبانٌ بَبين من حَبيبٍ تُحاذرُهْ
فكان اغترابٌ بالغراب ونيَّةٌ ... وبالبان بينٌ بيِّنٌ لك طائرُهْ

[الطويل]

وقال السمهريّ في الحبس يُحرِّض أَخاه مالكاً على ابنيْ فائد:

فمنْ مُبلغٌ عني خليليَ مالكاً ... رسالةَ مشدود الوثاقِ غريبِ

(١) الجرير: الحبل.
(٢) رنّحته: أضعفته.
(٣) العلابي، الواحد علباء: عصبة في صفحة العنق.
(٤) الصرار: خيط يُشدّ به خلف الناقة.
(٥) البانة: ضرب من الشجر يمتاز برقّة أغصانه وطولها.
(٦) ينشنش: يحرك ريشه.

ومن مبلغٌ حَزماً وتيماً ومالكاً وأَرباب حامي الحَفر رهطِ شبيبِ
ليُبلوا التي قالت بصحراء منعجٍ أَلى الشرك يا ابني فائدِ بن حبيبِ
لتضرب في لحمي بسهمٍ ولم يكن لها في سِهام المسلمين نصيبُ[١]

[الطويل]

وقال السمهريّ يرقّق بني أسد:

تمنت سُليمى أَن أقيل بأَرضها وأَنّى لسلمى وَيبها[٢] ما تمنّتِ
ألا ليت شعري هل أزورنَّ ساجراً[٣] وقد رويت ماء الغوادي وعلَّتِ
بني أَسد هل فيكمُ من هوادةٍ فتعفوا لو ان كانت بي النعلُ زلّتِ

[الطويل]

وبنو تميم تزعم أن هذا البيت لمرة بن محكانَ السعديّ.

وقال السمهريّ في الحبس يذمُّ قومه:

لقد جمع الحدَّادُ بين عِصابةٍ تُسائل في الأَقياد ماذا ذنوبُها
بمنزلةٍ أَما اللئيمُ فشامتٌ بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها
إذا حرسيٌّ قعقع[٤] البابَ أُرعِدتْ فرائصُ أَقوام وطار قلوبُها
أَلا ليتني من غير عُكلٍ قبيلتي ولم أَدرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وشيبُها
قُبَيِّلَةٌ لا يقرع لها البابَ وفدُها لخيرٍ ولا يُهدي الصوابَ خطيبُها
ترى الباب لا تسطيع شيئاً وراءَه كأَنّا قَناً قد أسلمتها كُعُوبُها
وإن تك عُكْلٌ سرَّها ما أَصابني فقد كنت مصبوباً على ما يُريبُها

[الطويل]

وقال السمهريُّ أَيضاً في الحبس:

أَلا حيّ ليلى إذْ أَلَمَّ لِمامُها وكان مَعَ القوم الأَعادي كلامُها
تعلَّل بليلى إنما أَنت هامة منَ الغد يدنو كلَّ يوم حمامُها
وبادرْ بليل أَوْبة الركب إنهم متى يرجعوا يحرُمْ عليك حرامُها

(١) في البيت إقواء روي البيت بالضم وروي القصيدة بالكسر.
(٢) الويب: كلمة مثل ويل، وزناً ومعنًى.
(٣) ساجر: موضع في اليمامة.
(٤) قعقع الباب: صوّت بكثرة.

وكيف تُرجِّيها، وقد حيل دونها ... وأَقسم أَقوام مخوفٌ قِسامُها
لأجتَنِبَنْها أَو ليبتَدِرَنّني ... ببيصٍ[١] عليها الأَثر[٢] فقم[٣] كلامُها[٤]
لقد طرقت ليلى، ورجلي رهينة ... فما راعني في السجن إِلا سلاؤُها[٥]
فلما ارتفقت للخيال[٦] الذي سرى ... إِذا الأَرض قفرٌ[٧] قد علاها قتامُها[٨]
فإِلّا تكن ليلى طوتك فإِنه ... شبيهٌ بليلى حسنُها وقوامُها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغِبطةٍ ... وتبلى عظامي حين تبلى عظامُها
لذلك ما كان المحبون قبلها ... إِذا مات موتاها تزاورُ هامُها

[الطويل]

وقال أَيضاً:

أَلا طرقت ليلى وساقي رهينة ... بأَسمرَ مشدودٍ عليَّ ثقيلُ
فما البينُ يا سلمى بأَن تشحط النوى[٩] ... ولكنَّ بيناً ما يُريد عقيلُ
فإِن أَنجُ منها أَنجُ من ذي عظيمة ... وإِن تكنِ الأُخرى فتلك سبيلُ

[الطويل]

وقال أَيضاً، وهو طريد:

فلا تيأَسا من رحمة اللَّه وانظرا ... بوادي جيونا أَن تهبّ شِمالُ
ولا تيأَسا أَن تُرزقا أَرحبيةً[١٠] ... كعِين المها[١١] أعناقُهُن طِوالُ
من الحارثيين الذين دِماؤهم ... حرام وأَما مالُهُم فحلالُ

[الطويل]

---

(١) البيص: الضيق والشدّة.
(٢) الأثر: جوهر السيف.
(٣) فقم، الواحد أفقم: وفقم الأمر عظم ولم يجر على استواء.
(٤) الكلام، الواحد كلم: الجرح.
(٥) السلاء: جلدة يكون الجنين بداخلها في بطن أمه.
(٦) ارتفقت الخيال: اعتمدت وأسندت عليه.
(٧) أرض قفر: مجدبة لا نبت فيها.
(٨) قتامها: ظلمتها.
(٩) تشحط النوى: تبعد بعداً عظيماً.
(١٠) الأرحبية من الإبل: المنسوبة إلى فحل نجيب يُسمّى أرحب.
(١١) المها، الواحدة مهاة: البقر الوحشي.

وقال أَيضاً:

أَلـم تـرَ أَنـي وابـنَ أبـيـضَ قـد جَـفَـتْ بـنـا الأَرض إِلَا أَن نـؤمّ الـفـيـافـيـا[١]
طَـريـدَيـنِ مـن حـيَّـيـن شـتَّـى أَشـدُّنـا مـخـافـتُـنـا حـتـى عـلـلـنـا الـتـصـافـيـا
ومـا لُـمـتـه فـي أَمـر حـزم ونـجـدةٍ ولا لامـنـي فـي مِـرّتـي واحـتـيـالـيـا
وقـلـت لـه: إِذْ حـلَّ يـسـقـي ويـسـتـقـي وقـد كـان ضـوء الـصـبـح لـلـيـل حـاديـا
لـعـمـري لـقـد لاقـت رِكـابُـك مـشـربـاً لـئـن هِـيَ لـم تُـصـبـح عـلـيـهـنّ ـ عـالـيـا

[الطويل]

طرائف من أَخباره:

وأخذت طيء ببهدلٍ ومروان أَخيه أشدَّ الأَخذ وحُبسوا، فقالوا: إن حُبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون، ولكن خلوا عنا حتى نتجسسَ عنهما فنأْتيكم بهما، وكانا قد تأَبّدا[٢] معَ الوحش، يرميانِ الصَّيْد، فهو رزقهما فلما طال على مروانَ هبط إِلى راعٍ فتحدَّث إِليه فسقاه وبسطه حتى اطمأن إِليه ولم يُشعره أَنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأَيام فلا يُنكره، فانطلق الراعي فأَخبره باختلافه إِليه، فجاء معَه الطلب، فأكمنهم، حتى إذا جاء مروانُ إلى الراعي كما كان يفعل سقاه وحدثه، فلم يشعر حتى أَطافوا به فأَخذوه. فأَتوا به عثمانَ بن حيانَ أَيضاً، وهو عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأُعطي الذي دَلّ عليه جُعلَه وقتله.

وأَما بهدل فكان يأْوي إلى هضبة بن سلمى، فبلغ ذلك سند ابن سلمى من طيّء فقال: قد أُخيفت طيّء وشردت منَ السهل من أَجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حلّ بأَهله أَسفل تلك الهضبة، ومعَه أَهلات[٣] من قومه، فقال لهم: إنكم بعيني الخبيث، فإِذا كان النهار فلْيخرج الرجال منَ البيوت، ولْيخلوا النساء، فإِنه إذا رأَى ذلك انحدر إِلى القِباب، وطلب الحاجَة والنقل فكانوا يُخلون الرجال نهاراً، فإِذا أَظلموا ثابوا[٤] إلى رحالهم أياماً، فظنّ بهدل أَنهم يفعلون ذلك لشغل يأْتهم فانحدر إلى قبة السيد وقد أَمر النساء إذا انحدر إليكن رجل فإِنه ابن عمكن فأَطعمْنه وادهنّ رأْسه. وفي قبة السيد ابنتان له، فسأَلهما: من أَنتما، فأخبرتاه وأطعمتاه. ثم انصرف فلما راح أَبوهما أخبرتاه، فقال: أحسنتما إلى ابن عمّكما، فجعل ينحدر إِليهما حتى اطمأَنّ، وغسلتا رأْسه، وفلَّتاه ودهنتاه، فقال الشيخ لابنتيه: أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، واعقدا خُصَل لِمّته[٥] إذا نعس رويداً بخَمْل

(١) الفيافي: القفار التي لا أنيس فيها ولا ماء. (٢) تأبّد مع الوحش: ابتعد مع الوحش وألفه.
(٣) أهلات، الواحدة أهل: الأقرباء. (٤) ثابوا: رجعوا، عادوا.
(٥) اللِّمَّة: الشعر المجاوز لحمة الأذن.

القطيفة، ثم إذا شددتما عليه فاقلبا القطيفة على وجهه، وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدَّا به إليكما، ففعلتا، واجتمع له أَصحابه، وكرُّوا إلى رحالهم قبلَ الوقت الذي كانوا يأْتونها ففعلنا وشدّوا عليه فربطوه ودفعوه إلى عثمانَ بنِ حيَّان فقتله، فقالت ابنة بهدل ترثيه:

فيا ضيعةَ الفتيان إذ يقتلونه ببطن الشّرى مثل الفنيق[١] المُسدّم[٢]
دعا دعوةً لما أَتى أَرض مالك ومَنْ لا يُجَبْ عندَ الحفيظة[٣] يُكْلَم
أَما كان في قيس منِ ابن حفيظة منَ القوم طَلابِ التِّراتِ غَشمشم[٤]
فَيُقتَلَ جَبراً بامرىءٍ لم يكن له بواءً[٥] ولكن لا تكايُل[٦] بالدّم

[الطويل]

وكان دعا: يال مالك لينتزعوه فلم يُجبه أَحد.

فلما قال عبد الرحمٰن بن دارةَ هذه القصيدة يحضّ عُكلاً على بني فقعس اعترض الكميتُ بن معروف الفقعسيّ فعيَّره بقتل زميل الفزاريّ سالم بن دارةَ، وقال:

فلا تُكثروا فيه الضَّجاج[٧] فإنه محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أَجمعا

[الطويل]

فقال عبد الرحمٰن بن دارةَ:

فيا راكباً إمَّا عرضتَ فبلِّغَنْ مغلغلةً[٨] عني القبائلَ من عُكْلِ
جلت حُمماً عنها القِصاف[٩] وما حلت أُقيش وفي الشِّدات والحرب ما تحلي
فإن يكُ باع الفقعسيُّ دماءَهمْ بوكسٍ[١٠] فقد كانت دماؤكم تغلي
وكيف تنامُ الليلَ عُكْلٌ ولم تنل رِضى قودٍ بالسمهريّ ولا عَقْلِ
رمى اللَّه في أَكبادهم إن نجت بها حُرَوف قِنانٍ من ذليل ومن غلِّ
وكنا حسبنا فقعساً قبل هذه أَذلَّ على طول الهوانِ منَ النَّعْلِ
فإن أَنتم لم تثأَروا بأَخِيكمُ فكونوا بغايا للخلوق وللكُحْلِ

(١) الفنيق من الفحول: الذي لا يركب لنجابته وكرامته على أهله.
(٢) المسدّم من الفحول: الذي يمنع ظهره، وهو الهائج. (٣) الحفيظة: سورة الغضب.
(٤) الغشمشم من الرجال: من لا يهاب الإقدام على المخاطرة، والذي يركب رأسه.
(٥) البواء من الرجال: من قُتِلَ بسواه وصار دمه بدمه.
(٦) التكايل: المساواة بالكيل. (٧) الضجاج: الصخب.
(٨) المغلغلة: القصيدة التي تنتشر في الآفاق.
(٩) القصاف، بكسر القاف: هم من يكثر من الأكل والشرب واللَّهو.
(١٠) الوكس: الجبان، الرعديد.

وبيعوا الرُّدينياتِ[١] بالحَلْي واقعدوا ... على الوتر وابتاعوا المغازلَ بالنُّبلِ
فإن الذي كانت تجمجم[٢] فقعسٌ ... قتيلٌ بلا قتلٍ وَتبلٌ بلا تَبلِ
فلا سلِم حتى تَنْحِط الخيلُ بالقنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجَزلِ[٣]

[الطويل]

فلما بلغ قولُه مالكاً أَخا السمهريّ بخراسانَ، انحطّ من خُراسانَ حتى قدم بلاد عُكْل، فاستجاش[٤] نفراً من قومه فعلِقوا[٥] في أرض بني أَسد يطلبون الغِرَّة[٦]، فوجدوا ثادق معَه امرأة من فقعس، فقتلوه وحزّوا رأْسه، وذهبوا بالرأْس وتركوا جسده، وقتلوا المرأة أَيضاً. وذُكر لي أَن الرجل ابنُ سعدة، والمرأة التي كانت معه هي سعدة أُمه، فقال عبد الرحمٰن في ذلك:

ما لِقتيلِ فقعسٍ لا رأْس لَهْ ... هلا سأَلْت فقعساً من جَدّلَهْ[٧]؟!
لا يتبعَنَّ فقعسيٌّ جملَهْ ... فرْداً إذا ما الفقعسيّ أَهملَهْ
لا يلقينّ قاتلاً فيقتلَهْ ... بسيفه قد سمّه وصقَلَهْ

[الرجز]

وقال عبد الرحمٰن أَيضاً:

لمَّا تمالى القومُ في رأْد[٨] الضحى ... نظراً وقد لمع السرابُ فجالا
نظر ابنُ سعدةَ نظرةً وتلا بها ... كانت لصحبكِ والمطيُّ خيالا
لمعانَ أَقنى فوقَ طودٍ يافعٍ[٩] ... نقص الغداةَ دُجنةً وظِلالا
عيّرتني طلب الحمول، وقد أُرى ... لبياتهن مكلفاً بطالا
فانظر لنفسك يا ابن سعدةَ هل ترى ... ضبُعاً تجرُّ بثادقٍ[١٠] أوصالا؟
أَوصال سعدةَ والكُميتِ وإنما ... كان الكميتُ على الكُميت عِيالا

[الكامل]

---

(١) الردينيّات: الرماح المنسوبة إلى ردينة التي تعمل على إصلاحها.
(٢) تُجمجم: تنطق في صدرها بما لا يُفهم.
(٣) الحطب الجزل: الذي يدوم التهابه طويلاً.
(٤) استجاش: أثار وحثّ على القتال فجيّش جيشاً.
(٥) علقوا: أُحيط بهم.
(٦) الغِرّة، بكسرة الغين: الفجأة أو الغفلة.
(٧) جدّله: أرداه قتيلاً.
(٨) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء.
(٩) طود يافع: جبل عالٍ مرتفع.
(١٠) ثادق: اسم رجل.

وقال عبد الرحمٰن في ذلك:

أَصبحتمُ ثَكْلى لِئاماً وأَصبحت ضباعُ شباط لحمكم تنتهسُ[١]
قضى مالك ما قد قضى ثم قلّصت[٢] به في سواد الليل وجناءُ عرمسُ[٣]
فأَضحت بأَعلى ثادق وكأَنها محالةُ[٤] غربٍ[٥] تستمرُّ وتمرُسُ[٦]

[الطويل]

وحدثني عليّ بن سُليمانَ الأَخفش: أَن بني أسد ظفرت بعبد الرحمٰن بن دارةَ بالجزيرة، بعد ما أَكثرَ من سبّهم وهجائهم، وتآمروا في قتله، فقال بعضهم نقتله، ولكن نأْخذ عليه أَن يمدحنا، ونحسن إِليه، فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إِن رجلاً منهم كان قد عضّه بهجائه اغتفله فضربه بسيفه فقتله، وقال في ذلك:

قتل ابنَ دارةَ بالجزيرة سبُّنا وزعمت أَن سِبابنا لا يُقتلُ

[الكامل]

قال عليّ بن سُليمانَ، وقد روى أَن البيت المتقدم:

فلا تُكثروا فيه الضجاج[٧] فإِنه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أَجمعا

[الطويل]

لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة، وهو من بني أَسد، وهكذا [قال] السكريّ.

صوت

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إِن بدت ونجمَ الثريا والمزارُ بعيدُ
فكيف بكم يا جُمل أَهلاً ودونكم بحور يُقمّصن[٨] السفينَ وبيدُ؟!
إِذا قلت قد حان القفولُ يصدُّنا سليمانُ عن أهوائنا وسعيدُ

[الطويل]

الشعر لمسعود بن خَرشةَ المازنيّ، والغِناء لبحر خفيف ثقيل بالوسطى عنِ الهشاميّ.

---

(١) تنتهس اللحم: تأخذه بمقدم أسنانها وتنتفه.
(٢) قلصت الناقة: جدّت في عدوها.
(٣) الوجناء العرمس من النياق: القوية العظيمة.
(٤) المحالة: البكرة التي يُستقى بها من البئر.
(٥) غرب: الدلو العظيمة.
(٦) تمرس: تجعل البكرة في أحد جانبي الدلو.
(٧) الضجاج: الصّخب.
(٨) يُقمّصن السفينة: يحركها البحر بأمواجه العاتية حتى كأنها بعير.

أَخبار مسعود بن خرشة

مسعود بن خرشةَ أَحد بني حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إِسلامي بدويّ من لصوص بني تميم، قال أَبو عمرو: وكان مسعود بن خرشةَ يهوى جارية من قومه من بني مازن، يقال لها جُمل بنت شراحيل، أُخت تمام بن شراحيل المازنيّ الشاعر، فانتجع قومُها ونأوا عن بلادهم، فقال مسعود:

كِلانا يرى الجوزاءَ يا جملُ إذ بدت ... ونجمُ الثريا والمزارُ بعيدُ
فكيف بكم يا جملُ أَهلاً ودونكم ... بحور يُغمصنَّ السفين وبيدُ
إِذا قلت قد حان القفولُ يصدّنا ... سليمانُ عن أَهوائنا وسعيدُ

[الطويل]

قال أَبو عمرو، ثم خطبها رجل من قومها، وبلغ ذلك مسعوداً فقال:

أَيا جملُ لا تشقَيْ بأَقعسَ[١] حَنْكلٍ[٢] ... قليل الندى يسعى بكيرٍ ومحلَبُ
له أَعنزٌ حوٌّ ثمانٍ كأنما ... يراهنَّ غرَّ الخَيل أو هُنَّ أنجبُ

[الطويل]

وقال أَبو عمرو: وسرق مسعود بن خرشةَ إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو القعنبي، هو ورفقاء له وكان معَه رجلانِ من قومه، فأَتوا بها اليمامةَ ليبيعوها، فاعترض عليهم أَميرٌ كان بها من بني أَسد، ثم عُزل وولي مكانه رجل من بني عُقيل، فقال مسعود في ذلك:

يقول المُرجِفُون أَجاء عهدٌ ... كفى عهداً بتنفيذِ القِلاصِ[٣]
أَتى عهد الإِمارة من عُقيل ... أَغرّ الوجهِ رُكِّبَ في النواصي
حُصون بني عُقيل كلُّ عَضبٍ[٤] ... إذا فزعوا وسابغةٍ دلاصِ[٥]

(١) الأقعس: هو من خرج صدره ودخل ظهره خِلقة.
(٢) الحنكل: اللئيم والقصير.
(٣) القلاص، الواحد قلوص من الإبل: التي سمنت في الصيف.
(٤) العضب: السيف البتَّار.
(٥) الدلاص من الدروع: الملساء اللينة.

وما الجاراتُ عند المحل فيهم ولو كثُر الروازح بالخماصِ[١]
[الوافر]

قال: وقال مسعود وطلبه والي اليمامة، فلجأَ إلى موضع فيه ماء وقصب:

أَلا ليت شِعري هل أَبيتن ليلةً بوعثاء[٢] فيها للظباء مكانسُ[٣]
وهل أَنجونْ من ذي لبيد بن جابر كأَنّ بناتِ الماء فيه المجالسُ
وهل أَسمعن صوت القطا تندب القطا إِلى الماء منه رابع وخوامسُ
[الطويل]

(١) الخماص: الجائعات.
(٢) الوعثاء: الطريق الغليظ العسر.
(٣) المكانس، الواحد كِناس، بكسر الكاف: بيت الظبي.

أَخبار بحر ونسبه

هو بحر بن العلاء، مولى بني أُمَيَّة، حجازي، أدرك دولة بني هاشم، وعُمِّرَ إِلى أَيام الرشيد، وقد هرم وكان له أَخ يُقال له عباس، وأَخوه بحر أَصغر منه، مات في أَيام المعتصم، وكان يلقّب حامض الرأس، وله صنعة، وأَقدمه الرشيد عليه ثم كرهه فصرفه.

حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثني أَحمد بن أَبي خالد الأَحول، عن عليّ بن صالح صاحب المصلّى.

أن الرشيد سمع من علُّويه ومخارق، وهما يومَئذٍ من صغار المغنين، في الطبقة الثانية يُغنيانِ أَصواتاً استحسنها، ولم يكن سمعها، فقال لهما: ممن أَخذتما هذه الأَصوات؟ فقالا، من بحر، فاستعادها وشرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أَيام صوتاً لبحر، فأَمر بإِحضاره، وأمره بأن يُغنيَ ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيد صوتاً حائلاً مرتعشاً، فلم يُعجبه، واستثقله، لولائه لبني أُميّة، فوصله وصرفه، ولم يصل إِليه بعد ذلك.

صوت

أَلا يا لَقومي للنوائب والدَّهرِ ... وللمرءِ يُردي نفسه وهو لا يدري
وللأَرض كم من صالح قد تودّأتْ[1] ... عليه فوارته بلمَّاعةٍ قفرِ

[الطويل]

عروضه منَ الطويل، قال الأصمعيّ: يقال للرجل أَو للقوم إذ دعوتهم: يال كذا، بفتح اللام، وإِذا دعوت للشيء قلت بالكسرة: تقول يا للرجال ويا للقوم. وتقول: يا لِلغنيمة ويا للحادثة، أَي أَعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. وروى الأَصمعيّ وغيره مكان قد توذّأت: قد تلمَّأت عليه، وتلاءمت، أَي وارته، ويروى تأكّمت أي صارت أكمة.

الشعر لهدبةَ بنِ خَشْرم، والغناء لمعبد ثقيل أول بإِطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إِسحاقَ.

(١) توذّأت: تهدّمت أو استوت كما تستوي على الميت.

أخبار هُدبة بن خشرم
ونسبه وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

هو هُدبةُ بن خَشرَم بن كُرز بن أَبي حية بن الكاهن ـ وهو سلمة ـ بن أَسحمَ بن عامر بن ثعلبةَ بن عبد اللَّه بن ذبيانَ بن الحارث بن سعد بن هُذيم، وسعد بن هذيم شاعِر من أَسلمَ بن الحاف بن قُضاعةَ، ويُقال بل هو سعد بن أَسلمَ، وهذيمٌ عبد لأَبيه رباه، فقيل سعد بن هذيم، يعني سعداً هذا.

وهُدبةُ شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، وكان شاعراً راوية، كان يروي للحطيئة، والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأَبيه زهير. وكان جميل راوية هُدبة، وكثير راوية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إِلى الشعر كثير.

وكان لهدبةَ ثلاثة إِخوةٍ كلهم شاعر: حوط وسيحان والواسع، أُمهم حيةٌ بنت أَبي بكر بن أَبي حيةَ من رهطهم الأَدَنيْن، وكانت شاعرة أَيضاً.

وهذا الشعر يقوله هُدبةُ في قتله زيادةَ بن مالك بن عامر بن قرةَ بن حفش بن عمرو بن عبد اللَّه بن ثعلبةَ بن ذبيانَ بن الحارث بن سعد بن هذيم.

أَخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا، فجمعت بعض روايتهم، إِلى بعض، واقتصرت على ما لا بدّ منه منَ الأَشعار، وأَتيت بخبرهما على شرح، وأَلحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان، فممن حدثني به محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا عيسى بن إِسماعيلَ العتكيّ تينة، قال: حدثنا خلف بن المثنى الحُدانيّ، عن أَبي عمرو والمدينيّ.

وأَخبرني الحسن بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أَبي الأَزهر البُوشنجيّ عن حماد بن إِسحاقَ الموصليّ عن أَبيه.

وأَخبرني إِبراهيمُ بن أَيّوبَ الصائغ، عنِ ابن قُتيبةَ.

وأَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمار، عن عليّ بن محمد بن سُليمانَ النوفليّ، عن أَبيه عن عمّه، وقد نسبت إِلى كل واحد منهم ما انفرد به منَ الرواية،

وجمعت ما اتّفقوا عليه، قال عيسى إسماعيلَ في خبره خاصة.

كان أَول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد اللَّه بن ذبيانَ وبين بني رقاش، وهم بنو قُرة بن حفش بن عمرو بن عبد اللَّه بن ثعلبةَ بن ذبيان، وهم رهط زياد بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أَن حوط بن خشرم أَخا هدبة راهن زيادةَ بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما منَ الغاية على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزوّدوا الماء في الرّوايا والقِرب، وكانت أُخت حَوْط سلمى بنت خُشرم تحت ابن زيد، فمالت معَ أَخيها على زوجها، فوهّنت أَوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة:

قد جعلت نفسيَ في أَديم مُحرَّم الدِّباغ ذي هُزومِ
ثم رَمتْ في عرَضِ الديموم[1] في بارح[2] من وَهَجِ السَّمومِ
عندَ اطّلاع وغْرة النجومِ

[الرجز]

وقال اليزيديّ في خبره المحَرَّم: الذي لم يدبغ، والهُزوم: الشقوق. قال:

وقال زيادة أَيضاً:

قد علمت سلمة بالعَميس ليلةَ مَرْمار ومرمريس
أَن أَبا المسور ذو شريس[3] يشفي صُداع الأَبلج الدلعيس[4]

[الرجز]

العميس: موضع، والمرمار والمرمريس، الشدة والاختلاط، وأبا المسور يعني زيادة نفسه، وكانت كُنيته أَبا المسور.

قال: فكان ذلك أَول ما أثبت الضغاين بينهما، ثم إن هُدبةَ بن خشرم وزيادةَ بن زيد اصطحبا وهما مُقبلان منَ الشام: في ركب من قومهما، فكان يتعاقبانِ السوق بالإِبل، وكان معَ هُدبة أُخته فاطمة، فنزل زياد فارتجز فقال:

عُوجي علينا واربعي يا فاطما ما دون أَن يُرى البعير قائما

[الرجز]

(١) الديموم: المفازة الشاسعة لا أنيس فيها.
(٢) البارح: الريح الحارَّة.
(٣) ذو شريس: أي سيّئ الخلق، شديد الخلاف.
(٤) الدلعيس: الدلعس والدلعس والدلعوس والدلعاس والدُّلاعس من الجمال: الذلول.

أَي ما بين مناخ البعير إِلى قيامه.

أَلا تـرين الـدمـعَ مـنـي سـاجـمـا حـذارَ دار مـنـك لـن تـلائـمـا
فـعـرَّجـت مُـطَّـرداً عُـراهـمـا فـعْـمـاً يَـبُـذُّ الـقُـطُـفَ الـرواسـمـا
[الرجز]

مُطَّرد: متتابع السير وعُراهم: شديد، وفعم: ضخم، والرسيم: سير فوق العَنق، والرواسم: الإِبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه.

كـأنَّ فـي الـمـثـنـاة مـنـه عـائـمـا إنـك والـلَّـهِ لأَن تُـبـاغـمـا
[الرجز]

المثناة: الزمام، وعائم: سائح، تباغم: تكلَّم.

خَـوداً كـأَن الـبُـوص والـمـآكـمـا مـنـهـا نـقـاً مـخـالـطٌ صـرائـمـا
[الرجز]

البُوص: العجز، والمأكمتان: ما عن يمين العجُز وشِماله. والنقا. ما عظم منَ الرمل. والصرائم: دونه.

خـيـرٌ مـنِ اسـتـقـبـالـكِ الـسـمـائـمـا ومـن مـنـادٍ يـبـتـغـي مُـعـاكـمـا
[الرجز]

ويروى: ومن نداء تبتغي أَي رجلاً تُنادينه أَن يُعينك على عَكْمك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زِيادةَ يرتجز بأُخته، فنزل فرجز بأُخت زيادة، وكانت تدعى ـ فيما روى اليزيديّ ـ أُم حازم، وقال الآخرون أم القاسم، فقال هُدبة:

لـقـد أَرانـي والـغـلامَ الـحـازمـا نُـزجـي الـمـطـيَّ ضُـمَّـراً سـواهـمـا
مـتـى تـظـنُّ الـقُـلُـصَ[1] الـرواسـمـا والـجـلـة الـنـاجـيـة[2] الـعَـيـاهـمـا
[الرجز]

العياهم: الشدّاد.

يـبـلـغـن أُمّ خـازم وخـازمـا إذا هـبـطـن مُـسـتـحـيـراً[3] قـائـمـا
ورجـع الـحـادي لـهـا الـهـمـاهـمـا أَلا تـريـن الـحُـزن مـنـي دائـمـا؟
حـذارِ دار مـنـك لـن تـلائـمـا والـلَّـهُ لا يـشـفـي الـفـؤاد الـهـائـمـا

(١) القُلُص، الواحدة قلوص من الإبل: التي سمنت في الصيف.
(٢) الناجية من الإبل: السريعة.
(٣) المستحير: الطريق الذي يأخذ في عرض مفازة ولا يدرى أن منفذه.

تـمـسـاحـلء الـلّـبـات والـمـآكـمـا ولا الـلِّـمـام دون أَن تُـلازِمـا
ولا الـلـئـام دون أَن تُـفـاقـمـا ولا الـفـقـام[1] دون أَن تُـفـاغـمـا[2]

[الرجز]

وتـعـلـوَ الـقـوائـمُ الـقـوائـمـا

قال: فشتمه زِيادة، وشتمه هُدبة، وتسابّا طويلاً، فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما اللَّه، فإنا قوم حجاج، وخَشوا أَن يقع بينهما شرَّ فوعظوهما، حتى أَمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، وهُدبةُ أَشدُّهما حُنقاً لأَنه رأَى أَن زِيادة قد ضامه، إذ رجز بأُخته وهي تسمع قوله، ورجز هو بأخته وهي غائبةٌ لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجهما، ورجعا إِلى عشائرهما.

قال اليزيديّ خاصة في خبره.

ثم التقى نفرٌ من بني عامر، من رهط هُدبةَ، فيهم أَبو جَبر، وهو رئيسهمُ الذي لا يعصونه، وخُشرم أَبو هُدبةَ، وزُفرُ عمّ هُدبةَ، وهو الذي بعث الشرّ وحجّاج بن سلامةَ، وهو أَبو ناشب، ونفر من بني رَقاش رهطِ زيادة، وفيهم زِيادة بن زيد، وإخوته: عبد الرحمٰن ونفاع وأَدرع بوادٍ من أَوديه حرّتهم[3] فكان بينهم كلام، فغضب ابنا الغسانية، وهما أَدرع وأَبو جَبر، وكان زُفُر عمّ هدبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش، فقام أَدرع فرجز به فقال:

أَدُّوا إِلـيـنـا زُفـرا نـعـرف مـنـه الـنَّـظـرا
وعـيـنـه والأَثـرا

[الرجز]

قال: فغضب رهط هُدبةَ، وادَّعَوا حدّاً على بني رَقاش، فتداعَوْ إِلى السلطان، ثم اصطلحوا على أَن يُدفع إِليهم أَدرع، فيخلو به نفر منهم، فما رأَوه عليه أَمضوه، فلما خَلوا به ضربوه الحدّ ضرباً مُبرِّحاً، فراح بنو رَقاش وقد أَضمروا الحرب وغضبوا، فقال عبد الرحمٰن بن زيد:

أَلا أَبـلـغْ أَبـا جـبـر رسـولاً فـمـا بـيـنـي وبـيـنـكـم عِـتَـابُ
أَلا تـعـلـم بـأَن الـقـوم راحـوا عـشـيّـةَ فـارقـوك وهـم غِـضَـابُ

[الوافر]

(١) الفقام: البضاع. (٢) التفاغم: التقبيل.
(٣) الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أُحرقت بالنار.

فأَجابه الحجاج بن سلامةَ، فقال:

إن كان ما لاقى ابن كَنعاءَ مرغماً ... رَقاش فزاد اللَّه رغماً سِبالَها
منعنا أَخانا إذ ضربنا أَخاكمُ ... وتلك منَ الأَعداء لا مِثلَ ما لها

[الطويل]

قال اليزيديّ في خبره: وجعل هُدبةُ وزيادةُ يتهاديانِ الأَشعار، ويتفاخرانِ، ويطلب كلِ واحد منهما العُلوَّ على صاحبه في شعره، وذكر أَشعاراً كثيرة، فذكرت بعضها، وأَتيت بمختار ما فيه، فمن ذلك قول زِيادةَ في قصيدة أَولها:

أَراكَ خليلاً قد عزمت التجنُّبا ... وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأَصحَبا

[الطويل]

إختررت منها قوله:

وأَنك كالناسي الخليلَ إذ دَنت ... به الدارُ والباكي إِذا ما تغيَّبا
وقد أَعذرَت صرفُ الليالي بأَهلها ... وشحطُ النوى[1] بيني وبينك مَطلبا
فلا هي تأْلو ما نأت وتباعدَتْ ... ولا هو يألو ما دنا وتقرَّبا
أَطعتُ بها قول الوشاة فلا أَرى الـ ... ـوشاةَ انتهَوْا عنه ولا الدهرُ أَعتبا
فهلّا صَرَمْتِ[2] والجبالُ متينة ... أُميمةُ إن واشٍ وشى وتكذَّبا
إِذا خِفتَ شكَّ الأَمرِ فارم بعزمةٍ ... غِيابته يركبْ بك الدهرُ مركبا
وإن وِجهة سُدّتْ عليك فُروجُها ... فإِنك لاقٍ لا محالةَ مذهبا
يُلامُ رجالٌ قبلَ تجريب غيبهم ... وكيف يُلام المرءُ حتى يُجرِّبا
وإني لمعراضٌ قليلٌ تعرُّضي ... لوجهِ امرىءٍ يوماً إذا ما تجنَّبا
قليلٌ عِثاري[3] حين أُذعَرُ[4]، ساكنٌ ... جناني إذا ما الحرب هرَّت لِتكْلَبا
بحسبك ما يأْتيك فاجمعْ لِنازلٍ ... قِراه ونوّبه إذا ما تنوَّبا
ولا تنتجعْ شَرّاً إِذا حِيلَ دونه ... بستر وَهَبْ أَسبابَه ما تهَيَّبا
أَنا ابن رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي ... بنى هادِياً يعلو الهواديَ أَعلبا
بنى العِزَّ بُنياناً ليومي فماصَعوا[5] ... بأَسيافهم عنه فأَصبح مُصْعبا

---

(١) شحط النوى: المبالغة في البعد.
(٢) صرمت: قطعت العلاقة.
(٣) عثاري: كبوتي.
(٤) أذعر: أصاب بالذعر والخوف.
(٥) ماصعوا: قاتلوا قتالاً عظيماً، وهم صابرون.

فـمـا إن تـرى فـي الـنـاس أُمّـاً كـأُمّـنـا ... ولا كـأَبـيـنـا حـيـن نـنـسـبـه أَبـا
أَتـمّ وأَنـمـى بـالـبـنـيـن إلـى الـعُـلا ... وأكـرمَ مـنـا فـي الـمـنـاصـب مَـنـصِـبـا
مـلـكـنـا ولـم نُـمـلَـك وُقـدْنـا ولـم نُـقَـدْ ... كـأَنّ لـنـا حـقـاً عـلـى الـنـاس تُـرْتَـبـا

[الطويل]

قال اليزيديّ: تُرتب: ثابت لازم.

بـآيـة أَنَّـا لا نـرى مـتـتـوجـاً ... مـنَ الـنـاس يـعـلـونـا إذ مـا تـعـصَّـبـا
ولا مَـلـكـاً إلَّا أَتـقـانـا بـمـلـكـه ... ولا سُـوقـةً إلَّا عـلـى الـخَـرج أُتـعِـبـا
مـلـكـنـا مـلـوكـاً واستـبـحـنـا حِـمـاهـمُ ... وكـنـا لـهـم فـي الـجـاهـلـيـة مـوكِـبـا
نـدامـى وأَردافـاً فـلـم تـرَ سـوقـةً ... تَـوازنـنـا فـاسـأل إيـاداً وتـغـلـبـا

[الطويل]

فأَجابه هُدبة، وهذا مختار ما فيها، فقال:

تـذكَّـرَ شـجْـواً مـن أُمـيـمـةَ مـنـصـبـا ... تـلـيـداً ومـنـتـابـاً مـنَ الـشـوق مُـجـلـبـا
تـذكَّـرَ حُـبًّـا كـان فـي مَـيـعـةِ الـصِّـبـا ... ووجـداً بـهـا بـعـدَ الـمـشـيـبِ مُـعَـتِّـبـا
إذا كـاد يـنـسـاهـا الـفـؤادُ ذكـرتُـهـا ... فـيـا لـكَ مـا عَـنَّـى الـفـؤادَ وعـذّبـا
غـدا فـي هـواهـا مُـسـتـكـيـنـاً كـأَنـه ... خـلـيـعُ قـداحٍ لـم يـجـد مُـتـنـشّـبـا[1]
وقـد طـال مـا عُـلِّـقـت لـيـلـى مُـغـمَّـا ... ولـيـداً إلـى أَن صـار رأْسُـك أَشـيـبـا

[الطويل]

المغمَّر: للغُمر أَي غير حدث.

رأَيـتـك فـي لـيـلـي كـذي الـداء لـم يـجـد ... طـبـيـبـاً يُـداوي مـا بـه فـتـطـبَّـبـا
فـلـمـا اشـتـفـى مـمـا بـه كـرَّ طِـبّـه ... عـلـى نـفـسـه مـن طـول مـا كـان جـرَّبـا

[الطويل]

فلم يزل هُدبة يطلب غِرَّة زيادة حتى أَصابها فبيّته فقتله، وتنحّى مخافةَ السلطان، وعلى المدينة يوَمئذٍ سعيد بن العاص، فأَرسل إلى عمّ هُدبةَ وأَهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هُدبةَ ذلك أَقبل حتى أَمكن من نفسه، وتخلّص عمّه وأَهلُه، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمٰن بن زيد أَخو زِيادةَ إِلى معاوية، فأَورد كتابه إلى سعيد بأَن

(١) المتنشّب: ما يتعلّق به من الأحباب والأصحاب.

يُقيد منه إذا قامتِ البينة، فأَقامها، فمشت عُذرةُ إلى عبد الرحمٰن فسألوه قبول الديّة فامتنع، وقال:

صوت

أَنختم علينا كلكل الحربِ مرَّةً ... فنحن منيخوها عليكم بكلكلِ[١]
فلا يدعُني قومي لزيد بن مالك ... لئن لم أُعجِّلْ ضربةً أَو أُعجَّلِ
أَبعد الذي بالنَّعف نعف كويْكبٍ ... رهينةَ رمسٍ[٢] ذي تُراب وجندلِ[٣]
كريم أَصابته دِياتٌ كثيرةٌ ... فلم يدرِ حتى حينَ من كل مدخلِ
أَذَكَّرُ بالبُقيا على من أَصابني ... وبقياي أَني جاهدٌ غير مؤتلي[٤]

[الطويل]

غناه ابن سريح رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إِسحاقَ، وقيل: إِنه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر:

رجع الخبر إِلى سياقته:

وأَما علي بن محمد النوفليّ، فذكر عن أَبيه:

إِن سعيد بن العاص كرِهَ الحُكم بينهما، فحملهما إِلى معاوية، فنظر في القصة، ثم ردَّها إِلى سعيد.

وأَما غيره فذكر أَن سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أَن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أَبيه:

فلما صاروا بين يدي معاويةَ، قال عبد الرحمن أَخو زِيادةَ له: يا أَميرَ المؤمنين أَشكو إِليك مَظلمتي، وقتلَ أَخي، وترويعَ نِسوتي، فقال له معاوية: يا هُدبةُ قُل. فقال: إِن هذا رجلٌ سَّجاعة فإِن شئتَ أن أقصَّ عليك قصتنا كلاماً أَو شِعراً فعلت، قال: لا، بل شعراً، فقال هُدبة هذه القصيدة ارتجالاً.

---

(١) الكلكل: صدر الجمل الذي يبرك عليه.
(٢) الرمس: القبر.
(٣) الجندل: الصخر العظيم.
(٤) المؤتلي: من قارب الخطو في غضب.

أَلا يـا لَـقـومـي لِـلـنـوائـب[١] والـدهـرِ ولـلـمـرءِ يُـردي نـفـسَـه وهـو لا يـدري
ولـلأَرض كـم مـن صـالـحٍ قـد تـأكـمـت[٢] عـلـيـه فـوارتـه بـلـمَّـاعـةٍ قـفـرِ
فـلا تـتـقـي ذا هـيـبـةٍ لـجـلالِـهِ ولا ذا ضِـيـاعٍ هـنَّ يـتـركـن لـلـفـقـرِ
[الطويل]

حتى قال:

رُمِـيـنـا فـرامـيـنـا فـصـادفَ رَمـيُـنـا مـنـايـا رجـالٍ فـي كـتـابٍ وفـي قـدرِ
وأَنـت أَمـيـر الـمـؤمـنـيـن فـمـا لـنـا وراءَك مـن مـعـدًى ولا عـنـك مـن قـصـرِ
فـإِن تـكُ فـي أَمـوالـنـا لـم نـضِـق بـهـا ذرَاعـاً وإن صـبـرٌ فـنـصـبـرُ لـلـصـبـرِ
[الطويل]

فقال له معاوية: أَراك قد أَقررت بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمٰن: هل لزِيادةَ ولد؟ قال: نعم، المِسور، وهو غُلام صغير لم يبلغ، وأَنا عمه ووليُّ دم أَبيه، فقال: إِنك لا تؤمن على أَخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمِسور أَحق بدم أَبيه فردّه إِلى المدينة، فحُبس ثلاث سنين، حتى بلغ المسور.

أَخبرني الحرميّ بن العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: فسخت من كتاب عامر بن صالح، قال:

دخل جميل بن معمر العذريُّ على هُدبةَ السجنَ، وهو محبوس بدم زِيادةَ بن زيد، وأَهدى له بُردَين من ثياب كساه إِياها سعيد بن العاص، وجاءَه بنفقة، فلما دخل إِليه عرض ذلك عليه، وسأله أَن يقبله منه، فقال له هُدبة: أأنت يا ابن معمر الذي تقول:

بَـنـي عـامـرٍ أَنَّـى انـتـجـعـتـم وكـنـتـمُ إذا عُـدِّد الأَقـوامُ كـالـخـصـيـة الـفـردِ
[الطويل]

أَما واللَّهِ لئن خلّص اللَّه لي ساقيّ لأَمدّن لك مضمارك، خُذْ برديك ونفقتك: فخرج جميل فلما بلغ باب السجن خارجاً، قال: اللّهم أغنِ عني أَجدعَ بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلَّت فحالفت لإِياد:

قال أَحمد بن الحارث الخراز عنِ المدائنيّ:

فقالت أُمّ هُدبةَ فيه لما شخص إِلى المدينة فحُبس بها:

(١) نوائب الدهر: مصائبه، ويلاته.
(٢) تأكّمتْ: صارت أكمة.

أَيا إخوتي أَهل المدينة أكرموا أَسيركُم إن الأَسير كريمُ
فرُبَّ كريم قد قراه وضافه وربَّ أُمورٍ كلُّهُنَّ عظيمُ
عصا جُلُّها يوماً عليه فراضه منَ القوم عيَّافٌ أَشمُّ حليمُ
[الطويل]

فأَرسل هُدبةَ العشيرةَ إِلى عبد الرحمٰن في أَول سنة فكلموه، فاستمع منهم ثم قال:

أَبعدِ الذي بالنعفِ نعف كويكب رهينةِ رمسٍ ذي تُرابٍ وجندلِ
أُذَكَّرُ بالبقيا على من أَصابني وبقياي أَني جاهدٌ غير مُؤتلي
[الطويل]

فرجعوا إِلى هُدبةَ بالأَبيات، فقال لم يؤنسني بعدُ، فلما كانتِ السنة الثالثة بلغ المِسور، فأَرسل هُدبةُ إِلى عبد الرحمٰن مَنْ كلّمه فأَنصت حتى فرغوا، ثم قام مغضباً وأَنشأ يقول:

سأكذِبُ أَقواماً يقولون إنني سآخذُ مالاً من دم أَنا ثائرُهْ
فباستِ امرىءٍ واست التي زجرت به يَسوق سَواماً من أَخ هو واترُهْ[1]
[الطويل]

ونهض، فرجعوا إِلى هُدبةَ فأَخبروه الخبر، فقال: الآن أيست منه، وذهب عبد الرحمٰن بالمسور، وقد بلغ إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأَخرج هُدبة.

رجع الخبر إِلى سياقته:

عمن روينا عنهم.

قالوا: فلما كان في الليلة التي قُتل في صباحها أَرسل إلى امرأته، وكان يُحبها: إيتيني الليلةَ استمتع بكِ وأُودِّعك، فأَتته في اللباس والطيب، فصارت إلى رجل قد طال حبسه، وأنتنت في الحديد رائحته، فحادثها وبكى وبكت، ثم راودها عن نفسها وطاوعته، فلما عَلاها سمعت قعقعة الحديد فاضطربت تحته، فتنحى عنها وأَنشأ يقول:

وأَدنيتني حتى إذا ما جعلتني لدى الخَصْرِ أَو أَدنى استقلَّك راجفُ

(١) وَاتِرُه: مُطالب بثأره.

فـإن شـئـتِ والـلَّـهِ انـتـهـيـت وإنـنـي لأَنْ لا تـريـنـي آخـرَ الـدهـر خـائـفُ
رأَتْ سـاعِـديْ غـولٍ وتـحـت ثـيـابـه جآجىءُ[1] يَدْمي حدُّها والحراقفُ[2]
[الطويل]

ثم قال الشعر حتى أَتى عليه، وهو طويل جداً وفيه يقول:

صوت

فـلـم تـرَ عـيـنـي مـثـلَ سِـربٍ رأَيـتـه خرجن علينا من زقاق ابن واقفُ[3]
تـضـمـخـن[4] فـي الـجـاديّ[5] حـتـى كـأَنـمـا الأُنـوف إذا اسـتـعـرضـتـهـنَّ رَواعـفُ[6]
خـرجـت بـأَعـنـاقِ الـظـبـاء وأَعـيـن الـ ـجـآذر[7] وارتـجّـت لـهـن الـسـوالـفُ
فـلـو أَن شـيـئـاً صـاد شـيـئـاً بـطـرْفـه[8] لـصِـدنَ ظِـبـاءً فـوقـهـن الـمـطـارقُ
[الطويل]

غنى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حبش، وفيه لحن خفيف ثقيل، وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليونسَ ولم يذكر طريقته في مجرده.

أَخبرنا الحرميّ، قال: حدثنا الزبير عن عمّه، قال:

مرَّ أَبو الحارث جمين يوماً بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف، بيده ثلاث سمكات قد شقّ أَجوافها: وقد أخرج شحمها، فبكى أَبو الحارث، ثم قال. تعس الذي يقول:

فـلـم تـرَ عـيـنـي مـثـل سِـرب رأيـتـه خـرجـن عـلـيـنـا مـن زقـاق ابـنِ واقـفِ
[الطويل]

وانتكس، ولا انجبر واللَّهِ لهذه السمكات، الثلاثُ أَحسنُ منَ السرب الذي وصف.

---

(١) الجآجىء، الواحد جؤجؤ: الصدر.
(٢) الخراقف، الواحدة خرقفة: رأس الورك.
(٣) في البيت إقواء، رويه بالكسرة، وروي القصيدة بالضمة.
(٤) تضمخن: تلطخن.
(٥) الجادي: الزعفران.
(٦) الرواعف، الواحد راعف: من سال من أنفه دم.
(٧) الجآذر، الواحد جؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٨) الطرْف، بسكون الراء: النظر.

وأَحسب أَن هذا الخبر مصنوع لأَنه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف، ولا بها سمك، ولكن رويت ما رُوي.

وقال حماد في روايته قرأت على أَبي: حدثني ابن كُناسة، قال:

مرَّ هَدبة على حبَّى، فقالت في سبيل اللَّه شبابك وجَلدك[١] وشِعرك وكرمك، فقال هُدبة:

تعجَّبُ حبَّى من أَسيرٍ مُكبَّلٍ ... صليبِ العصا باقٍ على الرَّسفانِ
فلا تعجبي مني حليلةَ مالك ... كذلك يأْتي الدهر بالحدثانِ

[الطويل]

وقال النوفليُّ عن أَبيه.

فلما مُضي به عنِ السجن للقتل، التفت فرأى امرأته، وكانت من أَجمل النساء، فقال:

أَقِلِّي عليَّ اللّومَ يا أُمَّ بَوزَعا ... ولا تجزعي[٢] مما أَصاب فأَوجعا
ولا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا ... أَغمَّ القفا[٣] والوجهِ ليس بأَنزعا[٤]
كليلاً سوى ما كان من حدِّ ضِرسه ... أُكيبدَ[٥] مِبطانَ العَشيَّاتِ[٦] أَروعا[٧]
ضَروباً بلحييه[٨] على عظم زَوره ... إذا الناس هشُّوا للفَعال تقَنَّعا
وحُلِّي بذي أُكرومة وحَميَّة ... وصبرٍ إذا ما الدهرُ عضّ فأَسرعا

[الطويل]

وقال حماد عن أَبيه عن مصعب بن عبد اللَّه، قال.

لما أُخرج هُدبةُ منَ السجن ليُقتل، جعل الناس يتعرَّضون له ويَخْبرون صبره: ويستنشدونه، فأَدركه عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا هُدبة، أَتأمرني أَن أَتزوج

(١) الجَلد، بالفتح: الصبر والاحتمال.
(٢) لا تجزعي: لا تخافي.
(٣) أغمّ القفا: الأغمّ من اشتدّ حرّ قفاه.
(٤) الأنزع: من انحسر شعره عن جانبي جبهته.
(٥) الأُكيبد، تصغير الأكبد: وهو من دائم الشكوى من وجع كبده.
(٦) المبطان العشيات: من لا همّ له سوى الأكل حتى التخمة عند المساء.
(٧) الأروع من الرجال: المراد هنا الرجل الشهم الذي يعجب الناس بشجاعته وحسنه.
(٨) اللحيان: جانبا الفم.

هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه فقال: نعم، إن كنت من شرطها، قال: وما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك:

فلا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا أَغمَّ القفا والوجه ليس بأَنزعا
وكوني حَبيساً أَو لأروَعَ[1] ماجدٍ إذا ضَنَّ أَعشاشُ[2] الرجال تبرَّعا

[الطويل]

فمالت زوجته إِلى جزار وأخذت شفرته، فجدعت بها أَنفها، وجاءته تدمي مجدوعةً، فقالت: أَتخاف أَن يكونَ بعدَ هذا نِكاح؟ قال: فرسف في قيوده وقال: الآن طاب الموت.

وقال النوفليّ عن أَبيه:

إنها فعلت ذلك بحضرة مروان، وقالت له: إن لهُدبةَ عندي وديعة، فأَمْهِلْه حتى آتيَه بها، قال: أَسرعي، فإِن الناس قد كثروا، وكان جلس لهم بارزاً عن داره، فمضت إِلى السوق، فانتهت إِلى قصاب وقالت: أَعطني شفرتك، وخذ هذين الدرهمين وأَنا أَردُّها عليك، ففعل، فقربت من حائط، وأَرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جدَعت أَنفها من أَصله، وقطعت شفتيها، ثم ردتِ الشفرة، وأَقبلت حتى دخلت بين الناس، وقالت: يا هُدبة، أَتُراني متزوجةً بعد ما ترى؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعدُ بالموت، ثم خرج يرسفُ في قيوده، فإِذا هو بأَبويه يتوقعانِ الثكل، فهما بسوء حال، فأَقبّ عليهما، وقال:

أَبليانـي اليومَ صَبراً منكما إنَّ حزناً إن بدا بادىءُ شرّْ
لا أُراني اليومَ إلا ميّتاً إن بعد الموت دارَ المستَقرّْ
إصبرا اليومَ فإِني صابر كلُّ حيّ لقضاء وقَدَرْ

[الرمل]

قال النوفليّ: فحدّثني أَبي، قال:

حدثني رجل من عُذرةَ عن أَبيه، قال: إني لببلادنا يوماً في بعض المياه، فإِذا أَنا بامرأة تمشي أَمامي، وهي مدبرة، ولها خلقٌ عجيب من عَجُز وهيئة، وتمام جسم، وكمال قامة، فإِذا صِبيّانِ قدِ اكتنفاها يمشيانِ، قد ترعرعا، فتقدّمتها، والتفتُّ إِليها، فإِذا هي أَقبح منظر، وإذا هي مجدوعة الأَنف، مقطوعة الشفتين، فسألت عنها فقيل

(١) الأروع هنا: من يثير الإعجاب بمظهره ومنطقه.
(٢) أعشاش الرجال: هم الطوال القليلو اللحم في سائر أجسادهم.

لي: هذه امرأة هُدبة، تزوجت بعدَه رجلاً، فأَولدها هذه الصبيّين.

قال ابن قُتيبةَ في حديثه:

فسأل سعيد بن العاص أَخا زِيادةَ أَن يقبل الدية عنه، قال: أُعطيك ما لم يُعطَه أَحد منَ العرب، أُعطيك مائة ناقة حمراءَ ليس فيها جدَّاء[1] ولا ذات داء، فقال له: واللَّهِ لو نقبتَ لي قُبَّتك هذه، ثم ملأتها ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأَجدع، فلم يزل سعيد يسأله ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: واللَّهِ لو أَردتُ قبولَ الدية لمنعني قوله:

لَنَجدَعَنَّ بِأَيدينا أُنوفَكُمُ ... ويَذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدرا

[البسيط]

فدفعه حينئذٍ ليقتله بأَخيه.

قال حماد: وقرأْت على أَبي، عن مصعب بن عبد اللَّه الزبيريّ، قال:

ومرّ هُدبةُ بحُبَّى، فقالت له: كنتُ أُعِدُّك في الفتيان، وقد زهدتُ فيك اليوم، لأَني لا أُنكر أَن يصبرَ الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه؟ فقال: أَما واللَّهِ إن حُبي لها لشديد، وإن شئتِ لأَصفنَّ لك ذلك، ووقف الناس معَه، فقال:

وجدْت بها ما لم تجد أُمُّ واجِد ... ولا وَجد حُبَّى بابن أُمِّ كِلابِ

رأته طويل الساعدين شمَردلاً[2] ... كما نشتهي من قوة وشبابِ

[الطويل]

فانقمعت داخلةً إِلى بيتها فأغلقتِ الباب دونَه، قالوا: فدُفع إِلى أَخي زِيادة ليقتله، قال: فاستأذن في أَن يُصليَ ركعتينِ، فأَذن له، فصلاهما وخفف، ثم التفت إِلى مَنْ حضر فقال: لولا أَن يُظنُّ بي الجزعُ لأَطلْتهما، فقد كنت محتاجاً إِلى إِطالتهما، ثم قال لأَهله: إِنه بلغني أَن القتيل يعقل ساعةً بعد سقوط رأْسه، فإِن عَقَلت فإِني قابضٌ رجلي وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل، وقال قبل أَن يُقتل:

إِنْ تقتلوني في الحديد فإِنني ... قتلت أَخاكم مطلقاً لم يُقيَّدِ

[الطويل]

فقال عبد الرحمٰن أَخو زيادة: واللَّهِ لا قتلته إِلا مطلقاً من وثاقه، فأُطلِق فقام إِليه وهز السيف ثم قال:

---

(١) الجدّاء من الإبل: التي ذهب لبنها من عيب فيها.

(٢) الشمردل: الطويل والحسن الخلق.

قـد عـلـمـت نـفـسـي وأَنـت تـعـلـمُـهْ لأَقـتـلـنَّ الـيـومَ مـن لا أَحـرمُـهْ
[الرجز]

ثم قتله.

فقال حماد في روايته:

ويقال إِن الذي تولّى قتله ابنُه المسور، دفع إِليه عمُّه السيف وقال له: قم فاقتل قاتل أَبيك، فقام فضربه ضربتين قتله فيهما.

أَخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد: قرأت على أبي، قال:

بلغني أَن هُدبةَ أَول من أُقيد منه في الإِسلام.

قال أحمد بن الحارث الخراز: قال المدائنيّ:

مرت كاهنة بأُمّ هُدبةَ، وهو وإِخوته نِيام بين يديها، فقالت: يا هذه، إِن الذي معي يُخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: وما هو؟ قالت: أَما هُدبةُ وحوط فيقتلانِ صبراً، وأَما الواسع وسيحان فيموتانِ كمداً، فكان كذلك.

أَخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أَبي: أَخبرني مروان بن أَبي حفصةَ، قال:

كان هُدبةُ أَشعر الناس منذُ يوم دخل السجن إِلى أَن أُقيدَ منه، قال الخراز عنِ المدائنيّ.

قال واسع بن خُشرم يرثي هُدبة لما قتل:

يـا هُـدبَ يـا خـيـرَ فِـتـيـانِ الـعـشـيـرة مَـن يُـفـجـعْ بـمـثـلـك فـي الـدنـيـا فـقـد فُـجـعـا
ألـلَّـه يـعـلـم أَنـي لـو خـشـيـتـهـمُ أَو أوجس الـقـلـبُ مـن خـوفٍ لـهـم فـزعـا
لـم يـقـتـلـوه ولـم أُسـلِـمْ أَخـي لـهـمُ حـتـى نـعـيـشَ جـمـيـعـاً أَو نـمـوت مـعـا
[البسيط]

وهذه الأَبيات تمثل بها إِبراهيم بن عبد اللَّه بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنهم ـ لما بلغه قتل أَخيه محمد.

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا أَحمد بن أَبي خَيثمةَ، قال:

حدثني مصعب الزبيريّ، قال:

كنا بالمدينة أَهلَ البيوتات إِذا لم يكن عند أَحدنا خبرُ هُدبةَ وزِيادةَ وأشعارُهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أَخبارهما وأَشعارهما ونعجب بها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: أَخبرني محمد بن الحسن الأَحول، عن رواية منَ الكوفيين، قالوا:

كان جميل بن معمر العذريّ راويةَ هُدبةَ، وكان هُدبةُ راويةَ الحطيئة وكان الحطيئة راويةَ كعب بن زهير وأَبيه.

حدثني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال:

حدثني أَبو المغيرة محمد بن إِسحاقَ، قال:

حدثني أَبو مصعب الزبيريّ، قال: حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أَبيه، قال:

بعث هُدبةُ بن خُشرم إِلى عائشةَ زوج النبي ﷺ يقول: «**لها استغفري لي**»، فقالت: إِن قُتلتَ استغفرت لك:

صوت

أَلَمْ تَرَ أَني يومَ جوِّ سويقةٍ ... بكيتُ فنادتني هُنيدةُ ما ليا
فقلت لها: إِن البكاء لراحةٌ ... به يشتفي من ظنَّ أَن لا تلاقيا
قفي ودِّعينا يا هنيدُ فإِنني ... أَرى القوم قد شاموا[1] العقيق اليمانيا

[الطويل]

ويروى أَرى الركب قد شاموا.

إِذا اغرورقت عيناي أَسبل منهما ... إِلى أَن تغيب الشِّعريان[2] بكائيا

[الطويل]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً، وهي فيما قيل أَول قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشاميّ، قال الهشاميّ: وفيه لمالك ثقيل أَول، وابتداء اللحنين جميعاً.

أَلَم ترَ أَني يوم جوّ سويقة

ولعلُّويه فيه لحن منَ الرمل المطلق ابتداؤه.

قفي وديعنا يا هنيدُ فإِنني

(١) شاموا: استطلعوا في أفق السماء.
(٢) الشِّعريان: الكوكبان، والشِّعرى: كوكب يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ.

نسب الفرزدق وأَخباره وذكر مناقضاته

الفرزدق لقب غلب عليه، وتفسيره: الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وقيل: بل هو القطعة منَ العجين التي تُبسط فيُخبز منها الرغيف، وشبه وجهه بذلك، لأَنه كان غليظاً جَهْماً، واسمه همَّام بن غالب بن صعصعةَ بن ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلةَ بن زيد مناةَ بن تميم.

قال أَبو عُبيدةَ: اسم دارم بحْر، واسم أَبيه مالك، عوف ويقال عُرفٌ ويسمّى دارم دارماً لأَن قوماً أَتوا أَباه مالكاً في حَمالة، فقال له: قم يا بحرُ فأْتني بالخريطة ـ يعني خريطةً كان له فيها مال ـ فحملها يَدرِم تحتها ثِقلاً ـ والدِّرَمان: تقاربُ الخطو ـ فقال لهم: جاءكم يدرِم بها، فسمّي دارماً. وسمي أَبوه مالك عُرْفاً لجوده.

وأُم غالب: ليلى بنت حابس بن عِقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع.

وكان للفرزدق أَخٌ يُقال له هُمَيم، ويلقب الأَخطل، ليست له نباهة، فأَعقب ابناً يُقال له محمد، فمات والفرزدق حيّ، فرثاه، وخبره يأْتي بعدُ.

وكان الفرزدق له منَ الولد خَبطَةُ ولبطَةُ وسبطةُ، هؤلاء المعروفون، وكان له غيرهم، فماتوا ولم يعرفوا، وكان له بنات خمس أو سِتّ.

وأُم الفرزدق فيما ذكر أَبو عُبيدةَ، لينَة بنت قُرظةَ الضبيَّة.

وكان يُقال لصعصعة: محيي المؤودات، وذلك أَنه مرّ برجل من قومه وهو يحفر بئراً، وامرأَته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يُبكيك؟ قالت: يُريد أَن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: الفقر، قال: فإِني أَشتريها منك بناقتين، يتبعهما أَولادهما، تعيشون بأَلبانهما، ولا تئد الصبية، قال: قد فعلت، فأَعطاه الناقتينِ وجملاً كان تحته فحلاً، وقال في نفسه: إِن هذه لمكرمة ما سبقني إِليها أَحد منَ العرب، فجعل على نفسه أَن لا يسمع بموؤدة إِلا فداها، فجاء الإِسلام، وقد فدى ثلاثمائة موؤدة، وقيل: أَربعمائة.

أَخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعيّ عن دماذ عن أَبي عُبيدةَ.

وأَخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وعليّ بنُ سليمانَ الأخفش، قالا: حدثنا أَبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عُبيدةَ وعن إِبراهيمَ بن سعدانَ عن أبيه عن أبي عُبيدةَ عن عِقال بن شبّةَ، قال:

قال صعصعة: خرجت باغياً ناقتينِ لي فارقين ـ الفارق: التي تفرقُ إذا ضربها المخاض فتندُّ على وجهها حتى تُنتِج ـ فرُفعت لي نار، فسرت نحوَها، وهممت بالنزول، فجعلتِ النار تضيء مرة وتخبو أُخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللَّهم لك عليَّ إن بلغتني هذه النار أَن لا أَجد أَهلها يُوقدون لكربة يقدر أَحد منَ الناس أَن يُفرّجها إِلا فرّجتها عنهم، قال: فلم أسر إِلا قليلاً حتى أَتيتها، فإِذا حي من بني أنمار بن الهُجيم بن عمرو بن تميم، وإِذا بشيخ حادر[1] أَشعر يُوقدها في مقدم بيته، والنساء قدِ اجتمعن إِلى امرأة ماخض، قد حبستهن ثلاث ليالٍ، فسلَّمت، فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت: أنا صعصعة بن ناجيةَ بن عِقال. فقال: مرحباً بسيدنا، ففيم أَنت يا ابنَ أَخي؟ فقلت: في بُغاء ناقتينِ لي فارقينِ عَمِيَ عليَّ أَثرُهما، فقال: قد وجدتهما بعدَ أَن أَحيا اللَّه بهما أَهلِ بيت من قومك، وقد نتجناهما، وعطفت إِحداهما على الأُخرى، وهما تانك في أَدنى الإِبل، قال: قلت: فيم توقد نارَك منذُ الليلة، قال: أوقدتها لامرأَة ماخض[2] وقد حبستنا منذُ ثلاث ليال. وتكلمتِ النساء فقلن: قد جاء الولد، فقال الشيخ: إِن كان غُلاماً فواللَّهِ ما أَدري ما أَصنع به، وإِن كانت جاريةً فلا أَسمعنّ صوتها: أَي أَقتلنها، فقلت: يا هذا ذَرها فإِنها ابنتك، ورزقها على اللَّه، فقال: ٱقتلنها، فقلت: أُنشدك اللَّه، فقال: إِني أَراك بها حَفِيّاً، فاشترِها مني، فقلت: إِني أَشتريها منك، فقال: ما تُعطيني؟ قلت: أُعطيك إِحدى ناقتيّ. قال: لا، قلت: فأَزيدَك الأُخرى، فنظر إِلى جملي الذي تحتي، فقال: لا إِلا أَن تزيدني جملك هذا، فإِني أراه حسن اللون شابّ السن. فقلت: هو لك والناقتان، على أَن تبلغني أَهلي عليه، قال: قد فعلت، فابتعتها منه بلقوحين وجمل، وأَخذت عليه عهدَ اللَّه وميثاقه ليحسِننّ بِرَّها وصِلتها ما عاشت، حتى تبين منه أَو يُدركَها الموت فلما برزتُ من عنده حدثتني نفسي، وقلت: إِن هذه لمكرمةٌ ما سبقني إِليها أَحد منَ العرب، ثم قلت: اللَّهم لك عليَّ أَلا أَسمع برجل منَ العرب يُريدُ أَن يئد بنتاً له، إِلَّا اشتريتها بلقوحينِ وجمل، فبعث اللَّه عز وجل محمداً ﷺ وقد أَحييت مائة موؤدة إلا أَربعاً، ولم يُشارِكني في ذلك أحد، حتى أَنزل اللَّه عز وجل تحريمه في القرآن.

---

(١) الشيخ الحادر: هو من كان في غاية السمن.

(٢) الماخض: الحامل التي دنا وِلَادُها وأخذها الطَّلْق.

وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائدَ، فمن شعره فيه قصيدته التي أَولها:

أَبي أَحَدُ الغيثينِ صعصعةُ الذي ... متى تُخلِف الجوزاءُ[١] والدلو[٢] يُمطِرِ
أَجارَ بناتِ الوائدين ومن يُجِر ... على الفقرِ يعلمْ أَنه غير مُخفرِ
على حين لا تحيا البناتُ وإِذْ همُ ... عكوفٌ على الأَصنام حول المُدَوّر[٣]

[الطويل]

المدوّر يعني الدوار، وهو طوافهم حول الصنم.

أَنا ابنُ الذي ردّ المنيَّة فضلُه ... فما حَسبٌ دافعتُ عنه بمُعورِ[٤]
وفارقِ ليلٍ من نِساءٍ أَتت أَبي ... تُمارِسُ رِيحاً، ليلُها غَيرُ مُقمِرِ
فقالت: أَجِرْ لي ما ولدتُ فإِنني ... أَتيتك من هَذلِ الحَمولةِ مُقتِرِ[٥]
هجف[٦] منَ العُثوِ[٧] الرؤوس إِذا بدت ... له ابنةُ عام يحطمُ العظمُ مُنكِرِ
رأَى الأَرضَ منها راحةً فرمى بها ... إِلى خُدَدٍ[٨] منها وفى شرّ مَخفَرِ
فقال لها، فيئي فإِني بذِمَّتي ... لبنْتِكَ جارٌ من أَبيها القنوَّرِ[٩]

[الطويل]

ووفد غالب بن صعصعةَ إِلى النبي ﷺ، وقد كان وفد أَبوه صعصعةُ إِلى النبي ﷺ، وأَخبره بفعله في الموؤدات، فاستحسنه، وسأله: هل له في ذلك من أَجر؟ قال: نعم فأَسلم.

وعُمِّر غالب حتى لحق أَمير المؤمنين عليًّا عليه السلام بالبصرة، وأُدخل إِليه الفرزدق، وأَظنه مات في إِمارة زياد وملك معاوية.

أَخبرني محمد بن الحسين الكِنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ وعبد العزيز بن أَحمد عمُّ أَبي، قالوا: حدثنا الرياشيّ، قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أَبي سويةَ، قال: حدثني عِقال بن كسيب أَبو الخنساء العنبري، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربعيّ، عن ربيعةَ بن مالك بن حنظلةَ:

عن صعصعةَ بن ناجيةَ المجاشعيّ جدّ الفرزدق، قال: قدمت على النبي ﷺ،

(١) الجوزاء: برج في السماء.
(٢) الدلو: برج في السماء سُمي به تشبيهاً بالدلو.
(٣) المُدور: صنم كانوا يدورون حوله.
(٤) المعور: المصيب.
(٥) المقتر: الفقير المعدم.
(٦) هجف: جاع واسترخى بطنه لشدّة هزاله.
(٧) العُثو، الواحد أعثى: الكثير الشعر.
(٨) الخدد، الواحدة خُدّة: الحفرة المستطيلة.
(٩) القنور: الضيق الصدر، السيّئ الخلق.

فعرض عليّ الإسلام فأسلمت، وعلّمني آياتٍ منَ القرآن، فقلت: يا رسولَ اللَّه، إني عملت أَعمالاً في الجاهلية، هل فيها من أَجر؟ فقال: وما عملتَ؟ فقال: إني أَضللت ناقتينِ لي عشراوَين فخرجت أَبغيهما على جمل، فرفع لي بيتانِ في فضاء منَ الأَرض، فقصدت قصدَهما، فوجدت في إِحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أَحسست من ناقتينِ عُشرَاوَينِ؟ قال: وما نارُهما؟ يعني السِّمَة، فقلت: ميسم بني دارم. فقال: قد أَصبت ناقتيك، ونتجناهما، وظأَرتا[1] على أَولادهما، ونعش اللَّه بهما أَهلَ بيت من قومك منَ العرب من مضر، فبينا هو يُخاطبني إذ نادته امرأة منَ البيت الآخر: قد ولدت، فقال: وما ولدت؟ إن كان غلاماً فقد شركنا له قوتنا، وإن كانت جارية فادفنوها. فقالت: هي جارية أَفائدها؟ فقلت: وما هذا المولود؟ قال: بنت لي، فقلت: إني أَشتريها منك، فقال: يا أَخا بني تميم أتقول لي أَتبيعني ابنتك، وقد أَخبرتك أَني منَ العرب من مضر؟ فقلت: إني لا أَشتري منك رقبتها، إنما أَشتري دَمها لئلا تقتلها، فقال: وبمَ تشتريها؟ فقلت: بناقتيَّ هاتينِ وولديهما، قال: لا، حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه، قلت: نعم، على أَن تُرسل معِيَ رسولاً، فإذا بلغت أَهلي رددت إِليك البعير، فلما كان في بعض الليل فكّرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إِليها أَحد منَ العرب، فظهر الإِسلام وقد أَحييت ثلاثمائة وستينَ موؤدةً، أَشتري كل واحدة منهن بناقتينِ عُشراوينِ وجمل، فهل لي في ذلك من أَجر يا رسول اللَّه؟ فقال ﷺ: «**هذا باب منَ البر لك أَجره، إذ مَنَّ اللَّهُ عليك بالإِسلام**».

وجـــدِّي الـــذي مـــنـــع الـــوائـــدات وأَحـــيـــا الـــوئـــيـــدَ فـــلـــم يُـــوأَدِ

[المتقارب]

أَخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن زكريا الغَلَّابيّ، قال: حدثنا العباس بن بكار، عن أَبي الهذليّ، قال:

وفد صعصعةُ بن ناجيةَ جدُّ الفرزدق على رسول اللَّه ﷺ في وفد من تميم، وكان صعصعةُ قد منع الوئيد في الجاهلية، فلم يدع تميمياً يئِدُ، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإِسلام، وقد فدى أَربعمائة جارية، فقال للنبي ﷺ: «**أَوصِني**». فقال: أُوصيك بأُمك وأَبيك وأُختك وأَخيك وإمائك وأَدانيك، قال: «**زِدني**»، قال: احفظ ما بين لحييك وما بين رجليك. ثم قال له النبي ﷺ: «**ما شيء بلغني عنك فعلته؟**» قال: يا رسولَ اللَّه رأَيت الناس يموجون على غير وجه، ولم أَدرِ أين الوجه، غيرَ أَني علِمت أَنهم ليسوا عليه، ورأيتهم يئدون بناتِهم، فعرفت أَن

(١) ظأرتا على أولادهما: حنّتا عليهم.

ربَّهم لم يأُمرهم بذلك، فلم أتركهم يئدون، وفديت من قدرت عليه.

وروى أَبو عُبيدةَ أَنه، قال للنبي ﷺ: إني حملت حمالات في الجاهلية فجاء الإسلام، وعليّ منها أَلف بعير، فأَدّيت من ذلك سبعمائة، فقال له: «**إن الإِسلام أَمر بالوفاء، ونهى عنِ الغدر**»، فقال: حسبي حسبي، ووفى بها.

وروي أَنه إنما كان قال هذا القول لعمرَ بنِ الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ وقد وفد إِليه في خِلافته.

وكان صعصعةُ شاعراً، وهو الذي يقول، أَنشدنيه محمد بن يحيى له.

إِذا الـمـرء عـادى مَـنْ يَـودُّك صـدرُه وكـان لـمـن عـاداك خِـدنـاً[1] مـصـافـيـا
فـلا تَـسْـأَلَـنْ عـمـا لـديـه فـإِنـه هـو الـداءُ لا يـخـفـى بـذلـك خـافـيـا

[الطويل]

أَخبرني محمد بن يحيى، قال حدثنا محمد بن زكريا، عن عبد اللَّه بن الضحاك، عنِ الهيثم بن عديّ، عن عَوانةَ، قال:

تراهَن نفرٌ من كلبٍ ثلاثةٌ، على أَن يختاروا من تميم وبكر نفراً يسألونهم، فأَيُّهم أَعطى ولم يَسألهم عن نسبهم من هم فهو أَفضلهم، فاختار كلُّ رجل منهم رجلاً، والذين اختيروا عميرُ بن السَّليل بن قيس بن مسعود الشيبانيّ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وغالب بن صعصعةَ المجاشعيُّ أَبو الفرزدق، فأَتَوْا ابن السَّليل فسأَلوه مائة ناقة، فقال: مَنْ أَنتم؟ فانصرفوا عنه، ثم أَتوا طلبة بن قيس، فقال: لهم مثل قول الشيبانيّ، فأَتَوْا غالباً فسألوه فأَعطاهم مائة ناقة وراعيَها، ولم يسألهم من هم فساروا ليلةً ثم ردُّوها، وأَخذ صاحبُ غالب الرهنَ، وفي ذلك يقول الفرزدق:

وإِذ نَـاحَـبَـتْ[2] كـلـبٌ عـلـى الـنـاس أَيُّـهـم أَحـقُّ بـتـاجِ الـمـاجـدِ الـمـتـكـرِّمِ
عـلـى نـفَـرٍ هـمْ مـن نِـزارٍ ذوي الـعـلا وأَهـل الـجـراثـيـم الـتـي لـم تـهَـدَّمِ
فـلـم يَـجْـزِ عـن أَحـسـابـهـم غـيـرُ غـالـبٍ جَـرَى بِـعِـنـانـيْ كـلِّ أَبـيـض خِـضْـرمِ[3]

[الطويل]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدثنا أَبو حاتم، عن أَبي عُبيدةَ، عن جهمٍ السليطي، عن إياس بن شَبَّةَ بن عِقال بن صعصعةَ، قال:

(١) الخِدن، بكسر الخاء: الحبيب، الصاحب.
(٢) ناحب: يقال ناحبه مناحبة على كذا، أي راهنه. وناحبه أيضاً أي فاخرة.
(٣) الخِضرم، بكسر الخاء: الكثير العطاء.

أَجدبت بلاد تميم، وأَصابت بني حنظلةَ سنة[١]، في خلافة عثمانَ، ـ رضي اللَّه عنه ـ فبلغهم خِصب عن بلاد كَلْب بن وبرةَ، فانتجعها بنو حنظلةَ، فنزلوا أَقصى الوادي، وتسرّع غالب بن صعصعةَ فيهم وحدَه دون بني مالك بن حنظلةَ، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غيرُ غالب فنحر ناقته فأَطعمهم إياها، فلما وردت إبل سُحيم بن وَثيل الرياحيّ، حبس منها ناقة فنحرها من غد، فقيل لغالب: إنما نحر سُحيم مواءمة لك أَي مساواة لك، فضحك غالب، وقال: كلا ولكنه امرؤ كريم، وسوف أَنظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتينِ فنحرهما فأَطعمهما بني يربوع، فلما وردت إبل سُحيم نحرَ ناقتينِ فأطعمهما، فقال غالب: الآن علمت أَنه يوائمني، فعقر غالب عشراً فأَطعمهما بني يربوع وغيرهم، فعقر سحيم عشراً، فلما بلغ غالباً فعلُه ضحك، وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلَّها عن آخرها، فالمكثر يقول: كانت أَربعمائة، والمقلّ يقول: كانت مائة، فأَمسك سُحيم حينئذٍ، ثم إنه عقر في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام بكُناسةِ الكوفة مائتي ناقة وبعير، فخرج الناس بالزنابيل[٢] والأَطباق والجِبال لأَخذ اللحم، ورآهم عليٌّ عليه السلام، فقال: أَيُّها الناسُ، لا يحلّ لكم، إنما أُهلَّ به لغير اللَّه عز وجل، قال: فحدثني من حضر ذلك، قال: كان الفرزدق يومَئذٍ معَ أَبيه، وهو غلام، فجعل غالب يقول له: يا بني اردُد عليَّ، والفرزدقُ يردُّها عليه، ويقول له: أيا أَبتِ اعقِرْ.

قال جهم: فلم يُغنِ عن سُحيم فعلُه، ولم يُجعل كغالب إذلم يُطقْ فعلَهُ.

حدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن القاسم يعني أَبا العيناء، قال: حدثني أبو زيد النحوي عن أبي عمرو قال:

جاء غالب أَبو الفزردق إلى عليّ بن أَبي طالب عليه السلام بالفرزدق، بعد الجمَل بالبصرة، فقال: إن بُنيَّ هذا من شعراءِ مضر، فاسمعْ منه فقال: علِّمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيّد نفسَه في وقت وآلى أَن لا يحلّ قيده حتى يحفظ القرآن.

قال محمد بن يحيى: فقد صحَّ لنا أَن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أَربعاً وسبعينَ سنة، وندع ما قبل ذلك، لأَن مجيئه به بعد الجمل ـ على الاستظهار ـ كان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة، في أَول خلافة هشام هو وجريرٌ

(١) السنة: الجدب والمحل.

(٢) الزنابيل، الواحد زنبيل: القفّة.

والحسنُ بن أَبي الحسن وابنُ سِيرينَ في ستة أَشهر، وحُكيَ ذلك عن جماعة، منهمُ الغلابيّ عنِ ابن عائشةَ عن أبيه.

أَخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا الغِلابيّ، عنِ ابن عائشةَ أَيضاً عن أبيه، قال:

قال الفرزدق: كنت أُجيد الهجاء في أَيام عُثمان.

قال: ومات غالب أَبو الفرزدق في أول أَيَّام معاويةَ، ودُفِنَ بكاظمةَ، فقال الفرزدق يرثيه:

لـقـد ضـمَّـتِ الأَكـفـانُ مـن آل دارمٍ فتًى فائضَ الكفَّين محضَ الضرائبِ

[الطويل]

ما قيل عنه وعن جرير والأَخطل:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال: حدثني محمد بن عِمرانَ الضبيّ، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبريّ، عن خالد بن كلثوم، قال:

قيل للمفضل الضبيّ: الفرزدق أَشعر أُم جرير؟ فقال: الفرزدق، قال: قيل له: ولِمَ؟ قال: لأَنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين، ومدح فيه قبيلتين وأَحسن في ذلك، فقال:

عـجـبـتُ لـعِـجـل إذ تُـهـاجـي عَـبـيـدَهـا كـمـا آلُ يـربـوعٍ هـجَـوا آل دارم

[الطويل]

فقيل له: قد قال جرير:

إن الـفـرزدق والـبـعـيـثَ وأُمَّـه وأَبـا الـبـعـيـث لـشـرُّ مـا اسـتـارِ

[الكامل]

فقال: وأَيّ شيء أَهونُ من أَن يقول إنسان: فلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحةَ، قال:

قال أَبو عُبيدةَ معمر بن المُثَنى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأَشعر تميم جرير والفرزدق ومن بني تغلبَ الأَخطل.

قال يونسُ بن حبيب: ما ذُكِرَ جريرٌ والفرزدقُ في مجلس شهدته قطُّ فاتَّفق أَهل المجلس على أَحدهما. قال: وكان يونسُ فرزدقيّاً.

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمد بن رستم الطبريّ، قال: حدثنا أبو عثمانَ المازنيّ، قال:

مرَّ الفرزدق بابن مَيادةَ الرماحِ، والناس حوله، وهو يُنشد:

لَوَ انَّ جميعَ الناس كانوا برَبْوَةٍ ... وجئت بجدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلَّت رقابُ الناس خاضعةً لنا ... سجوداً على أَقدامنا بالجماجمِ

[الطويلَ]

فسمعه الفرزدق، فقال: يا ابنَ الفارسية، لتدَعنَّه لي أو لأنبشنّ أُمَّك من قبرها، فقال له ابنُ مَيادة: خُذه لا باركَ اللَّه لك فيه، فقال الفرزدق:

لَوَ انَّ جميعَ الناس كانوا برَبْوَةٍ ... وجئت بجدي دارمٍ وابن دارمِ
لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا ... سجوداً على أَقدامنا بالجماجمِ

[الطويلَ]

أَخبرني عمّي، قال: حدثني الكرانيّ، قال: حدثنا أبو فِراس الهيثمُ بن فراس، قال: حدثني ورقةُ بن معروف عن حمادٍ الراوية، قال:

دخل جرير والفرزدق على يزيدَ بنِ عبدِ الملك، وعندَه بُنيَّةٌ له يشمُّها، فقال جرير: ما هذه عندَك يا أَميرَ المؤمنين؟ قال: بُنيةٌ لي، قال: باركَ اللَّه لأَمير المؤمنين فيها، فقال الفرزدق: إن يكن دارمٌ يَضرب فيها فهي أَكرم العرب، ثم أَقبل يزيدُ على جرير، فقال: ما لك والفرزدق؟ قال: إنه يظلمني ويبغى عليّ، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءَه، فسِرت فيه بسيرتهم، قال جرير: أَما واللَّهِ لئن شئت لتردنَّ الكبائرُ على أَسافلها سائرَ اليوم، فقال الفرزدق: أَمّا بك يا حمارَ بني كليب فلا، ولكن إن شاء صاحب السرير، فلا واللَّهِ ما لي كفء غيرُه فجعل يزيدُ يضحك.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال حدثنا محمد بن حبيب، عنِ ابن الأَعرابيّ، قال: حدثت:

عن حماد الراوية، قال: أَنشدني الفرزدق يوماً شعراً له، ثم قال لي: أَتيت الكُليبيّ ـ يعني جريراً ـ قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أَم هو، قال: قلت: أَنت في بعض، وهو في بعض، قال: لم تناصحني، قال: قلت: هو أَشعر منك إِذا أَرخى من

خناقه، وأَنت أَشعر منه إِذا خِفْت أَو رَجَوْت، قال: قضيت لي واللَّهِ عليه وهلِ الشعر إِلَّا في الخير والشر؟

قال: وروي عن أَبي الزناد عن أبيه، قال: قال لي جرير: يا أَبا عبد الرحمٰن، أَنا أَشعر أَم هذا الخبيث ـ يعني الفرزدق ـ وناشدني لأخبرَنَّه، فقلت له: لا واللَّهِ ما يُشاركك ولا يتعلّق بك في النسيب، فقال: أَوَّه قضيت واللَّهِ له عليّ. أنا واللَّهِ أَخبرك: ما دهاني إِلَّا أَني هاجيت كذا وكذا شاعراً ـ فسمّى عدداً كثيراً ـ وأَنه تفرّغ لي وحدي.

أَخبرني عبد اللَّه، قال: قال المازنيّ: قال أبو عليّ الحرمازيّ.

كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعينَ بن ضبَيعةَ بن ناجيةَ بن عِقال المجاشعيّ ـ وكانتِ ابنة عمّه ـ أَنه خطبها رجل من بني عبد اللَّه بن دارم، فرضِيته، وكان الفرزدق وليَّها، فأَرسلت إِليه أَن زوِّجني من هذا الرجل، فقال: لا أَفعل أَو تشهدي لي بأَنك قد رَضيتِ بمن زوَّجتك، ففعلت: فلما توثَّق منها، قال لها: أَرسلي إِلى القوم فلْيأْتوا، فجاءتْ عبد اللَّه بن دارم، فشحنوا مسجد بني مُجاشع، وجاء الفرزدق، فحمد اللَّه وأَثنى عليه، ثم قال: قد علمتم أَنَّ النوارَ قد ولَّتني أَمرها، وأُشهدكم أَني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراءَ سودِ الحدق، فنفرت من ذلك وأَرادتِ الشخوص إِلى ابن الزبير حين أَعياها أَهل البصرة أَن لا يطلقوها منَ الفرزدق، حتى يشهد لها الشهود، وأَعياها الشهود أَن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق، وابن الزبير يومَئذٍ أَمير الحجاز والعراق يُدعى له بالخلافة، فلم تجد من يحملها فأَتت فِتية من بني عديّ بن عبد مناةَ بن أُدٍّ يقال لهم بنو أُمّ النسَير، فسأَلتهم برَحم تجمعهم وإِياها، وكانت بينها وبينهم قرابة، فأَقسمت عليهم أُمها ليحمِلنَّها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدقَ فاستنهض عدَّة من أَهل البصرة، فأَنهضوه وأَوقروا له عدّة منَ الإِبل وأُعين بنفقة فتبع النوارَ، وقال:

أَطاعت بني أُمِّ النّسيرِ فأَصبحت ... على شارفٍ وَرْقَاءَ صَعْبٍ ذُلُولُها
وإِن الذي أَمسى يُخبِّب زوجتي ... كماشٍ إِلى أُسد الشرى يَستبيلُها[1]

[الطويل]

فأَدركها وقد قدمت مكةَ، فاستجارتْ بخَولةَ بنتِ منظور بن زبّان بن سيّار الفزاريّ، وكانت عندَ عبد اللَّه بن الزبير فلما قدم الفرزدق مكةَ أَشرأَبّ الناس إِليه

(١) يستبيلها: يأخذ بولها في يده.

ونزل على بني عبد اللَّه بن الزبير، فاستنشدوه واستحدثوه، ثم شفعوا له إِلى أَبيهم، فجعل يشفعهم في الظاهر، حتى إِذا صار إِلى خَولةَ قلبته عن رأْيه، فمال إِلى النوار، فقال الفرزدق في ذلك:

صوت

أَمَّا بنوه فلم تُقبل شفاعتُهمْ وشُفِّعتْ بِنْتُ منظور بن زَبَّانا
ليس الشفيع الذي يأْتيك مُؤْتزِراً مثل الشفيع الذي يأْتيك عُريانا
[البسيط]

لعَريب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: وسفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكةَ، فأَصطلحا على أَن يرجعا إِلى البصرة، ولا يجمعَهما ظِلٌّ ولا كِنٌّ حتى يجمعا في أَمرهما ذلك بني تميم ويصيرا على حكمهم، ففعلا، فلما صارا إِلى البصرة رجعت إِليه النوار بحكم عشيرتها.

قال: وقال غير الحرمازيّ: إِن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصدَاقِها وإِلا فرّقت بينكما، فقال الفرزدق: أَنا في بلاد غُربةٍ، فكيف أَصنع؟ فقالوا له: عليك بسلم بن زياد فإنه محبوس في السجن يُطالبه ابن الزبير بمال، فأَتاه فقصّ عليه قِصته، قال: كم صداقها، قال: أَربعة آلاف درهم. فأَمر له بها، وبأَلفين للنفقة، فقال الفرزدق:

دَعي مُغلِقي الأَبوابِ دون فعالهم ولكن تَمَشَّيْ بي هُبلتِ إِلى سَلْمِ
إِلى من يَرى المعروف سهلاً سبيلُه ويفعل أَفعال الرجال التي تَنْمي
[الطويل]

قال: فدفعَها إِليه ابن الزبير، فقال لها الفرزدقُ عندَ ذلك:

هلُمِّي لابن عَمِّك لا تكوني كمختارٍ على الفرسِ الحمارا
[الوافر]

قال: فجاء بها إِلى البصرة، وقد أَحبلها، فقال جرير في ذلك:

أَلا تِلكمُ عِرْس الفرزدق جامحاً ولو رضيت رُمح استه لاستقرَّتِ
[الطويل]

فأَجابه الفرزدق، وقال:

وأُمُّك لو لاقيتُها بطمرة وجاءَت بها جَوفَ استها لاستقرَّت
[الطويل]

وقال الفرزدق وهو يُخاصم النوار:

تُخاصمني وقد أَولجت فيها كرأْس الضبّ يلتمس الجرادا

[الوافر]

قال الحِرمازيّ: ومكثتِ النوار عندَه زماناً، ترضى عنه أَحياناً وتُخاصمه أَحياناً، وكانتِ النوار امرأة صالحة، فلم تزل تشمئزّ منه وتقول له: ويحكَ، أَنت تعلم أَنك إِنما تزوجتَ بي ضُغُطة[1] وعلى خُدعة، ثم لا تزال في كل ذلك حتى حلفت بيمين موثقة، ثم حنثت وتجنبت فِراشه فتزوّج عليها امرأة يُقال لها جُهيمة، من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضُبيعة، فجعل يأْتي النوار، وبه رَدْعٌ[2] وعليه الأَثَر، فقالت له النوار: هل تزوجتها إِلا هدادية، تعني حيًّا من أَزد عُمانَ، فقال الفرزدق في ذلك:

تُريك نجومَ الليل والشمسُ حَيَّةٌ كِرامُ بناتِ الحارث بن عَبادِ
أَبوها الذي قادَ النعامةَ بعدَما أَبتْ وائلٌ في الحرب غير تمادِي
نساءٌ أَبوهنَّ الأَعزُّ ولم تكن منَ الأَزد في جاراتها وهَدَادِ
ولم يَكُ في الحيّ، الغَموضُ مَحَلُّها ولا في العُمانيينَ رهطِ زِيادِ
عَدَلتُ بها مَيْل النوار فأَصبحت وقد رَضِيت بالنُّصفِ بعدَ بعادِ

[الطويل]

قال: فلم تزلِ النوار ترفقه وتستعطفه حتى أَجابها إِلى طلاقها، وأَخذ عليها أَن لا تفارقَه، ولا تبرح من منزله، ولا تتزوجَ رجلاً بعدَه، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له، وأَخذت عليه أَن يُشهدَ الحسن البصريّ على طلاقها، ففعل ذلك:

قال المازنيّ: وحدَّثنا محمد بن روح العدويّ.

عن أَبي شَقْفلَ راوية الفرزدق، قال: ما استصحب الفرزدق أَحداً غيري وغير راويةٍ له آخرَ ولقد صحِبَ النوارَ رجالٌ كثيرة إِلا أَنهم كانوا يلوذون بالسواري فرَقاً من أَن يراهمُ الفرزدق، فأَتيا الحسن، فقال له الفرزدق: يا أَبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء، قال: أَشهد أَن النوارَ طالق ثلاثاً، فقال الحسن، قد شهدنا، فلما انصرفنا قال: يا أَبا شقفلَ قد ندمْت، فقلت له: واللَّهِ إِني أظنّ أَن دمك يترقرق أَتدري من أَشهدت، واللَّهِ لئن رجعت لترجمن بأَحجارِك فمضى، وهو يقول:

(١) ضغطة: مكرهة.
(٢) الردع: الزعفران.

نـدمـتُ نـدامـةَ الـكُـسـعـيّ لـمـا غـدَت مـنـي مُـطـلـقـةً نـوارُ
ولـوْ أَنّـي مـلـكـت يـدي وقـلـبـي لـكـان عـلـيَّ لـلـقـدر الـخـيـارُ
وكـانـت جـنـتـي فـخـرجـت مـنـهـا كـآدمَ حـيـن أَخـرجـه الـضـرارُ
وكـنـتُ كـفـاقـيءِ عـيـنـيـه عـمـداً فـأَصـبـح مـا يُـضـيء لـه الـنـهـارُ
[الوافر]

وأَخبرني بخبره معَ النوار أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بنُ شبّةَ، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن أَبيه يحيى بن عبد الحميد:

أَن النوار لما كرهتِ الفرزدق حين زوجَها نفسَه لجأت إِلى بني قيس بن عاصم ليمنعوها، فقال الفرزدق فيهم:

بـنـي عـاصـمٍ لا تُـلـجـئـوهـا فـإِنـكـم مـلاجـيءُ لـلـسـوآت دُسـمُ الـعـمـائـمِ
بـنـي عـاصـمٍ لـو كـان حـيّـاً أَبـوكـمُ لـلام بـنـيـه الـيـومَ قـيـسُ بـن عـاصـمِ
[الطويل]

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: واللَّهِ لئن زِدْت على هذينِ البيتينِ لنقتلنك غِيلةً، وأَرادت منافرته إِلى ابن الزبير، فلم يقدر أَحد على أَن يُكْرِيها، ثم إِن قوماً من بني عديّ، يقال لهم بنو أُمّ النُّسير أَكروها، فقال الفرزدق:

ولـولا أَن يـقـولَ بـنـو عـديٍّ أَلَـمْ تَـكُ أُمَّ حـنـظـلـةَ الـنـوارُ
أَتـتـكـم يـا بـنـي مِـلـكـان عـنـي قـوافٍ لا تُـقَـسِّـمـهـا الـتـجـارُ
[الوافر]

وقال فيهم أَيضاً:

لـعـمـري لـقـد أَردى الـنـوارَ وسـاقـهـا إِلـى الـغَـوْر أَحـلامٌ خِـفـافٌ عـقـولُـهـا
أَطـاعـت بـنـي أُمَّ الـنّـسـيـرِ فـأَصـبـحـت عـلـى قَـتـبٍ[1] يـعـلـو الـفـلاةَ دلـيـلُـهـا
وقد سخطتْ مني النوارُ الذي ارتضى بـه قـبـلـهـا الأَزواجُ خـابَ رحـيـلُـهـا
وإِن امـرأً أَمـسـى يُـخَـبـبُ زوجـتـي كـسـاعٍ إِلـى أُسـد الـشـرى يَـسـتـبـيـلُـهـا
ومـن دون أَبـوال الأُسـود بَـسـالـةٌ وَبَـسـطـة أَيـدٍ يـمـنـعُ الـضَّـيْـمَ طُـولُـهـا
وإِن أَمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن لـعـالـم بـتـأويـل مـا وصَّـى الـعِـبـادَ رسُـولـهـا
فـدونـكـهـا يـا ابـنَ الـزبـيـر فـإِنـهـا مُـوَلـعـةٌ يُـوهـي[2] الـحـجـارةَ قِـيـلُـهـا

(١) القتب: الرحل.
(٢) يُوهي: يضعف.

ومـا جـادلَ الأقـوامَ مـن ذي خُـصـومـةٍ كَـوَرَهـاء[١] مشنـوءٍ[٢] إليـهـا حـليـلُـهـا[٣]

[الطويل]

فلما قدِمت مكةَ نزلت على تُماضرَ بنتِ منظور بن زبان زوجة عبد اللَّه بن الزبير، ونزل الفرزدق بحمزةَ بن عبد اللَّه بن الزبير، ومدحه بقوله:

أَمـسـيـتُ قـد نـزلـتْ بـحـمـزة حـاجـتـي إن الـمـنـوّهَ بـاسـمِـهِ الـمـوثـوقُ

بـأَبـي عَـمـارةَ خـيـرِ مـن وَطِـيء الـجـصـا وجـرت لـه فـي الـصـالـحـيـنَ عُـروقُ

بـيـن الـحـواريِّ الأَعـزِّ وهـاشـم ثـم الـخـلـيـفـةُ بـعـدُ والـصِّـديـقُ

[الكامل]

غنى في هذه الأَبيات ابن سريج رملاً بالبنصر.

قال: فجعل أَمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعف، فقال:

أَمـا بَـنَـوه فـلـم تُـقْـبـل شـفـاعـتـهـمْ وشُـفِّـعـتْ بـنـتُ مـنـظـور بـن زبَّـانـا

[البسيط]

وقال ابن الزبير للنوار: إن شِئتِ فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أَبداً، وإن شِئتِ سيرته إلى بلاد العدوِّ، فقالت: ما أُريد واحدةً منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك، وهو فيك راغب، فأُزوجك إياه، قالت: نعم فزوّجها منه، فكان الفرزدق يقول خرجنا ونحن متباغضانِ، فعدنا متحابين.

قال: وكان الفرزدق قال لعبد اللَّه بن الزبير ـ وقد توجّه الحكمُ عليه ـ إنما تريد أَن أُفارقها فتثب عليها، وكان ابن الزبير حديداً، فقال له: هل أَنت وقومُك إلَّا جالية العرب: ثم أَمر به فأُقيم وأقبل على من حضر، فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسينَ سنةً فاستلبوه، فاجتمعتِ العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أَحد قطُّ، فأَجلتها من أَرض تِهامةَ قال: فلقي الفرزدق بعض الناس، فقال: إيه يُعيرُنا ابن الزبير بالجلاء، اسمع، ثم قال:

فـإن تـغـضـب قـريـشٌ أَو تـغـضَّـب فـإن الأَرض تـوعـبـهـا تـمـيـمُ

هـمُ عـددُ الـنـجـوم وكـلُّ حـيٍّ سِـواهـم لا تُـعـدُّ لـه نـجـومُ

ولـولا بـيـتُ مـكـةَ مـا نـويـتـم بـهـا صـحَّ الـمـنـابـتُ والأُرومُ[٤]

---

(١) الورهاء: الحمقاء. (٢) المشنوء: المخلوق.

(٣) حليلها: زوجها.

(٤) الأُروم، بضم الهمزة، الواحدة أرومة: أصل الشيء، الحسب.

بـهـا كـثـر الـعـديـدُ وطـاب مـنـكـم وغـيـركـمُ أَخـيـذُ الـريـشِ هِـيـمُ[١]
فـمـهـلاً عـن تـعـلـل مـن غـدرتُـم بـخـونـتـه وعـذبـه الـحـمـيـمُ
أَعـبْـدَ الـلَّـه مـهـلاً عـن أَذاتـي فـإِنـي لا الـضـعـيـفُ ولا الـسـؤومُ
ولـكـنـي صَـفـاةٌ[٢] لـم تُـدنـسْ تـزِلُّ الـطـيـرُ عـنـهـا والـعُـصـومُ
أَنـا ابـنُ الـعـاقِـر الـخُـور[٣] الـصـفـايـا بـضـوَّاحـيـن فُـتَّـحـت الـعُـكـومُ[٤]

[الوافر]

قال: فبلغ هذا الشعرُ ابنَ الزبير وخرج للصلاة، فرأَى الفرزدق في طريقه فغمز عنقه فكاد يدقُّها، ثم قال:

لـقـد أَصبـحـتْ عِـرْسُ الـفـرزدق نـاشـزاً[٥] ولـو رَضِـيـتْ رُمـحَ اسـتِـه لاسـتـقـرَّتِ

[الطويل]

وقال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير.

وأَخبرني أَبو خليفةَ عن محمد بن سلام، عن إِبراهيمَ بن حبيب بن الشهيد بنحو من هذه القصة:

قال عمر بن شبّةَ: قال الفرزدق في خبره:

يـا حـمـزَ هـل لـك فـي ذي حـاجـةٍ غَـرَضـتْ أَنـضـاؤُه بـمـكـان غـيـر مـمـطـورِ
فـأَنـتَ أَحـرى قـريـشٍ أَن تـكـونَ لـهـا وأَنـت بـيـن أَبـي بـكـرٍ ومَـنـظـورِ
بـيـن الـحـواريِّ والـصـديـق فـي شُـعَـبٍ ثـبـتـنَ فـي طُـنُـبِ الإِسـلام والـخـيـرِ

[البسيط]

أَخبرنا أَبو خليفةَ، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا عبد القاهر بن السريّ السلميّ، قال:

كان فتًى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق، قال: فأَخذناه فأَتينا به الفرزدقَ، وقلنا: هذا بين يديك، فإِن شئت فاضربْ وإِن شئت فاحلقْ، فلا عَدْوى عليك ولا قصاصَ قد برئنا إِليك منه، قال فخلى سبيله وقال:

---

(١) هِيم بكسر الهاء: ميّتون.
(٢) الصفاة: الحجر الأملس الرقيق.
(٣) الخور: أي الإبل.
(٤) العُكوم، بضم العين: المكتنز اللحم من الإبل.
(٥) الناشز: الكارهة لزوجها.

فـمـن يـك خـائـفـاً لأذاة شـعـري فـقـد أَمـن الـهـجـاء بـنـو حـرام
هـمُ قـادوا سـفـيَـهَـهُـمُ وخـافـوا قـلائـدَ مـثـل أَطـواقِ الـحـمـام
[الوافر]

قال ابن سلام: وحدثني عبد القاهر، قال:

نُتف أَدبية أخرى عنِ الفرزدق:

مرَّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام، ومعنا عنبسة مولى عثمانَ بن عفان، ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال: يا أَبا فِراس، متى تذهب إِلى الآخرة؟ قال: وما حاجتك إِلى ذاك يا أَخي؟ قال: أكتب معك إِلى أَبي. قال: أَنا لا أَذهب إِلى حيث أَبوك. أَبوك في النار. اكتب إِليه معَ ريالويه واصطفانوس.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال: أَخبرني مخبر.

عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال: مررت بالفرزدق، وقد كنتُ دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه وعُذتُ باللَّه من شرّه، فجعلت أُحدثه حديثَ أَبيه، وأَذكره له بما يُعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لقَّبك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأَنت صبيّ، فقال له بعض من كان يجالسه: كأَن ابنك هذا الفرزدق، دِهقانُ الحيرة في تيهه وأُبهته، فسمَّاك بذلك. فأَعجبه هذا القول وجعل يستعيده، ثم قال: أَنشدني بعضَ شعر ابن المُراغة، فجعلت أُنشده حتى انتهيت، ثم قال: فأَنشد نقائضها التي أَجبته بها، فقلت: ما أَحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيَّ ولا تحفظ نقائضه، واللَّهِ لأَهجونَّ كلباً، هجاءً يتصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أَو تحفظها وتُنشدنيها، فقلت: أَفعل، فلزمته شهراً حتى حفظت نقائضها، وأَنشدته أَياها خوفاً من شرّه.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال:

تزوج الفرزدق حدراءَ بنت زيق بن بِسطام بن قنس الشيبانيّ، فخاصمته النوار وأَخذت بلحيته فجاذبها، وخرج وهو يقول:

قـامـتْ نـوار إلـيَّ تـنـتـفُ لِـحـيـتـي تـنـتـافَ جـعـدة لِـحـيـة الـخـشـخـاشِ
كِـلـتـاهـمـا أَسـدٌ إذا مـا أُغـضِـبـت وإذا رَضِـيْـنَ فـهـنَّ خـيـرُ مـعـاشِ
[الكامل]

قال: والخشخاش رجل من عنزة، وجعدةُ امرأته، فجاءت جعدةُ إلى النوار، فقالت: ما يُريد مني الفرزدق، إما وجد لامرأته أُسوة غيري؟

وقال الفرزدق للنوار يفضل عليها حدراء:

لعمري لأَعرابيةٌ في مِظلةٍ ... تظلُّ بِرَوقَيْ بيتِها الريحُ تخفقُ
أَحبُّ إلينا من ضِناكٍ ضِفنَّةٍ ... إذا وُضعت عنها المراويحُ تعرَقُ
كريمِ غزالٍ أَو كدُرَّةِ غائصٍ ... تكاد ـ إذا مرَّت ـ لها الأَرضُ تشرقُ

[الطويل]

قال: فلما بلغ النوارَ ذلك أرسلت إلى جرير، وقالت للفرزدق: واللَّهِ لأُخزينَّك يا فاسقُ، فجاءها جرير فقالت له أَما ترى ما قاله الفاسق؟ وشكته إليه وأنشدته شعره، فقال جرير: أنا أَكفيكِ، وأَنشأ يقول:

ولستُ بمعطي الحكم عن شفٍّ منصبٍ ... ولا عن بنات الحنظليِّين راغبُ
وهُنَّ كماء المزن يُشفَى به الصَّدا ... وكانت مِلاحاً غيرَهنَّ المشارِبُ
لئن كُنتَ أَهلاً أَن تسوق دِياتِكم ... إلى آل زيقٍ أَن يعيبَك عائبُ
وما عَدَلت ذاتُ الصليب ظَعينةً ... عُتيبةُ[1] والرِّدفانِ[2] منها وحاجبُ[3]
أَأَهديتَ يا زيقَ بنَ بِسطام ظبيَةً ... إلى شرَّ مَن تهدي إليه الغرائبُ

[الطويل]

فأَجابه الفرزدق فقال:

تقول كليبٌ حين مثَّت[4] سِبالُها[5] ... وأَخصب من مَرُّوتِها[6] كلُّ جانبِ
لسوَّاقِ أَغنام رعتهنّ أُمّه ... إلى أَن علاها الشيبُ فوقَ الذوائبِ
أَلستَ إذا القعساءُ أَنسل ظهرها ... إلى آل بِسطام بن قيسٍ بخاطبِ؟!
وقالوا: سمعنا أَن حَدراءَ زُوِّجتْ ... على مائةٍ شُمِّ الذَّرا[7] والغوارِبِ[8]

---

(١) عتيبة: هو عتيبة بن الحارث بن شهاب.
(٢) الردفان: هما عتاب بن هرمي وعوف بن عتاب بن هرمي.
(٣) حاجب: هو حاجب بن زرارة. (٤) مثَّت: سالت من الدسم والخصب.
(٥) سِبالها: المطر النازل من السحب.
(٦) المَروت، بفتح الميم: وهي هنا أرض لبني كليب.
(٧) شُم الذرا: طوال الأسنمة.
(٨) الغوارب، الواحد غارب: مقدم السنام.

فلو كنتَ من أَكفاءِ حَدراءَ لم تلمْ على دارِميٍّ بين ليلى وغالبِ
وإني لأَخشى إن خطبتَ إِليهمُ عليكَ الذي لاقى يَسارُ الكواعبِ[1]
ولو تنكِحُ الشمسُ النجومَ بناتِها نكحنا بناتِ الشمس قبل الكواكبِ
[الطويل]

أَخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أَبيه، عنِ الهيثم بن عديّ.

عن زكريا بن سيار الثقفيّ، قال: أَنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله:

بغى الشامتينَ الصخرُ إن كان مسّني رَزيَّةُ شِبلٍ مُخدِرٍ في الضّراغِم
[الطويلَ]

فلما فرغ قال: يا أَبا يحيى، أَرأَيت ابني؟ قلت: لا، قال: واللَّهِ ما كان يُساوي عباءته.

قال إسحاق: حدثني أَبو محمد العبديّ، عنِ اليربوعيّ، عن أَبي نصر، قال:

قدم لَبْطَةُ بن الفرزدق الجزيرة، فمرّ بقوم من بني تغلبَ، فاستقراهم فقرَوه، ثم قالوا له: من أَنت؟ قال: ابن شاعركم ومادحكم، أَنا ابن الذي يقول:

أَضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعرٌ يرمي الأَعادي بالقريض الأَثقلِ
إن غاب كعبُ بني جُعيلٍ عنهم وتنمّر الشعراء بعد الأَخطلِ
يتباشرون بموته ووراءهم منّي لهم قِطعُ العذابِ المرسلِ
[الكامل]

فقالوا له: فأَنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أَنا هو، فتنادوا: يا آلَ تغلبَ، اقضُوا حق حاميكم والذائد عنكم، في ابنه فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إِليه، فانصرف بها.

أَخبرنا أَبو خليفةَ عن محمد بن سلام، قال: أَتى الفرزدق عبد اللَّه بن مسلم الباهليّ، فسأله، فثقل عليه الكثير، وخشيه في القليل، وعندَه عمرو بن عفرَى الضبيّ راويةُ الفرزدق، وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق ـ في قوله:

ونُبِّئت جوَّاباً وسَلماً يسبني وعمرو بن عفرَى لا سلامٌ على عمرو
[البسيط]

فقال له ابن عفرى الباهليّ: لا يهولنَّك أَمره، فقال: وكيف ذاك، قال: أَنا

(١) الكواعب، الواحدة كاعب: الفتاة نهد ثدياها وتكعّبا.

أُرضيه عنك بدون ما كان همَّ له به، وأَعطاه ثلاثمائة درهم فقبلها الفرزدق ورضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال:

ستعلمُ يا عمرو بن عفرى من الذي ... يُلامُ إِذا ما الأَمرُ غبَّت[1] عواقبُهْ
نهيتُ ابنَ عِفرى أَن تعفّر أُمه ... كعفر السَّلا[2] إِذ جرَّرته ثعالبُهْ
فلو كنت ضَبِّياً صفحتُ، ولو سَرَتْ ... على قدمي حيَّاتُه وعقاربُهْ
ولكنْ دِيافيٌّ[3] أَبوه وأُمه ... بحَوران يَعصِرنَ السَّليط[4] أَقاربُهْ
ولما رأَى الدّهَنا رمته جبالُها ... وقالت دِيافيٌّ معَ الشام جانِبُهْ
فإِن تغضب الدهنا عليك فما بها ... طريقٌ لمرتادٍ تُقادُ ركائبُهْ
تضنُّ بمال الباهليّ كأَنما ... تضنُّ على المال الذي أَنت كاسبُهْ
وإِنَّ امرأً يغتابني لم أَطأْ له ... حَريماً ولا ينهاهُ عني تجارِبُهْ
كمحتطبٍ يوماً أَساوِدَ هضبةٍ ... أَتاه بها في ظُلمةِ الليل حاطِبُهْ
أَحين التَقَى نابايَ وأَبيضَّ مِسحَلي ... وأَطرق إِطراقَ الكرى من يُجانِبُهْ

[الطويل]

فقال ابن عِفرى، وأتاه في نادي قومه: اجهد جهدك، هل هو إلا أَن تسبني، واللَّهِ لا أَدع لك مساءةً إِلا أَتيتها، ولا تأمر في شيء إِلا اجتنبته ولا تنهاني عن شيء إِلا ركبته، قال: فاشهدوا أَني أَنهاه أَن ينيك أُمه.

فضحك القوم وخجل ابن عِفرى.

أَخبرنا أَبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شُعيب بن صخر، قال:

تزوج ذبيان بن أَبي ذبيان العدويّ من بَلعُدويّة، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابنَ أَبي شيخ الفُقيميّ، فأَلفى الفرزدق عنده، فقال له: يا أَبا فِراس انهض، قال: إنه لم يَدعُني، قال، إن ذبيان يُؤتى وإن لم يَدعُ ثم لا تخرج من عنده إِلا بجائزة، فأَتاه، فقال الفرزدق حين دخل:

كم قال لي ابنُ أَبي شيخ، وقلت له ... كيف السبيل إِلى معروف ذبيانِ

(١) غبّت عواقبها: ساءت نهاياتها.
(٢) السلا: جلدة يكون الولد داخلها في بطن أمّه.
(٣) دياف: قرية بالشام، وأهلها هم نبط الشام.
(٤) السليط: الفصيح الحديد اللسان من الرجال.

إِن الـقـلـوص[١] إذا أَلـقـت جـآجـئـهـا[٢] قـدَّام بـابـكَ لـم تـرحـل بـجِـرمـانِ
[البسيط]

قال: أَجل يا أَبا فراس، فدخل فتغدّى عنده وأَعطاه ثلاثمائة درهم.

أَخبرني أَبو خليفةَ عن محمد بن سلام، قال: حدثني أَبو بكر المدنيّ أَو غيره، قال:

دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد اللَّه بن عوف الزهريّ، وكان سيّداً سخيًّا شريفاً، فقال يا أَهل المدينة أَنتم أذلّ قوم للَّه، قالوا: وما ذاك يا أَبا فراس؟ قال: غلبكمُ الموت على طلحةَ حتى أَخذه من بينكم.

وأَتى مكة فأَتى عمرو بن عبد اللَّه بن صفوانَ بن أُميَّةَ بن خلف الجمحيّ، وهو سيد أهل مكةَ يومَئذٍ، وليس عندَه نقد حاضر، وهو يتوقع أُعطيته وأُعطية ولده وأَهله، فقال: واللَّهِ يا أبا فِراس ما وافقت عندَنا نقداً، ولكن عروضاً إِن شئت فإِن عندَنا رقيقاً فرَهة فإِن شئت أَخذتهم، قال: نعم، فأَرسل له بوصفاء من بنيه وبني أَخيه وقال: هم لكم عندنا حتى تشخص، وجاءه العطاء فأَخبره الخبر، وفداهم، فقال الفرزدق، ونظر إلى عبد العزيز بن عبد اللَّه بن خالد بن أَسيد، وكان سيداً يطوف بالبيت الحرام يتبختر، فقال:

تـمـشـي تـبـخْـتـر حـول الـبـيـت مُـنـتـخـيـاً[٣] لـو كـنـت عـمـرو بـنَ عـبـد الـلَّـه لـم تـزدِ
[البسيط]

أَخبرنا أَبو خليفةَ عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أَبي عامر ـ وهو صالح بن رستم الخراز ـ قال: أَخبرني أَبو بكر الهذليّ: قال: إنّا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطَّى حتى جلس إِلى جنبه فجاء رجل، فقال: يا أَبا سعيد، الرجل يقول لا واللَّهِ وبلى واللَّه، في كلامه، فقال: لا يُريد اليمين، فقال الفرزدق: أَوَ ما سمعتَ ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا، فما قلت، قال: قلت:

ولـسـت بـمـأْخـوذٍ بـلـغـوٍ تـقـولـه إذا لـم تـعـمّـدْ عـاقـداتِ الـعـزائـم
[الطويل]

قال: فلم ينشب[٤] أَن جاء رجل آخر، فقال: يا أَبا سعيد نكون في هذه المغازي فنُصيب المرأةَ لها زوج، أَفيحلّ غشيانها ولم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق:

---

(١) القلوص من الإبل: الشديدة القوية.
(٢) الجآجئ، الواحد جؤجؤ: الصدر.
(٣) منتخياً: متبجحاً متعاظماً.
(٤) لم ينشب: لم يلبث.

أَو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلتَ سمِعوا، فما قلت؟ قال: قلت:

وذاتِ حليلٍ أَنكحتنا رماحُنا حلالاً لمن يبني بها لم تُطلَّقِ
[الطويل]

قال أَبو خليفةَ أَخبرني محمد بن سلام: وأَخبرني محمد بن جعفر، قالا:

أَتى الفرزدقُ الحسن، فقال: إني هجوت إِبليسَ فاسمع، قال: لا حاجةَ لنا بما تقول، قال: لتسمعن أَو لأَخرجن فأَقول للناس: إن الحسن ينهى عن هجاء إِبليس، قال: اسكت فإِنك بلسانه تنطق:

قال محمد بن سلام: أَخبرني سلام أَبو المنذر.

عن عليّ بن زيد، قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قطُّ إِلا بيتاً واحداً، وهو:

ألموت بابٌ وكلُّ الناس داخله فليت شعريَ بعد الباب ما الدارُ
[البسيط]

قال: وقال لي يوماً ما قول الشاعر:

لولا جريرٌ هلكتْ بُجيلهْ نِعْمَ الفتى وبئستِ القبيلهْ
[الرجز]

أَهجاه أَم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مُدح من هُجيَ قومُه.

وقال جرير بن حازم: ولم أَسمعْه ذكر شعراً قطُّ إِلا.

ليس من مات فاستراح بميتٍ إِنما الميتُ ميّتُ الأَحياءِ
[الخفيف]

وقال رجل لابن سِيرينَ، وهو قائم مستقبل القِبلة يُريد أَن يكبرَ أَيُتوضَّأ من الشِّعر، فانصرف بوجهه إِليه فقال:

أَلا أَصبحَتْ عِرسُ الفرزدق ناشزاً[1] ولو رضيت رمح استه لاستقرّتِ
[الطويل]

ثم كبّر.

قال ابن سلام:

(١) الناشز من النساء: الكارهة زوجها.

وكان الفرزدق أَكثرهم بيتاً مُقَلَّداً، والمقلَّد البيت المغنّى المشهور الذي يُضرب به المثل، من ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كُليبٌ تسبُّني كأَن أَباها نهشلٌ ومجاشعُ
[الطويل]

وقوله:

ليس الكِرامُ بناحليك أَباهمُ حتى ترُدَّ إِلى عطية تُعتَلُ(١)
[الكامل]

وقوله أَيضاً:

وكنّا إذا الجبارُ صعَّر خدَّه ضربناه حتى تستقيم الأَخادعُ(٢)
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

وكنتَ كذئب السوء لما رأَى دماً بصاحبه يوماً أَحال على الدّم
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

ترجّى ربيع أَن تجيءَ صغارُها بخير وقد أَعيا ربيعاً كبارُها
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

أَكلت دوابرها الإِكامُ فمشيها مما وُجين كمشية الأَطفال
[الكامل]

وقوله أَيضاً:

قوارصُ تأْتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإِناءَ فيفعمُ
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

أَحلامُنا تزِن الجبالَ رزانةً ويزيد جاهلُنا على الجهّالِ
[الكامل]

---

(١) تعتل: تجرّ جرّاً عنيفاً.

(٢) الأخادع: عرق في صفحة العنق.

وقوله أَيضاً:

وإنــك إِذ تــســعــى لــتــدرِكَ دارمــاً لأَنـت الـمـعـنـى يـا جـريـرُ الـمـكـلَّـفُ

[الطويل]

وقوله أَيضاً:

فـإِن تـنـجُ مـنـي تـنـجُ مـن ذي عـظـيـمـةٍ وإلا فـإِنـي لا إِخـالُـك نـاجـيـا

[الطويل]

وقوله أَيضاً:

تـرى كـل مـظـلـوم إلـيـنـا فِـرارهُ ويـهـرب مـنـا جُـهْـدَه كـلُّ ظـالـم

[الطويلَ]

وقوله أَيضاً:

تـرى الـنـاس مـا سِـرْنـا يـسـيـرون خـلـفَـنـا وإن نـحـن أَومـأْنـا إِلـى الـنـاس وقَّـفُـوا

[الطويل]

وقوله أَيضاً:

فـسـيـف بـنـي عـبـس، وقـد ضـربـوا بـه نـبـا بـيـدي ورقـاءَ عـن رأْس خـالـدِ

كـذاك سـيـوفُ الـهـنـد تـنـبـو ظُـبـاتـهـا[1] ويـقـطـعـن أَحـيـانـاً مـنـاط[2] الـقـلائـدِ

[الطويل]

وكان يُداخل الكلام، وكان ذلك يُعجب أَصحاب النحو من ذلك قوله يمدح هشام بن إِسماعيلَ المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك:

وأَصـبـح مـا فـي الـنـاس إِلا مُـمـلّـكـاً أَبـو أُمّـه حـيٌّ أَبـوه يُـقـاربُـهْ

[الطويل]

وقوله أَيضاً:

تـالـلَّـه قـد سَـفِـهـت أُمـيَّـةُ رأْيَـهـا فـاسـتـجـهـلـت سُـفـهـاؤهـا حُـلـمـاءَهـا

[الكامل]

وقوله أَيضاً:

ألـسـتـم عـائـجـيـنَ بـنـا لُـعـنَّـا نـرى الـعَـرصـاتِ[3] أَو أَثـر الـخـيـامِ

(١) ظبة السيف: حدّه.

(٢) المناط: عرق غليظ متصل بالقلب فإذا قطع مات صاحبه.

(٣) العرصات، الواحدة عرصة: ساحة الدار.

فـقـالـوا: إن فـعـلـتَ فـأغـنِ عـنَّـا دُمـوعـاً غـيـرَ راقِـئـةِ الـسّـجـام
[الوافر]

وقوله أَيضاً:

فـهـل أَنـت إن فـاتـت أَتـانُـك راحـل إلـى آل بِسـطـام بـن قـيـس فـخـاطـبُ
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

فـنَـلْ مـثـلـهـا مـن مـثـلـهـم ثـم دُلّـهـم بـمـالـك مـن مـالِ مُـراحٍ وعـازِبِ
[الطويل]

ويروى: على دارميّ بين ليلى وغالبِ.

وقوله أَيضاً:

تـعـالَ فـإِن عـاهـدْتـنـي لا تـخـونـنـي نـكـن مـثـل مـن يـا ذئـبُ يـصـطـحـبـانِ
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

أَنـا وإِيـاكَ إن بـلّـغـن أَرحُـلـنـا كـمـن بـواديـه بـعـدَ الـمَـحْـلِ مـمـطـورُ
[البسيط]

وقوله أَيضاً:

فـمـا الـفـاروقُ أمّـك وابـن أروى بـه عـثـمـان مـروان الـمـصـابـا
[الوافر]

وقوله أَيضاً:

إِلـى مـلـك مـا أُمـه مـن مـحـارب أَبـوه ولا كـانـت كـلـيـبٌ تُـصـاهـرُهْ
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

إِلـيـك أَمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن رَمَـتْ بـنـا هُـمـومُ الـمُـنى والـهَـوْجَـلُ[1] الـمتعسَّفُ[2]
وعـضُّ زمـانٍ يـاابـنَ مـروانَ لـم يَـدَعْ مـنَ الـمـال إلا مُـسـحـتـاً[3] أَو مُـجـلَّـفُ[4]
[الطويل]

(١) الهوجل: المطمئن من الأرض الواسعة ليس بها أعلام.
(٢) المتعسف: الشديد العسف والظلم.
(٣) المسحت: ما خبث وقبح من المكاسب ودخله الحرام...
(٤) المجلّف: المستأصل.

وقوله أَيضاً:

ولقد دَنتْ لك بالتخلُّب إذ دنت ... منها بلا بَخَلٍ ولا مبذولِ
وكأَنّ لونَ رُضابِ فيها إِذ بدا ... بَرَدٌ بفرع بَشامةٍ مَصقُولِ
[الكامل]

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إِن ابن جَبَّارى ربيعةَ مالكاً ... للَّه، سيفُ صنيعةٍ مسلولُ
ما زال من آل المُعلى قَبْله ... سيفٌ لكل خليفة ورسولُ
[الكامل]

وقوله أَيضاً:

ما مِن يَدَيْ رجل أَحق بما أَتى ... من مكرمات عظائم الأَخطارِ
من راحتينِ يزيدُ يقدحُ زِندُه ... كفّاهما وأَشدّ عَقْدِ إزارِ
[الكامل]

وقوله أَيضاً:

إِذا جئته أَعطاك عَفْواً، ولم يكن ... على ماله حال الردى منك سائلُهْ
لدى ملك لم تنصُفِ الفعلُ ساقهُ ... أَجل لا ولا كانت طوالاً حمائلُهْ
[الطويل]

وقوله أَيضاً:

والشيبُ ينهض في السواد كأَنه ... ليلٌ يسير بجانبيه نهارُ
[الكامل]

قال: أَبو خليفةَ أَخبرنا محمد بن سلام، قال: حدثني شُعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، وأَخبرني به الجوهريّ وأَحمد بن جعفر جحظةُ بن شبّةَ عن عمرَ عن محمد بن زياد، وكان محمد في ديماس[1] الحجاج زماناً، قال انتهيت إِلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالردم، وهو قائم، والناس من حوله يُنشد مديح سليمانَ بنِ عبد الملك:

وكم أَطلقت كفّاك من غِلِّ بائس ... ومن عُقدة ما كان يُرجى انخلالُها
كثير منَ الأَيدي التي قد تكتفت ... فككت وأَعناقاً عليها غِلالُها
[الطويل]

(١) الديماس: الحمام.

قال: قلت: أَنا واللَّهِ أَحدُهم، قال: فأَخذ بيدي، وقال: أَيُّها الناسُ سلوه عمَّا أَقول إِني واللَّهِ ما كذبت قطّ.

أَخبرني جحظةُ، قال: حدثني عمر بن شبّةَ عن محمد بن زياد.

فذكر مثله، وقال فيه: واللَّهِ ما كذبت قطُّ، ولا أَكذب أبداً.

قال أَبو خليفةَ: قال ابن سلام وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول:

كتب يزيدُ بنُ المهلَّب لما فتح جرجانَ إلى أَخيه مدرك أَو مروان: احملْ إِليّ الفرزدق، فإِذا شخص فأَعط أَهله كذا وكذا، ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعْها إِليّ. قال: اشخص وأدفعها إلى أَهلك، فأَبى وخرج، وهو يقول:

دعاني إلى جرجانَ والريُّ دونه ... لآتيَه إني إذا لزؤور
لآتيَ من آل المهلب ثائراً ... بأَعراضهم والدائراتُ تدورُ
سآبي وتأْبى لي تميمٌ وربما ... أَبَيتُ فلم يقدِرْ عليَّ أَميرُ

[الطويل]

قال أَبو خليفةَ: قال ابن سلام.

وسمعت سلمةَ بنَ عياش، قال: حُبست في السجن: فإِذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود، فكان يُريد أَن يقول البيت، فيقول صدره وأَسبقه إِلى القافية، ويجيء بالقافية فأَسبقه إلى الصدر، فقال لي: مَنْ أَنت؟ قلت: من قريش. قال: كل أَير حمار من قريش، من أَيّهم أَنت، قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لِئام واللَّهِ أذِلَّة جاورتهم فكانوا شرَّ جيرانٍ. قلت: أَلا أُخبرك بأَذلَّ منهم وألأَمَ؟ قال: من؟ قلت: بنو مُجاشع. قال: ولِمَ ويلَك، قلت: أَنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم: جاءك شرطيّ مالك حتى أدخلك السجن فلم يمنعوك، قال: قاتلك اللَّه.

قال أَبو خليفة: قال ابن سلام:

وكان مسلمةُ بن عبد الملك على العراق بعدَ قتل يزيدَ بنِ المهلب، فلبث بها غير كثير، ثم عزله يزيدُ بن عبد الملك واستعمل عمر بنَ هبيرةَ على العِراق، فأَساءَ عَزْلَ مسلمةَ، فقال الفرزدق: وأَنشد يونس وعبد القاهر وغيرهما:

ولّت بمسلمةَ الرّكابُ مُودَّعاً ... فارْعى فزارةُ لا هَنَاك المرْتعُ
فسد الزمانُ وبُدّلت أَعلامُه ... حتى أُميَّةُ عن فَزارةَ تنزعُ
ولقد علمت إذا فزارةُ أُمّرت ... أَن سوف تطمع في الإِمارة أَشجعُ

ولـخَـلـقُ مِـثـلـك مـا هـمُ ولـمـثـلُـهـم ... فـي مـثـل مـا نـالـت فـزارةُ تـطـمـعُ
عُـزِلَ ابـنُ بِـشـر وابـن عـمـروٍ قـبـلـهُ ... وأَخـو هَـرَاة لـمـثـلـهـا يـتـوقـعُ
[الكامل]

ابنُ بِشر: عبد الملك بن بشر بن مروان كان على البصرة أَمَّره عليها مسلمةُ وابن عمرو: سعيد بن حذيفةَ بن عمرو بن الوليد بن عُقبةَ بن أَبي مُعَيْط، وأَخو هراةَ عبد العزيز بن الحكم بن أَبي العاصي.

ويروى للفرزدق في ابن هُبيرةَ:

أَمـيـر الـمـؤمـنـيـن وأَنـت عِـفٌّ ... كـريـمٌ لـسـت بـالـطـبـع الـحـريـصِ
أَأَولـيـتَ الـعـراقَ ورافـديـه ... فـزاريّـاً أَحـذَّ يـدِ الـقـمـيـصِ
ولـم يـكُ قـبـلـهـا راعـي مـخـاضٍ ... لـيـأْمـنـه عـلـى وركَـيْ قـلـوصِ[1]
تـعـتـق بـالـعـراق أَبـو الـمـثـنـى ... وعـلَّـم أَهـلـه أَكـل الـخـبـيـصِ[2]
[الوافر]

وأَنشدني له يونس:

جَـهـز فـإِنّـك مـمـتـارٌ ومـبـتـعـثٌ ... إِلـى فـزارةَ عِـيـراً[3] تـحـمـل الـكَـمَـرا[4]
إِن الـفـزاريَّ لـو يـعـمـى فـأَطـعـمـه ... أَيـرَ الـحـمـار طـبـيـبٌ أَبـرأ الـبـصـرا
إِن الـفـزاريَّ لا يـشـفـيـه مـن قـرم[5] ... أَطـايـبُ الـعِـيـر حـتـى يـنـهـش الـذكـرا
يـقـول لـمـا رأَى مـا فـي إِنـائـهـم ... لـلَّـه ضـيـفُ الـفـزاريّـيـن مـا انـتـظـرا
[البسيط]

فلما قدم خالد بن عبد اللَّه القسريّ والياً على ابن هَبيرةَ حبسَه في السجن، فنُقب له سَرَب فخرج منه، فهرب إِلى الشام، فقال عند ذلك الفرزدقُ يذكر خروجه:

لـمـا رأَيـتَ الأَرض قـد سـدّ ظَـهـرُهـا ... ولـم تـرَ إِلا بـطـنَـهـا لـك مـخـرجـا
دعـوتَ الـذي نـاداه يـونـسُ بـعـدَ مـا ... ثـوى فـي ثـلاثٍ مُـظـلـمـاتٍ فـفـرَّجـا
فأَصبحتَ تحت الأَرض، قد سِرت ليلة ... ومـا سـارَ سـارٍ مـثـلَـهـا حـيـنَ أَدلـجـا[6]

(١) القلوص من الإبل: القوية الشديدة.
(٢) الخبيص: الحلواء المخبوصة، أي المخلوطة.
(٣) العِير، بكسر العين: الحمير.
(٤) الكمر: التغطية والستر.
(٥) القرم: اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم.
(٦) أدلج: سار في عتمة الليل.

خرجت ولم يمنن عليك شفاعةً سوى رَبذِ[١] التقريب[٢] من آل أَعوجا[٣]
أَغرّ منَ الحوّ[٤] اللّهاميم[٥] إذ جرى جرى بك محبوك القَرَى[٦] غير أَفحَجا[٧]
جرى بك عُريانُ الحمَاتين[٨] ليلَهُ به عنك أَرخى اللَّهُ ما كان أَشرَجا[٩]
وما احتال محتالٌ كحيلته التي بها نفسُه تحت الضريحة[١٠] أَولجا[١١]
وظلماءُ تحتَ الأَرض قد خُضت هولَها وليلٍ كلون الطيلسانيّ أَرعجا[١٢]
هُما ظلمتا أَرض وليل تلاقتا على جامعٍ من هَمّه ما تعوّجا

[الطويل]

فحدثني جابر بن جندل، قال:

فقيل لابن هُبيرةَ: من سيد العراق؟ قال: الفرزدق، هجاني ملكاً ومدحني سوقة، وقال الفرزدق لخالد القسريّ حين قدم العراق أَميراً لهشام:

أَلا قطع الرحمن ظهر مطيَّةٍ أَتتنا تخطَّى من دمشقَ بخالدِ
وكيف يؤمُ المسلمين وأُمّه تدين بأَن اللَّه ليس بواحدِ
بَنى بيعةً فيها الصليبُ لِأُمّه وهدَّم من كفرٍ منار المساجدِ

[الطويل]

وقال أَيضاً:

نزلت بُجَيلةُ واسطاً فتمكَّنت ونفَت فزارةَ عن قرار المنزلِ

[الكامل]

---

(١) الربذ من الجياد: الخفيف القوائم في عدوه.
(٢) التقريب: ضرب من العدو السريع.
(٣) آل أعوج: ما ينسب إلى جواد يُسمّى أعوج من أعظم جياد الجاهلية.
(٤) الحوّ من الجياد: التي يميل لونها إلى السواد.
(٥) اللّهاميم، الواحد لهموم: وهو السبّاق من الجياد.
(٦) القَرى، بفتح القاف: الظهر.
(٧) الأفحج من الجياد: الذي تدانت صدور قدميه وتباعدت عقباه.
(٨) الحماتين: اللحمتين اللتين في ساق الجواد كالعصبتين.
(٩) أشرج العيبة: أحكم شدّها بالعروة.
(١٠) الضريحة: الشق في وسط القبر.
(١١) أولج: أدخل.
(١٢) الأرعج: الليل الشديد الظلمة.

وقال أَيضاً:

لعمري لئن كانت بُجيلةُ زانها جريرٌ لقد أَخزى بُجيلةَ خالدُ

[الطويل]

فلما قدم خالد على العراق أَميراً أَمّر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود، وكان عبد الأَعلى بن عبد اللَّه بن عامر يدّعي على مالك قرية فأَبطلها خالد، وحفر النهر الذي سمَّاه المبارك، فاعترض عليه الفرزدق، فقال:

أَهلكتَ مال اللَّه في غير حقّه على النَّهر المشؤوم غيرِ المباركِ
وتضرب أَقواماً صِحاحاً ظهورُهم وتترك حقَّ اللَّه في ظهر مالكِ
أَإنفاقَ مالِ اللَّه في غير كُنهه ومنعاً لحق المرملات[1] الضرائكِ[2]

[الطويل]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال:

قال أَعينُ بن لبطة: دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرَها. فقال له: تزوجت أَعرابية على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتها أَلفا درهم ـ الفريضة عشرون درهماً ـ فقال له الحجاج: ليس غيرها، يا كعبُ أَعط الفرزدق أَلفي درهم، قال: وقدم الفُضيل العنزيّ بصدقاتِ بكر بن وائل، فاشترى الفرزدق مائة بعير بأَلفينِ وخمسمائة درهم على أَن يُثبتها له في الديوان قال الفرزدق: فصليت معَ الحجاج الظهر، حتى إذا سلّم خرجت فوقفت في الدار فرآني فقال: مهيم[3] فقلت: إن الفضل العنزيّ قدم بصدقات بكر بن وائل وقدِ اشتريت مائة بعير بأَلفين وخمسمائة درهم على أَن يحتسب له في الديوان. فإِن رأَى الأَمير أَن يأمر له بإثباتها فعل، فأمر أَبا كعب أَن يُثبت للفُضيل أَلفين وخمسمائة درهم، ونسيَ ما كان أَمر له به. قال: فلما جاء الفرزدق بالإبل، قالت له النوار: خسِرْت صفقتك، أَتزوَّجُ أَعرابية نصرانية سوداءَ مهزولة خمشاء الساقين[4] على مائة من الإبل، فقال يُعرِّض بالنوار، وكانت أُمها وليدة:

لجاريةٌ بين السَّليلِ عُروقُها وبين أَبي الصهباءِ من آل خالدِ

(١) المرملات: الفقيرات.
(٢) الضرائك، الواحدة ضريكة: البائسات الشديدات الفقر.
(٣) مهيم: كلمة استفهام معناها ما حالك أو ما الخبر.
(٤) خمشاء الساقين: نحيلتهما.

أَحـقُّ بـإغـلاء الـمـهـور مـنَ الـتـي ربـت وهـي تـنـزو فـي جـحـور[١] الـولائـدِ
[الطويل]

فأَبتِ النوار عليه أَن يسوقَها كلها فأَحبس[٢] بعضَها وامتارَ عليه ما يحتاج إِليه أَهل البادية، ومضى ومعَه دليل يُقال له أَوفى بن جرير، قال أَعين: فلما كان في وادي الجوى[٣] رأَوْا كبشاً مذبوحاً، فقال الفرزدق: يا أَوفى هلكتْ واللَّهِ حدراء، قال: وما عِلمك بذلك؟ قال: ويقال إن أَوفى قال للفرزدق يا أَبا فِراس، لن ترى حدراء أَبداً فمضَوْا حتى وقفوا على نادي زيق، وهو جالس، فرحّب به، وقال له: انزل، فإِن حدراءَ قد ماتت، وكان زيق نصرانياً، وقال: قد عرفنا في دينكم أَن الذي يُصيبُك من ميراثها النصف، وهو لك عندنا، فقال له الفرزدق، واللَّهِ لا أَرزؤُك منه قِطميراً[٤]. فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرْنا أَكرم منكم في الحياة ولا أَكرم منكم شركةً في الممات، فقال الفرزدق:

عـجـبـت لـحـادِيـنـا الـمـقـحِّـم سـيـرَه بـنـا مُـزحِـفـات[٥] مـن كـلالٍ[٦] وظـلَّـعـا[٧]
لـيُـدنـيـنـا مـمـن إِلـيـنـا لِـقـاؤُهُ حـبـيـبٌ ومـن دار أَرَدنـا لـتـجـمـعـا
ولـو تـعـلـم الـغـيـب الـذي مـن أَمـامـنـا لـكـرّبـنـا الـحـادي الـمـطـيّ فـأَسـرعـا
يـقـولـون: زُرْ حـدراءَ والـتـربُ دونـهـا وكـيـف بـشـيءٍ وصـلـه قـد تـقـطَّـعـا
ولـسـت وإن عـزّت عـلـيّ بـزائـر تُـراباً عـلـى مـرمـوسـة[٨] قـد تـضَـعـضـعـا[٩]
[الطويل]

أَخبرنا عبد اللَّه، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال: نشزت[١٠] رُهيمة بنت غُنيم بن درهم النّمرية بالفرزدق فطلقها وقال يهجوها بقوله:

---

(١) جحور الولائد: أحضان من ولدت نسوة من غير العرب.
(٢) أحبسها: وقفها في سبيل اللَّه.
(٣) وادي الجوى: موضع.
(٤) القِطمير، بكسر القاف: قشرة النواة الرقيقة في التمرة.
(٥) المزحفات من الإبل: المتعبة التي تجرّ فِرْسِنها والفِرْسِن هو طرف خفّ البعير.
(٦) الكلال: التعب الشديد.
(٧) الظّلّع من الإبل: التي تغمز في مشيها وتعرج.
(٨) المرموسة من الخيول: المجرّبة في الحروب.
(٩) تضعضع: تخلخل، تزلزل.
(١٠) نشزت: أبغضت زوجها.

لا ينكحَن بعدي فتًى نَمريةً مرمّلةً[١] من بعلها ببعادِ
وبيضاء زَعراء المفارق شختة[٢] موَلّعةً في خُضرة وسوادِ
لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأَنّ مضمّه إذا عانقت بعلاً مضمُّ قتادِ[٣]
قرنت بنفسي الشؤم في وِرْد حوضها فجرّعته مِلْحاً بماء رمادِ
وما زلت ـ حتى فرَّق اللَّه بيننا له الحمدُ ـ منها في أَذًى وجِهادِ
تجدّد لي ذكرى عذاب جهنّمِ ثلاثاً تُمسّيني بها وتُغادي

[الطويل]

أَخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: قال المدائنيّ:

لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً، فقالت له: ما لك تنظر؟ فواللَّهِ لو كان لي أَلف حِرٍ ما طمعت في واحد منها. قال: ولِمَ يا لخناءُ[٤]؟ قالت: لأَنك قبيح المنظر، سيئ المخبر فيما أَرى، فقال: أَما واللَّهِ لو جرّبتني لعفى خُبري على منظري. قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضبَّعت[٥] له عن مثل سنام الناب[٦] فعالجها، فقالت: أنكاح بنسيَّة؟ هذا شرّ القضية، قال: ويحكِ، ما معي إلا جبتي فتسلبيني إياها، ثم تسنمها[٧] وقال في ذلك يرجز:

أَولجت فيها كذراع البَكرِ مُدَملكَ الرأْس شديد الأَسرِ
زاد على شبرٍ ونصفِ شبر كأَنني أَولجته في جَمرِ
يُطيرُ عنه نفيَانَ الشَّعرِ نفي شعور الناس يوم النَّحرِ

[الرجز]

قال فحملت منه ثم ماتت بجُمع[٨] فبكاها وبكى ولده منها فقال:

وغمدِ سلاحٍ قد رُزئت[٩] فلم أَنُح عليه ولم أَبعث عليه البواكيا

(١) مرملة: افتقدت زوجها، فأصبحت أرملة.
(٢) الشختة من النساء: من كانت دقيقة العنق والقوائم.
(٣) القتاد: ضرب من الشجر الشوكي، شوكه حادّ.
(٤) اللخناء: المرذولة التي تتعاطى الرذيلة، المحتقرة لذلك.
(٥) تضبّعت له: استعدّت لمطارحته الفاحشة، وقد أبرزت له حرها.
(٦) الناب من الجمال: الفحل للضراب.
(٧) تسنّمها: نكحها.
(٨) ماتت بجمع: أي ماتت وهي حامل.
(٩) رزئت: أصبت بفاجعة.

وفـي جـوفـه مـن دارم ذو حـفـيـظـةٍ[١] لـو أَنَّ الـمـنـايـا أَنـسـأتـه[٢] لـيـالـيـا
ولـكـنَّ ريـب الـدهـر يـعـثـر بـالـفـتـى فـلـم يـسـتـطـع ردَّ الـذي كـان جـائـيـا
وكـم مـثـلـه فـي مـثـلـهـا قـد وضـعـتـه ومـا زلـت وثَّـابـاً أَجـرُّ الـمـخـازيـا
[الطويل]

فقال جرير يُعيره بذلك.

وكـمْ لـك يـا ابـنَ الـقـيـنِ إن جـاءَ سـائـلٌ مِـن ابـنٍ قـصـيـر الـبـاع مـثـلُـك حـامِـلُـهْ
وآخـر لـم تـشـعُـر بـه قـد أَضـعـتـه وأَوْردتـه رِحـمـاً كـثـيـراً غـوائـلُـهْ
[الطويل]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سُليمانَ الكوفيّ عن أَبيه، قال:

تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من بني مجاشع، بعد أن أسن وكبر، وتركها عند أُمها بالبادية سنة، ولم يكن صَداقها[٣] عندَه، فكتب إِلى أَبان بن الوليد البجليّ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد اللَّه القسريّ فأَعطاه ما سأَل وأَرضاه، فقال يمدحه:

فـلـو جـمـعـوا مـنَ الـخِـلَّان أَلـفـاً فـقـالـوا: أعـطـنـا بـهـمُ أَبـانـا
لـقـلـت لـهـم إِذاً لـغـبـنـتـمـونـي وكـيـف أَبـيـعُ مـن شـرَط الـزمـانـا
خـلـيـلٌ لا يـرى الـمـئـة الـصـفـايـا ولا الـخـيـلَ الـجِـيـاد ولا الـقـيـانـا
عـطـاءً دون أَضـعـاف عـلـيـهـا ويُـطـعـم ضـيـفـه الـعُـبَـط الـسِّـمـانـا
[الوافر]

العُبط: الإبل التي تخرو لا وجعَ بها.

فـمـا أَرجـو لـظـبـيـةَ غـيـرَ ربـي وغـيـرَ أَبـي الـولـيـد بـمـا أَعـانـا
أَعـان بـهَـجـمـةٍ[٤] أَرضـت أَبـاهـا وكـانـت عـنـده غَـلـقـاً[٥] رِهـانـا
[الوافر]

---

(١) الحفيظة: الحنق والغضب.
(٢) أنسأته الليالي: سمحت له بفرصة إضافية.
(٣) صداقها: مهرها.
(٤) الهجمة من الإبل: ما كانت بين الأربعين إلى المائة.
(٥) غلق الرهن: استحقه الراهن.

وقال أَيضاً:

لقد طال ما استودعتُ ظبيةَ أمَّها ... وهذا زمانٌ رُدَّ فيه الودائعُ

[الطويل]

وقال حين أَراد أَن يبنيَ بها:

أُبادر شوّالاً بظبيةَ أَنني ... أَتتني بها الأَهوالُ من كل جانبِ

بمالئة الحِجلينِ[1] لو أن ميّتاً ... ولو كان في الأَموات تحت النصائبِ

دَعتْه لألقى التُّرب عندَ انتفاضه ... ولو كان تحتَ الراسيات الرواسبِ

[الطويل]

فلما ابتنى بها عجز عنها، فقال:

يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجعتُ به ... حين التَقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكْبُ

[البسيط]

وقال جرير:

وتقول ظبيةُ إِذْ رأَتْكَ مُحَوْقِلاً[2] ... حَوْقَ الحِمار منَ الخبالِ الخابلِ[3]

إِنَّ البليةَ وهْي كُلُّ بليَّةٍ ... شيخٌ يُعَلِّلُ عِرْسه بالباطلِ

لو قد عَلقْتُ منَ المُهاجر سُلَّماً ... لنجوتُ منه بالقضاء الفاصِلِ

[الكامل]

قال: فنشزت[4] عليه ونافرته إلى المهاجر، وبلغه قولُ جرير، فقال المهاجر، لو أَتتني بالملائكة معَها لقضيت للفرزدق عليها.

قال: وكان للفرزدق ابنة يُقال لها مَكِّية، وكانت زنجية، وكان إِذا حميَ الوطيس[5] وبلغ منه الهجاء يكتنى بها ويقول:

ذاكُمْ إِذا ما كنتُ ذا مِحْميَّهْ ... بدارمِيٍّ أُمُّه ضبيَّهْ

صمَحمَحٍ[6] يُكنّى أَبا مكيَّهْ

[الرجز]

---

(١) مالئة الحِجلين: أي الممتلئة الساقين.

(٢) المحوقل من الرجال: الضعيف.

(٣) الخبال: الجنون، والخابل: المجنون.

(٤) نشزت عليه: كرهته.

(٥) الوطيس: الحرب، التنور.

(٦) الصمحمح: الذي يتعمّد رؤوس الأبطال ليضربهم.

وقال في أُمها:

يـا رُبَّ خَـوْدٍ[١] مـن بـنـات الـزَّنـج تـحـمِـل تـنـوُّراً شـديـد الـوَهْـج
أقـعـب[٢] مـثـل الـقَـدَح الـخَـلَـنْـجِ[٣] يـزدادُ طِـيـبـاً عـنـدَ طـول الـهَـرج[٤]

[الرجز]

مـخـجـتُـهـا[٥] بـالـعـرد[٦] أَيّ مـخْـجِ

فقالت له النوار: ريحُها مثل ريحِك فقال أَيضاً في أُم مكيةَ ويخاطب النوار:

فـإن يـكُ خـالُـهـا مـن آل كِـسـرى فـكـسـرى كـان خـيـراً مـن عِـقـالِ
وأَكـثـر جِـزْيـةٍ تُـجـبـى إِلـيـه وأَصـبـرُ عـنـدَ مُـخـتـلِـف الـعـوالـي

[الوافر]

قال: وكانت أُم النوار خُراسانيَّة، فقال لها في أُم مكيَّة:

أَغـرَّكِ مـنـهـا أُدْمـةٌ[٧] عـربـيـةٌ عَـلـت لـونَـهـا إن الـبـجـاديَّ[٨] أَحـمـرُ

[الطويل]

حدثني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عنِ ابن الكلبيّ، قال:

دخل الفرزدق على سعيد بن العاص، وهو والي المدينة لمعاويةَ فأَنشده:

تـرى الـغُـرّ الـجـحـاجـح[٩] مـن قُـريـش إذا مـا الـخـطـبُ[١٠] فـي الـحـدثـان غـالا
وقـوفـاً يـنـظـرون إلـى سـعـيـد كـأَنـهـم يـرون بـه هِـلالا

[الوافر]

وعندَه كعب بن جُعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه واللَّهِ رؤْياي البارحة،

---

(١) الخود: الشابة الجميلة الحييّة.
(٢) الأقعب: هو من يعمد إلى إخراج الكلام من قعر حلقه.
(٣) الخلنج: ضرب من النباتات التجميلية، والطبية.
(٤) مخجتها: نكتها.
(٥) الهرج: الفوضى والإرباك.
(٦) العرد: الذكر الصلب الشديد.
(٧) الأدمة: البشرة السمراء.
(٨) البجادي: رداء ينسب إلى بجاد من أكسية الأعراب.
(٩) الجحاجح، الواحد جحجح: السيد المسارع إلى المكارم.
(١٠) الخطب: النائبة، المصيبة.

رأيت كأَن ابن قِترةَ في نواحي المدينة، وأَنا أَضم ذَلاذلي[١] خوفاً منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أَثره فقال: لم ترضَ أَن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك:

قياماً ينظرون إِلى سعيد كأَنهم يرون به هِلالا

[الوافر]

فقال له: يا أَبا عبد الملك، إِنك من بينهم صافِنٌ[٢] فحقد ذلك مروان عليه، ولم تطلِ الأيام حتى عُزل سعيد وولِّي مروان، فلم يجد على الفرزدق مُتقدِّماً حتى قال قصيدته التي يقول فيها:

هما دلتاني من ثمانينَ قامةً كما انقضّ بازٍ اقتمُ الريشِ كاسرُهْ
فلما استوت رِجلاي في الأَرض قالتا أحيٌّ يُرجَّى أَمْ قتيلٌ نُحاذرُهْ
فقلت: ارفعا الأَسبابَ لا يشعروا بنا وأَقبلْتُ في أَعجاز ليل أُبادرُهْ
أُبادِرُ بوابين قد وكلوا بنا وأَحمرَ من سَاجٍ تلوح مَسامرُهْ

[الطويل]

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول اللَّه ﷺ اخرجْ عنِ المدينة، فذلك قول جرير:

تدليْتَ تزني من ثمانينَ قامةً وقصَّرت عن باع الندى والمكارم

[الطويل]

أَخبرنا ابن دُريد، فقال: أَخبرنا الرياشيّ عن محمد بن سلام، قال:

دخل الفرزدق المدينة هارباً من زِياد، وعليها سعيد بن العاص أَمير من قِبَل معاوية، فدخل على سعيد، ومثُل بين يديه، وهو معهم، وفي مجلس سعيد الحطيئةُ وكعب بن جُعيل التغلبيّ. وصاح الفرزدق: أَصلح اللَّه الأَمير، أَنا عائذٌ باللَّه وبك، أَنا رجل من تميم، ثم أَخذ بني دارم، أَنا الفرزدق بن غالب. قال: فأَطرق سعيد ملياً فلم يُجبْه، فقال الفرزدق: رجل لم يصبْ دماً حَراماً، ولا مالاً حراماً. فقال: إِن كنت كذلك فقد أَمنت. فأَنشده:

إِليك فررتُ منك ومن زِياد ولم أَحسب دمي لكما ضلالا
ولكني هجوت وقد هجاني معاشرُ قد رَضَخْتُ[٣] لهم سِجالا

(١) الذلاذل: أسافل القميص الطويل.
(٢) الصافن من الجياد: الذي يقف على قوائمه الثلاث، وطرف حافر قائمته الرابعة.
(٣) رضخ: خضع.

فإن يكنِ الهِجاء أَحلّ قتلي فقد قلنا لشاعرهم وقالا
أَرِقتُ فلم أَنم ليلاً طويلاً أُراقب هل أَرى النسرينِ زالا
عليك بني أُميَّةَ فاستجرهم وخذْ منهم لما تخشى جبالا
فإن بني أُميَّةَ في قريش بَنَوا لبيوتهم عَمَداً طوالا
ترى الغرُّ الجحاجح من قريش إذا ما الأَمر في الحدثان غالا
قِياماً ينظرون إِلى سعيد كأَنهمُ يرون به هِلالا

[الوافر]

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا واللَّهِ الشعر، لا ما كنت تعلل به منذُ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلته على نفسك، فلا تفضله على غيرك. قال: بلى واللَّهِ، إِنه ليفضلني وغيري، يا غلامُ، فأَدركت من قبلك، وسبقت من بعدَك، ولئن طال عمرُك لتبرزن.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلامُ، أَنجدَت أُمُّك؟ قال: لا بل أَبي، أَراد الحطيئة: إِن كانت أُمك أَنجدَت فقد أَصبتُها فولدتك إذ شابهتني في الشعر. فقال الفرزدق: لا بل أَبي. فوجدَه لقِناً.

أَخبرني ابن دُريد، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: قال الأَصمعيّ:

ومن عبثات الفرزدق أَنه لقي مُخنّثاً فقال له: أَين راحت عمَّتُنا؟ فقال له المخنث: نقاها الأَغرُّ بن عبد العزيز، يُريد قول جرير:

نقاك الأَغرُّ بنُ عبد العزيز وحقُّك تُنفى منَ المسجِدِ

[المتقارب]

أَخبرنا ابن دُريد، قال: أَخبرنا الرياشيّ، عنِ النضر بن شُمَيّل، قال:

قال جرير ما قال لي ابنُ القين بيتاً إلا، وقد اكتفأته أَي قلبته إلا قوله:

ليس الكِرامُ بناحليك أَباهمُ حتى تُردَّ إِلى عطية تُعتَلُ

[الكامل]

فإِني لا أَدري كيف أَقول فيها.

وأَخبرني ابن دُريد، قال: حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عبَّاد عنِ ابنِ الكلبيّ، عن عَوانةَ بن الحكم، قال:

يا تيمُ تيم عديّ لا أَبا لَكُمُ لا يُلقِيَنكُمُ في سوْأةٍ عمَرُ

أَحين صرتُ سِماماً[١] يا بني لجإٍ وخاطرتْ بيَ عن أَحسابها مضَرُ
[البسيط]

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذَبْتَ وشرُّ القول أكذِبُه ما خاطرَتْ بك عن أَحسابها مضرُ
أُلْبِسْت نزوةَ خوّارٍ على أمَةٍ لا يسبِقُ الحلباتِ اللؤمُ والخَوَرُ
[البسيط]

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبحاً لك يا ابن لجأ، أَهذا شعرُك، كذبت واللَّهِ لو مِتّ، هذا شعر حنظليّ. هذا شعر الفريد يعني الفرزدق، قال: فأَبلس[٢] عمر فما ردّ جواباً، وخرج غنيم بن أُبي الرقراق حتى أَتى الفرزدق بالخبر فضحك، وقال: إيه ويلك يا ابن أَبي الرقراق، وإِن عندك لخبراً؟ قلت: خُزي أَخوك ابن قتب، فحدثته فضحك حتى ضرب برجليه ثم قال في ساعته:

وما أَنتَ إن قَرْمَا تَميم تساميا أَخا التيم إلا كالوَشيظة[٣] في العَظْمِ
فلو كنت مولى الظلم أوٍ في ظلاله ظَلَمْتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظُّلَمِ
[الطويل]

فلما بلغ هذانِ البيتانِ جريراً، قال: ما أَنصفني في شعر قطّ قبل هذا، يعني قوله: إن قرْما تميم تساميا.

أَخبرنا ابن دُريد، قال: أَخبرنا الرياشيّ، قال:

كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء، فمرّ يوماً بالمشردل، وهو يُنشد قصيدته، حتى بلغ إِلى قوله:

وما بين من لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميم غيرُ حزّ الغلاصم[٤]
[الطوَيل]

قال: واللَّهِ لتتركن هذا البيت أو لتتركن عِرضَك، قال: خذْهُ على كرهٍ مني. فهو في قصيدة الفرزدق التي أَولها:

---

(١) السِّمام، بكسر السين: جمع السمّ القاتل.
(٢) أبلس: تحيّر، انكسر، حزن.
(٣) الوشيظة: قطعة عظم تكون زائدة في العظم الصميم.
(٤) الغلاصم، الواحدة غلصمة: اللحم بين الرأس والعنق.

تـحـنَّ بـزوراء الـمـديـنـة نـاقـتـي حَـنِـيـنَ عَـجـولٍ تـتـبـعُ الـبـوَّ[١] رايـم
[الطويل]

قال: وكان الفرزدق يقول: خيرُ السرقة ما لا يجب فيه القطع، يعني سرقة الشعر.

أَخبرنا ابن دُريد قال: أخبرنا أَبو حاتم، عن أَبي عُبيدة.

عنِ الضحاك بن بُهلول الفقيميّ، قال: بِتنا بكاظمةَ، وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

أَحـيـن أَعـاذت بـي تـمـيـمٌ نـسـاءَهـا وجُـردت تـجـريـد الـيـمـاني مـنَ الـغـمْـدِ
[الطويل]

إذا راكبانِ قد تدليا من نعْفِ كاظمة متقنعان، فوقفا، فلما وقف ذو الرمة، حسر[٢] الفرزدقُ عن وجهه، وقال: يا عُبيدُ اضممها إليك ـ يعني روايته ـ وهو عبيد أَخو بني ربيعةَ بن حنظلةَ، فقال ذو الرمة: نشدتك اللَّهَ يا أبا فِراس، فقال: دعْ ذا عنك. فانتحلها في قصيدته، وهي أَربعة أَبيات:

أَحـيـن أَعـاذت بـي تـمـيـمٌ نـسـاءَهـا وجُـرِّدت تـجـريـدَ الـيـمـاني مـنَ الـغـمْـدِ
ومـدَّت بـضـبـعـيّ الـربـابُ ومـالـك وعـمـرو وشـالـت مـن ورائـي بـنـو سـعـدِ
ومـن آل يـربـوعٍ زُهـاءٌ كـأَنـه دُجـى الـلـيـل مـحـمـود الـنـكـايـة والـوَرْدِ
وكـنـا إذا الـجـبَّـار صـعّـرَ خـدّه ضـربـنـاه فـوق الأنـثـيـيـن عـلـى الـكَـرْدِ[٣]
[الطويل]

أَخبرنا ابن دُريد، قال: أَخبرنا أَبو حاتم، عن أبي عُبيدةَ، قال: اجتمع الفرزدق وجرير وكُثَيِّر وابن الرَّقاع عندَ سليمانَ بنِ عبد الملك، فقال: انشدوني من فخركم شيئاً حسناً فإِني أُحب أَن أَسمع ذلك فبدرهم الفرزدق، فقال:

ومـا قـومٌ إذا الـعـلـمـاءُ عـدَّت عـروق الأَكـرمـيـنَ إلـى الـتـرابِ
بـمـخـتـلـفـيـن إن فـضـلـتـمـونـا عـلـيـهـم فـي الـقـديـم ولا غـضـابِ
ولـو رفـع الـسـحـاب إلـيـه قـومـاً عـلـوْنـا فـي الـسـمـاء مـعَ الـسـحـابِ
[الوافر]

---

(١) البوّ: ولد الناقة، جلد الحوار أي ولد الناقة يحشى تبناً أو غيره فيقرّب من أم الفصيل.
(٢) حسر: كشف.
(٣) الكرد: العنق، أو أصله.

فقال سليمان: لا تنطقوا، فواللَّهِ ما ترك لكم مقالاً.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عِمرانَ الضبيّ، عن سُليمانَ بن أَبي سليمانَ الجوزجانيّ، قال:

غاب الفرزدق، فكتبتِ النوار تشكو إِليه مكية، وكتب إِليه أَهله يشكون سوء خلقها، وتبذِّيها[1] عليهم، فكتب إِليهم:

كتبتم عليها أَنها ظلمتكُمُ ... كذبتم وبيتِ اللَّه بل تظلمونها
فإلّا تعُدّوا أَنها من نسائكمْ ... فإِن ابن ليلى والدٌ لا يشينها
وإِن لها أَعماماَ صدقٍ وأُسوة ... وشيخاً إِذا شاءت تنمَّر دونها

[الطويل]

قال: وكان للفرزدق ثلاثة أَولاد، يقال لواحد منهم لبَطَة، والآخر حَبطةُ، والثالث سبطة، وكان لبطة منَ العَققة[2]، فقال:

أَإِن أَرعشت كفًّا أَبيك وأَصبحت ... يداك يدَي ليثٍ فإِنك جادبُهْ[3]
إِذا غالبَ ابنٌ بالشباب أَباً له ... كبيراً فإِن اللَّه لا بدَّ غالبُهْ
رأيتُ تباشيرَ العقوق هيَ التي ... منِ ابنِ امرىءٍ ما إِن يزالُ يُعَاتبُهْ
ولما رآني قد كبرت وأَنني ... أَخو الحيِّ واستغنى عن المسح شاربُهْ
أَصاخَ لِعرْبان النَّجيِّ وأَنه ... لأَزوَرُ عن بعض المقالة جانِبُهْ

[الطويل]

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أَبي عُبيدةَ، قال:

هجا الفرزدق خالداً القسريَّ، وذكَرَ المباركَ النهر الذي حفره بواسط، فبلغه ذلك، قال: فكتب خالد إِلى مالك بن المنذر أَن احبِسِ الفرزدق، فإِنه هجا نهر أَمير المؤمنين بقوله:

أَهلكت مال اللَّه في غير حقِّه ... على نهرِك المشؤومِ غيرِ المباركِ

[الطويل]

(الأبيات)، فأرسل مالك إلى أَيوبَ بن عيسى الضبيّ، فقال: ائتني بالفرزدق،

(١) تبذّيها: بذاءة لسانها.
(٢) العققة: عصيان الأب والأم وكرههما من قبل الأبناء.
(٣) الجادب: العائب الذّام لغيره.

فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفةَ، فقال الفرزدق: ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضباً، فلما أُدخل عليه، قال:

أَقول لنفسي حين غَصَّت بريقها ... أَلا ليت شِعري ما لها عندَ مالكِ
لها عندَه أَن يُرجع اللَّهُ روحَها ... إِليها وتنجو من جميعِ المهالكِ
وأَنت ابنُ حَبَّارَيْ ربيعةَ أَدركا ... بك الشمس والخضراءَ ذاتَ الحبائكِ

[الطويل]

فسكن مالك، وأَمر به إِلى السجن، فقال يهجو أَيوبَ بنَ عيسى الضبيّ:

فلو كنتَ ضَبيّاً إِذا ما حبستني ... ولكنّ زُنجيًّا غليظاً مشافِرُهْ
مشَتٌّ له بالرّحم بيني وبينه ... فأَلفيته مني بعيداً أَواصرُهْ
وقلت: امرؤٌ من آل ضَبَّةَ فاعتزى[1] ... لغيرهِمُ لونُ استه ومحاجرُهْ
فسوف يرى النُّوبيُّ ما اكتدحت له[2] ... يداهُ إِذا ما الشِّعر غَنَّت نَوافرُهْ
ستُلْقي عليك الخنفساءُ إِذا فَستْ ... عليك منَ الشعر الذي أَنت حاذِرُهْ
وتأْتي ابنَ زُبٍّ الخنفساء قصيدةٌ ... تكون له منّي عَذاباً يُباشِرُهْ
تعذَّرت يا ابنَ الخنفساء، ولم تكن ... لتُقبلَ لابن الخنفساء معاذِرُهْ
فإِنكما يا ابنَيْ يسارٍ نزوتما ... على ثُغْرِها[3] ما حنّ للزيت عاصرُهْ
لِزنجيَّة بظراءَ[4] شَقَّق بظرَها ... زَحيرٌ[5] بأَيُّوبٍ شديد زوافِرُهْ

[الطويل]

ثم مدح خالد بن عبد اللَّه ومالك بن المنذر، وهو محبوس مديحاً كثيراً، فأَنشدني يونسُ في كلمة له طويلة منها قوله:

يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أَقل ... وليُعلمنَّ منَ القصائد قيلي
يا مالُ هل لك في كبير قدْ أتت ... تسعونَ فوق يديه غيرُ قليلِ
فتجزّ ناصيتي وتفْرج كرْبتي ... عني وتُطلق لي يداك كُبولي[6]

(١) اعتزى: انتسب وانتمى.
(٢) اكتدح: اجرتم.
(٣) الثغر، بضمّ الثاء وفتحها: مسلك القضيب في الأنثى.
(٤) البظراء: ذات الحر الكبير.
(٥) الزحير: شجّ الرمح.
(٦) كبولي: قيودي.

ولقد بنى لكمُ المعلى ذِروةً رفعت بناءك في أَشَمَّ طويلِ
والخيل تعلم في جذيمةَ أَنَّها تردي بكل سميدعٍ بُهلولِ
فاسقوا فقد ملأ المُعلى حوضَكم بذنوبِ مُلْتَهِمِ الرَّباب سَجِيْلِ
[الكامل]

وقال يمدح مالكاً، وكانت أُم مالك بنت مالك بن مسْمع:

لقرم بين أَولاد المُعلى وأَبناء المسامعَةِ الكرام
تخمط في ربيعةَ بين بكرٍ وعبد القيس في الحسب اللّهام[١]
[الوافر]

فلما لم ينفعْه مديحه مالكاً، قال يمدح هشام بن عبد الملك ويعتذر إِليه:

أَلكني[٢] إلى راعي البرية والذي له العَدْلُ في الأَرض العريضة نوَّرا
فإِن تُنكري شِعري إِذا خرجت له بوادرُ لو يُرْمى بها لتَفقّرا[٣]
ثُبيرٌ ولو مَسَّتْ جزاءً لحرَّكت به الراسياتِ الصُمَّ حتى تكوَّرا[٤]
إذا قال غاوٍ من معدٍّ قصيدةً بها حَرَبٌ كانت وبالاً[٥] مُدمِّرا
أَينطقها غيري وأُرمى بجرمها وكيف أَلوم الدهرَ أَن يتغيرا
لئن صبرت نفسي لقد أُمِرْت به وخيرُ عباد اللَّه من كان أَصبرا
وكنتُ ابنَ أَحذارٍ[٦]، ولو كنت خائفاً لكنت منَ العصماء في الطوْد[٧] أَحذرا
ولكن أَتوني آمناً لا أَخافهم نهاراً وكان اللَّه ما شاء قدَّرا
[الطويل]

أخبرني أَبو خليفةَ، قال: حدثني محمد بن سلام، قال: حدثني أَبو يحيى:

قال الفرزدق لابنه لبطةَ وهو محبوس: أَشخصْ إِلى هشام، وامدحه بقصيدة، وقال: استعنْ بالقيسيّة، ولا يمنعك منهم قولي فيهم، فإِنهم سيغضبون لك. وقال:

بكت عيْنُ محزون ففاض سحامها[٨] وطالتْ ليالي ساهر لا ينامُها

(١) اللهام: الجيش العظيم كأنه يلتهم كلّ شيء.
(٢) ألكني: أي بلغ رسالتي.
(٣) تقفرا: تصيب فقري بالقطع.
(٤) تكور: سقط.
(٥) الوبال: النتائج المدمرة القاتلة.
(٦) ابن أحذار: أي ابن حزم.
(٧) الطود: الجبل فيه شجر.
(٨) السحام: من سحمت السماء، صبّت ماءها.

فإن تبكِ لا تبكِ المعيبات إذ أتى ... بها الدهرُ والأيام جَمٌّ[1] خِصامُها
ولكنما تبكي تنهَّك خالدٍ ... محارمَ منَّا لا يَحِلُّ حرامُها
فقل لبني مروانَ ما بالُ ذِمَّةٍ ... وحُرمةِ حَقٍّ ليس يُرْعَى ذِمامُها
أَنُقتل فيكم أن قَتَلنا عَدُوّكم ... على دينكم والحربُ بادٍ قَتامُها
أثارَ بقتل ابن المهلّبِ خالدٌ ... وفينا بقِيَّاتُ الهُدى وإمامُها
فغيِّر أَميرَ المؤمنين فإنها ... يمانيَةٌ حمقاءُ أنْتَ هِشامُها
أَرى مُضَرَ المِضْرَينِ قد ذلّ نصرُها ... ولكن عسى أَلَّا يَذِلَّ شآمُها
فمن مبلغ بالشام قيساً وخِندفاً ... أَحاديث ما يَشفي ببُرْءٍ سقامُها
أَحاديث منها نشتكيها إليهمُ ... ومظلمة يغشى الوجوهَ قَتامُها
فإن مَنْ بها لم ينكرِ الضيْمَ منهمُ ... فيغضب منها كَهْلُها وغلامُها
بغت مثلها من مثلهم وتُنكِّلوا ... فيعلم أَهل الجود كيف انتقامُها
بغلباءَ من جُمهورنا مُضَرية ... يُزايلُ فيها أَذْرَعَ القوم هامُها
وبيض على هام الرّجالِ كأَنها ... كواكبُ يجلوها لسارٍ ظلامُها
غضبنا لكم يا آلَ مروانَ فاغْضَبوا ... عسى أَن أَرواحاً يسوغُ طعامُها
أَلم يكُ في الأَرحام مِنَّا ومنكم ... حواجز أَيام عزيزٍ مرامُها
فترعى قريشٌ من تميم قرابةً ... وتجزي بأَيام كريمٍ مقامُها
لقد علمت أَفناء خِندف أَننا ... ذُراها وأَنَّا عِزُّها وسنامُها
وقد علِم الأَحياءُ من كل موطن ... إذا عُدَّتِ الأَحياء أَنَّا كِرامُها
وأَنَّا إذا الحرب العوانُ[2] تضرَّمت[3] ... نليها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها
قِوامُ قُوَى الإسلام والأَمرِ كلِّه ... وهل طاعةٌ إلا تميمٌ قِوامُها
زِمامُ التي تُحصى معدٌّ وغيرُها ... إذا ما أَبى أَن يستقيمَ همامُها
إلى اللَّه تشكو عِزَّنا الأَرضُ فوقَها ... وتعلم أَنَّا ثقلها وغرامُها
شكتنا إلى اللَّه العزيز فأَسمعت ... قريباً وأعيا مَنْ سِواهُ كلامُها

---

(١) جمّ: كثير.
(٢) الحرب العوان: الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى.
(٣) تضرّمت: اشتعلت.

فصول بحول اللّه في الأَمر كله إذا خِيف من مصْدوعةٍ[1] ما التيامُها[2]
[الطويل]

فأَعانته القيسيَّة، وقالوا: كلما كان ظهر ناب أَو شاعر أَو سيد وثب عليه خالد.

وقال الفرزدق أَبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأَبرش، يكلم له هشاماً.

إِلى الأَبرش الكلبيِّ أَسندتُ حاجةً تواكَلَها حيًّا تميم ووائِلِ
على حين أَن زلَّتْ بيَ النّعْلُ زلَّةً وأَخلَفَ ظنِّي كلُّ حافٍ وناعلِ
فدونَكَها يا ابنَ الوليد فإِنها مفُضَّلةٌ أَصحابَها في المحافلِ
ودونكها يا ابنَ الوليد فقُمْ بها قِيام امرىءٍ في قومه غيرِ خاملِ
[الطويل]

فكلم هشاماً: فكتب بتخليته فقال عند ذلك الفرزدق يمدح الأَبرش الكلبيّ:

لقد وثب الكلبيُّ وثبةَ حازمٍ إلى خير خلق اللّه نفساً وعنصرا
إِلى خيرِ أبناء الخليفة لم يجِدْ لحاجته من دونها متأخرا
أَبى حلفُ كلب في تميم وعَقْدُها لِمَا سنّتِ الآباء أَن يتغيَّرا
[الطويل]

وكان هذا الحِلف حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهلية، وذلك قول جرير بن الخطفيّ في هذا الحلف بعينه:

تميمٌ إلى كَلْبٍ وكَلْبٌ إليهمُ أَحقُّ وأَدنى من صُداءٍ وحِميرا
[الطويل]

وقال الفرزدق:

أَشدُّ جِبالٍ بين حَيَّين مِرَّةً جِبالٌ أَمّرت من تميم ومن كلبِ
وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ولو أَصبحت تغلي القدور منَ الحربِ
[الطويل]

وقال أَيضاً:

أَلم تر قيساً قيس عيلانَ شمَّرت لنصري وحاطتني هناك قرومُها[3]

---

(١) المصدوعة: المتفرّقة.

(٢) التيامها: التحامها، اجتماعها.

(٣) القروم، الواحد قرم: السيد الشجاع الكريم.

فقد خالفت قيسٌ على النأْي كلَّهم تميماً فهم منها وفيها تميمُها
وعادتْ عدويّ إن قيساً لأُسرتي وقومي إِذا ما الناس عُدّ صميمُها
[الطويل]

أَخبرني ابن دُريد، قال: حدثني أَبو حاتم عن أبي عُبيدةَ، قال:

بينما الفرزدق جالس بالبصرة أَيام زِياد في سكة ليس لها منفذ، إِذ مر به رجلانِ من قومه كانا في الشرطة، وهما راكبانِ، فقال أَحدهما لصاحبه: هل لك في أَن أُفزعه ـ وكان جَباناً ـ فحرّكا دابتيهما نحوَه، فأَدبر موليا، فعثر في طرف بُرده فشقّه، وانقطع شِسع[1] نعله، فانصرفا عنه، وعرف أَنهما هزئا منه فقال:

لقد خار إذ يُجري عليَّ حماره ضِرارُ الخنا[2] والعنبريُّ ابن أخوقا
وما كنتُ لو خوفتماني كِلاكُما بأُميكما عُرْيانتينِ لأَفرقا
ولكنما خوَّفتماني بِخادِرٍ[3] شتيمِ[4] إذا ما صادف القَرْنَ مزَّقا
[الطويل]

أَخبرنا عبد الملك وعبد اللَّه ابنا مالك، قالا: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا القحذميّ، قال: حدثني بعض ولد قُتيبة بن مسلم.

عنِ ابن زأَلانَ المازنيّ، قال: حدثني الفرزدق، قال: لما أطردني زياد أتيت المدينة، وعليها مروان بن الحكم، فبلغه أَني خرجت من دار ابن صياد، وهو رجل يزعم أَهل المدينة أَنه الدجال، فليس يكلمه أَحد، ولا يُجالسه أَحد ولم أَكن عرفتُ خبرَه، فأَرسل إليَّ مروان، فقال: أَتدري ما مَثَلك، حديثٌ تحدث به العرب: أَن ضبعاً مرّت بحيّ قوم قد رحلوا، فوجدت مرآة، فنظرت وجهها فيها، فلما نظرت قبح وَجهها أَلقتها وقالت: من شرٍّ ما طرحكِ أَهلك. ولكن من شرٍّ ما طرحك أَميرُك، فلا تقيمَنَّ بالمدينة بعدَ ثلاثة أيام، قال: فخرجت أُريد اليمن حتى إِذا صرت بأعلى ذي قسيّ، وهو طريق اليمن منَ البصرة إذا رَجل مُقبل فقلت: من أَين أَوضع الراكب؟ قال: منَ البصرة، قلت: فما الخبرُ وراءَك؟ قال: أَتانا أَن زِياداً مات بالكوفة. قال: فنزلتُ عن راحلتي مسرعاً فسجدت، وقلت: لو رجعت فمدحت عُبيد اللَّه بن زياد، وهجوت مروان بن الحكم، فقلت:

(١) شِسع نعله: زمام للنعل بين الأصبع الوسطى والتي تليها.
(٢) الخنا: الفاحشة قولاً وفعلاً.
(٣) الخادر: الأسد المقيم في عرينه.
(٤) الشتيم من الأسود: العابس.

وقفت بأَعلى ذي قسيٍّ مطيَّتي أُمثِّل في مَروان وابنِ زيادِ
فقلت: عبيدُ اللَّه خيرُهما لنا وأَدناهما من رأْفة وسِدادِ
[الطويل]

ومضيت لوجهي حتى وطئت بلاد بني عقيل، فوردْت ماءً من مياههم، فإِذا بيت عظيم، وإِذا فيه امرأة سافرٌ لم أَرَ كحسنها وهيئتها قطّ، فدنوت فقلت: أَتأَذنين في الظّلّ؟ قالت: انزل، فلك الظّلّ والقِرى[1]، فأَنخت وجلست إِليها، قال: فدعت جارية لها سوداء كالراعية، فقالت أَلطفيه شيئاً واسعَي إِلى الراعي فرُدِّي عليه شاة فاذبحيها له، وأَخرجت إِليَّ تمراً وزبداً، قال: وحادثتها، فواللَّهِ ما رأيت مثلها قطّ، ما أَنشدتها شعراً إِلا أَنشدتني أَحسن منه، قال: فأَعجبني المجلس والحديث، إِذ أَقبل رجل بين بُردين، فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها وجلس وأَقبلت عليه بوجهها وحديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للحين. هل يا فتى لك في الصراع؟ فقال: سوأة، إِن الرجل لا يُصارع ضيفه، قال: فأَلححت عليه، فقالت له ما عليك لو لاعبت ابنَ عمك؟ فقام وقمت، فلما رمى ببرده إِذا خَلق عجيب، فقلت: هلكتُ وربِّ الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني[2] إِليه، فصرت في صدره، ثم حملني قال: فواللَّهِ ما اتقيت الأَرض إِلا بظهر كبدي وجلس على صدري فما ملكت نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة، وقال: وثرتُ إِلى جملي، فقال: أنشدك اللَّه، فقالتِ المرأة: عافاك اللَّه إِنه الظّلّ والقِرى، فقلت: أَخزى اللَّه ظلكم وقِراكم، ومضيت، فبينا أَنا أَسير إِذ لحقني الفتى على نجيب يجنب نجيباً[3] برحله وزِمامه، وكان رحله من أَحسن الرِّحال، فقال: يا هذا واللَّهِ ما سرَّني ما كان، وقد أَراك أَبدَعت أَي كلَّت ركابك فخذ هذا النجيب، وإِياك أن تُخدع عنه، فقد واللَّهِ أُعطيت به مائتي دينار. قلت: نعم آخذه، ولكن أَخبرني من أَنت، ومن هذه المرأة؟ فقال: أَنا توبة بن الحُميِّر، وتلك ليلى الأَخيلية.

وقد أَخبرني عمّي بهذا الخبر، قال: حدثني القاسم بن محمد الأَنباريّ قال: حدثنا أَحمدُ بن عبيد عنِ الأَصمعيّ، قال:

كانتِ امرأة من عُقيل يقال لها ليلى، يتحدث إِليها الشباب، فدخل الفرزدق إِليها، فجعل يُحادثها، وأَقبل فتًى من قومها كانت تألفه، ودخل إِليها فأَقبلت عليه

(١) القِرى. بكسر القاف: الضيافة.
(٢) إختلجني إليه: ضمّني إلى صدره بعنف.
(٣) النجيب من الفحول: الجمل القوي العظيم.

بحديثها، وتركتِ الفرزدق، فغاظه ذلك، فقال للرجل: أَتُصارعني؟ قال: ذلك إِليك، فقام إِليه الرجل، فلم يلبث أَن أَخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فضرط الفرزدق، فوثب عنه الرجل خَجلاً، وقال له الرجل: يا أَبا فِراس، هذا مقام العائذ بك، واللَّهِ ما أَردت بك ما جرى، فقال: ويحكَ واللَّهِ ما بي أَن صَرعتني، ولكن كأنك بابن الأَتان يعني جريراً وقد بلغه خبري هذا فقال يهجوني.

جلستَ إِلى ليلى لتحظى بقربها ... فخانك دُبر لا يزالُ يخونُ
فلو كنت ذا حزم شددت وِكاءَها[1] ... كما شدَّ خرتاً[2] للدلاصِ[3] قيون[4]

[الطويل]

قال: فواللَّهِ ما مضى إلا أَيام حتى بلغ جريراً الخبرُ، فقال فيه هذين البيتين.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذميّ، قال: حدثني بعض أَصحابنا.

عن عبد اللَّه بن رألانَ التميميّ راوية الفرزدق: أَن الفرزدق قال: أَصابنا بالبصرة مطر جَودٌ[5] ليلاً فإِذا أَنا بأَثر دوابّ قد خرجت ناحية البرِّية. فظننت أَن قوماً قد خرجوا لنزهة، فقلت: خليق أَن تكون معهم سفرة وشراب، فقصصت آثارهم حتى وقعت إِلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير، فأَغذذت السير نحوَ الغدير، فإِذا نِسوة مستنقعات في الماء، فقلت: لم أَر كاليوم قطّ، ولا يومَ دارة جلجُل وانصرفت مستحيياً منهن، فناديننني باللَّه يا صاحبَ البغلة ارجعْ نسأَلْك عن شيء، فانصرفت إليهن، وهن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: باللَّه إِلا ما حدثتنا بحديث دارة جُلجُل.

فقلت: إن امرأ القيس كان يهوى بنت عمّ له يقال لها عُنيزة فطلبها زماناً، فلم يصل إِليها، وكان في طلب غِرَّة من أَهلها ليزورها، فلم يُقض له، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جُلجُل، وذلك أَن الحيّ احتملوا، فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والثقل، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف، بعدما سار معَ الرجال غَلوةً فكمَن في غِيابة منَ الأرض حتى مرّ به النساء، فإِذا فتيات، وفيهن عُنيزة، فلما وردن الغدير قَلن: لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال، فنزلن إِليه، ونحَّين العبيد عنهن، ثم

(١) الوِكاء، بكسر الواو: رباط القربة ونحوها، كل ما شدّ رأسه من وعاء ونحوه.
(٢) الخرت: الثقب.
(٣) الدلاص من الدروع: الملساء اللينة.
(٤) القيون، الواحد قين: الحدّاد.
(٥) المطر الجود: الغزير.

تجرّدن فاغتمسن في الغدير، كهيئتكن الساعة، فأَتاهن امرؤ القيس مُخاتلاً كنحو ما أَتيتكن، وهن غوافل، فأَخذ ثيابهن فجمعها ـ ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأَخذ بعض أَثوابهن فجمعها ووضعها على صدره ـ وقال لهن كما أَقول لكن: واللَّهِ لا أُعطي جارية منكن ثوبها ولو أَقامت في الغدير يومَها حتى تخرج مجرّدة. قال الفرزدق: فقالت إحداهن وكانت أَمجنهن: هذا امرؤ القيس كان عاشقاً لابنة عمه، أَفعاشق أَنت لبعضنا؟ قال: لا واللَّهِ ما أَعشق منكن واحدة، ولكن أَشتهيكن، قال: فنعرن وصفقن بأَيديهن، وقلن: خذ في حديثك، فلست منصرفاً إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس: فأَبين ذلك عليه حتى تعالى النهار، ثم خشين أَن يقصرنَ دون المنزل الذي أَردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها وصعد ناحية، فأَخذته ولبسته، ثم تتابعن على ذلك، حتى بقيت عُنيزة وحدَها، فناشدته اللَّه أَن يطرح إِليها ثوبها، فقال: دعينا منك، فأَنا حرام إن أَخذتِ ثوبك إلا بيدكِ، قال فخرجت، فنظر إِليها مقبلة ومدبرة، فوضع لها ثوبها، فأَخذته، وأَقبلن عليه يلمنه ويعذلنه ويقلن، عريتنا وحبستنا وجوعتنا، قال: فإِن نحرت لكنَّ مطيتي أَتأكلن منها؟ قلن: نعم، فاخترط سيفه فعقرها، ونحرها وكشطها، وصاح بالخدم فجمعوا له حطباً، فأَجَّج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطع لهن من سنامها وأَطايبها وكبدها، فيلقيها على الجمر، فيأكلن ويأكل معهن، ويشرب من زُكرة[١] كانت معَه، ويُغنيهن وينبذ إِليهن وإِلى العبيد والخدم من الكباب، حتى شبعن وطربن، فلما أَراد الرحيل، قالت إحداهن: أَنا أَحمل طنفسته، وقالت الأخرى: أَنا أَحمل رَحله، وقالتِ الأُخرى: أَنا أَحمل حشيَّته وأنساعه[٢] فتقاسمن متاع راحلته بينهن، وبقيت عُنيزة لم يُحمِّلها شيئاً، فقال لها امرؤ القيس: يا ابنةَ العم لا بُدَّ لك أَن تحمليني معكِ، فإِني لا أُطيق المشي، وليس من عادتي، فحملته على غارب[٣] بعيرها، فكان يُدخّل رأْسه في خدرها فيقبلها، فإِذا امتنعت مال حِدجُها[٤]، فتقول: يا امرأَ القيس عقرت بعيري فانزلِ، فذلك قوله:

تقول وقد مال الغبيط[٥] بنا معاً عقرت[٦] بعيري يا امرأَ القيس فانزلِ

[الطويل]

---

(١) الزُكرة: زقّ الخمرة.
(٢) الأنساع، الواحد نسع: سير أو حبل عريض طويل تُشدّ به الرحال.
(٣) الغارب: الظهر.
(٤) الحدج: الهودج.
(٥) الغبيط: الرحل يُشدّ عليه الهودج.
(٦) عقرت: قتلت.

فلما فرغ الفرزدق منَ الحديث، قالت تلك الماجنة: قاتلك اللَّه، ما أَحسنَ حديثك يا فتى وأَظرفك، فمن أَنت؟ قال: قلت: من مضر، قالت: ومن أَيّها؟ فقلت: من تميم، قالت: ومن أَيّها؟ قلت: إِلى هاهنا انتهى الكلام، قالت: إِخالك واللَّهِ الفرزدق، قلت: الفرزدق شاعر وأَنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك أَسألك باللَّه أَنت هو؟ قال: قلت: أَنا هو واللَّه، قالت: فإن كنت أَنت هو فلا أَحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رضا، قلت: أَجل، قالت: فاصرف وجهك عن وجهنا ساعة، وهمست إِلى صواحباتها بشيء لم أَفهمْه، فانغططن في الماء وتوارين، وأَبدين رؤوسَهن، وخرجن ومعَ كل واحدة منهن ملءُ كفيها طِيناً، وجعلن يتعادين نحوي فضربن بذلك الطين والحمأة وجهي، فملأَن عيني وثيابي ووقعت على وجهي، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها، وشددن عليَّ ثيابهن فأَخذنها، وركبت تلك الماجنةُ بغلتي وتركتني سطيحاً[1] بأسوأ حال وأَخزاها، وهي تقول: زعم الفتى أَنه لا بدَّ أَن ينيكنا، فما زِلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي وجففتها، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدميّ، وبغلتي قد وجهن بها إِلى منزلي معَ رسول لهن، وقلن: قل له: تقول لك أَخواتك: طلبت منا ما لم يمكنَّا وقد وجّهنا إِليك بزوجتك فنكْها سائر ليلتك. وهذا كِسر درهم لحمَّامك إذا أَصبحت. فكان إِذا حدث بهذا الحديث يقول ما مُنيت بمثلهن.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحرانيّ، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال حدثنا العلاء بن أَسلمَ، قال:

لما مات زياد رثاه مسكين الدارميّ، فقال عند ذلك الفرزدق:

أَمسكينُ أَبكى اللَّهُ عينيك إنما ... جرى في ضلال دمعُها إِذ تحدرا
بكيت امرأ من آل مَيسانَ كافراً ... ككسرى على عِدَّاته[2] أَو كقيصرا
أَقول له لما أَتاني نعيُّه ... به لا بظبيٍ بالصريمة أَعفرا

[الطويل]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحرانيّ، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال: حدثنا العلاء بن مسلم، قال:

لما أَراد المهلَّب الخروج إِلى الأَزارقة لقى الفرزدقُ جريراً، فقال له: يا أَبا فِراس

(١) السطيح: المنبسط لمرضه أو ضعفه فتقلّ حركته.
(٢) عداته: عهده وزمانه.

هل لك أن تكلم المهلّب حتى يضع عني البَعثَ وأُعطيَك أَلف درهم؟ فكلّم المهلّب فأَجابه، فلامه جُديعٌ رجلٌ من عشيرته، وشكا ذلك إِلى خيرةَ امرأَةِ المهلّب، وقال لها: لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه، فلامته خيرةُ بنت ضمرةَ القشيريَّة، فقال المهلّب: إِنما اشتريت عِرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جُديعاً:

إِن تُبنَ دارُك يا جُديعُ فما بنى ... لك يا جُديعُ أَبوك من بنيانِ
وأَبوك ملتزمُ السفينة عاقدٌ ... خُصييه خلف بنائِق التُّبانِ[١]
ويظل يَدفع باسته متقاعساً[٢] ... في البحر معتمداً على السُّكانِ
لا تحسبن دراهماً جمَّعتَها ... تمحو مخازيَك التي بعُمانِ

[الكامل]

وقال يهجو خيرة:

أَلا قشرَ الإِلهُ بني قشيرٍ ... كقَشر عصا المنقِّح[٣] من مُعالي[٤]
فلولا رهزُ خيرةَ لم يؤبوا ... بسهم في اليمين ولا الشِّمالِ
إِذا رهزت[٥] رأَيت بني قُشَيرٍ ... منَ الخيَلاء منتفشي السِّبالِ[٦]

[الوافر]

فغضب بنو المهلّب لما هجا جُديعاً وخيرةَ، فنالوا منه، فهجاهم فقال:

وكائنٍ للمهلب من نسيبٍ ... ترى بلبانه[٧] أَثر الزيارِ[٨]
تخاذل لم يقد فرَساً، ولكن ... يقود الساج[٩] بالحبل المغارِ
عميٌّ بالتنائف حين يُضحي ... دليلَ الليلِ في اللُّجج الغمارِ
وما للَّه يسجدُ إِذ يُصلّي ... ولكن يسجدون لكل نارِ

[الوافر]

---

(١) التبان: سروال صغير يرتديه المصارع أو الملَّاح.
(٢) متقاعساً: مخرجاً صدره.
(٣) المنقح: المقشّر، المشذّب.
(٤) من معالي: من الأعلى.
(٥) رهزت: اهتزت ونشطت للأمر.
(٦) السِّبال، بكسر السين، الواحدة سبلة: ما على الشارب من شعر.
(٧) اللبان: الصدر.
(٨) الزيار: خناق يُشدّ به الرحل إلى صدر البعير.
(٩) الساج: الطيلسان الواسع المدوّر.

فلما ولي يزيدُ بن المهلّب خُراسانَ والعراق بعدَ أَبيه ـ ولاه سليمان بن عبد الملك ـ خاف الفرزدق من بني المهلّب، فقال يمدحهم:

فلأَمدحنّ بني المهلّب مِدحةً ... غرَّاءَ قاهرةً على الأَشعارِ
مثل النجوم أَمامها قمراؤها ... تجلو العَمى وتُضيء ليل السّاري[1]
ورِثوا الطِّعانَ عنِ المهلّب والقِرى ... وخلائقاً كتدفُّق الأَنهارِ
كان المهلّبُ للعراق وِقايةً ... وحيا الربيعِ ومعقِل الفرَّارِ
وإِذا الرجال رأَوْا يزيدَ رأَيتهم ... خضُع الركاب نواكسَ الأَبصارِ
ما زال مُذ شدَّ الإِزار بكفّه ... ودنا يُقاربُ خمسة الأَشبارِ
أَيزيدُ إنك للمهلب أَدركَتْ ... كفَّاك خيرَ خلائقِ الأَخيارِ

[الوافر]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال:

لما قدم يزيد بن المهلّب واسطاً قال لأُميّةَ بن الجعد ـ وكان صديق الفرزدق ـ إني لأُحبُّ أَن تأْتيَني بالفرزدق. فقال للفرزدق: ماذا فاتك من يزيدَ أَعظم الناس عفواً، وأَسخى الناس كفًّا. قال: صدقت، ولكني أَخشى أَن آتيَه فأَجدَ العمانيَّة ببابه، فيقوم إِليَّ رجلٌ منهم فيقول: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرب عُنقي، فيبعث إِليه يزيدُ فيضرب عنقه، ويبعث إِلى أَهلي ديتي، فإِذا يزيد قد صار أَوفى العرب، وإِذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، ثم قال: لا واللَّهِ لا أَفعل. فأَخبر يزيدَ بما قال، قال: أَمَّا إذا قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه اللَّه.

قال ابن حبيب: وحدثنا يعقوب بن محمد الزهريّ عن أَبيه عن جَدّه، قال:

دخل الفرزدق معَ فتيانٍ من آل المهلّب في بركةٍ يتبرّدون فيها، ومعهم ابن أَبي علقمةَ الماجن، فجعل يتلفّت إِلى الفرزدق، فيقول: دعوني أَنكحه حتى لا يهجوَنا أَبداً، وكان الفرزدق من أَجبن الناس، فجعل يستغيث ويقول: ويلكم، لا يمس جلده جلدي، فيبلغ ذلك جريراً، فيُجب عليَّ أَنه قد كان منه الذي يقول: فلم يزل يُناشدهم حتى كفوه عنه.

وأَخبرنا عبد اللَّه، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحةَ، قال:

---

(١) الساري: السائر ليلاً.

لما ولي خالد بن عبد اللَّه العراق، فقدِمَها، وكان من أَشَدّ خلق اللَّه عصبيةً على نِزار، فقال لبطةُ بن الفرزدق: فلبس أَبي من صالح ثيابه، وخرج يُريد السلام على خالد، فقلت له: يا أَبتِ، إن هذا الرجل يمانيّ، وفيه منَ العصبية ما قد علمت، فإِن دخلت إليه فأَنشدْه مدائحك أَهلَ اليمن: لعل اللَّه أَن يأْتيَك منه بخير، فإِنك قد كبرت على الرحلة فجعل لا يردّ عليّ شيئاً، حتى دفعنا إلى البوَّاب، فأَذِن له، فدخل وسلم، فاستجلسه ثم قال: إيهِ يا أَبا فِراس، أنشدنا مما أحدثت، فأَنشده:

يختلِف الناسُ ما لم نجتمعْ لهمُ ... ولا خِلافَ إذا ما استجمعت مُضرُ
فينا الكواهل والأَعناق تقدُمها ... فيها الرؤوس، وفيها السمع والبصرُ
ولا نُحالف غيرَ اللَّه من أَحدٍ ... إلا السيوفَ إذا ما اغرورق النّظرُ
ومن يَملْ يُمِلِ المأْثور[1] قلَّته ... بحيث يلقى حفافي رأْسه الشَّعرُ
أَما الملوك فإِنا لا نلينُ لهم ... حتى يلينَ لضرسٍ الماضغ الحَجَرُ

[البسيط]

ثم قام فخرجنا، قلت: أَهكذا أَوصيْتُك؟ قال: اسكتْ لا أُمَّ لك، فما كنت قطُّ أملأ لقلبه مني الساعة.

أَخبرني عبد اللَّه، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحةَ قال:

كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، وفيها المنذر بن الجارود العبديّ، فقال المنذر: مَنِ الذي يقول:

وَجدنا في كتاب بني تميم ... أَحقُّ الخيل بالركض المُعارُ

[الوافر]

فقال الفرزدق: يا أَبا الحكم هو الذي يقول:

أَشارب قهوةٍ وخدين زيرٍ ... وعبديٌّ لفسوته بخارُ
وجدنا الخيلَ في أَبناء بكر ... وأَفضل خيلهم خشبٌ وقارُ

[الوافر]

قال: فخجل المنذر حتى ما قدر على الكلام.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

---

(١) المأثور: يقصد الشاعر بذلك السيف.

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان، ففاخرَه قوم منَ الشعراء فأَنشأَ يقول:

ما حملتْ ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إِذا الريح لفَّتني على الكُورِ
أَعزّ قوماً وأَوفى عندَ مَكرُمة ... لِمعظَمٍ من دماء القوم مَهجورِ
[البسيط]

فقال له: إِيه، فقال:

إِلَّا قُريشاً فإِن اللَّه فضّلها ... على البريةِ بالإِسلام والخيرِ
تلقى وجوه بني مروانَ تحسبُها ... عندَ اللقاء مشوفاتِ[1] الدّنانيرِ
[البسيط]

ففضله عليهم ووصله:

قال ابن حبيب:

وكان الفرزدق يُهاجي الأَشهبَ بن رُميلةَ النهشليّ وبني فُقيم فأَرفث[2] بهم، فاستعدوا عليه زياداً، فحدثني جابر بن جندل، قال: فأَتى عيسى بن حُصيلةَ بن مُغيثِ بن نصر بن خالد السُّلميّ ثم من بني بهز، فقال: يا أَبا خصيلةَ، إن هذا الرجل قد أَخافني، وقد لفظني جميع من كنت أَرجو، قال: فمرحباً بك يا أَبا فِراس، فكان عندَه ليالي، ثم قال: إِني أُريد أَن أَلحق بالشام، قال: إن أَقمت ففي الرحب والسعة، وإن شخصت فهذه ناقةٌ أَرحَبيَّة أُمتعك بها وأَلف درهم: فركب الناقة وخرج من عنده ليلاً، فأَرسل عيسى معَه من أَجازه منَ البيوت: فأَصبح، وقد جاوز مسيرة ثلاث، فقال يمدحه:

كفاني بها البَهزيّ حُملان مَن أبى ... منَ الناس والجاني تُخاف جرائمُهْ
فتى الجُود عيسى والمكارم والعُلا ... إذا المالُ لم يَنفع بخيلاً كرائمهْ
ومن كان يا عيسى يُؤنب ضيفَه ... فضيفُك يا عيسى هنيىءٌ مطاعِمُه
وقال: تعلَّم أَنها أرحبيَّةٌ ... وأَن لك الليلَ الذي أَنت جاشمُهْ[3]
فأَصبحت والمُلقى ورائي وحنبلٌ ... وما صدَرَت حتى علا الليلَ عاتِمُهْ

(١) المشوفات: المجلوَّات.
(٢) أرفث بهم: أفحش لهم الهجاء.
(٣) جاشم: متكلّف المشقَّة.

تـزَاوَر فـي آل الـحـفَـيـر[١] كـأَنـهـا ظَـلـيـمٌ[٢] تـبَـاري جُـنـح لـيـلٍ تـعـاتـمُـهْ
رأَت دون عَـيـنـيـهـا ثـويَّـةَ[٣] فـانـجـلـى لها الصبح عن صَعلٍ[٤] أسيلٍ تخاطِمُهْ[٥]
[الطويل]

وقال:

تَـدراكـنـي أَسـبـابُ عـيـسـى مـنَ الـرَّدى ومـن يَـكُ مـولاهُ فـلـيـس بـواحـدِ
نـمـتـه الـنـواصـي من سُـلـيـم إِلـى الـعـلا وأَعـرقُ صِـدق بـيـن نـصـرٍ وخـالـدِ
سـأَثـنـي بـمـا أولـيـتـنـي وأَرُبُّـه إِذا الـقـوم عـدّوا فـضـلـهـم فـي الـمـشـاهـدِ
[الطويل]

فلما بلغ زياداً شخوصُه أَتبعه عليَّ بن زَهدَم الفُقيميّ أَحد بني موألة فلم يلحقه، فقال الفرزدق:

فـإِنـك لـو لاقـيـتـنـي يـا ابـنَ زَهـدمٍ لأُبـتَ شُـعـاعـيّـاً[٦] عـلـى غـيـر تـمـثـالِ
[الطويل]

فأَتى بكر بن وائل فجاورهم فأَمن، فقال:

وقـد مـثّـلـت أَيـن الـمـسـيـرُ فـلـم تـجـد لـعـودتـهـا كـالـحـيّ بـكـر بـن وائـلِ
وسارت إِلى الأَجفار خمساً فأَصبحت مـكـان الـثُّـريـا مـن يـد الـمـتـنـاولِ
ومـا ضـرّهـا إِذا جـاورت فـي بـلادهـا بـني الـحـصـن مـا كـان اخـتـلافُ الـقـبـائـلِ
[الطويل]

الحصن بن ثعلبةَ بن عُكابةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

وهرب الفرزدق من زياد، فأَتى سعيد بن العاص بن أُميّةَ، وهو على المدينة، لمعاويةَ بن أَبي سفيان، فأَمنه سعيد، فبلغ الفرزدقَ أَن زياداً، قال: لو أَتاني أمنته وأَعطيته، فقال في كلمة له:

دعـانـي زيـاد لـلـعـطـاء ولـم أَكـن لآتـيَـه مـا سـاق ذو حَـسَـبٍ وَقـرا

(١) الحفير: موضع يسلكه الحاج بين ذي الحليفة وملل.
(٢) الظليم: ذكر النعام.
(٣) الثوية: مأوى الغنم والبقر والإبل أو هي علامة تُنصب على الطريق ليُهتدى بها.
(٤) الصعل من النعام: ما كان دقيق الرأس والعنق.
(٥) تخاطمه: تشاركه ضرب أنفه.
(٦) الشعاعي: من طارت نفسه من شدّة خوفه.

وعـنـد زيـاد لـو أَراد عـطـاءَهـم رجـالٌ كـثـيـرٌ قـد يـرى بـهـم فَـقـرا
قـعـودٌ لـدى الأَبـواب طُـلَّابُ حـاجـة عـوانٍ مـنَ الـحـاجـات أَو حـاجـة بـكـرا
فـلـمـا خـشـيـت أَن يـكـونَ عـطـاؤُه أَداهِـم سـوداً أو مـحَـدرَجـة[1] سُـمـرا
نـمـيـتُ إِلـى حـرف أَضـرَّ بِـنـيِّـهـا سُرى الليل واستعراضُها البلدَ القفرا[2]

[الطويل]

فلما اطمأَن عند سعيد بن العاصي بالمدينة، قال:

أَلا مَـنْ مـبـلِـغٌ عـنـي زِيـاداً مُـغـلـغـلـةً[3] يَـخُـبُ بـهـا الـبـريـدُ
بـأَنـي قـد فـررتُ إِلـى سـعـيـدٍ ولا يُـسـطـاع مـا يـحـمـي سـعـيـدُ
فـررت إِلـيـه مـن لـيـثٍ هـزبـرٍ تـفـادَى عـن فـريـسـتـه الأُسـودُ
وإِن شِـئـت انـتـسـبـت إِلـى فـقَـيـم ونـاسَـبَـنـي ونـاسَـبـتِ الـقـرودُ
فـإِن شـئـت انـتـمـيـتُ إِلـى الـنـصـارى ونـاسـبَـنـي ونـاسـبـتِ الـيـهـودُ
وأَبـغـضُـهـم إِلـيَّ بـنـو فُـقَـيـمٍ ولـكـن سـوف آتـي مـا تُـريـدُ

[الوافر]

فأَقام الفرزدق بالمدينة فكان يدخل بها على القِيان، فقال:

إِذا شِـئـتُ غـنـانـي مـعَ الـعـاج قـاصـفٌ عـلـى مـعـصـمٍ ريَّـانَ لـم يـتـحـدّدِ
لـبـيـضـاءَ مـن أَهـل الـمـديـنـة لـم تـعِـش بـبـؤْسٍ ولـم تـتـبـعْ حـمـولـة مُـجـحـدِ
وقـامـت تُـخـشّـيـنـي زيـاداً وأَجـفـلـت حـوالـيّ فـي بـردٍ يـمـانٍ ومـجـسـدِ
فـقـلـت: دعـيـنـي مـن زيـاد فـإِنـنـي أَرى الـمـوت وَقّـاعـاً عـلـى كـل مـرصـدِ

[الطويل]

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شُريح بن عمرو بن عديّ بن عدس بن عبد اللَّه الدارميّ فقال:

رأَيـتُ زِيـادة الإِسـلام ولّـت جِـهـاراً حـيـن فـارقـهـا زيـادُ

[الوافر]

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

---

(١) المحدرج: السوط.
(٢) البلد القفر: الخالي من ساكنيه.
(٣) المغلغلة: القصيدة التي تنتشر في الآفاق.

أَمِسكينُ أَبكى اللَّه عينيك إِنما جرى في ضلال دمعُها فتحدَّرا
أَتبكي امرأً من آلِ ميسانَ كافراً كَكِسرى على عِدَّانِهِ[1] أو كقيصرا
أَقولُ له لما أَتاني نعيُّه به لا بظبيٍ بالصريمة[2] أَعفرا
[الطويل]

فقال مسكين:

أَلا أَيُّها المرءُ الذي لستُ قائماً ولا قاعداً في القوم إِلا انبرى لِيا
فجِئني بعمٍّ مثل عمِّيَ أَو أَبٍ كمِثل أَبي أو خالِ صدقٍ كخاليا
بعمرو بن عمرو أَو زُرارةَ ذي الندى سمَوْتُ به حتى فرَغتُ الرواسيا
[الطويل]

فأَمسك الفرزدق عن جوابه، وكان يقول: نجوت من أَن يهجوَني مسكين، فإِن أَجبته ذهبت بشطر فخري، وإِن أَمسكت عنه كانت وصمةٌ عليَّ مدى الدهر.

أَخبرني أَبو خليفةَ، قال: أَخبرنا ابن سلام، قال: أَخبرني الحكم بن محمد المازنيّ، قال:

كان تميم بن زيد القضاعيّ ثم أَحدُ بني القيم بن جسر غزا الهند في جيش، وفي جيشهم رجل يقال له حبيس، فلما طالت غيبته على أُمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم تميم بن زيد أَن يُقفل ابنها، فقيل لها عليك بالفرزدق فاستجيري بقرابته: فأتت قبر غالب بكاظمةَ، فأَقامت حتى علم الفرزدق مكانَها، ثم أَتته فطلبت إِليه حاجتها، فكتب إلى غنم بن زيد هذه الأَبيات:

وهبْ لي حُبَيْشاً واتخذ فيه مِنَّةً لعضة أُمٍّ ما يسوغ شرابُها
أَتتني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرةِ السّافي[3] عليه تُرابُها
تميمَ بنَ زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى عليَّ جوابُها
[الطويل]

فلما أَتاه كتابه لم يدرِ ما اسمه، خنيس أَو حبيس فأَخرج ديوانه وأَقفل كلَّ خنيس وحبيس من جيشه، وهم عِدّة، وأَنفذهم إِلى الفرزدق.

قال أَبو خليفةَ: قال ابن سلام: وحدثني أَبو يحيى الضبيّ، قال:

(١) عِدَّانه: زمانه، وعلى عِدَّانه، أي في أيام زمانه.
(٢) الصريمة: موضع.
(٣) السافي: الريح التي تحمل معها التراب.

ضرب مكاتب لبني منقر بِساطاً على قبر غالب أَبي الفرزدق، فأَخبروه بمكانه عندَ قبر أَبيه، ثم ندِم عليه، فقال:

بقبر ابن ليلى غالبٍ عُذتَ بعدَما خشيت الردى أَو أَن أُرَدَّ على قسْرِ
فأَخبرني قبرُ ابن ليلى، فقال لي فِكاكُك إن شاءَ الفرزدقُ بالمِصْرِ

[الطويل]

فقال الفرزدق: صدق أَبي أَنِخْ، ثم طاف لي في الناس حتى جمع له مكاتبته وفضلاً.

وكان نُفيعٌ ذو الأَهدام أَحد بني جعفر بن كلاب يتعصّب لجرير بمدحه قيساً، فهجاه الفرزدق، فجاءت أُمه فاستجارت بقبر غالب، وعاذت به من هجاء الفرزدق، فقال:

نبِّئتُ ذو الأَهدام يهوى ودونه منَ الشام زُرَّاعاتها وقصورُها
على حين لم أَترك على الأَرض حيّةً ولا نائحاً إِلَّا استقرّ عُقورُها
كلاب نبحنَ الحيَّ من كل جانب فعاد عُواءً بعد نبح هريرُها
عجوز تُصلّي الخمسَ عاذت بغالب فلا والذي عاذت به لا أَضيرُها
لئن يافعٌ لم يرعَ أَرحامَ أُمّه وكانت كدلو لا يزال يُغيرُها
لبئس دمُ المولود بلَّ ثيابها عشيةَ نادى بالغلام بشيرُها
وإِني على إشفاقها من مخافتي وإن عقَّها بي نافعٌ لَمُجيرُها
ولو أَن أُمَّ الناس حواءُ جاورت تميم بن مرّ لم تجِدْ من يُجيرُها

[الطويل]

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أَحمد بن حاتم المعروف بأَبي نصر، عنِ الأصمعيّ، قال:

كان عُبيد اللَّه بن عطيةَ راويةُ الفرزدق وجرير، قال: دعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر، والنوار طالق، إن نقضه ابن المراغة، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

فإِني أَنا الموت الذي هو نازل بنفسك فانظرْ كيف أَنت تُحاولُهْ

[الطويل]

إرحلْ إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفِناء بيته يعبث بالرملِ، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هِيه، أظنُّ واللَّهِ ذلك؟ ما هو ويلَك؟ فأنشدته إياه، فجعل يتمرّغ في الرمل ويحثوه على رأْسه وصدره، حتى كادتِ الشمس تغيب ثم قال: أنا أبو حزرةَ، طَلَقت امرأةُ الفاسق، وقال:

أَنا الدهرُ يُفني الموت، والدهرُ خالدٌ فجئْني بمِثل الدهرِ شيئاً يُطاوِلُهْ

[الطويل]

إرحل إلى الفاسق. قال: فقدمت إلى الفرزدق فأنشدته إياه، وأخبرته بمقالة جرير، فقال: أقسمت عليك لَمَا سَتَرْتَ هذا الحديث.

أخبرني عبد اللَّه، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعيّ وأبو عُبيدةَ، قالا:

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بُردةَ، وعندَه ناس منَ اليمامة، فضحكوا، فقال: يا أبا فِراس، أتدري ممَّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، فقال: أصلح اللَّهُ الأمير، حججت، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبيٌّ، وعلى عاتقه الأيسر صبي، وإذا امرأةٌ آخذة بمئزره، وهو يقول:

أَنتَ وهبت زائداً ومزْيدا وكهلةً أُولِجُ فيها الأجردا

[الرجز]

والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: منَ الأشعريين، أفأنا أجفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حيّاكَ اللَّه قد علمت أنهم لن يُفلِتوا منك.

أخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاري، قال:

ركب الفرزدق بغلته، فمرّ بنسوة، فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضرطاً، فضحكن منه، فالتفت إليهن، فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا ضرطت، فقالت له إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أُمك، فأراها قاست منك ضِراطاً كثيراً. فحرك بغلته وهرب منهن.

حدثنا عبد اللَّه قال: حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة عن ابن زيد الأنصاري قال:

أتى الفرزدق الحسن البصري فقال إني قد هجوت إبليس، فاستمع فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق.

وبهذا الإسناد قال حمزةُ بن بيض للفرزدق: يا أَبا فِراس، أسأَلك عن مسألة، قال: سلْ عمَّا أَحببت. قال: أيّما أَحبّ إِليك أَن تسبق الخير أَو يسبقَك؟ قال: إِن سبقته فُتُّه، وإن سبقني فاتني ولكن نكون معاً، لا يسبقني ولا أَسبقه. ولكن أَسألك عن مسألة قال ابن بيض: سلْ: قال: أَيما أَحبّ إِليك؟ أَن تنصرف إِلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أَير رجل أَو تجده قابضاً على هنها؟ قال: فتحيّر، وكان قد نُهي عنه فلم يقْبل.

أَخبرني عبد اللَّه، قال: حدثني محمد بن عِمرانَ الضبيّ، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال:

إجتمع الفرزدق وجرير عندَ بِشر بن مروانَ، فرجا أَن يُصلِحَ بينهما حتى يتكافَّا، فقال لهما: ويحكما لقد بلغتما منَ السن ما قد بلغتما، وقربت آجالكما، فلو أَنكما اصطلحتما، ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه؟ فقال جرير: أَصلح اللَّه الأَمير إِنه يظلمني ويتعدّى عليّ فقال الفرزدق: أَصلح اللَّه الأَمير وجدت آبائي يظلمون آباءَه، فسلكت طريقهم في ظُلمه، فقال بِشر: عليكما لعنةُ اللَّه، لا تصطلحانِ واللَّهِ أبداً.

وأَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عِمرانَ الضبيّ، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

قال الفرزدق: ما أَعياني جواب أَحد ما أَعياني جواب دِهقانٍ[1] مرَّة، قال لي: أَنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم، قال: أَفأَموت إِن هجوتني؟ قلت: لا، قال: أَفتموت عيشونةُ ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حرِ أُمّك، قال: قلت: ويلَك، لم تركت رأْسك؟ قال: حتى أَنظرَ أَيّ شيءٍ تصنع.

أَخبرَني عبد اللَّه، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عنِ الأَصمعيّ، قال:

مرَّ الفرزدق بإِجَّانٍ[2] فيه ماء، فأَشرع بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة يُقال له حربيش: أَنِخْ بغلتك. حذّ اللَّه رجليك. قال: ولِمَ ويلك؟ قال: لأَنك كذوب الحَنجرة، زاني الكَمَرة. فقال الفرزدق لبغلته: عَدَسْ[3] ومضى، وكرِهَ أَن يسمع قولَه الناسُ.

(١) الدهقان: رئيس الإقليم، التاجر.
(٢) الإجَّان: وعاء يملأ ماء تُغسل فيه الأثواب.
(٣) عدس: كلمة زجر للبغال.

أَخبرنا عُبيد اللَّه بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثني سعدانُ بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأَني رأَيتها في الصدور أَثبتَ وفي المحافل أَجول.

قال: وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أَكثرُ من طِوالك؟ قال: لأَنها في الآذان أَولج، وفي أَفواه الرواة أَعلق.

أَخبرني عبيد اللَّه، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثني سعدان بن المبارك، قال:

قيل لعقيل بن عُلَّفة: ما لك تقصر في هجائك؟ قال: حسبك من القلادة ما أَحاط بالرقبة.

أَخبرني عبد اللَّه عن محمد بن عليّ بن سعيد الترمذي، عن أَحمد بن حاتم أَبي نصر، قال:

قال الجهم بن سُويد بن المنذر الحراميّ للفرزدق: أَما وجدت أُمك اسماً لك إِلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها[1]؟ قال: والعرب تُسمّي خبز الفتوت الفرزدق، فأَقبل الفرزدق على قوم معَه في المجلس فقال: ما اسمه؟ فلم يُخبروه باسمه، فقال: واللَّهِ لئن لم تُخبروني لأهجونَّكم كلكم، قالوا: الجهم بن سويد بن المنذر، فقال الفرزدق: أَحقّ الناس أن لا يتكلّم في هذا أَنت، لأن اسمك اسم متاع المرأة، واسم أبيك اسم الحمار، واسم جَدِّك اسم الكلب.

أخبرنا عبد اللَّه بن مالك، عنِ الزبير عن عمّه عن بعض القرويّين، قال:

قدم علينا الفرزدق المدينةَ فقلنا له: قدم علينا جرير فأَنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم، ومضى يُريدهم، فقال: أنشدونيها، فأَنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها:

وما زالت رُقاك تَسُلُّ ضِغني ... وتُخرِج من مكامنها ضِبابي[2]
ويَرْقيني لك الحاوون حتى ... أَجابك حيَّةٌ تحت الحِجابِ

[الوافر]

قال: فجعل وجهُه يتغير، وعندنا كانون، ونحن في الشتاء، فلما رأَينا ما به

(١) السويق: الناعم من دقيق الحنطة والشعير.
(٢) ضِبابي: أحقادي.

قلنا: هَوِّنْ عليك يا أَبا فراس، فإنما هي لابن أبي جُمعةَ، قال: فانثنى سريعاً ليسجد، فأَصاب ناحية الكانون وجهه فأَدماه.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: أَخبرنا القحذميّ، قال:

لقي الفرزدق الحسين بن عليّ عليهما السلام متوجهاً إِلى الكوفة، خارجاً من مكةَ، في اليوم السادس من ذي الحجة، فقال له الحسين صلوات اللَّه عليه وآله: ما وراءَك؟ قال: يا ابنَ رسول اللَّه، أَنفُسُ الناس معَك، وأَيديهم عليك. قال: ويحَك، معي وِقْرُ بعير من كُتبهم يدعونني ويُناشدونني اللَّه، قال: فلما قتل الحسين صلوات اللَّه عليه، قال الفرزدق: فإِن غضبتِ العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أَنه سيدوم عزّها وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه ولم تتغير، لم يزدْها اللَّه إِلَّا ذلّاً إلى آخر الدهر، وأَنشد في ذلك:

فـإِن أَنـتـم لـم تـثـأروا لابـن خـيـركـمْ فـأَلـقـوا الـسـلاح واغـزلـوا بـالـمـغـازلِ

[الطويل]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: أَخبرني أَبو مسلم، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال:

أَنشد الراعي الفرزدق أَربع قصائد، فقال له الفرزدق: أُعيدها عليك، لقد أَتى عليَّ زمان ولو سمعت ببيت شعر وأَنا أَهوى في بئر ما ذهب عني.

قال الأَصمعي: وذلك أَن الإِنسان إذا هَوى في بئر ذهب عقله.

أَخبرنا عبد اللَّه، قال: حدثني أَبو مسلم الحرانيّ، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

تغدّى الفرزدق عندَ صديق له، ثم انصرف فمرّ ببني أَسد، فحدثهم ساعة، ثم استسقى ماء، فقال فتى منهم: أَو لبناً، فقال: لبناً، فقام إلى عسٍّ[1] فصبّ فيه رطلاً من خمر، ثم حلب عليه وناوله إياه، فلما كرعَ فيه انتفخت أَوداجه، واحمر وجهه، ثم ردّ العسَّ، وقال: جزاك اللَّه خيراً فإِني ما علمتك تحبُّ أَن تُحفيَ صديقك وتُخفي معروفك، ثم مضى وانصرف.

وأَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذميّ، قال:

---

(١) العسّ: القدح، أو الإناء الكبير.

كان الفرزدق أَراد امرأَة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهدَّدها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنوار امرأته، وقصت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلةً ثم أَعلميني. ففعلت، وجاءتِ النوار فدخلت الحجلة معَ المرأة، فلما دخل الفرزدق البيتَ أَمرتِ الجارية فأَطفأتِ السراج، وبادرتِ المرأة الحجلة، واتبعها الفرزدق فصار إِلى الحجلة، وقدِ انسلَّتِ المرأة خلف الحجلة، وبقيتِ النوار فيها فوقع بالنوار وهو لا يشكُّ أَنها صاحبته، فلما فرغ قالت له: يا عدوَّ اللَّه يا فاسقُ، فعرف نغمتها، وأَنه خُدِعَ، فقال لها: وأَنت هي؟ يا سبحانَ اللَّه، ما أَطيَبك حَراماً وأَردأَكِ حَلالاً.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذميّ، قال:

استعمل الحجاج الخِيار بن سَبرةَ المجاشعيّ على عُمانَ، فكتب إِليه الفرزدق يستهديه جاريةً، فكتب إِليه الخيار:

كتبتَ إليَّ تستهدي الجواري ... لقد أَنعظتَ من بلدٍ بعيدِ

[الوافر]

فأَجابه الفرزدق:

أَلا قال الخيارُ وكان جَهلاً ... قد استهدى الفرزدقُ من بعيدِ
فلولا أَن أُمَّك كان عَمِّي ... أَباها كنتَ أَخرسَ بالنشيدِ
وإن أَبي لعمُّ أَبيك لحًّا[1] ... وإنك حين أَغضب من أُسودي
إذاً لشددت شدَّة أَعوجيٍّ[2] ... يدقُّ شكيم مَجدول الحديدِ

[الوافر]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك قال: حدثنا القحذميّ عنِ الأَصمعيّ، قال:

سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] واللَّهُ غفور رحيم، فقال الفرزدق: فاقطعوا أَيديهما واللَّه غفور رحيم؟ فقال: ينبغي أن يكونَ هذا هكذا، قال: فقيل له إِنما هو «عزيز حكيم» قال: هكذا ينبغي أَن يكون.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا أَبو مسلم، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

---

(١) اللحى: القرابة اللصيقة بالنسب.

(٢) الأعوجي من الجياد: ما كان منسوباً إلى أعوج، من أفضل جياد الجاهلية.

مرَّ أَسماءُ بن خارجةَ الفزاريُّ على الفرزدق، وهو يهنأُ بعيراً له بنفسه، فقال له أَسماء: يا فرزدق، كسد شعرُك، واطرحتك الملوك، فصرت إلى مهنة إبلك، فقد أَمرت لك بمائة بعير فاقبضها، فقال الفرزدق فيه يمدحه:

إن السماح الذي في الناس كلّهمُ قد حازه اللَّه للمفضال أَسماءِ
يُعطي الجزيل بلا مَنٍّ يكدّرهُ عفواً ويُتبع آلاءً بنعماءِ
ما ضرّ قوماً إذا أَمسى يُجاورُهم أَلا يكونوا ذوي إِبلٍ ولا شاءِ

[البسيط]

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحةَ، قال: قال أَبو عُبيدةَ:

دخل الفرزدق على بلال بن أَبي بُردةَ، فأَنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فإِن أَبا موسى خليلُ محمدٍ وكَفّاه يُمْنَى للهدى وشِمالُها

[الطويل]

فقال ابن أبي بُردة: هلكتَ واللَّهِ يا أَبا فِراس، فارتاع الشيخ وقال: كيف ذاك؟ قال: ذهب شِعرك، أَين مثلُ شعرِك في سعيد وفي العباسِ بن الوليد؟ وسمّى قوماً، فقال: جِئني بحسب مثل أَحسابهم حتى أَقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى دُعي له بطست فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن، فكلّمه فيه جُلساؤه، وقالوا: قد كفاك الشيخ نفسَه، وقلما يبقى حتى يموت، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال حدثنا سعيد بن همام اليماميّ، قال:

شرب الفرزدق شراباً باليمامة، وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إن الغُلمة قد آذتني، فاكسبني بغيّاً، قال: من أَين أُصيب لك هاهنا بغياً؟ قال: فلا بدَّ لك من أَن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية، فقال: هل من امرأة تقبَل[1] فإِن معيَ امرأتي أَخذها الطَّلق، فبعثوا معَه امرأَة، فأَدخلها على الفرزدق وقد غطاه، فلما دنت منه واثبها، ثم ارتحل مبادراً وقال: كأَين بابن الخبيثة يعني جريراً وقد بلغه هذا الخبر، قد قال:

(١) امرأة تقبل: هي التي تساعد النفساء، فتأخذ الوليد وتعتني بالأم وولدها.

صوت

وكـــنـــتَ إذا حـــلـــلـــت بـــدار قـــوم رحـــلـــت بـــخـــزيـــةٍ وتـــركـــت عـــارا

[الوافر]

قال: فبلغ جريراً الخبرُ فهجاه بهذا الشعر:

قال: وأَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى قال: قال أَبو نهشل: حدثنا بعض أَصحابنا، قال:

وقف الفرزدق على الشَّمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمر بهذا البيت.

ومـا بـيـن مـن لـم يُـعـطِ سـمـعـاً وطـاعـةً وبـيـن تـمـيـم غـيـرُ جـزء الـحـلاقـم[1]

[الطويل]

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركنّ هذا البيت لي أو لتتركنَّ عِرضَك، فقال خُذْه لا باركَ اللَّه لك فيه، فهو في قصيدته التي ذكر فيها قُتيبةَ بن مسلم، وهي التي أَولها، قوله:

تـحـن بـذوراءِ الـمـديـنـة نـاقـتـي حَـنِـيـنَ عَـجـولٍ تـبـتـغـي الـبـوَّ[2] رائـم

[الطويل]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

جاءتِ امرأة إلى قبر غالب أَبي الفرزدق فضربت عليه فُسطاطاً[3]، فأَتاها فسأَلها عن أَمرها، فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أَمر نزل بي، قال لها وما هو، قد ضمنت خلاصَك منه، قالت: إن ابناً لي أُغزيَ إِلى السند معَ تميم بن زيد، وهو واحدي، قال: انصرفي، فعليَّ انصرافهُ إِليك إن شاء اللَّه، قال: وكتب من وقته إِلى تميم بقوله:

تـمـيـمَ بـنَ زيـدٍ لا تـكـونـنّ حـاجـتـي بـظـهـرٍ فـلا يـخـفـى عـلـيَّ جـوابُـهـا

وَهـب لـي حُـبـيـشـاً واتـخـذ فـيـه مِـنَّـة لـحـرمـة أمٍّ مـا يـسـوغ شـرابُـهـا

(١) الحلاقم، الواحد حلقوم: الحلق.

(٢) البوّ: ولد الناقة، جلد الحوار أي ولد الناقة يُحشى تبناً أو غيره فيقرّب من أم الفصيل وتعطف عليه فتدرّ لبنها.

(٣) الفسطاط: الخيمة العظيمة.

أَتـتـنـي فـعـاذت يـا تـمـيـمُ بـغـالـبٍ وبـالـحـفـرةِ الـسـافـي[1] عـلـيـه تُـرابُـهـا
[الطويل]

قال: فعرض تميم جميع من معَه من الجند، فلم يدع أَحداً اسمه حبيش ولا حنيش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إِلى أَهله.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأَصمعي، قال:

مر الفرزدق بصديق له، فقال له: ما تشتهي يا أَبا فِراس؟ قال: شِواءً رَشراشاً، ونبيذاً سعبراً، وغِناء يفتق السمع. الرَّشراش: الرَّطب، والسَّعبر: الكثير.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني السعديّ عن أَبي مالك الزيديّ، قال: أَتينا الفرزدق لنسمعَ منه شيئاً، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في مِلحفة، فقال لنا: يا أَعداءَ اللَّه ما اجتماعكم ببابي؟ واللَّهِ لو أَردت أَن أزنيَ ما قدرت.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا أَبو مسلم، قال: حدثنا الأَصمعيّ عن هشام بن القاسم، قال:

قال الفرزدق: قد علم الناس أَني فحل الشعراء، وربما أَتت عليَّ الساعةُ لقلعُ ضرس من أَضراسي أَهون عليّ من قول بيت شعر.

حدثنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا أَبو مسلم، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

كان الفرزدق وأَبو شقفل راويته في المسجد، فدخلتِ امرأَة تسأل عن مسألة، وتوسمت فرأت هيئة أَبي شقفل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق:

أبـو شـقـفـل شـيـخ عـنِ الـحـق جـائـرٌ بـبـاب الـهـدى والـرشـدِ غـيـرُ بـصـيـرِ
[الطويل]

فقالتِ المرأة: سبحان اللَّه، أَتقول مثل هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أَبو شقفل: دعيه فهو أَعلم بي.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

خرج الفرزدق حاجًّا: فمرّ بالمدينة، فأَتى سُكينةَ بنت الحسين صلوات اللَّه عليه

(١) السافي: الريح التي تحمل معها التراب.

وآله، فقالت: يا فرزدقُ، من أَشعر الناس؟ قال: أَنا. قالت: كذبت، أَشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنُّبه عزيزٌ ... عليّ ومن زيارتُه لِمامُ
ومن أَمسى وأَصبح لا أَراه ... ويطرقني إذا هجع النيامُ

[الوافر]

فقال: واللَّهِ لو أَذنتِ لي لأَسمعتك أَحسن منه، فقالت: أقيموه، فأَخرجوه، ثم عاد إِليها في اليوم الثاني، فقالت له:

يا فرزدقُ، من أَشعر الناس؟ قال: أَنا، قالت: كذبت، أَشعر منك الذي يقول:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ... ولزرتُ قبركِ والحبيب يزارُ
لا يلبث القُرفاءُ[1] أَن يتفرّقوا ... ليلٌ يكرّ عليهمُ ونهارُ
كانت إِذا هجر الضجيعُ فراشَها ... كُتِمَ الحديثُ وعفَّتِ الأَسرارُ

[الكامل]

قال: أَفأَسمعك أَحسنَ منه؟ قالت: اخرج، ثم عاد إِليها في اليوم الثالث، وعلى رأْسها جارية كأَنها ظبية، فاشتدّ عجبه بها، فقالت، يا فرزدقُ، من أشعر الناس؟ قال: أنا: قالت: كذبت، أَشعر منك الذي يقول:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلتنا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حِراكَ له ... وهنَّ أَضعفُ خلق اللَّه أَركانا

[البسيط]

ثم قالت: قم فاخرج، فقال لها: يا بنتَ رسول اللَّه ﷺ إن لي عليكِ لحقّاً، إذ كنتُ إنما جئت مسلِّماً عليكِ، فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أَردتُ أَن أُسمعَك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري، والمنايا تغدو وتروح، ولا أدري لعلي لا أُفارق المدينة حتى أَموت، فإِن مِتُّ فمُري من يدفنني في حِر هذه الجارية التي على رأْسك، فضحكت سُكينة حتى كادت تخرج من ثيابها، وأمرت له بالجارية، وقالت: أَحسِنْ صُحبتَها، فقد آثرتك بها على نفسي. قال: فخرج وهو آخذ بريطتها.

أخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

---

(١) القرفاء، الواحد قِرف، بكسر القاف: الكثير المباشرة للذنوب.

وفد الحُتات عمّ الفرزدق على معاويةَ، فخرجت جوائزهم فانصرفوا، ومرض الحُتات فأَقام عندَ معاويةَ حتى مات، فأَمر معاوية بماله فأدخل في بيت المال، فخرج الفرزدق إِلى معاويةَ، وهو غلام، فلما أَذن للناس دخل بين السماطين[١]، ومثل بين يدي معاويةَ، فقال:

أَبـوك وعـمّـي يـا مـعـاوي أَورثـا تُـراثـاً فـيـحـتـازُ الـتـراثَ أَقـاربُـهْ
فـمـا بـالُ مـيـراثِ الـحُـتـاتِ أَكـلـتـه ومـيـراثُ حـربٍ جـامـدٌ لـي ذائـبُـهْ
فـلـو كـان هـذا الأَمـر فـي جـاهـلـيَّـةٍ عـلـمـتَ مـنَ الـمـولـى الـقـلـيـلُ حـلائـبُـهْ
ولـو كـان هـذا الأَمـر فـي مِـلـك غـيـركـم لأَدَّاه لـي أَو غـصّ بـالـمـاء شـاربُـهْ

[الطويل]

فقال له معاوية: مَنْ أَنت؟ قال: أَنا الفرزدق بن غالب، فقال: ادفعوا إليه مِيراث عمّه الحُتات، فكان أَلف دينار، فدُفع إِليه.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثني أبو حمزةَ الأَنصاريّ، قال: أَخبرنا أَبو زيد، قال: قال أَبو عُبيدةَ:

إنصرف الفرزدق من عند بعض الأُمراء في غداة باردة، وأَمر بجزور فنُحرت، ثم قسمها وأَغفل امرأة من بني فُقيم، نسيَها، فرجزت به فقالت:

فـيـشـلـةٌ[٢] هـدلاءُ[٣] ذاتُ شِـقـشِـقِ[٤] مـشـرفـة الـيـافـوخ[٥] والـمُـحَـوَّقِ[٦]
مُـدمـجـة ذات حِـفـافٍ أَخْـلـقِ نِيطت[٧] بحقوَيْ[٨] قطم[٩] عشنَّقِ[١٠]

[الرجز]

أَولـجـتُـهـا فـي سـبَّـة[١١] الـفـرزدق

قال أَبو عُبيدةَ: فبلغني أَنه هرب منها فدخل في بيت حمّاد بن الهيثم، ثم إِن الفرزدق قال فيها بعد ذلك:

قـتـلـتْ قـتـيـلاً لـم يـرَ الـنـاس مـثـلـه أَقـلِّـبـه ذا تـومـتـيـن[١٢] مُـسـوَّرا[١٣]

(١) السمطين: الصفين.
(٢) الفيشلة: رأس الذكر.
(٣) هدلاء: مسترخية.
(٤) الشقشق: شيء يخرجه البعير من فمه إذا هاج.
(٥) اليافوخ: الرأس.
(٦) المحوّق: ما استدار بالكمرة من حروفها.
(٧) نيطت: علّقت.
(٨) الحقو: الخصر.
(٩) القطم: الذي يشتهي اللحم والنكاح.
(١٠) العشنق: الطويل.
(١١) السبة: الإست.
(١٢) التومة: اللؤلؤة.
(١٣) المسوّر: ذو الأساور.

حملتُ عليه جُملةً فطعنته ... فغادرته فوق الحشايا[1] مُكوَّرا[2]
ترى جُرحه من بعد ما قد طعنته ... يفوحُ كمثلِ المِسكِ خالط عنبرا
وما هو يومَ الزّحف بارزَ قرنَه ... ولا هو ولَّى يوم لاقى فأَدبرا
بني دارمٍ ما تأْمرون بشاعرٍ ... يَرُود الثنايا ما يزالُ مزعفرا
إذا ما هو استلقى رأَيْت جهازه ... كمقطع عُنق الناب أَسود أَحمرا
وكيف أُهاجي شاعراً رمحُه استه ... أَعدَّ لليوم الرّوع درعاً ومجمرا

[الطويل]

فقالتِ المرأَة: أَلا لا أَرى الرجال يذكرون مني هذا. وعاهدتِ اللَّه أَن لا تقول شعراً، فسقطت.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا أَبو مسلم، قال: حدثني الأَصمعيّ، قال:

مرّ الفرزدق يوماً في الأَزْد، فوثب إليه ابن أَبي علقمةَ لينكحَه، وأَعانه على ذلك سفهاءُ من سفهائهم، فجاءت مشايخ الأَزْد، وأَولو النّهى منهم، فصاحوا بابن أَبي علقمةَ، وبأُولئك السفهاء، فقال لهم ابن أبي علقمةَ: ويلكم أَطيعوني اليوم واعصوني الدهر، هذا شاعر مضرَ ولسانُها، وقد شتم أَعراضكم، وهجا ساداتكم، واللَّهِ لا تنالون من مضرَ مثلها أَبداً. فحالوا بينه وبينه، فكان الفرزدق يقول بعدَ ذلك: قاتله اللَّه، أَي واللَّهِ، لقد كان أَشار عليهم بالرأي.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبيّ:

قال إِبراهيمُ بن محمد بن سعد بن أبي وقَّاص.

وأَخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ، وعليّ بن سُليمانَ الأَخفشُ جميعاً عنِ السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عُبيدةَ عنِ الكلبيّ، قال:

وأَخبرنا به إِبراهيمُ بن سعدانَ، عن أَبيه، عن أَبي عُبيدةَ، قالوا جميعاً:

قدم الفرزدق المدينةَ في إمارة أَبان بن عُثمانَ، فأَتى والفرزدقُ وكثيِّرُ عَزَّة، فبينا هما يتناشدانِ الأَشعار، إذ طلع علينا غلام شَخت[3] رقيق الأَدمة، في ثوبينِ ممصَّرين،

(١) الحشايا، الواحد حشا: وهو ما انضمّت عليه الحوايا.
(٢) مكوّر: دائري الشكل.
(٣) الشخت: الضامر الخصر.

فقصد نحوَنا حتى انتهى إلينا، فلم يُسلم وقال: أَيكم الفرزدق؟ فقلت مخافةَ أَن يكون من قريش: أَهكذا تقول لسيد العرب وشاعرِها؟ فقال: لو كان كذلك لم أَقل له هذا. فقال له الفرزدق: من أَنت لا أُمَّ لك؟ قال: رجلٍ منَ الأَنصار، ثم من بني النجار، ثم أَنا ابن أَبي بكر بن حزم، بلغني أَنك تزعم أَنك أَشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرُنا حسان بن ثابت شعراً، فأَردت أَن أَعرضَه عليك: وأُؤجلك فيه سنة، فإِن قلت مثله فأَنت أَشعر العرب كما قيل، وإِلا فأَنت منتحل كذاب، ثم أَنشده:

أَلـم تـسـأَلِ الـرَّبْـع الـجـديـدَ الـتـكـلُّـمـا

حتى بلغ إلى قوله:

وأَبـقـى لـنـا مَـرُّ الـحـروب ورُزؤُهـا ... سـيـوفـاً وأدراعـاً وجَـمْـعـاً عـرمـرمـا[١]
مـتـى مـا تُـرِدْنـا مـن مَـعـدٍّ عِـصـابـةٌ ... وغـسـان نـمـنـع حـوضـنـا أَن يُـهـدَّمـا
لـنـا حـاضـرٌ فَـعْـمٌ[٢] وبـادٍ كـأَنـه ... شـمـاريـخ[٣] رَضْـوَى[٤] عِـزَّةً وتـكـرُّمـا
بـكـلِّ فـتًـى عـاري الأَشـاجـع[٥] لاحـهُ[٦] ... قِـراعُ الـكُـمـاةِ[٧] يَـرْشَـحُ الـمِـسكَ والـدَّمـا
ولـدْنـا بـنـي الـعـنـقـاءِ وابـنـي مُـحـرِّق ... فـأَكـرِمْ بـذا خـالاً وأَكـرِمْ بـذا ابـنـمـا
يُـسـوِّد ذا الـمـالِ الـقـلـيـل إذا بـدت ... مـروءتُـه فـيـنـا وإِنْ كـان مُـعـدَمـا
وإنـا لَـنَـقْـري الـضـيـف إن جـاءَ طـارقـاً ... منَ الـشـحْـمِ ما أَمسى صَحيحاً مُسلَّما
لنا الجفناتُ[٨] الغرُّ[٩] يلمعن بالضحى ... وأَسـيـافُـنـا يـقـطُـرْن مـن نَـجْـدةٍ دَمـا

[الطويل]

فأَنشده القصيدة، وهي نيّف وثلاثون بيتاً، وقال له: قد أَجلتك في جوابها حولاً، فانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءَه، وما يدري أَية طرفة يذهب حتى خرج منَ المسجد. وأَقبل على كثير فقال لي: قاتل اللَّه الأَنصاريّ، ما أَفصَح لهجتَه،

(١) العرمرم من الجيوش: العظيم.
(٢) الفعم: الممتلئ.
(٣) شماريخ، الواحد شمراخ: الذرى أو رأس الجبل.
(٤) رضوى: جبل.
(٥) الأشاجع: أصول الأصابع أو عروق ظاهر الكف.
(٦) لاحه: غيره.
(٧) الكماة، الواحد كمي: البطل المدجج بالسلاح.
(٨) الجفنات، الواحدة جفنة: القصعة العظيمة يُطبخ فيها.
(٩) الغرّ: المشهورات.

وأَوضحَ حجتَه، وأَجود شِعرَه، فلم نزل في حديث الأَنصاريّ والفرزدق بقية يومنا، حتى إذا كان منَ الغد خرجت من منزلي إلى المجلس الذي كنت فيه بالأَمس، فأَتاني كثير فجلس معي، فإنّا لنتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعري ما صنع، إِذ طلع علينا في حُلّة أَفوافٍ[1]، قد أَرخى غديرتَه حتى جلس في مجلسه بالأَمس، ثم قال: ما فعل الأَنصاريّ فنلنا منه وشتمناه، فقال: قاتله اللَّه، ما مُنيت بمثله، ولا سمعت بمثل شعره، فارقته وأَتيت منزلي، فأَقبلت أَصعد وأُصوب في كل فن من الشعر، فكأَني مُفحم لم أَقل شعراً قطّ، حتى إذا نادى المنادي للفجر رحلت ناقتي، وأَ خذت بزمامها، حتى أَتيت ريااً، وهو جبل بالمدينة ثم ناديت بأَعلى صوتي: أَخاكم أَخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل[2] فعلقتُ ناقتي، وتوسدت ذراعها، فما قمت حتى قلت مائة بيت منَ الشعر وثلاثةَ عَشَرَ بيتاً: فبينا هو يُنشد إذ طلع الأَنصاريّ حتى إذا انتهى إِلينا سلَّمَ علينا ثم قال: أَما أَني لم آتك لأعجلك عنِ الأَجل الذي وقته لك، ولكني أَحببت أَن لا أَراك إِلا سألتك أيش صنعت، فقال له اجلس وأَنشده قوله:

عزفت بأعشاش وما كدت تعْزفُ وأَنكرت من حدراءَ ما كنت تعرفُ
ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأَنما ترى الموت في البيت الذي كنت تأْلفُ

[الطويل]

وفي رواية ابن حبيب: يتلهف حتى بلغ إِلى قوله:

ترى الناس ما سِرْنا يسيرون خلفَنا وإن نحن أَوْمأْنا إِلى الناس وقفُوا

[الطويل]

وأَنشدها الفرزدق حتى بلغ إِلى آخرها، فقام الأَنصاريّ كئيباً، فلما توارى طلع أَبوه أَبو بكر بن حزم في مشيخة منَ الأَنصار، فسلَّموا علينا وقالوا: يا أَبا فِراس، قد عرفت حالَنا ومكانَنا من رسول اللَّه ﷺ، وقد بلغنا أَن سفيهاً من سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألك بحق اللَّه وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول اللَّه ﷺ ووهبتنا له ولم تفضحنا. قال محمد بن إِبراهيم: فأَقبلت عليه أُكلمه، فلما أَكثرنا عليه، قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي.

حدثنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأَصمعيّ، قال:

---

(١) الأفواف: فضفاضة واسعة.

(٢) المرجل: الزق الملآن بالخمرة.

قدِمَ الفرزدق الشامَ، وبها جرير الخطفيّ، فقال له جرير: ما ظننت أَنك تقدم بلداً أَنا فيه. فقال له الفرزدق: إِني طالما أَخلفت ظنّ العاجز.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو مِخْنف.

كان الفرزدق لعنة أَيَّ يتلعن به كأَنه لعنة على قوم، وكان جرير شهاباً من شهبه.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا الأَزديّ، قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أَبيه، قال: قال أَبو عمرو بن العلاء:

مرّ الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أَبي سُويد، وهو على ناقة فقال له: غَدّني قال: ما يحضرني غداء، قال: فاسقني سويقاً[1]، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذاً، قال: أو صاحبَ نبيذ عهدتني؟ قال: فما يُقعدك في الظل؟ قال: فما أَصنع؟ قال: أطلُ وجهَك بدبس[2] ثم تحوّل إِلى الشمس واقعد فيها حتى يُشبه لونُك لون أَبيك الذي تزعمه. قال أَبو عمرو: فما زال ولد محمد يُعيبون بذلك من قول الفرزدق.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحةَ، قال: حدثنا أَبو عُبيدةَ عن أَبي عمرو بن العلاء، قال:

أُخبرت عن هشام بن القاسم العنزيّ أنه قال: جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أَنت؟ قال: أَما تعرفني؟ قلت: لا: قال: فأَنا أَبو فِراس، قلت: ومن أَبو فِراس؟ قال: أَنا الفرزدق، قلت: ومنِ الفرزدق؟ قال: أَوما تعرف الفرزدق؟ قلت: أَعرف الفرزدق أنه شيء يتَّخذه النساء عندَنا يتسمن به فضحك، ثم قال: الحمد للَّه الذي جعلني في بطون نسائكم.

أَخبرني عبد اللَّه بن مالك قال: حدث محمد بن حبيبٍ، قال: قال النضر بن حديد.

مرّ الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً، فأَخذوه، وكان جَباناً، فقالوا: واللَّهِ لتلقين منا ما تكره، أَو لتنكحنَّ هذه الأتان. وأتوه بأَتان، فقال: ويلكم اتقوا اللَّه، فإِنه شيء ما فعلته قطّ، فقالوا: إِنه واللَّهِ لا يُنجيك إِلَّا الفعل. فقال: أَمَّا إذا أَبيتم فأْتوني

(١) السويق: دقيق الطحين من القمح والشعير.
(٢) الدبس، بكسر الباء: عسل العنب والتمر وعسل النحل.

بالصخرة التي يقوم عليها عطية: فضحكوا وقالوا: اذهب لاصبَّحك اللَّه.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني العتبيّ، قال:

دخل الفرزدق على قوم يشربون عندَ رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتى أسود، وعلى رأسه إكليل، فلم يَحفل[1] بالفرزدق ولم يحْف تهاوناً، فغضب الفرزدق من ذلك؟ وقال:

جُلوسُك في صدر الفِراش مذلةٌ ورأْسُك في الإِكليل إحدى الكبائرِ
وما نطفتْ كأْس ولا لذَّ طعْمُها ضربتَ على حافاتها بالمشافرِ

[الطويل]

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني العتبيّ، قال:

لما مات وكيع بن أَبي سويد أَقبل الفرزدق حين أُخرج، وعليه قميص أَسود، وقد شقَّه إِلى سُرَّته، وهو يقول:

فمات ولم يوَتر وما من قبيلةٍ منَ الناس إلا قد أَثابَ على وترِ
وإن الذي لاقى وكيعاً ونالَه تناول صدِّيقَ النبيَّ أَبا بكرِ

[الطويل]

قصيدته في زين العابدين:

قال فعلَّق الناس الشعر فجعلوا يُنشدونه حتى دُفِن، وتركوا الاستغفار له.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا عليُّ بن الحسن الهاشميّ، عن حيان بن عليّ العنزيّ، عن مجالد عنِ الشّعبيّ، قال:

حجَّ الفرزدق بعدَ ما كبُر وقد أَتت له سبعون سنةً، وكان هشام بن عبد الملك قد حجَّ في ذلك العام، فرأى عليّ بن الحسين في غِمار الناس في الطواف، فقال: مَنْ هذا الشاب الذي تبرق أَسارير وجهه كأَنه مِرآةٌ صينيةٌ تتراءى فيها عذارى الحيِّ وجوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أَبي طالب. فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرَمُ

(١) لم يحفل: لم يبالِ لم يهتمّ.

هـذا ابـنُ خـيـر عـبـاد الـلَّـه كـلِّـهـمُ ... هـذا الـتـقـيُّ الـنـقـي الـطـاهـرُ الـعـلـمُ
هـذا ابـن فـاطـمـةٍ إن كـنـت جـاهـلَـه ... بـجـدِّه أَنـبـيـاءُ الـلَّـه قـد خُـتِـمُـوا
ولـيـس قـولُـك مَـنْ هـذا بـضـائـره ... ألـعُـرب تـعـرف مـن أَنـكـرتَ والـعـجـمُ
إذا رأَتـه قـريـشٌ قـال قـائـلـهـا ... إلـى مـكـارم هـذا يـنـتـهـي الـكـرمُ
يُـغـضـي حـيـاءً ويُـغـضـى مـن مـهـابـتـه ... فـمـا يُـكـلَّـم إلا حـيـن يـبـتـسـمُ
بـكـفّـه خَـيـزرانٌ ريـحُـهُ عـبـقٌ ... مـن كـفِّ أَروع فـي عِـرنـيـنـه[1] شَـمَـمُ
يـكـادُ يُـمـسـكُـه عِـرفـانَ راحـتـه ... ركـنُ الـحـطـيـم إذا مـا جـاء يـسـتـلـمُ
ألـلَّـه شـرَّفـه قِـدمـاً وعـظَّـمـه ... جـرى بـذاك لـه فـي لـوحِـه الـقـلـمُ
أَيّ الـخـلائـق لـيـسـت فـي رقـابـهـمُ ... لأَوَّلـيـة هـذا أَولَـهُ نِـعـمُ؟!
مَـنْ يـشـكـر الـلَّـهَ يـشـكـرْ أَوَّلـيـة ذا ... فـالـدِّيـن مـن بـيـت هـذا نـالـهُ الأُمـمُ
يُـنـمـى إلـى ذِروةِ الـديـن الـتـي قـصُـرت ... عـنـهـا الأَكـفّ وعـن إدراكـهـا الـقـدمُ
مَـنْ جَـدّهُ دانَ فـضـلُ الأَنـبـيـاء لـه ... وفـضـلُ أُمـتـه دانـت لـه الأُمـمُ
مـشـتـقـةٌ مـن رسـول الـلَّـه نـبـعـتُـه[2] ... طـابـت مـغـارسُـه والـخـيـمُ[3] والـشّـيـمُ
يـنـشـقُّ ثَـوبُ الـدجـى عـن نـور غـرَّتـه[4] ... كـالـشـمـس تـنـجـاب[5] عـن إشـراقـهـا الـظُّـلـمُ
مـن مـعـشـرٍ[6] حـبُّـهـم ديـنٌ وبـغـضُـهـمُ ... كُـفـر وقُـربـهـمُ مـنـجًـى ومـعـتـصَـمُ
مُـقـدَّمٌ بـعـدَ ذِكـر الـلَّـه ذكْـرهـمُ ... فـي كـلّ بـرٍّ ومـخـتـوم بـه الـكَـلـمُ
إن عُـدَّ أَهـلُ الـتـقـى كـانـوا أَئـمـتـهـم ... أَو قِـيـل: مـن خـيـرُ أَهـل الأَرض قِـيـل: هـمُ
لا يـسـتـطـيـعُ جـوادٌ كـنْـهَ جـودهـمُ ... ولا يُـدانـيـهـم قـومٌ وإِن كـرُمُـوا
يُـسـتـدفـعُ الـشـرُّ والـبـلـوى بـحـبـهـمُ ... ويُـسـتـربُّ بـه الإحـسـانُ والـنِّـعـمُ

[البسيط]

وحدثني بهذا الحديث أَحمد بنُ الجعد، قال: حدثنا أَحمد بن القاسم البريّ، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعيّ.

فذكر أَن هِشاماً حجَّ في حياة أَبيه، فرأى عليّ بن الحسين يطوف بالبيتِ،

(١) العرنين: الأنف.
(٢) نبعته: أصله.
(٣) الخيم: الطبيعة والسجية.
(٤) غُرّته: جبهته.
(٥) تنجاب: تنكشف.
(٦) معشر: قوم.

والناس يفرجون[1] له، فقال: مَنْ هذا؟ فقال الأَبرش الكلبيّ: ما أَعرفه. فقال الفرزدق: لكني أَعرفه.. فقال: مَنْ هو؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته.

وذكر الأَبيات، قال: فغضب هِشام فحبسه بين مكةَ والمدينةِ، فقال الفرزدق:

أَتحبسني بينَ المدينة والتي ... إِليها قلوبُ الناس يَهوي مُنيبُها؟!
يقلّب رأْساً لم يكن رأْس سيِّد ... وعيناً له حولاءَ بادٍ عُيوبُها
[الطويل]

فبلغ شعره هِشاماً فوجَّه فأَطلقه.

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا الهيثم بن عديّ، قال: أَخبرنا أَبو روح الراسبيّ، قال:

لما وليَ خالدُ بن عبد اللَّه العراقَ ولّى مالك بنَ المنذر شرطة البصرة، فقال الفرزدق:

ينغّص فينا شرطة المِصر أَنني ... رأَيت عليها مالكاً عقبَ الكلبِ
[الطويل]

قال: فقال مالك: عليَّ به، فمضوا به إِليه، فقال:

أَقول لنفسي إذ تغصُّ بريقها ... أَلا ليت شِعري ما لها عند مالكِ
[الطويل]

قال: فسمع قوله حائك، فطلع من طِرازه، فقال:

لها عنده أَن يُرجع اللَّهُ ريقَها ... إِليها وتنجو من عظيم المهالكِ
[الطويل]

قال: فقال الفرزدق: هذا أَشعر الناس، وليعودَن مجنوناً يصيح الصبيان في أَثره.

أَخبرَنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عليّ بن سعيد، قال: حدثني القحذِميّ، قال: فلما أَتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق، قال: هيه، عقب الكلب، قال ليس هكذا قلت، وإِنما قلت:

أَلم ترني بالصوت ناديتُ مالكاً ... ليسمعَ لما غصّ من ريقه الفمُ

(١) يفرجون: يفسحون.

أَعـوذ بـقـبـرٍ فـيـه أَكـفـانُ مـنـذر فـهـنَّ لِأَيـدي الـمـسـتـجـيـريـنَ مـحـرَمُ
[الطويل]

قال: لقد عذت بمعاذٍ وخلى سبيله.

أَخبرنا عبد اللَّه، قال: حدثني محمد بن موسى، قال:

كتب خالد القسريّ إلى مالك بن المنذر يأْمره بطلب الفرزدق. ويذكر أنه بلغه أَنه هجاه وهجا نهره المبارك، وهو النهر الذي بواسط كان خالد حفره فاشتد مالك في طلبه حتى ظفِرَ به في البراجم، فأَخذه وحبسه، ومروا به على بني مجاشع، فقال: يا قومُ اشهدوا أَنه لا خاتم في يدي وذلك أَنه أَخذ عُمر بن يزيدَ بن أَسيدَ فحبسَه ثم أَمر به فلويت عنقه، ثم أَخرجوه ليلاً إلى السجن فجعل رأْسه ينقلب، والأَعوان يقولون له: قوّم رأْسك، فلما أَتوْا به السَّجانَ قال: لا أَتسلمه منكم ميتاً، فأَخذوا المفاتيح منه وأَدخلوه الحبس، فأَصبح ميتاً، فسمعوا أَنه مصَّ خاتمه وكان فيه سمّ، فمات وتكلم الناس في أَمره، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أَبيه، فقال: يا بني هل كان من خبر؟ قال: نعم عمر بن يزيدَ مصَّ خاتمه في الحبس وكان فيه سمّ فمات، فقال الفرزدق: وأَبوك واللَّهِ يا بني لئن لم يلحق بواسط ليمصَّ خاتمه، وقال في ذلك:

أَلـم يـكُ قـتـلُ عـبـد الـلَّـه ظُـلـمـاً أَبـا حـفـص مـنَ الـحُـرَم الـعِـظـام؟!
قـتـيـل عـداوةٍ لـم يـجـنِ ذنـبـاً يُـقـطَّـع، وهـو يـهـتـف بـالإمـام
[الوافر]

قال: وكان عمرُ عارض خالداً، وهو يصف لهشام طاعة أَهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم، فصفَّق عمرُ بن يزيدَ إحدى يديه على الأُخرى حتى سمع لهما في الإِيوان دويٌّ، ثم قال: كذب واللَّهِ يا أَميرَ المؤمنين، ما أَطاعتِ اليمانية ولا نصحت، أَليس هم أَعداءَك وأَصحاب يزيدَ بنِ المهلّب وابنِ الأَشعث، واللَّهِ ما ينعق ناعق إلا وهم أَسرعوا الوثبةَ إِليه، فاحذرهم يا أَميرَ المؤمنين. قال: فتبين ذلك في وجه هشام، ووثب رجل من بني أُميّةَ، فقال لعمرَ بن يزيدَ: وصلَ اللَّهُ رحمَك وأَحسنَ جزاءك، فلقد شددت من أَنس قومك، وانتهزتَ الفرصة في وقتها ولكني أَحسب هذا الرجل سيلي العراق، وهو منكر حسود وليس يخار لك إن ولي فلم يرتدع[1] عمر بقوله، وظنَّ أَنه لا يُقدم عليه، فلما وليَ لم تكن له هِمةٌ غيره حتى قتله: قال: ثم إِن مالكاً وجّه الفرزدق إِلى خالد، فلما قدِمَ به عليه وجدَه قد حجَّ،

(١) يرتدع: يرعوي.

واستخلف أَخاه أَسد بن عبد اللَّه على العراق، فحبسه أَسد، ووافق عندَه جريراً، فوثب ليشفعَ له، وقال: إن رأَي الأَمير أَن يهبَه لي. فقال أَسد: أَتشفع له يا جريرُ؟ فقال: إن ذلك أَذلُّ له أَصلح اللَّه الأَمير، وكلّم أَسداً ابنُه المنذرُ، فخلّى سبيله فقال الفرزدق في ذلك:

لا فضلَ إلا فضلُ أُمٍّ على ابنها ... كفضل أَبي الأَشبال عندَ الفرزدقِ
تَدَارَكني من هُوَّةٍ دون قعرِها ... ثمانونَ باعاً للطوال العَشَنَّقِ[1]

[الطويل]

وقال جرير يذكر شفاعته له:

وهل لك في عَانٍ وليس بشاكرٍ ... فتطلقَ عنه عَضّ مسِّ الحدائدِ؟!
يعودُ وكان الحنث[2] منه سَجيَّة[3] ... وإن قال: إني منتهٍ غير عائدِ

[الطويل]

أَخبرني عبد اللَّه، عن محمد بن موسى، قال: حدثني القحذميّ، قال:

كان سبب هرب الفرزدق من زياد، وهو على العراق أَن كان قد هجا بني فُقيم، فقال فيهم أَبياتاً منها:

وآبَ الوفد وفدُ بني فُقَيم ... بأَخبثِ ما تؤوبُ به الوفودُ
أَتونا بالقرود مُعادِليها ... فصارَ الجَدُّ للجدِّ[4] السعيدُ

[الوافر]

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقيميّ والأَشهب بن رُميلةَ بأَبيات، منها قوله:

تمنَّى ابنُ مسعودٍ لقائي سَفاهةً ... لقد قال مَيناً[5] يومَ ذاك ومنكرا
غِناءٌ قليل عن فُقيم ونهشلٍ ... مقامُ هَجينٍ[6] ساعةً ثم أَدبرا

[الطويل]

يعني الأَشهب بن رُميلةَ، وكان الأَشهب خطب إِلى بني فُقيم فردُّوه وقالوا له: اهجُ الفرزدق حتى نزوّجَك فرجز به الأَشهب، فقال:

يا عجباً هل يركبُ القينُ الفَرسْ ... وعرَق القينِ على الخيل نجَسْ

---

(١) العشنق: الطويل.
(٢) الحنث: اليمين التي لم يف بموجبها.
(٣) سجيَّة: خلقاً.
(٤) الجَدّ، بفتح الجيم: الحظ.
(٥) المين: الكذب.
(٦) الهجين: ما كان غير صريح النسب.

وإنـمـا سـلاحُـهُ إذا جـلـسْ الـكـلـبـتـانِ[١] والـعَـلاةُ[٢] والـقَـبَـسْ[٣]

[الرجز]

فلما بلغ الفرزدقَ قولُه هجاه فأَرفَثَ له، وأَلح الفرزدق على النهشليينَ بالهجاء، فشكوه إلى زِياد، وكان يُزيد بن مسعود ذا منزلةٍ عندَ زياد، فطلبه زياد فهرب، فأَتى بكر بن وائل فأَجاروه، فقال الفرزدق يمدحهم:

إنـي وإن كـانـت تـمـيـمٌ عِـمـارَتـي وكنت إلى القُدموس[٤] منها القُماقِم[٥]

لـمـثـنٍ عـلـى أَبـنـاء بـكـرِ بـن وائـلٍ ثَـنـاءً يُـوافـي رُكـنـهـم فـي الـمـواسـم

هـمُ يـومَ ذي قـارٍ أَنـاخـوا فـجـالـدوا بـرأْس بـه تُـدْمـى رُؤُوس الـصَّـلادم[٦]

[الطويل]

وهرب حتى أَتى سعيد بن العاص، فأَقام بالمدينة يشربُ ويدخل إلى القِيان، وقال:

إذا شِئتُ غـنَّـانـي مـنَ الـعـاج قـاصـف[٧] عـلـى مـعـصـمٍ ريـان لـم يـتـخـدّد[٨]

لـبـيـضـاءَ مـن أَهـل الـمـديـنـة لـم تـعِـش بـبـؤْسٍ ولـم تـتـبـع حـمـولـة مُـجـحِـدِ[٩]

وقـامـت تُـخـشِّـيـنـي زِيـاداً وأَجـفـلـت حَـوالـيَّ فـي بُـرْدٍ يـمـانٍ ومُـجـسَـدِ[١٠]

فـقـلـتُ: دعـيـنـي مـن زِيـادٍ فـإِنـنـي أَرى الـمـوت وَقّـافـاً عـلـى كـلّ مـرصـدِ

[الطويل]

فبلغ شعرُه مروانَ، فدعاهُ وتوعَّدَه، وأَجّله ثلاثاً، وقال: اخرجْ عني، فأنشأ يقول الفرزدق:

دَعَـانـي ثـم أَجّـلـنـي ثـلاثـاً كـمـا وُعـدَتْ لـمـهـلـكِـهـا ثـمـودُ

[الوافر]

قال مروان: قولوا له عني إني أَجبته، فقلت:

قـل لـلـفـرزدق والـسـفـاهـةُ كـاسـمِـهـا إن كـنـتَ تـاركَ مـا أَمـرتُـك فـاجـلـسِ

(١) الكلبتان: آلة يستعملها الحدّادون. (٢) العلاة: السندان.
(٣) القبس: النار. (٤) القدموس: السيد.
(٥) القُماقم من الرجال: السيد الكريم الجواد يشمل بعطائه الناس.
(٦) الصلادم، الواحد صلدم: القوي في صلابته.
(٧) القاصف: من أقام في أكل وشرب ولهو وأكثر من ذلك.
(٨) لم يتخدّد من الهزال: لم يضطرب لحمه من الهزال ويتشنج.
(٩) المجحد: القليل الخير.
(١٠) المُسجد، بضم الميم: الثوب المصبوغ بالزعفران، وبكسر الميم: الذي يلي الجسد.

ودعِ المدينة إنها محظورةٌ والحقْ بمكةَ أو ببيت المقدسِ
[الكامل]

قال: وعزم على الشخوص إلى مكة، فكتب له مروانُ إلى بعض عماله ما بينَ مكةَ والمدينة بمائتي دينار، فارتاب بِكتاب مروان، فجاء به إِليه، وقال:

يا مرو إِن مطيّتي معقولةٌ ترجو الجِباء[1] وربُّها لم ييأسِ
وأَتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ يُخشى عليَّ بها جِباءُ النِّقرسِ[2]
أَلقِ الصحيفة يا فرزدقُ لا تكن نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمِّسِ
[الكامل]

قال: ورمى بها إلى مروان، فضحك وقال: ويحَك، إنك أُميّ لا تقرأ، فاذهب بها إِلى من يقرؤُها عليك، رُدّها حتى أَختمها، فذهب بها، فلما قرئت له إذا فيها جائزة، قال: فردّها إلى مروانَ فختمها، وأَمر له الحسين بن عليّ عليهما السلام بمائتي دينار، قال: ولما بلغ جريراً أَنه أُخرج عنِ المدينة، قال:

إذا حلَّ المدينةَ فارجموه ولا تُدنوه من جَدث[3] الرسولِ
فما يخفى عليه شرابُ حدٍّ ولا ورهاءُ[4] غائبةُ الحليلِ[5]
[الوافر]

فأَجابه الفرزدق فقال:

نعِتَّ لنا منَ الورهاءِ نعتاً قعدتَ به لأُمّك بالسبيلِ
فلا تبغي إذا ما غاب عنها عطيةُ غير نعتِك من خليلِ
[الوافر]

أَيامه الأَخيرة:

أَخبرنا عبد اللَّه بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أَبو عِكرمةَ الضبيّ، قال: أَخبرنا أَبو حاتم السجستانيّ عن محمد بن عبد اللَّه الأَنصاريّ، قال أَبو عِكرمةَ:

وحُكي لنا عن لبطةَ بن الفرزدق أَن أَباه أَصابته ذاتُ الجنب فكانت سبب وفاته، قال: ووُصف له أَن يشرب النفط الأَبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناه إِياه فقال: يا

(١) الجِباء، بكسر الحاء: العطاء.
(٢) النقرس: مرض يُصيب جلد الإنسان.
(٣) جدث: قبر.
(٤) الورهاء من النسوة: البلهاء، الغبيَّة.
(٥) الحليل: الزوج.

بنيَّ إنك عجِلْت لأَبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أَبتِ قل: لا إلهَ إلا اللَّه. وجعلت أُكررها عليه مراراً، فنظرَ إليَّ وجعل يقول:

وظلَّت تَعالى بالـيفاعِ كأَنها رماحٌ نَحاها وجهةَ الريح راكزُ

[الطويل]

فكان ذا هِجِّيْرَاهُ حتى مات.

أَخبرني أَبو خليفةَ، قال: حدثني محمد بن سلام، قال: حدثني شُعيب بن صخر، قال:

دخل بلال بن أَبي بُردةَ على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول:

أَروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمر جلّ عنِ الخِطابِ
إِلى مَنْ تَرْجِعُون إذا حَثَوْتم بأَيديكم عليَّ منَ التُّرَابِ؟!

[الوافر]

فقال: بلال إلى اللَّه عزّ وجل.

أَخبرني الحسين بن يحيى، عن حمادٍ عن أَبيه عنِ الأَصمعيّ، قال:

كان الفرزدق قد دبر عبيداً له، وأَوْصى بِعِتقهم بعدَ موته وبدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر أَهل بيته، وجعل يقول:

أَروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمر جلّ عن الخِطابِ
إِلى مَنْ تفزعون إذا حَثَوْتُمْ بأَيديكم عليَّ منَ التُّرابِ؟!

[الوافر]

فقال له بعض عبيده ـ الذين أَمر بعِتقهم ـ إلى اللَّه. فأَمر ببيعه قبل وفاته، وأَبطل وصيتَه فيه.

أَخبرنا الحسن بن عليّ عن بِشر بن موسى عنِ الحُميديّ، عن سُفيانَ.

عن لبطةَ بن الفرزدق، قال: لما احتُضِر أَبو فِراس، قال: أي لبطةُ، أَبغني كِتاباً أَكتب فيه وَصِيتي، فأَتيته بكِتاب، فكتب وصيته:

أَروني مَنْ يقومُ لكم مقامي

فقالت مولاةٌ له البيتينِ اللّذينِ تقدّم ذكرهما ـ قد كان أَوصى لها بوصية ـ إلى اللَّه عزّ وجل، فقال: يا لبطةُ امحُها مِنَ الوصية.

قال سفيان: نِعْمَ ما قالت وبأْس ما قال أَبو فِراس:

وقال عَوانةُ: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه: أوصِ، فقال:

أُوصِّي تميماً إِنْ قُضاعةُ ساقَها ... نَوى الغيث[1] عن دارٍ بدومةَ أَو جدبِ
فإِنهم الأَكْفاء[2] والغيثُ دولةٌ ... يكون بشرق من بلاد ومن غربِ
إِذا انتجعت كلبٌ عليكم فوسّعوا ... لها الدار في سهل المقامة والرحبِ
فأَعظمُ من أَحلام عادٍ حلومُهم ... وأَكثر إِن عُدّ العديدُ منَ التربِ
أَشدُّ حِبالٍ بين حَيَّينِ مرَّةً ... حِبالٌ أُمرَّت من تَميمٍ ومن كَلْبِ

[الطويل]

قال: وتوفي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأَيام فصلّى عليه ثم التفت إِلى الناس، فقال:

وما نحتُ إِلَّا مثلهم غيرَ أَننا ... أَقمنا قلِيلاً بعدَهم وتقدموا

[الطويل]

قال: فلم يلبث إِلا أَياماً حتى مات.

قال المدائنيّ: وقال لبطة: أُغمِيَ على أَبي، فبكينا، ففتح عينيه وقال: أَعليَّ تبكون؟ فقلنا: نعم، أَفعلى ابن المُراغة نَبكي؟ فقال: ويحَكم، أَهذا موضعُ ذِكره؟ وقال:

إِذا ما دُبّتِ الأَنقاءُ[3] فوقي ... وصاحَ صدًى عليَّ معَ الظّلامِ
فقد شَمتت أَعاديكم، وقالت: ... أُدانيكم مِنَ ٱينَ لنا المحامي؟!

[الوافر]

أَخبرني أَبو خليفةَ الفضلُ بن الحُباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أَبو العرَّاف، قال:

نُعي الفرزدق لِجرير، وهو عِندَ المهاجر بن عبد اللَّه باليمامةِ، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدّعته[4] ... ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

[الكامل]

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أَتهجو ابن عمّك بعدَ ما مات، لو رثيته كان

---

(١) الغيث: الخير، المطر.
(٢) الأكفاء، الواحد كفوء: الأمثال، الأشباه.
(٣) الأنقاء، الواحدة نقا: القطعة من الرمال.
(٤) جدّعته: قطعت أنفه.

أَحسنَ بك، فقال: واللَّهِ إِني لأَعلم أَن بقائي بعدَه لقليل، وإِن كان نجمي موافقاً لنجمه، أَفلا أَرثيه؟ قال: أَبعد ما قد قيل لك لو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

قال أَبو خليفةَ: قال ابن سلام: فأَنشدني مُعاويةُ بن عمرو، قال:

أَنشدني عُمارةُ بن عقيلٍ لجرير يرثي الفرزدق بأَبيات منها:

فلا ولدت بعدَ الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بعلٍ من نِفاسٍ تعلَّتِ[١]
هُوَ الوافدُ المأْمون والراتق الثَّأَى[٢] إِذا النعل يوماً بالعشيرةِ زَلَّتِ

[الطويل]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بنُ شبّةَ.

بخبر جرير لما بلغه وفاةُ الفرزدق، وهو عند المهاجر، فذكره نحو مما ذكره ابن سلام، وزاد فيه: قال: ثم قام وبكى وندِم، قال: ما تقارب رجلانِ في أمر قطّ فمات أحدُهما إِلا وأَوشك صاحبه أَنْ يتبعه.

قال أبو زيد: مات الحسن وابن سِيرينَ والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة، فقُبر الفرزدق بالبصرة، وقبر جرير وأيوب السَّختيانيّ ومالك بن دِينار باليمامة، في موضع واحد.

وهذا غلط من أبي زيدٍ عمرَ بن شِبّةَ، لأَن الفرزدق مات بعدَ يوم كاظمة، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرةَ ومائةٍ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً، وذكره في مواضع من قصائده، ويقوي ذلك أَيضاً ما أَخبرنا به وكيع قال: حدثنا عمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النطاح، عن المدائنيّ، عن أَبي اليقظانِ وأبي همام المجاشعيّ أَن الفرزدق مات في سنة أَربعَ عَشْرَةَ ومائة. قال أَبو عُبيدةَ فحدّثني أَيوبُ بن كسيب من آل الخطفيّ ـ وأُمه بنت جرير بن عطيةَ، قال بين جريرٌ في مجلس بفِناء داره بحَجر إِذ راكب قد أَقبل فقال له جرير: من أَين أَوضحَ الراكب[٣]؟ قال: مِنَ البصرة، فسأَل عنِ الخبر فأَخبره بموت الفرزدق، فقال:

مات الفرزدق بعدَ ما جدَّعته ليت الفرزدقَ كان عاشَ قليلا

[الكامل]

ثم سكت ساعة، فظننا أَنه يقول شعراً، فدمِعَت عيناه، فقال القوم: سبحان

(١) تعلّت المرأة من نفاسها: خرجت وسلمت.
(٢) الثَّأى: آثار الجرح.
(٣) أوضح الراكب: جعل الناقة تسرع في عدوها.

اللَّه، أَتبكي على الفرزدق، فقال: واللَّهِ ما أَبكي إلا على نفسي، أما واللَّهِ إن بقائي خِلافهُ لقليل، إنه قل ما كان مثلَنا رجلانِ يجتمعانِ على خيرٍ أَو شرّ إلا كان أمدُ ما بينَهما قريباً، ثم أنشأ يقول:

فُجعنا بحمال الديَّاتِ ابن غالب ... وحامي تميم كلّها والبراجم[١]
بكيناك حِدثانَ الفراق وإنما ... بكيناك شجواً[٢] للأُمور العظائم
فلا حملت بعدَ ابن ليلى مَهيرَةٌ ... ولا شُدَّ أنساعُ[٣] المطِيِّ الرَّواسم[٤]

[الطويل]

وقال البلاذريّ: حدثنا أَبو عدنانَ عن أبي اليقطانِ، قال:

أَسنَّ الفرزدقُ حتى قاربَ المائة، فأَصابته الدُّبَيلة[٥]، وهو بالبادية، فقُدم به إلى البصرة فأُتيَ برجل من بني قيس متطبب، فأَشار بأَن يُكوى ويُشرب النفط الأَبيض، فقال: أَتعجلونَ لي طعام أَهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

أَروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ... إذا ما الأَمرُ جل عنِ الخِطابِ

[الطويل]

وقال أَبو ليلى المجاشعيّ يرثي الفرزدق:

لعمري لقد أَشجى تميماً وهدَّها ... على نكباتِ الدهر موتُ الفرزدقِ
عشيَّةَ يُدنى للفرزدق نعشُه ... إلى جدث[٦] في هُوَّةِ الأَرض مُعْمقِ
لقد غيَّبوا في اللَّحد مَنْ كان يَنتمي ... إلى كلِّ بدر في السماء مُحلِّقِ
ثوى حاملُ الأَثقال عن كلِّ مُثقلٍ ... ودفّاع سلطانِ الغشومِ[٧] السَّملَّقِ[٨]
لسان تميم كلِّها وعِمادُها ... وناطِقُها المعروف عند المُخَنّقِ[٩]
فمن لتميم بعدَ موت ابن غالبٍ ... إذا حلَّ يومٌ مظلمٌ غيرُ مُشرقِ
لتبكِ النِّساءُ المُعولاتُ ابنَ غالبٍ ... لجانٍ وعانٍ في السلاسل مُوثقِ

[الطويل]

وقال ابن زكريا الغلابيّ عنِ ابن عائشةَ:

---

(١) البراجم: قوم من تميم.
(٢) شجواً: حزناً.
(٣) الأنساع: الحبال الطويلة العريضة تُشدّ بها الرحال.
(٤) الرواسم: الإبل السائرة ترسِيماً.
(٥) الدبيلة: داء يصيب الجوف.
(٦) جدث: قبر.
(٧) الغشوم: الظالم.
(٨) السملق: الشيء الخلق.
(٩) المخنق: موضع حبل الخنق من العنق.

مات الفرزدق في سنة عشرٍ ومائة، ومات جرير بعدَه بستة أَشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصريّ وابن سِيرينَ، قال: فقالتِ امرأة من البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهه، وشاعراه في سنة: ونسبت جريراً إِلى البصرة لكثرة قدومه إِليها منَ اليمامة. وقبر جرير باليمامة وبها مات وقبر الأَعشى أَيضاً باليمامة، أَعشى بني قيس بن ثعلبةَ، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم.

وقال جرير لما بلغه موتُ الفرزدق: قلّما تصاول فحلانِ فمات أحدُهما إِلَّا أَسرع لِحاقُ الآخر به.

ورثاهما جماعة، فمنهم أَبو ليلى الأَبيض من بني الأَبيض بن مجاشعٍ، فقال فيهما:

لعمري لئن قرما[1] تميم تتابعا مجيبَيْنِ للداعي الذي قد دعاهما
لرُبَّ عدوٍّ فرَّق الدهرُ بينه وبينَهما لم يثوِهِ صِبغتاهما

[الطويل]

حدَّثني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمار، قال: حدّثني يعقوبُ بنُ إِسرائيلَ، قال حدثني قعنب بن الحرز الباهليّ عنِ الأَصمعيّ عن جرير يعني ابن حازم، قال:

رُئِيَ الفرزدقُ وجرير في النوم فرئي الفرزدق بخير ورئي جرير يحتبس.

وقال قعنب: وأَخبرني الأصمعيّ عن روح الكلابيّ، قال: رُئِيَ الفرزدق في النوم، فذكر أَنه غفرَ له بتكبيرة كبَّرها في المقبرة عندَ قبر أبيه، غالب.

قال قعنب، وأَخبرني أَبو عُبيدةَ النحويّ وكيانُ بن المعروف النحويّ.

عن لبطةَ بنِ الفرزدق، قال: رأَيت أَبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل اللَّه بك، فقال: نفعتني الكلمة التي نازعت الحسن على القبر.

أَخبرني وكيع، قال: حدثنا محمد بن إسماعيلَ الحسانيّ، قال: حدثنا عليّ بن عاصم عن سفيانَ بن الحسن وأَخبرني أبو خليفةَ عن محمد بن سلام، والرواية قريب بعضُها من بعض.

أَن النوارَ لما حضرَها الموت، أوصتِ الفرزدق، وهو ابن عمّها أَن يُصلّي عليها الحسنُ البصريّ، فأَخبره الفرزدق بذلك فقال: إذا فرغتم منها فأَعلمني وأُخرِجت، وجاءها الحسن: ما للناس؟ فقال: ينظرون خيرَ الناس وشرّ الناس، فقال: شهادةُ أَن

(١) القرم: السيد الكريم القوي.

لا إلهَ إلا اللَّه منذ سبعينَ سنةً هذا لفظ محمد بن سلام، وقال وكيع في خبره فتشاغلَ الفرزدق بدفنها وجلس الحسن يعِظ الناس، فلما فرغ الفرزدق ووقف على حلقة الناس، قال:

لقد خاب منْ أَولاد آدمَ من مشى ... إلى النار مغلولَ القِلادةِ أَزرقا
أَخاف وراءَ القبر إن لم يعافني ... أَشدَّ منَ القبر التهاباً وأَضيقا
إذا جاءَني يومَ القِيامة قائدٌ ... عنيفٌ وسواقٌ يقود الفرزدقا

[الطويل]

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا عمرُ بن شبّةَ، قال: حدثنا حيانُ بن هلال، قال:

حدثنا خالد بن الحرّ، قال: رأَيت الحسن في جنازةِ أبي رجاءٍ العُطارديّ، فقال للفرزدق ما أَعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه منذُ بضع وتسعين سنةً. قال: إذاً تنجو إن صدقت.

قال: وقال الفرزدق في هذه الجنازة: خيرُ الناس وشرُّ الناس، قال: فقال الحسن لستُ بخير الناس، ولستَ بشرِّهم.

أخبرَنا أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمارٍ، قال حدثني أَحمدُ بن إسرائيلَ، قال حدثني عُبيد اللَّه بن محمد بن سليم القرشي بطوس، قال: حدثني يزيدُ بن هاشم العبديّ، قال: حدثني أبي، قال:

حدثنا فضيل الرقاشيُّ قال: خرجت في ليلة باردة، فدخلت المسجد فسمعت نشيجاً وبكاءً كثيراً، فلم أَعلم مَنْ صاحب ذلك، إلى أَن أَسفر الصبح، فإذا الفرزدق. فقلت: يا أَبا فراس تركت النوار، وهي لينة الدثار دفئة الشعار، قال: إني واللَّهِ ذكرت ذنوبي فأَقلقتني، ففزِعْتُ إلى اللَّه عز وجل.

أَخبرني وكيع، قال: حدّثني أبو العباس مسعود بن عمرَ بن مسعود الجحدريّ، قال: حدّثني هِلال بن يحيى الرازيّ، قال:

حدثني شيخ كانَ ينزلُ سِكَّةَ قريش، قال: رأيت الفرزدق في النوم فقلت: يا أَبا فِراس ما فعل اللَّه بك؟ قال: غفرَ لي بإِخلاصي يومَ الحسن، وقال: لولا شيبتُك لعذبتك بالنار.

أَخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني أَبو غسان دماذ، عن أبي عُبيدةَ.

عن لبِطةَ بن الفرزدق عن أَبيه قال: لقيت الحسين بن علي عليهما السلام

وأَصحابَه بالصِّفاح، وقد ركبوا الإِبل وجنبوا الخيل، متقلدين السيوفَ منتكبين القِسيَّ عليهم يلامق[١] الديباج، فسلّمت عليه، وقلت: أَين تُريد؟ قال: العراق. فكيف تركت الناس؟ قلت له: تركتُ الناسَ قلوبُهم معَك، وسيوفهم عليك، والدنيا مطلوبة، وهي في أَيدي بني أُميّة، والأَمر إلى اللَّه عزّ وجلّ، والقضاء ينزل منَ السماء بما شاء.

أَخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، وأَحمد بن عبد العزيز، قالا: حدثنا عمرُ بُن شبّةَ، قال: حدثني هارون بن عمرَ، عن ضمرةَ بنِ شوذب، قال:

قيل لأَبي هُريرةَ: هذا الفرزدق، فقال: هذا الذي يقول يقذف المُحصنات، ثم قال له أَبو هُريرةَ: إِني أَرى عظمَك دَقيقاً وجِلدك رقيقاً، ولا طاقةَ لك بالنار، فتُب فإِن التوبةَ مقبولة منِ ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابُه.

أَخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا الرّياشيّ، قال: حدثنا المِنهالُ بن بحرٍ أبو سلمةَ، عن صالح المريّ.

عن حبيب بن أَبي محمد، قال: رأَيْتُ الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هُريرةَ، إنه سيأتيك قوم يؤيسونك من رحمةِ اللَّه، فلا تيأسْ.

قال أَبو الفرج الأَصبهانيّ: والفرزدق مقدَّم على الشعراء الإِسلاميينَ هو وجرير والأَخطل، ومحله في الشعر أَكبر من أَن يُنَبَّه عليه بقول، أو يُدلَّ على مكانه بوصف، لأَن الخاص والعام يعرفانِه بالاسم، ويعلمانِ تقدمَهُ بالخبر الشائع عِلْماً يُستغنى بهِ عنِ الإِطالة في الوصف، وقد تكلَّم الناس في هذا قديماً وحَدِيثاً وتعصَّبوا واحتجُّوا بما لا مزيدَ عليه، واختلفوا بعدَ اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أَيهم أَحقُّ بالتقدم على سائرها، فأَما قُدماء أَهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأَخطل، لأَنه لم يلحق شأوَهما في الشعر، ولا لَه مثل ما لهما من فنونه، ولا تصرَّف كتصرفِهما في سائره، وزعموا أَن ربيعةَ أَفرطت فيه حتى أَلحقتْه بهما. وهم في ذلك طبقتانِ: أَما مَنْ كان يميل إِلى جزالة الشعر وفخامته وشِدَّة أَسره فيقدم الفرزدق، وأَما مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإِلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدّم جريراً.

أَخبرنا أَبو خليفةَ، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال:

سمعت يونسَ بن حبيبٍ، يقول: ما شهدت مجلساً قطّ ذكر فيه الفرزدق وجرير فاجتمع أَهل ذلك المجلس على أَحدهما. قال ابن سلام: وكان يونسُ يُقدم الفرزدق تقدمةً بغير إفراط وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

---

(١) يلامق، الواحد يلمق: القباء.

قال ابن سلام وقال ابنُ دأْب ـ وسُئِل عنهما فقال ـ الفرزدق أَشعر خاصة، وجرير أَشعر عامَّة.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ، قالا: حدثنا عمرُ بنُ شبَّةَ، قال:

حدثني العَلاء بن الفضل، قال: قال لي أَبو البيداءِ: يا أَبا الهُذيل، أَيُّهما أَشعر؟ أَجرير أَمِ الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إِليك، ثم قال: ألم تسمعْه يقول:

ما حُمِّلت ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفتني على الكورِ
إلا قريشاً فإِن اللَّه فضَّلها ... مَعَ النبوةِ بالإِسلام والخِيرِ
لا تحسبَنَّ مِراسَ الحرب إِذْ لَقِحَتْ ... شُرب الكسيس[1] وأَكل الخبز بالصّيرِ[2]

[البسيط]

سلح واللَّهِ أَبو حزرةَ سلحَ واللَّهِ أَبو حزرة.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أبو حاتم السجستانيّ، قال حدثنا أَبو عُبيدةَ، قال:

سمعت يونسَ يقول: لولا شعرُ الفرزدق لذهبَ ثلثُ لغة العرب.

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أَبوه ثم السجستانيّ، قال حدثنا أَبو عُبيدةَ: قال أَبو البيداء.

قال الفرزدق: كنت أُهاجي شعراءَ قومي، وأَنا غُلام، في خلافة عثمانَ بنِ عفانَ، ـ رضي اللَّه عنه ـ فكان قومي يخشون معَرَّة لِساني يوَمئذٍ، ووفد بي أَبي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علمه القرآن، فهو خيرٌ له.

قال أَبو عُبيدةَ: ومات الفرزدق في سنة عشرٍ ومائة، وقد نيَّف على التسعينَ سنةً، كان منها خمساً وسبعين سنةً يُباري الشعراءَ فيبذُّهم، ويهجو الأَشراف فيغضُّهم، ما ثبت له منهم أَحدٌ قطُّ إلا جريراً.

أَخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثنا محمد بن مُعاويةَ الأَسديّ، قال: حدثنا ابن الرازيّ، عن خالد بن كلثوم، قال:

---

(١) الكسيس: من أسماء الخمرة.

(٢) الصير من السمك: ما كان مملحاً.

قيل للفرزدق: ما لك وللشعر، فواللَّهِ ما كان أَبوك غالب شاعراً، ولا كان صعصعةُ شاعراً، فمن أَين لك هذا؟ قال: من قبل خَالي، قالوا: أَي أَخوالك؟ قال: خالي العلاء بن قَرظةَ الذي يقول:

إذا مـا الـدهـرُ جـرَّ عـلـى أُنـاس كـلاكِـلَـه[1] أَنـاخ بـآخـريـنـا
فـقـل لـلـشـامـتـيـن بـنـا أَفـيـقـوا سـيـلـقـى الـشـامـتـون كـمـا لـقـيـنـا

[الوافر]

أَخبرني عَمِّي، قال: حدثنا الكرانيّ، عنِ العمريّ، عنِ الهيثم بن عديّ، عن حَمادٍ الراوية. وأَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ. قال: حدثنا دماذ، عن أَبي عُبيدةَ، قال:

دخل قوم من بني ضبَّةَ على الفرزدق، فقالوا له: قبَّحَك اللَّه منِ ابن أُخْتٍ، قد عرضتنا لهذا الكَلْب السفيه ـ يعنون جريراً ـ حتى شتم أَعراضَنا وذكر نساءَنا. فغضب الفرزدق، وقال: قبَّحَكمُ اللَّه مِنْ أَخوال، فواللَّهِ لما شرّفكم من فخري أَكثر مما غضبكم من هِجاء جرير، أَفأَنا ويلكم عرضتكم لسويدِ بن أَبي كاهل، حيث يقول:

لـقـد زُرِقـت عَـيـنـاك يـا ابـنَ مُـكـعـبـر كـمـا كـلُّ ضـبـيٍّ مـنَ الـلـؤم أَزرَقُ
تـرى الـلـؤْم فـيـهـم لائـحـاً فـي وجـوهـهـم كـمـا لاح فـي خـيـل الـحـلائـب أَبـلـقُ

[الطويل]

أَو أَنا عرضتكم للأَبلق العجليّ، حيث يقول:

لـن تَـجِـدَ الـضَّـبـيَّ إِلَّا فـلَّا عـبـداً إذانـاً وأَفـومـا هـلَّا
مـثـل قـفـا الـمِـديـة[2] أَو أكـلَّا حـتـى يـكـون الأَلأَمُ الأَقـلَّا

[الرجز]

أَو أَنا عرضتكم له حيث، يقول:

إِذا رأَيـت رَجُـلاً مـن ضَـبَّـهْ فـنـكـه عـمـداً فـي سـواء الـسـبّـهْ
إن الـيـمـانـي عِـقـاص الـذّبـهْ

[الرجز]

أو أَنا عرضتكم لمالك بن نُويرةَ حيث يقول:

ولـو يُـذبـحُ الـضَّـبـيّ بـالـسـيف لـم تـجـد مـنَ الـلـؤْم لـلـضَّـبـيّ لـحـماً ولا دمـا

[الطويل]

---

(١) الكلاكل، الواحد كلكل: الصدر.
(٢) المِدية، بكسر الميم: السكين.

واللَّهِ لما ذكرت من شرفكم، وأَظهرت من أَيامكم، أَكثرُ، أَلست الذي أَقول:

وأَنا ابن حنظلةَ الأَغرّ وإِنني ... في آل ضَبَّة لَلْمُعَمُّ المُخوّلُ
فرعانِ قد بلغَ السماءَ ذُراهما ... وإِليهما مِنْ كُلّ خوفٍ يُعقلُ

[الكامل]

أَخبرنا أَبو خليفةَ، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو بكرٍ محمد بن واسعٍ وعبدُ القاهر، قالا:

كانَ فتًى في بني حرام بن سِماكٍ شويعرٌ قد هجا الفرزدق، فأخذناه فأَتينا بهِ الفرزدق، وقلنا: هو بين يديك، فإِن شِئت فاضْرِب، وإن شئت فاحلقْ، لا عدوى عليك ولا قِصاصَ برئنا إِليك منه فخلى سبيله، وقال:

فمن يكُ خائِفاً لأَذاةِ قولي ... فقد أمِنَ الهجاءَ بنو حَرامِ
همُ قادوا سفيههمُ وخافوا ... قلائدَ مثلَ أطواقِ الحمامِ

[الوافر]

أَخبرنا أَبو خليفةَ، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال:

كان رجل من قُضاعَة ثم من بني القين على السند، وفي حبسه رجل يُقال له حبيش أَو خنيس، وطالت غيبته عن أَهله، فأَتت أُمه قبرَ غالبٍ بكاظمةَ، فأَقامت عليه حتى علم الفرزدقُ بمكانِها، ثم إِنها أتت فطلبت إِليه في أَمر ابنها، فكتب إلى تميم القُضاعِيّ:

وهَبْ لي خُنيساً واتخذ فيه مِنَّةً ... لغصَّةِ أُمّ ما يسوغ شَرابُها
أَتتني فعاذتْ يا تميمُ بغالبٍ ... وبِالحفرة السافي عليه تُرابُها
تميمَ بنَ زيدٍ لا تكوننَّ حاجتي ... بظهرٍ فلا يخفى عليَّ جوابُها

[الطويل]

فلما أَتاه الكِتاب لم يدرِ أَخنيس أَم حبيش، فأَطلقهما جميعاً.

أَخبرني أَبو خليفةَ، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثني أَبو يحيى الضبيّ، قال:

ضرب مكاتب لبني منقرٍ خيمةً على قبر غالبٍ، فقدِمَ الناسُ على الفرزدق فأَخبروه أَنهم رأَوْا بِناءً على قبر غالب أَبيه، ثم قدِم عليه، وهو بالمربد، فقال:

بقبرِ ابن ليلى غالبٍ عذتُ بعدَ ما ... خشيتُ الردى أَو أَن أُرَدَّ على قَسْرِ

فـخـاطَـبـنـي قـبـرُ ابـن لـيـلـى، وقـال لـي فِـكَـاكُـك أَنْ تـلـقـى الـفـرزدق بـالـمِـصـرِ

[الطويل]

فقال له الفرزدق: صدق أَبي، أَنِخْ أَنِخْ، ثم طاف في الناس حتى جمع له كِتابته وفضلاً.

أَخبرَنا محمد بن خلف وكِيع، قال: أَخبرني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني أَحمد بن حَمَّاد بن الجميل؛ قال: حدثنا القحذميّ، قال:

أَخبرنا مخبرٌ عنِ ابنِ عَياش، قال: لقيتُ الفرزدق، فقلت له: يا أَبا فِراس، أَنت الذي تقول:

فـلـيـت الأَكُـفَّ الـدافـنـاتِ ابـنَ يـوسـف يُـقـطَّـعـن إذ يـحـثـيـن فـوقَ الـسـقـائـفِ

[الطويل]

فقال: نعم أَنا، فقلت له، ثم قلت بعد ذلك له:

لـئـن نـفـرَ الـحـجَّـاج آلُ مـعـتَّـب لـقـوا دولـةً كـان الـعـدو يُـدَالُـهـا[1]

لـقـد صُـبـح الأَحـيـاءُ مـنـهـم أَذلَّـة وفي الـنـاس مـوتـاهـم كـلـوحاً سِـبـالُـهـا[2]

[الطويل]

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون معَ الواحد منهم ما كان اللَّه معَه، فإِذا تخلّى منه انقلبنا عليه.

أَخبرنا هاشم بن محمد، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أَخي الأَصمعيّ عن عمه عن بعض أَشياخه، قال:

شهد الفرزدق عندَ إياس بن معاويةَ، فقال: أَجزَنا شهادةَ الفرزدق أَبي فِراس وزيدونا شهوداً، فقام الفرزدق فرِحاً، فقيل له: إنه واللَّهِ ما أَجاز شهادتك، فقال: بلى قد سمعته يقول قد أَجزنا شهادة أَبي فِراس، قالوا: أَفما سمعته يستزيدُ شاهداً آخر؟ فقال: وما يمنعه أَن لا يقبل شهادتي وقد قذفْتُ أَلف محصنة.

أَخبرنا محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدةَ عن يونسَ، قال:

كان عطيةُ بن جعال الغُدانيّ صديقاً ونديماً للفرزدق، فبلغ الفرزدق أَن رجلاً من

(١) يدالها: يخضعها.

(٢) سبالها: السِّبال، مفردها سَبَلة، وهي مقدّم اللّحية أو ما على الشارب من شعر.

بني غُدانةَ هجاه وعاونَ جريراً عليه، فأَراد أَن يهجوَ بني غُدانةَ، فأَتاه عطيةُ بن جعال يسأَله أَن يصفحَ له عن قومه ويهبَ له أَعراضَهم، ففعل ثم قال:

أَبني غُدانةَ إنني حرّرتكم ... فوهبتُكُم لعطيةَ بنِ جعالِ
لولا عطيةُ لاجتدعت[1] أنوفكم ... من بينِ ألأمِ آنفٍ وسِبالِ

[الكامل]

فبلغ ذلك عطيَّةَ، فقال: ما أَسرعَ ما ارتجعَ أَخي هِبته، قبّحَها اللَّه من هِبة ممنونة مرتجعة.

أَخبرني وكيع، قال حدثني هارون بن محمد، قال: حدثني قبيصةُ بنُ معاويةَ المهلّبيّ، قال: حدثني المدائنيّ عن محمد بن النضر أَن الفرزدق مرَّ بباب المفضل بن المهلّب، فأَرسل إِليه غِلمةً فاحتملوه حتى أُدخلَ إِليه بواسط، وقد خرج من تيار ماء كان فيه، فأَمر به فأُلقى فيه بثيابه، وعندَه أَبو علقمةَ اليَحمَديّ المجنون، فسعى إِلى الفرزدق، فقال له المفضل: ما تُريد؟ قال: أُريد أَن أَنيكَه وأَفضحه، فواللَّهِ لا يهجو بعدُ أَحداً من أَزْد، فصاح الفرزدق: اللَّهَ أَيُّها الأَميرُ فيّ، أَنا في جوارِك وذمَّتِك، فمنع عنه ابن أَبي علقمة، فلما خرج، قال: قاتلَ اللَّه مجنونهم، واللَّهِ لو مَسَّ ثوبه ثوبي لقام بها جريرٌ وقعَد، وفضحتني في العرب، فلم يبقَ لي فيهم باقية.

وأَخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلّبيّ عنِ ابن شبّةَ عن محمد بن يحيى عن عبد الحميد عن أَبيه عن جَدِّه، قال أبو زيد: وأَخبرني أَبو عاصم:

عنِ الحسن بن دينار، قال: قال ليَ الفرزدق: ما مرَّ بي يومٌ قطُّ أَشدُّ عليَّ من يوم دخلت فيه على أَبي عُيينةَ بنِ المهلّب، وكان يوماً شديد الحرّ، فما منا أَحد إلا جلس في أَبزَن[2]، فقلنا له: إن أَردت أَن تنفعنا فابعثْ إلى ابن علقمة، فقال: لا تُريدوه فإِنه يُكدِّر علينا مجلسَنا، فقلنا: لا بدَّ منه، فأَرسل إِليه، فلما دخل فرآني، قال: الفرزدق واللَّهِ، ووثب إِليَّ وقد أَنعظ أَيره، وجعل يصيح واللَّهِ لأَنيكَنه، فقلت لأَبي عُيينةَ: اللَّهَ اللَّهَ فيّ، أَنا في جِوارك، فواللَّهِ لئن دنا إلي لا تبقَ لي باقية معَ جرير، فلم يتكلم، أَبو عُيينةَ، ولم تكن لي هُمَّةٌ إلا أَن عدوْتُ حتى صعِدْت إِلى السطح، فاقتحمْتُ الحائط، فقيل له: ولا يومُ زِياد كان مثل يومئِذٍ، فقال: ولا مثلُ يوم زيادٍ أَخبرني عمّي قال: حدثني عبد اللَّه بن أَبي سعد، قال: حدثنا أَحمدُ بن عمرَ، قال:

---

(١) لاجتدعت: لقطعت.

(٢) الأبزن: حوض من نحاس يستنقع فيه الرجل.

حدثنا إسحاقُ بن أَبي مروانَ مولى جهينةَ وكان يُقال له كوزا الراوية. قال أحمدُ بن عُمرَ. وأخبرني أيضاً عمرُ بنُ خالد العمانيّ.

أَن الفرزدق قدِمَ المدينةَ في سنة مجدبةٍ فمشى أَهل المدينة إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز ـ رضي اللَّه عنه ـ، فقالوا له: أَيُّها الأَمير، إِن الفرزدق قد قدِمَ مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي قد أَهلكت عامة الأَموال التي لِأَهل المدينة، وليس عندَ أَحد منهم ما يُعطيه شاعراً، فلو أَن الأَمير بعث إِليه فأَرضاه، وتقدَّم إِليه أَن لا يعرضَ لأَحد بمدح ولا هِجاء فبعث إِليه عمرُ بن عبد العزيز ـ رضي اللَّه عنه ـ، فقال: يا فرزدقُ إِنك قدِمت مدينتَنا هذه في هذه السنة الجدبة، وليس عندَ أَحدٍ ما يُعطيه شاعراً، وقد أَمرتُ لك بأربعةِ آلاف درهم، فخذْها ولا تعرضْ لِأَحد بمدح ولا هِجاءٍ فأَخذها الفرزدق ومرّ بعبدِ اللَّه بن عمرو بن عُثمانَ، وهو جالس في سقيفة داره، وعليه مطرف خَزَّ أَحمر، وجبة خزّ أحمر، فوقف عليه، وقال:

أَعبدَ اللَّهِ أَنت أَحقُّ ماشٍ ... وساعٍ بالجماهير الكِبارِ
نما الفاروقُ أمَّك وابنُ أَروى ... أَبوك فأَنت مُنصدِع النهارِ
هما قمرا السماء وأَنت نجم ... به في الليل يُدلج كلُّ ساري

[الطويل]

فخلعَ عليه الجبة والعِمامة والمِطرف وأَمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضرَ عبد اللَّه وفرزدقُ عندَه، رأَى ما أَعطاه إِياه، وسمع ما أَمره عمرُ به من أَن لا يعرض لأَحد، فدخل إِلى عمرَ بنِ عبد العزيز فأَخبره، فبعث إِليه عمر: أَلم أَتقدّم إِليك يا فرزدق أَن لا تعرضَ لأَحد بمدح ولا هِجاء؟ اخرج فقد أَجّلتك ثلاثاً، فإِن وجدتك بعد ثالثة نكلت بك فخرج، وهو يقول:

فَأَجّلني وواعدني ثلاثاً ... كما وُعدت لمهلكها ثمودُ

[الوافر]

قال: وقال جرير فيه:

نفاك الأَغرُّ ابنُ عبد العزيز ... ومثلك يُنفى منَ المسجدِ
وشبّهت نفسَك أَشقى ثمودٍ ... فقالوا: ضللت ولم تهتدِ

[المتقارب]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال: حدثني عليّ بن محمد النوفليّ، قال: حدثني صالح بن خاقانَ عن يونسَ النحويّ، قال.

مدح الفرزدق عُمَر بن مسلم الباهليّ، فأَمر له بثلاثمائة درهم، وكان عمرو بن عفرى الضبيّ صديقاً لعمرَ فلاَمَه، وقال: أَتُعطي الفرزدق ثلاثمائة درهم وإنما كان يكفيه أَن تُعطيَه عِشرينَ درهماً فبلغ ذلك الفرزدق فقال:

نهيتُ ابن عفرى أَن يعفرَ أُمَّه ... كعفر السَّلا إذْ جرَّرته ثعالبُهْ
وإِنّ امرأً يغتابني لم أَطأْ له ... حَريماً ولا ينهاهُ عني أَقاربُهْ
كمُحتطبٍ يوماً أَساوِدَ هَضبةٍ ... أَتاه بها في ظُلمة الليل حاطبُهْ
ألمَّا استوى نابايّ وابيضّ مسحلي ... وأَطرق إِطراقَ الكَرَى مَنْ أُحاربُهْ
فلو كان ضبّياً صفحْتُ ولو سرت ... على قدمي حيّاتُه وعقاربُهْ
ولكن ديافيٌّ أَبوه وأُمُّه ... بحورانَ يعصرن السَّليط قرائبُهْ

[الطويل]

فهرس المحتويات

أَخبار المُنخّل ونسبه ٥
اسمه ونسبه ٥
أَخباره ٥
المنخل وامرأَة النعمان ٦
غرامه بالمتجردة ٨
أَخبار أُمية بن الأَسكر ونسبه ١٢
اسمه ونسبه ١٢
خبره معَ الخليفة عمر ١٣
أَخباره ١٥
خبر ولده كِلاب ١٧
أُميّة وعامر بن الطُّفيل في عُكاظَ ١٨
شعره في يوم المريسيع ٢٠
أَخبار عبدة بن الطيِّب ونسبه ٢٣
عبد الملك بن مروان وعبدة ٢٤
أَخبار الأَغلب ونسبه ٢٥
عمر بن الخطاب والأَغلب ٢٦
قصة مُسيلمةَ وسجاحِ ٢٧
أَخبار البحتريّ ونسبه ٣٠
البحتري وأَبو تمام ٣١
البحتريّ والنوبختيّ ٣٣
بعض أخباره ٣٤
أَخباره معَ الغِلمان ٣٦
أَخباره معَ أَبي تمام ٣٨
خبره معَ المتوكل ٤٠

نتف مستحسنة من أَخبار عَريب ٤٣
عَريب ومغنيين آخرين ٤٤
رواية ابن المعتز عن عَريب ٤٧
علاقتها بحاتم بن عديّ ٤٩
خبرها معَ المراكبيّ ٥٠
نتفٌ وطرائف أُخرى ٥١
أَخبارها معَ المأْمون ٥٣
(نسبة هذا الصوت) ٥٥
طرائف وملح أُخرى عن عَريب ٥٩
نسبة هذا الصوت ٦١
نسبة هذين الصوتين ٦٢
فأَما نسبة هذا الصوت ٧٠
نسبة ما في أَشعار الكُميت هذه من الأَغاني ٧٣
ذكر معقل بن عيسى ٧٤
الأَحوص وبعض أَخباره ٧٧
نسبة ما مضى في هذه الأَخبار منَ الأَغاني ٨١
خبره معَ الفرزدق وكثير ٨٢
بعض أَخباره ٨٤
ذكر عبد اللّه بن الحسن بن الحسن عليهمُ السلام وأَخباره وخبر هذا الشعر ٩١
خبر وفاته ٩٣
وسامته وصفاته ٩٤
طرائف من أَخباره ٩٧
أَخبار تأَبَّط شرّاً ونسبه ١٠٢
غزوته معَ ابن راق على بجيلةَ ١٠٥
طرائف من أَخباره ١٠٧
طرائف من أَخباره ١١٢
أَطرف أَخباره ١١٨
غارته على الأَزْد ١٢٤

معركة معَ خثعم ١٢٥
معَ بني نفاثة ١٢٨
خبر مقتله ١٣٢
عمرو بن بُراق ١٣٦
أَخبار الشنفرى ونسبه ١٣٨
أَخباره معَ بني سَلَامان ١٤٦
أَخبار الخليل ونسبه ١٤٩
نسبة هذين الصوتين ١٥٠
أَخبار علقمة ونسبه ١٥٢
ذكر أَبي خِراش وأَخباره ١٥٦
طرائف من أَخبار خِراش ١٦٧
أَخبار ابن دارةَ ونسبه ١٧٣
طرائف من أَخباره ١٨٢
أَخبار مسعود بن خرشة ١٨٦
أَخبار بحر ونسبه ١٨٨
أخبار هُدبة بن خشرم ونسبه وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله ١٨٩
رجع الخبر إِلى سياقته ١٩٥
رجع الخبر إِلى سياقته ١٩٧
نسب الفرزدق وأَخباره وذكر مناقضاته ٢٠٤
ما قيل عنه وعن جرير والأَخطل ٢١٠
نُتف أَدبية أخرى عنِ الفرزدق ٢١٨
قصيدته في زين العابدين ٢٧٣
أَيامه الأَخيرة ٢٧٩
فهرس المحتويات ٢٩٤